عُيٌّ الأحمر
في تفسير القرآن
وبيان ما فيه من الهديات والفوانيد والأحكام

تَأليف
أَبِي سُفيان بن عبد الحليم بن عبد الله النحاس
الاشتراك في تفسير القرآن وعُلُومه
بِكَتَابِ الشريعة وال наукات الإسلامية. جامعَةِ القصيم

المجلدُ الأول والثاني
تفسير سورة فاتحة والداريات والظفر والثجوم والقمر والرجم
والواقعة والبيدة

ـ حارِبَ بن الجوزيـ
الحمد لله الرحمن الرحيم
عود الأمين
في تفسير القرآن
٥١
دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع

اللهم سلماً ل(SE) بن إبراهيم بن عبد الله
عذراً في تقسيم القرآن وبيان ما فيه من الهدایات والفوائد
والأخلاق. / سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم - الدمام، 1441هـ

1- القرآن - تفسير - علوم القرآن - أحكام
أ - العنان
ديوي 272

الباركود الدولي: 97886038274959

حقوق الطبع محفوظة © 1441هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونشره في أي نظام
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي
لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.
تفسير سورة فاتحة

وهي أول حزب المنفصل على الصحيح وأول طواله
المقدمة

عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: «سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تخرب القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسعم، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب الفصل وحده» (١).

قال ابن كثير رحمه الله (٢) في مطلع كلامه على سورة ق: «وهذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح»، واستدل بحديث أوس بن حذيفة رضي الله عنه ثم قال مفصلاً لما جاء في هذا الحديث:

إذا عددت ثمانية وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق، بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء، وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

وسبع: يوسيف، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحج، والأنفال. وتسعم: سبhan، والكهف، ومريم، وطه، والأبياء، والحج، والمؤمنون، والروم، ولفقار.

واحدة عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وألم السجدة، والاحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس. وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة، وحم طه، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقرآن، والقينقاع، والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل، كما قاله الصحابة رضي الله عنهم.

فتعنين أن أوله سورة ق، وهو الذي قلنه الله الحمد والمنة.

أ- اسم السورة:

سميت هذه السورة: سورة ق؛ لقوله تعالى في مطلعها: (١٠٠)، وتسمى أيضًا:

«سورة الباسقات»؛ لقوله تعالى فيها: (والنحل بآي الصدقين) (١٠٠).

ب- مكان نزولها:

مكة.

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة - باب تخريب القرآن ١٣٩٣، وابن ماجه في إجابة الصلاة - في كم يستحب ختم القرآن ١٣٤٥، وأحمد ٩/٤.
(٢) في (تفسيره) ٣٧٠ - ٣٧١.
جـ: فضلها
عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر: بِقُرْآنٍ
والقرآن النجيدٍ وكانت صلاتيه بعد تَقَلِيلٍ(1).
وعن قطبة بن مالك رضي الله عنه: "أنه صلى مع النبي ﷺ الصحاب، فقرأ في أول
ركنة: ﴿وَأَنتُ الَّذِي بِالسَّمَاوَاتِ مَلِئٌ﴾ (ق: 1)، وربما قال: "ق"(2).
وعن أم هشام بنت حارثة بن العباس رضي الله عنها قالت: "ما حفظت ﴿ق﴾
والقرآن النجيدٍ إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة(3).
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل أبا وافد الليثي: "ما كان رسول الله
الراجع في العيد؟ قال: بِقُرْآنٍ واقترحت(4).
د- موضوعاتها:
1- افتتحت سورة ﴿ق﴾ بيان إعجاز القرآن الكريم وتعظيمه: ﴿قُرْآنٍ ﻋَزِيزٍ ﻳَداَرُ ﻛَبِيرٌ﴾
2- تعجب الكفار أن جاءهم منذ منهم، وإنكارهم للبعث، وتذكيتهم بالحق
والرد عليهم: ﴿وَلَيُعْطِيُوهُمْ اِلْقُلُوبَ الْقَانُونَةَ ثُمَّ يَضُربُوهُمْ ﻣَنْصُورًا ﻓَصْلًا ﻛَبِيرًا﴾ (ق: 106-107)
3- توابع المتكبدين بالبعث: كيف لم ينظروا ويتأملوا في آيات الله المنتشرة في
الكون، وفي نعمة: ﴿أَلْقَىٰ نَظْرًا إِلَىٰ أَلْسَنةٍ فَوْقَهُ كَفِيفٍ بِبَيْنِهَا وَرَيْضٌ يَنْرُيِّهَا﴾ (ق: 6).

(1)أخيره مسلم في الصلاة 458، وأحمد 1019، 1024.
(2)أخيره مسلم في الصلاة 457، والساحلي في الافتتاح 950.
(3)أخيره مسلم في الجمعية تحقق الصلاة والخطبة 873، وأبو داود في الصلاة الرجل يخطب على فوق
1100، والساحلي في الافتتاح 949، وأحمد 436، 435-434.
(4)أخيره مسلم في صلاة العيدين 891، وأبو داود في الصلاة: ما يقرأ في الأضحى والفطر
1154، والساحلي في العيدين 1567، والترمذي في الجمعية 534، وابن ماجه في إقامة الصلاة- القراءة في صلاة
العيدين 282، وأحمد 217/218.
سورة ق: المقدمة

والآلاَّض مُدُنَّةٌ وَأَلْقَبْنَا هُمَا رُوسَىٰ وَأَنْبَأْنَا هُمَا مِنْ كُلِّ ذَئْبٍ تَحْيَىٰ ۖ تَقَبَّصَتْ وَذُو كَرْعٍ لِكُلِّ عِبَادٍ ۖ ۙ يُنَضِّبُ ۚ وَزَرَأْنَا مِنَ الْأَنثَى مَا مُرَكْبًا تَأْلَقَّنَا وَدَجَّلَتْ وَحَبَّتْ ۖ لَمَّا أَنْبَتَتْ فِي ۖ فَطَلَّتْ قَبْسًٰٔ ۖ رَزَقَتْ لِلِّيْلِ وَالْعَيْنِ. ۖ بَلِّدَةٌ مِّنْهَا ۖ كَذَّلِكَ الْخَرَّجُ ۖ

4- ذكر تكذيب الأمم قبلهم لرسلهم وإهلاكهم بها توعدوا به من العذاب: 

ۖ ۖ ذُكِّبْ قَبْلَهُمْ ۖ ءَامَنُ نَجَّ وَأَحَبَّ أَرْضَينَ وَيَدَّ يُرِيدُ وَيَخُونُ ۖ وَيَلْهَبُ ۖ وَفَرَّيْنَغَ وَلَا يَعْقُبُ ۖ وَفَوَّرَ وَأَجْعَلْنِي مُلْهَكَ وَفِقِّهٌ ۖ وَقَرْنِ ۖ فَذُكِّبْ كَذَّبَ الْرَّسُولُ ۖ فَحُشِّي مَعْدُودًا

5- أن من قدر على الخلق الأول فهو على الخلق الثاني أقدر: "أنعماً إياكم الأولى

بُلُحُرَّهُ في لِيْس مِّن خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ

6- بيان تمام قدرة الله تعالى في خلق الإنسان، وعلمه بها توسوس به نفسه: "وَلَعْدَ خَلْقَهُ إِلَّا يَنْبَذُ وَتَمَلِّكَ مَا نُعْرُفُ ۖ وَتَمَلُّكَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حِيْلِ الْوَتَرِي ۖ ۖ إِلَى قُوَّةِ عَلَى ۖ كَذَّلِكَ حَيَاةُ الْحَيَاةِ ۖ":

ۖ أَلْقَدْ كَتَبْ فِي عُفُوْنِكُمْ هَذَا فَذَكَّرُوهُمْ عَلَى يَدِيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَعْرَفُ قَدْ أَهْلَكْتُهُ فَبِكُلِّ ۖ ۖ إِلَى قُوَّةِ عَلَى ۖ كَذَّلِكَ حَيَاةُ الْحَيَاةِ

7- شهادة القرين على الإنسان بأعماله السبيئة من الكفر والشرك ومعاندة الحق، ومنع الخير، والاعتداء، والرب، وغير ذلك: "وَقَالَ فِي هَذَا مَالِدًا عَيْدٌ ۖ إِلَى قُوَّةِ عَلَى ۖ كَذَّلِكَ حَيَاةُ الْحَيَاةِ":

ۖ مَا بَلَدَ الْقُوَّةُ ۖ وَمَا أَيْضَةُ الْقِيَامِ

8- الترهيب من جههم وعذابهم، والرغبة في الجنة، ونعمتها: "يَمَّ نَقُولُ لَيْهِمْ هِلِّ إِسْتَعْلَمْتُمْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ تَطَهِّرٍ ۚ وَأَرْقَامُ الْجَنَّةِ لَشَيْءٌ عِدْدٌ ۚ هَذَا مَا تَنْعَدَدُ وَلَكَ أُبَيْنَ ۖ فَمَنْ حَفَظَ ۖ مَرْحَبٌ عَلَى الرَّجُلِ ۖ وَهَبَّتْ يَقِيمًا بُنَيُّ ۚ كَذَّلِكَ يُصْلِحُهَا ۖ فَمَنْ حَفَظَ ۖ فَلَا يَضُرُّ ۖ وَلَا يَجُدُّ ۖ

9- التذكير- لأخذ العظمة والعبرة- بإهلاك كثير من القرون قبلهم: "وَأَحْلَسْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنِ ۖ هُمَا أَنْبَأَنَّهُمْ بَلَسَتْنَا فَنَفَرُوا فِي الْيَمِينِ هُلٌّ مِّنْ تَحْيَىٰ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ ۖ لَيْسَ بِيَمَنِ كَانَ لَهُمْ ۖ فَلَبِسُوا أَلْفَ أَلْفَ الْيَمِينِ وَهَمُّ وَهُمْ بِهِمُ شَهَدُوُّ ۖ

ۖ بَيَانَ عَظْمَتِهِ تَحَمَّلَ وَمَا كَانَ مَنْ تَعْقُوبُ

ۖ فِي يَسَنَّةٍ أَمْيَاءٍ وَمَا مَسْتَنَ مِنْ نَعُوبٍ ۖ

ۖ
11 - تسليته وتقوية قلبه بأمره بالصبر والتسبح بحمد ربته في جميع الأوقات، وتهديد المكذبين بالقيامة وأهوالها: "فَأَصِبْ عَلَىٰ مَا يَقْلُؤُونَ وَسَيَسْتَوِيْنَ حَمَّادَ بَرَكَةً قَبْلَ طَوْعَ الْشَّمَّابِيسِ وَقَبْلَ الْخَرُوجِ وَمَنْ أَتَى قَسَّيمَهُ وَأَذْكَرْتَ الْسُّجُورِ وَاسْتَيِّعْ بَيُّ نَبَاءَ الْمَكَانِ وَمَكَانَ الْقُرْيَٰبِ يُؤْتُونَ الْقَسَّيمَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْمُكَتَّزِرِ إِنَّا نَحْنُ نَحْصُرُوهُ وَنُنَبِّئُ إِلَيْهِنَا فِي النُّصِيرِ يُؤْتُونَ الْأَرْضَ عَلَيْهِم بِهْبَةٍ ذَلِكَ حَسَبُ عَلَيْنَا ليُسَبِّرُونَ بِهِ أَعْرَاوُا يَقْلُؤُونَ وَمَا أَتَى عَلَيْهِم بِصَبَّارٍ فَذَكَرَ فَأَغْفَرَ مِنْ يَتَعَفَّ وَوَعِيدُ (٤)".

* * *
سورة ق، الآيات: 1 – 5


قوله تعالى: «ق»، والقرآن المجيد

قال: «لَقَدْ كَتَبْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ لَمْ يُعْنِسْنَ مَنْ كَانَ ضُرِّعٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْقِبَنَّهُمْ فِي مَا كَانَتْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنَّ يَأْتِيَهُمْ فِي مَا كَانَ مُتْلَكِهِمْ».

قول الله تعالى: «ق»، والقرآن المجيد

قوله تعالى: «ق»، والقرآن المجيد

قال: «لَقَدْ كَتَبْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ لَمْ يُعْنِسْنَ مَنْ كَانَ ضُرِّعٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْقِبَنَّهُمْ فِي مَا كَانَتْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنَّ يَأْتِيَهُمْ فِي مَا كَانَ مُتْلَكِهِمْ».

والراجح القول الأول: أنها لا محل لها من الإعراب.

(1) في (مجموع النتاوي) 20/420.
كما اختالف المفسرون سلفًا وخلفًا في المراد بهذه الحروف.
فذهب جهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أن هذه الحروف من التشبيه الذي استأثر الله بعلمه، واختار هذا بعض المفسرين، منهم جلال الدين السيوطي (1) والشوكاني (2) السعدي، وغيرهم قال السعدي (3): «وأما الحروف المقطعة في أوائل السور فالأسمم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبانًا، بل لحكمة لا نعلمه». لذا، كثر في العلماء إلى أن هذه الحروف ليست من التشبيه لكنهم اختلفوا في القدر: هي حروف يتكون منها اسم الله الأعظم، وقال: هي أسماء للسورة المفتوحة بها، وقال: هي من أسماء القرآن، وقال: هي أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضله.

---

(1) انظر (الإفتاء) 4/184.
(2) انظر (فتح التدير) 1/23.
(3) في (تفسير القرآن الرحمن) 1/26.
(4) آخر جهه الطبري في (جامع البيان) 1/208.
المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه؛ لأن الله عز وجل خاطب العرب بما يعرفون
وبذلك قامت عليهم الحجة كما قال سبحانه: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّهُ لَقُدْ رَأَيْتُمُوهُ مَّعَهُ» [الشعراء:195]، كما أن
بقية الأقوال التي قيلت في المودة بها لا دليل عليها، ولا حكمة تظهر منها ولا فائدة.
الثاني: أن جميع السور المفتتحة بالحروف المقطعة ذكرها فيها بعد هذه الحروف غالبًا:
الثناء على القرآن الكريم وبيان إعجازه، وأن الحق الذي لا شك فيه، كقوله في مطلع
سورة البقرة: «اتَّقُنِّي كَيْفَ أَنْ تَكُونَ لَنَا مَذَةً فَيَهُ أَنْ تُكَبِّرَ»، وكقوله: «فَخَّالَفُوا الْقُرْآنَ ذِي
الْمَيْمَا»، وكقوله: «فَخَّالَفُوا الْقُرْآنَ ذِي الْمَيْمَا».
وهذا قال جمع من أهل اللغة وناخته الزمخشري (1)، والرازي (2)، وشيخ الإسلام
ابن تيمية، والمزري وابن القيم (3)، وابن كثير (4)، محمد رشيد رضا (5)، والشتقيطي (6)
والعليميين (7) وغيرهم.
قال ابن كثير (8): «وقال آخرون: بل إنها ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي
ذكرت فيها بيانًا لإعجاز القرآن، وأن المحقق عاجزون عن معارضته بلمبه، هذا مع أنه
مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، قال: وقد حكي هذا المذهب الرازي
في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وكما القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا،
وقرر الزمخشري في (كتابه) ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو
العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحاجج النزي، وحكاه لي عن ابن تيمية.
قوله: «وَفَخَّالَفُوا الْقُرْآنَ ذِي الْمَيْمَا» الواو حرف قسم وجر، (القرآن) مقسم به مجرور،

(1) انظر (الكتشاف) 1/13-18.
(2) انظر (التفسير الكبير) 1/3-12.
(3) انظر «بداائع التفسير» 4/599.
(4) انظر (تفسير ابن كثير) 7/59.
(5) انظر (تفسير المدار) 8/296.
(6) انظر (أضواء البيان) 3/5.
(7) انظر «تفسير القرآن الكريم» للشيخ العليميين 1/22.
(8) في (تفسيره) 28/1 في الكلام على مطلع سورة البقرة، وانظر الكلام على مطلع سورة 58.
ونعم الرحمن في تفسير القرآن، ج ٢١

والقسم بالقرآن هو الله عز وجل. فأقسم عز وجل بالقرآن وهو كلامه وصفة من صفاته. وسمي القرآن بهذا الاسم لأنه مقرر مثلاً عظماً من قرأ إذا تلا، ولأنه أيضاً مجموع آيات وسور أخذاً من قرآء إذا جمع، ومنه سميت القرية لأنها تجمع أناها كثيرةقائم، وسمي مجمع الماء قرباً لاجتياز الماء فيه. وقوله في الشعر: كلام الله - عز وجل - المنزل على الرسول صل الله عليه وسلم.

والعمل به، المعجز بأصوره سنة. وقوله: العظيم الواعظ الكريم، كما قال تعالى: "هل هو من مخبر؟" [البروج: ٢١]

والمجد. بسعة الأورصف وعظمتها. فهؤلم الكتاب العظيم الواعظ الكريم، واسع الأورصف، عظيم المعاني، ذو السلطان المطلق، والهيئة التامة على جميع الكتب، ييدي للتي هي أقوم، وفيه البشارة والدعوة إلى كل خير، والنذارة والتحذير من كل شر، والأخبار والغيب السابقة واللاحقة.

قال ابن القيم: "وهنا قد أخذ المقسم به والقسم عليه، وهو القرآن، فأقسم بالقرآن على ثبته وصدقه، وأنه حق من عنده؛ ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به، لما في القسم من الدلالة عليه؛ أو لأن المقصود نفس المقسم به.

قل عليه: بل حسب أن جاءهم منذنون فسأل الكفرون هذا عص، قل: أوداً بيننا وكذا رأياً. وذلك نص بعبد: قد علمنا ما تنص الأرض منهم وعندك كتاب حبيب، بل كتبنا باللحي لمارجعهم: "جاءهم فهم" في أمر مريح.


(١) انظر: "بداية التفسير" ٤٦/١٨٧.
وإنها أكتم - هنا - بذكر النذارة فقط - والله أعلم - لأن الكلام مع الكافرين المكذبين.

وقوله: "ينهـر "، أي: لا من غيرهم، بل منهم وبلسانهم، لنقوم الحجة عليهم،


وقال تعالى: "وَلَوْ جَعَلْتُهُمْ عُرَبًا أَجْحَبًا أَلَامَـوا لَوْ أَلَامَـوا مَا إِيَّهُمْ نَسْتَرِيحُونَ. فِي صُدُورِهِمْ" [الشعراء: 40، 199] .

ولا شك أن من نعمة الله عز وجل عليهم كون القرآن بلغتهم، والرسول بلسانهم;

ليتبعوه، لا ليعجبوا ويضفرو ويذبحوا، ولا يحتقرو ويجسدو، كما قال الله عز وجل عن قوم صالح عليه السلام: "كُنُبْتُمْ من قَرْنًا فَقَلَـلُوا إِبْتِرَاءً وَلَمْ يِقْعُدَ" [الشعراء: 26-27].


وجعلهم منهم لا أجلس أن يطالبون بها ليس في مفطرهم، كما قال عز وجل: "فَقَالَ عَلَى اللهُ حَيِّيٍّ قَلْبُكُمْ لَمْ نَأَنْيَـأَيْنَّا إِلَّا أَنْذَكَرْنَاهُمْ بَيْنَ يَدِينَا وَيَدَّنَا وَيَدُوْنَـيْنَاهُمْ الْآخِـرُ " [المائدة: 19، 20] .

وفي جملة معنى: "فَقَالُ الْكَحُورُونُ " أي: الجاهلون، لتوهيد الله وشيئته، جهالا منهم وظلما .

فَقَالُ الْكَحُورُونُ " أي: الجاهلون، لتوهيد الله وشيئته، جهالا منهم وظلما .
عون الرحمن في تفسير القرآن ج 21

إن النبي محمد ﷺ كان يبشر بإنجيل أن أُوحِّيَ إلى يَعُودُونَ إليهِ مَنْ أَنْذَرُوا اللَّهَ وَيَوْمَئِذَ يُنَادُونَ آَلِهَةَ مَا أَحْضَرَهُمْ إِلَّا وَيَوْمَئِذٍ بَعْدُ مَا قُبِّلَ مِنْهُمْ (يونس: 18). 

فكيف يتعجبون من رحمة الله تعالى، للخلق بإرسال الرسل، وإنزال الكتب لهدايتهم لما فيه سعادتهم في أمر دينهم ودنياهم، وذلك بيان طريق الخير والآخر باتباعها، والبشرة من اتباعه، وبيان طريق الشر، والنهي عن اتباعه، والنداء من اتباعه، فليس في هذا ما يثير العجب، ولا يجعلهم ينسون ذلك إلى السحر، ولا كفرهم ومنعهم، بل إن العجب كل العجب هو كفرهم وتلكهم بالبعث كقول عز وجل:

وَإِنَّ هُمَّ يُصَدِّقُونَ قَوْمَهُمْ أَوْ أَذَّنُوا أَوْ أَلَّهُوَاتُ أَلَّهِ (الرعد: 5).

ثم ذكر عز وجل وجه تعبيرهم وهو قولهم:

أَذَّنُوا أَوْ أَلَّهُوَاتُ أَلَّهِ (الرعد: 5). 

الاستهكار للإنساك والتذكير، فهم ينكرون البعث ويرونه ضربًا من المستحيل.

والموت: هو خروج الروح ومفارقتها للجسد.

وَكَجْزَاهُمْ، أي: وَبَلِّيْنَا وَقَطَعْتَا الأَوْصَالَ مَنَا وَخَلَّت أَجْسَامُهُمْ إِلَى تَرَابٍ (ذَٰلِكَ رَحْمَةٌ لِّلْعُسْبَةِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيَتَّقُونَ). 

الإشارة للبعث الذي يوعدون به وأشاروا إليه بإشارة العبد ذلك استبعادًا له.

والمراة بالرجع: الرجوع: الحياة إلى الأجسام وإلى هذه البنية والتركيب.

وبعثها بعد الموت وبعد كونها ترابًا.

بَعَدُ، أي: بعد الوقوع، مستحيل غير ممكن؛ لأنهم ينكرون البعث، كما حكي الله عنهم ذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِآلهَةِ جَهَّالَةِ أَيْمَانَهُمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مِنْ يَمِينِهِ إِلَّا حُقًا وَلَكِنَّ أَسْتَغْلِفُونَ أَنَّهُوَ (النحل: 38). 

فرد الله عليهم بقوله:

قَدْ عَلِمْتَ بَعْضًا مَا نَفَقَ الأَرْضَ مِنْهُمْ وَعَدَّنا كَنِبْطًا حَيْفِيَةً (قد) للتحقيق، أي: تحقيق علمه- عز وجل، أي: قد علمنا الذي تأكل الأرض من أجسادهم بعد البناء مدة مقامهم في البرزخ، وأين تفرقت، وإلى أي شيء صارت وتحولت.
وفي قوله: "ما نفقض الأَرْضَ مِنْهُمْ" إشارة إلى أن الأرض لا تأكل كل الأجساد.
قال السادة: حرم الله على الأرض أكل أجسادهم، كما قال: "إنه الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنباء".
كما يبقى من جميع الأجساد عجب الذنب، لا تأكله الأرض، منه يركب الإنسان ويعاد خلقه كما قال: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق و فيه يركب".

(1) مكتوب حفظًا، أي: وعندنا كتاب يحفظ ذلك كله، وهو اللوح المحفوظ، و (حفظًا) على وزن (ففعلاً) صفة مشهبة أو صيغة مبالغة، أي: حفيظ لكل شيء من أجسادهم وأعماهم وأحواهم وغير ذلك، محفوظ عن التغيير والتبديل.
فعله عز وجل شاملاً، وكتابه حافظ، وهذا يدل على أنه عز وجل كمال وسعة علمه وتمام قدرته قادر على بعث الخلق بعد الموت والبل، وأن البحث أيضًا لهذه الأجساد والأرواح التي عاشت في الدنيا فأطاعت أو عصت ليُنْعَمُ أو تعالى، لا أن البحث خلق لأجساد وأرواح أخرى كا زعم بعض منكري البحث.
(2) بل كذُنُوا بالتحيٍّ لَمْ يَجَاهِدُهُمْ بل: للإضراب الانتقائي، أي: إن الذي حملهم على التعجب، مما لا يثير العجب، وإنكار البحث بعد الموت والكفر هو تكذيبهم بالحق الذي جاءهم من عند الله في كتابه، وعلى لسان رسوله.
(3) دقَّمَ في آمر ممَّاجِيح الدين للتعقب والسببة، أي: فيهم بسبب تكذيبهم بالحق الذي جاءهم من عند الله في أمر ممَّاجِيح، فإيَّاءه الاختلاط مختلف مضطرب، وذلك لا يحصلون منه على شيء، بل هم مضطربون مختلفون بسبب ذلك، لا يثبتون على أمر، ولا يستترون على حال، كما قال عز وجل عنهم: "إنكم ليُوقِّلُونَ محيلِي، فإنكم عِنْهُ من أُفْكَكَ".

(1) أخرج أبو داود في الصلاة 476، والنسائي في الجمعه- إثائر الصلاة على النبي يوم الجمعة.
(2) 1372، 1372، وابن ماجه في إقامة الصلاة- فضل الجمعه، من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.
(3) أخرج البخاري في التفسير 4814، ومسلم في الفتن وأشواق الساعة 4955، وأبو داود في السنة 64243، والنسائي في الجنائز 3377، وابن ماجه في الزهد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج 21

[الذريات: 8، وقال تعالى: {عَمِّيُّ بِسَاءَةٍ لَّنِّي عَنِّي الْأَرْضُ الْعَظِيمُ} (النمل: 1-2)، وقال تعالى: {وَنَطِلَبَ أَنْفَضُوهُمْ وَأَصِدَّرُوهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمَنْ بِهِ وَأَذَّنُوا وَنَذَرُوهُمْ فِي} (طُعُمِّينَهُمْ بِعَمَّاهُمْ) (الأنعام: 110).]

فتارة يقولون عن الرسول الله ﷺ: ساحر، وتارة مجنون، وتارة شاعر.
وكذا قالوا في القرآن فجعلوه (عشيقين) أي: أجزاء بعضها صدق وبعضها باطل.
كما زعموا.
وكذا اختلقوه في البحث بعد الموت والحساب بعدة بين مصدق ومكذب.
وكذا فإن الكثير والبعض عن الحق حيرة واضطراب وتذبذب وشقاء في الدنيا.
والآخرة.
كما أن الإيمان واتباع الحق طمأنينة وثبات وسعادة في الدنيا والآخرة، نسأل الله
الهداية والتوافق.
قال ﷺ: {اللهم رب جبريل وميكائيل وEtheraيل عالم الغيب والشهادة أنت
تحكم بين عبادك فيها كانوا فيه يختلفون اهدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي
من تشاء إلى صرائط مستقيمة} (1).

القوائد والأحكام:
1- إجاز القرآن وبلغه أعلى درجات الفضاحة والبلاغة بألفاظه ومعانيه
وأحكامه وحکمه وأخبره، وتحدي العرب به; لقوله تعالى: {فَبَ لِهِ}.  
2- إقسم الله- عز وجل- بالقرآن المجيد - تعظيما له، وبيانا لسعة أوصافه، وما
اشتمل عليه من الهدى، وأنه حق وصدق من عند الله عز وجل; لقوله تعالى: {والقرآن}.
المجيد.
3- عظم منزلة القرآن الكريم وعلو مكانه عند الله- عز وجل- مما يوجب على
الأمة تعظيمه والاهتمام بهديه واتباعه؛ لقوله تعالى: {المجيد}.

(1) أخرج مسلم في صلاة المسافرين 77، وأبو داود في الصلاة 76، والنسائي في قيم الليل 1625،
والترمذي في الدعوات 3420، وابن ماجه في إقامة الصلاة 1357، من حديث عائشة رضي الله عنها.
سورة ق، الآيات: 1 - 5

4- جواز الإقسام بالقرآن؛ لأنه كلام الله تعالى، وصفة من صفاته. أما الإقسام بحق القرآن كция فعله الكثرون فلا يجوز؛ لأن حق القرآن هو عمل المقيم.

5- تعجب الكافرين من أمر لا يثير العجب وهو جميء الرسول يخبرهم بالبعث وينذرهم عذاب الله تعالى; لقوله تعالى: "بل أجمعنا أن جاءهم منذر منهم، فقال الكبيرة هداها جمعهم.

6- نعمة الله عز وجل - على العرب بجعل الرسول منهم، وتكلم بلسانهم، وإنزال القرآن بلغتهم، وهذا أقوم للحجة عليهم.

7- إنكار الكافرين للبعث بعد الموت واستبعادهم له; لقوله تعالى: "أو أذا ينتشرون ثم يتلاوون أولاً دلك رجع بعيد".

8- علم الله عز وجل - التام بما تنقص الأرض من الأجساد بعد البلى وقدرته التامة على جمعها بعد الفراق وبعثها بعد الموت; لقوله تعالى: "قد علمنا ما تنقص الأرض مثليهم".

9- الإشارة إلى أن من الأجساد ما لا تأكله الأرض، وهي أجساد الأنباء عليهم الصلاة، وعجيب الذنب من كل إنسان; لقوله: "ما تنقص الأرض مثليهم".

10- إثبات اللوح المحفوظ الذي يحفظ كل شيء من أعقاب الخلق وأحواه، وأين كانت أجزاؤهم، وغير ذلك، والمحفوظ من التبديل والتغيير; لقوله تعالى: "وعيننا كتب حفظ".

11- تكذيب الكفار بالحق الذي جاءهم في القرآن وعلى لسان الرسول، واختلافهم واضطرابهم بسبب ذلك، وهذه عقوبة من كذب بالحق؛ لقوله تعالى: "بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريح".

* * *
قال الله تعالى: «أُلَفَّتْ بِنَظَّارٍ إِلَى الْأَشْمَاءِ فَوَقَّعْتُهُمْ كَفَيْفًا مَّيْتَهَا وَرَمَّتْهَا وَمَا لَنَفْجَرُ (٥)»، «وَالْأَرْضُ مَدْنُونَهَا وَأَليْثَتْهَا فِيهَا رَوْمٌ وَأَليْثُتْهَا فِيهَا مِنْ كَيْنَ دَقْرٍ وَهُوَ (٦)»، «بَيْضُ (٧) وَرَزَنُهَا مِنْ الْأَشْمَاءِ مَكْرُوْنَ سَيْلًا يَوْمَ يُحْيَى ٨ جَبَّانُ وَحَنْزِيرُ مُنْصِبٌ (٨) وَالْخَلْقُ بَيْضُ مَا تُهْيَى (٩)».

ذكر الله عز وجل - استعداد الكافرين للبعث بعد الموت - أن كانوا ترابًا، ثم أتبع ذلك بذكر دليل قدرته التامة، من خلق السماوات والأرض والجبال، وإنزال الماء المبارك من السماوات، وإبتسام النبات بأنواعه وأشكاله المختلفة، رؤى للمعاد إحياءًا للبلدة الميتة، لبصرة وذكرى ودلالة على صحة آياته الشرعية وصدق رسوله، وعلى قدرته سبحةه على إحياء الأجساد بعد موتها.

وكثرًا ما يوجه عز وجل الأنظار للتأمل في آياته الكونية الدالة على صحة آياته الشرعية، وعلى قدرته التامة على البعث وعلو كلاه سبحةه في ذاته وأسائه وصفاته واستحقاقه العبادة دون ما سواء ما يوجب على الإنسان التأمل في هذه الآيات، قال تعالى: «أَولَّى نَظَّارًا فِي مَلْكُوتِ الْأَشْمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا هُمْ خَلَقَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ شَيْءٍ» (الأعراف: ١٨٥) [الأعراف: ١٨٥].

وقال تعالى: «فَلِيَ أَظْهَرُوا مَا ذَٰلِكَ فِي الْشَّمَऱِ وَالْأَرْضِ» (إب١: ١٠١).

وقال تعالى: «وَذَٰلِكَ خَلَقَ الْشَّمَऱِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ آثَامَكَ مَنْ شَاءَ وَأَرْضَ كُلِّ مَعْلُومٍ» (الروم: ٢٢) وقَالَ: «وَذَٰلِكَ خَلَقَ الْشَّمَऱِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ آثَامَكَ مَنْ شَاءَ وَأَرْضَ كُلِّ مَعْلُومٍ» (الإسراء: ٢٨).

وقال تعالى: «وَالْأَرْضُ مَدْنُونَهَا وَأَليْثَتْهَا فِيهَا رَوْمٌ وَأَليْثُتْهَا فِيهَا مِنْ كَيْنَ دَقْرَةٍ وَهُوَ (٨)»، «بَيْضُ (٩) وَرَزَنُهَا مِنْ الْأَشْمَاءِ مَكْرُوْنَ سَيْلًا يَوْمَ يُحْيَى».

وقوله تعالى: «أُلَفَّتْ بِنَظَّارٍ إِلَى الْأَشْمَاءِ فَوَقَّعْتُهُمْ كَفَيْفًا مَبْنِيَّةً وَرَمَّتْهَا وَمَا لَنَفْجَرُ (٥)»، «وَالْأَرْضُ مَدْنُونَهَا وَأَليْثَتْهَا فِيهَا رَوْمٌ وَأَليْثُتْهَا فِيهَا مِنْ كَيْنَ دَقْرٍ وَهُوَ (٦)».

وقوله تعالى: «أَولَّى نَظَّارًا فِي مَلْكُوتِ الْأَشْمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا هُمْ خَلَقَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ شَيْءٍ» (الأعراف: ١٨٥).
سورة ق، الآيات: 6-11

«كيف بنيتها؟» أي: كيف بنيها بقوة كـا قال تعالى: «والله بنيتها يائها».


و»المعنى: أغلقو فلم ينظروا إلى السيا فقومهم كيف بنيوها وزيانا وجعلناها بالنجم والمصابيح، وما لها من فتوح أو صدوع أو شقوق، بل هي على أكمل وأقوى وأجمل خلقه كـا قال تعالى: «لَيْدَ خَلَقَ سَمَوَّاتٍ يِبْنَاءً مَا تَرَى فِي خَلِيْقَ الْحَمْرَّينِ مِنْ تُوْنِّيْنَ» (آية 17) ثم أخرج الكمبرت بنقله إلى الصلاحيّات وهو حسبي».

زُرْنَا لَنُصْبِحْنَ بِالْدِّيْنِ وَجَمَّعْنَا مِنْ صُيُبَّتِنَا وَأَعْدَنَا لَقَدْ عَادَتْ السَّيِّهِ» (الملك: 3-5).

»والآرض مَدَّتِنَا» أي: جعلناها ممتدة مفرغة مشبوطة واسعة قال تعالى:

و»هو الدير ماء الارض وجعل فيها زورسي» (الرعد: 3); وقال تعالى في سورة الحجر: »والآرض مدتنها وألفتنتها فيها زورسي» (الآية: 19); وقال تعالى في سورة الدراية: »والآرض مدتنها فِي زورسي» (الآية: 48).

وتذكر السيا- غالباً قبل الأرض لعلها السيا وارتفاعها وصغر الأرض بالنسبة لها.»و»اللَّيْدَ خَلَقَ سَمَوَّاتٍ يِبْنَاءً» أي: جعلناها زورسي، أي: في الأرض رواسي وهي الجبال، التي ترسي الأرض ونبتنتها لثلا تميذ وتشترب بأهلها.

كـا قال تعالى: «واللَّيْدَ خَلَقَ سَمَوَّاتٍ يِبْنَاءً» (النحل: 15); وقال تعالى:

»و»جعلنا في الأرض رواسي أن نَمِيذَ يَصِمْمُ» (النحل: 16); وقال تعالى: »و»بِيِّنَا أَوْتَانَا» (البقرة: 76); وقال تعالى: »و»بِيِّنَا أَوْتَانَا» (المرايا: 27).

قال ابن كثير (1): »و»بِيِّنَا أَوْتَانَا رَوْسِيّ»، وهي الجبال لثلا تميذ بأهلها وتضطرب.

(1) في (تفسيره) 7/374.
فإنها مقررة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها،
وأنبت فيها من كل زرقة الزوج هي الشفوع ضد الورث، أي: أنبتنا فيها من كل صنف من أنواع النباتات والزروع والشوار والفواكه وغيرها.
كما قال تعالى: "وَمَنْ سَكَّنَ مَّيْلًا حَرَّطَهَا رَجُلًا مُّؤُرِّجًا" [الزمر: 49].
(بهيج)، أي: حسن نضر جميل، يهيح القلب والنفس مراه، من الحدائق ذات الأشجار والأزهار والشوار مما يجار الطرف في حسنه.
(بهجة)، البصرة: ما يجعل الإنسان يبصص بناءً على عيني الجهل ويتفرع ويتأمل، ويستعمل بصره الظاهر ومبرزته الباطنة، فتأمل في هذه المخلوقات العظيمة، فهي من آيات الله العظيمة الدالة على عظمةه واستحقاقه للعبادة كما قال تعالى: "وَيَوْمَا اَسْتَوَى الْعَلَمُ وَالنَّارُ إِذْ لَدَى اللَّهِ الْكَيْمَانُ" [الروم: 22].
(وضرر)، الذكري: ما يجعل الإنسان يذكر ويعطش، فلا يعاف ولا ينسى، أي: يذكر بها عظيم حق الله تعالى عليه، ونظام قدرته على البث ووجوب الإقبال على طاعته عز وجل.
(ليكفي نور الدين)، أي: لكل عبد من عباد الله منيب، أي: خاصع خائف وجل رجاع إلى الله عز وجل مقبل على الله تأب إليه، بخلاف المكذب المعرض فلا ينتفع بهذه الآيات.
قال ابن القيم (1): "تبصرة- إذا تأملها العبد منيب وتبصر بها- تذكر ما دلت عليه، مما أخبرته به الرسل من التوحيد والمغاد، وأن هذا لا يحصل إلا لعبد منيب إلى الله بقليبه وجوارجاه".
والمعنى: أن النظر إلى هذه المخلوقات العظيمة: السماء والأرض والجبال.

(1) انظر (بدائع التفسير) 4/188، 195.
والماء وما هو عليه من الإحكام فيه أعظم معين على البصر والتذكر في عظيم خلق الله عز ووجل، وكما قدرته، وأن ذلك من آكد الأدلة وأقواله على قدرته عز وجل النامه على البعث بعد الموت، من وفقه الله عز وجل إلى النبوة والإذابة من العباد.

قوله تعالى: 

وَرَزَّنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا مُطَهَّرًا

لَيَكُلَّم عِنْدَ عَرُوجَه تَحْكَم

أَنَّهُ نَزَّلَ فِي مَآء عَجْلٍ وَأَسْلَادٍ

غَلِبَّهَا فَأَجْبَرَهَا فَكَانَتْ كَذَلِكَ الْخَيْرُ

هُوَ الَّذِي يُخْلِصُ الْأَمْرَاءَ

وَمَنِ الْمُهْتَمِمَاءَ

[البقرة: 55، الشورى: 44].

وقوله: 

وَرَزَّنَا بِشِدَادِ الزَّوَابِرٍ لَّيْنَ المَطْرُ يَنْزِلُ شِيَّاً فَشِيَّاً لَكَيْ تَبْلَغَ بِهِ الأرْضَ

وَتَرْتُوَي، وَلَوْ أنَّهُ لَأَنْصَبَ بَقْوَةً لَّا يَنْزِلَ عَلَيْهِ.

ويأتي: أَرْزُقْكَ كَيْماً فِي قُوَّةٍ كَيْماً مَطْهُورًا

[الفرقان: 84].

وَوَقَدْ اِنْمَسَأَ مِنْ السَّمَاءِ، أي: مِنَ الْعُلُوَّةِ لَكَيْنَ كَمَا عَلَى فِهِمْ سَيِّئَ وَالْمَاءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابَ.

ذِي يَكُونُ بِنَبَاتِ النَّاسِ وَالأَضْرَاضِ كَيْماً قَالَ تَعَالَ: وَالْمَيْسَعَةَ بَيْنَ أَلْقَامِهَا

[البقرة: 164].

وَوَقَدْ اِنْمَسَأَ مِنْ السَّمَاءِ، أي: مِنَ الْعُلُوَّةِ لَكَيْنَ كَمَا عَلَى فِهِمْ سَيِّئَ وَالْمَاءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابَ.

ذِي يَكُونُ بِنَبَاتِ النَّاسِ وَالأَضْرَاضِ كَيْماً قَالَ تَعَالَ: وَالْمَيْسَعَةَ بَيْنَ أَلْقَامِهَا

[البقرة: 164].

ومن الحكمة في كونه ينزل من السماء لأجل أن يشمل ويعم كل شيء؛ التلال وقمم الجبال والسهول والوداد، وغير ذلك.

وَمَا مَطْهَرٌ كَثِيرًا حَيْثُ اِنْمَسَأَ مِنْ السَّمَاءِ، أي: مَاءٌ نافعٌ كثيِّرًا حَيْثُ اِنْمَسَأَ مِنْ السَّمَاءِ، أي: مَاءٌ نافعٌ كثيِّرًا.

وَقَالَ نِبَاتُهَا: هَذِهِ المَاءُ المِمْلَكَة.

جَنَّتِهَا: جَنَّتِهَا بِفَتْحِ الْجِبَالِ، وَهِيَ الْحَدِاثَةَ الْقِبْلِيَّةَ وَالْبَسَاتِينَ المُشْتَمَلَةَ عَلَى أَنْوَاعَ النَّاسِ وَالْمَاءِ الرَّفْعِيَّةِ وَالْأَشْجَرَةِ وَالْأَشْجَرَةِ المُخْلَفِةِ.

وَمِنْهَا وَسَمِيَتْ دَارَ السَّلَامِ وَدارَ المَقْرِقِينَ باَحَنَةُ، لأنَّها تُقَبَّلُ وتُسْتَرُّ مِنَّا لِكَثْرَةِ مَا
فيها من أنواع الأشجار والخضرة والحبرة والنعم تسأل الله تعالى من فضله وكرمه، مع البون الشامس والفرق الواسع بين بساتين الدنيا وجنان الآخرة.

وعلى أن يافقرون، أي: وحب الزرع الذي يزرع ثم يحبس ويؤكل منه ويدخر من البر والشعر والذرة والأرز والدخن وغير ذلك.

والنخل بنقاقه: لعله نصدد النخل: هي الأشجار ذات السياق الطويلة.

وذات النخل الذي يعد من أفضل الشجر ومن أجملها وأنفعها والذي يعد قوياً كاملاً.

وهكذا بالذكر لفضله وشرفها، فهي أشرف الأشجار، شبه بها المؤمن، كما في قوله تعالى: "آتى نَكَّرَكَ ضِرْبًا نَكَّرَكَ كَضِرْعَةٍ كَضِرْعَةَ حُزَّرَةٍ كَفَّارَةً كَفَّارَةً" [إبراهيم: 125].

قال: "شجرة تشبه أو كالرجل المسلم، لا يتحات ورقصها، ولا، ولا، ولا، ولا، نَكَّرَكَ كَضِرْعَةً كَضِرْعَةً، النخلة" (1)

وفي رواية: "إن من النخل شجرة لا يطرح ورقصها، مثل المؤمن، هي النخلة" (2).

وهذا جاء في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي قال: "لا يجوز أهل بيت عنهم التمر" (3).

وعن عروة بن الزبير عنها رضي الله عنها قالت: "إن كنا لنظر إلى الهلال، ثم الهلال ثلاث أهلة في شهرين، وما أوقفت في أياب رسول الله نار، فقالت: يا خالة، ما كان يعشعشوا؟ قالت الأسودان: التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار كانوا من متحون رسول الله من أبناءها فيسفينا" (4).

بما يقتدي طوال شاهقات يعجب منظورها الرائي.

---

(1) أخرج البخاري في تفسير سورة إبراهيم: 468، ومسلم في صفات المنافقين: 2811، من حديث ابن عمر رضي الله عنها.
(2) أخرج البخاري في العلم - قال المحدث: حدثنا 61، ومسلم 61، والترمذي في الأمثال: 627.
(3) أخرج مسلم في الأشياء 467، وأبو داود في الألفية: 3621، وابن ماجه في الألفية: 3377.
(4) أخرج البخاري في الفقه وفضلها: 2567، ومسلم في الزهد: 2972، والترمذي في صفة القيامة: 2471، وابن ماجه في الزهد: 1441.
قال ابن القيم (1): «وأفرد النخل لما فيه من موضوع العباره والدلالة التي لا تخفى على المتأمل».

(2) «فأطعه»: هو نمره الذي يخرج منها.

(3) «الطلع»: فعمل بمعنى مفعول، أي منضود، نضد بعضه على بعض.

(4) «رَبَّا لَيْكَ»: حلال، أو مفعول لأجله، والرُزْق: العطاء، أي: عطاء منه عز وجل للعباد كلهم لعاشهم، مؤمنهم وكافرهم، بل وناطقهم وبهمهم، كما قال تعالى: «كَلَا نُبِيدُ هَنَّإِلَّآ وَهُنَّإِلَّآ مِنْ عَطَاعَةٍ وَمَا كَانَ عَطَاعَةَ زَرَّةً حُقُوقًا» [الإسراء: 20].

(5) «وَأَنْعَمَهَا بِنَبَتٍ مِّيَتًا»: «ميتا» صفة لـ«بلدة» لأنها مؤنة النطف، مذكرة المعنى.

(6) فضح أن توصف بذكر «ميتا» أي: بلداً ميتاً، أي: أحيينا بهذا الماء المبارك بلدة ميتة، أرضها وما فيها من الحيوانات تكاد تهلك من الجدب والقحط، فأصبحت تهتز خضراها، كما قال عز وجل: «وَذَرَى الْأَرْضِ هَيْدَاءً نَّذَا أَزْدَرَّا عَلَيْهَا الْلَّهُ أَهْزَمَتْهَا وَرُبْتْ وَأَطْبَقَتْ مِنْ كَثْرَى زَقُّمَ بِهِجٍ» [الحج: 5].

(7) «كَذَٰلِكَ الْخَلْقُ»: أى: فكما خلق الله عز وجل هذه الخلقات العظيمة السماوات والأرض والجبال وأنزل الماء من السماء وأحيا به الأرض بعد موتها كذلك يحيي الله الموتى، فتكون الإشارة في قوله: «كَذَٰلِكَ» لما تقدم من قوله: «أَنْفُسُّهَا إِلَى أَلْصَامَاءٍ قُوْتُهَا» إلى هنا.

(8) وكثيراً ما يستدل عز وجل بقدره على خلق السماوات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها على قدرته عز وجل النامه على البحث كما قال عز وجل: «لَخَلَقْتُ السَّمَاطِيَاتِ وَالأَرْضَ أَصْحَبِي مِنْ خَلْقِ الْأَلْيَامِ» [غافر الآية 57].

(9) وقال عز وجل: «أَوَلَمْ يَحْيَى خَلْقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِمَا وَبَيْنَ أَيْدِيهِنَّ» [الإعلان: 63]، وقال تعالى: «أَوَلَيْسَ الْأَلْيَامُ خَلْقُهَا».

(1) انظر: بدائع التفسير 4/ 195.
لا يُنكرُ اللّهُ، والّلّهُ يُقّلِبُ ﷺ وَهُوَ أَلْهَاتُ الْأَلْبَاسِ.» [سِبْر٤:٨١]، وقال تعالى:

وَرَبَّكَ ﷺ أَنْ لَمْ تُنْفِقَنَّ فَلَنْ يُنْفِقَنَّكُمْ وَلَا يَشْفَعِكُمْ مَعَ الّلّهِ نِيَاهُا لَمْ يُحِيَّ.» [عُلَيْ٥:٣٩].

ولم ينكر السحر، فذلك برد لهم من رجح تَهْجِيَّ.» [ُعِلْ٥:٣٩].

وينتقه أن المعنى: مثل هذه الإخراج من الأرض للفواكه والثمار والأقلاع والخربزب وحياء الأرض بعد موتها خرومهم من الأرض إذا غيهم فيها، فتكون الإشارة في قوله:

فَلَوْلَا نَزَحَ لَنَزَحَ قَيْسَلَ.» [عُلَيْ٥:٣٩].

الفوائد والأخلاقيات:

1. التوبخ والتقريع بلفتة الذين كذبوا بالحق وأنكروا البعث، والإنكار عليهم في عدم مراحمهم في الآيات الله تعالى—الكُنْية والد忽略了 قدرته على البعث ونعمهم؛ ل قوله تعالى: «فَلَوْلَا نَزَحَ لَنَزَحَ قَيْسَلَ.» [عُلَيْ٥:٣٩].

2. وجب التأمل والتبتصر في آيات الله الكونية، في السماء وشدة بنائها وترنيتها وحياتها، وفي الأرض وسطها وثبتيها بالرواسي، وإخراج النبات منها، وتذكر نعم الله عز وجل، وعظم حكمه على العباد، وكبَل خلقته، وثام قدرته على البعث.

3. إثبات وعبيدية المؤمنين الخاصة الله عز وجل، وأنه إنها يتأمل في آيات الله ويتبتصر بها ويتذكر من رفقة الله عز وجل، لعبوديته عز وجل، والإشارة إليه؛ ل قوله تعالى: «فَلَوْلَا نَزَحَ لَنَزَحَ قَيْسَلَ.» [عُلَيْ٥:٣٩].

4. التذكير بنعمة الله عز وجل، على العباد، وعظيم قدرته في إنزال المطر وإناث النساء وأصناف الحبوب والتخيل رقاق للعبودي وإحياء للأرض بعد موتها؛ ل قوله تعالى: «فَلَوْلَا نَزَحَ لَنَزَحَ قَيْسَلَ.» [عُلَيْ٥:٣٩].

5. الاستدلال بخلق السماوات والأرض وإناث النبات وإحياء الأرض بعد موتها على قدرة الله عز وجل، التأمة على البعث بعد الموت، ل قوله تعالى: «فَلَوْلَا نَزَحَ لَنَزَحَ قَيْسَلَ.» [عُلَيْ٥:٣٩].
سورة في الأيات: ١٥ - ٢٧

قال الله تعالى: "كدبت قُلْنُهُمّ قُومٌ نوحٌ وأصحب الرُّسُل، وَأصحبَ لَا كُفُرُواَ وَأصحب لَّهُمْ فِي جَلِيلِنَّهُمُ وَرَهَبَ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَرَبِّ نَجَاَنِيَ وَأَنَّى مِن ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي الْجَهَّلِ".

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة تكذيب المشركين لرسول الله ﷺ وإنكارهم البث، ثم ذكر في هذه الآيات تكذيب الأمم قبلهم وما حل بهم من وعيد الله ﷺ وعقوبتهما، وأن من أعظم الدلائل على قدرته عز وجل النعمة على البعث خلقهم الأول، فالذي بدأ الخلق قادر على إعادته من باب أولى.

وفي هذا كله تهديد للمشركين، وتسليمة للنبي ﷺ بيان أن التكذيب هو ديدن كثير من الأفكار مع أنبيائهم.

كما أن فيه تقرر النبوة والمعاد، قال تعالى: "ما يقال لَّك إِلاَّ مَا قَبَلَ لِلرُّسُلِ من قِبَلَكَ" [نصت ٢٤٣]، وقال تعالى: "كَذَّبَكَ مَا أَقَلَّ مِن قَبِيلِهِمْ مِن رِسْوَاتِي إِلَّا كَأَوْلَى سَأِجْرَ" [المذاريات ٢٦٥، ٥٣].

قوله تعالى: "كدبت قُلْنُهُم قُوم نوح وأصحب الرُّسُل، وَأصحب لَا كُفُرُواَ وَأصحب لَّهُمْ فِي جَلِيلِنَّهُمُ وَرَهَبَ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَرَبِّ نَجَاَنِيَ وَأَنَّى مِن ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي الْجَهَّلِ".

قوله: "كدبت قُلْنُهُم قُوم نوح"، أي: كذبت قاب قومك يا محمد، فقوم نوح نبي الله عليه السلام، والذي هو أول رسل الله، وأحد أولي العلم، فقد دعاهم عليه السلام بشتى الطرق والاساليب، وتحب إلىهم بشتى الوسائل، فلم ينفع ذلك فيهم، فإنهم لما أعدوا الله فإن أجاب الله من أحب الله من الخير والثواب في الدنيا والأخرة، وما تعود به المكذبين لرسله من العقوبات في الدنيا والآخرة قال عليه السلام: "إِنَّكَ بِمَا دَوَّنَتْ قَلْبَهُ قَيِّمًا وَهَنَا مَثْلُهُمْ مَثْلُهُمْ هُمُ الْخَالِقُونَ وَإِنَّكَ لَجَعْلُ لَّهُمْ أَلْبَاضًا لِيَشْكُروُنَّهُمْ فِي نَجَاَنِهِمْ" [نوح ٥-١٨] فكذبوه فأحلوه الله بالغرق.

»أَنْقَضَّ عَلَيْنَّ بِالَّذِي نَعْمَاهُ وَأَقْبَرْنَا نَعْمَاهُ وَأَقْبَرْنَا أَنْقَضَ عَلَيْنَا" [بقر ١١]» قبِلَت مَعْرُوفًا».

قوله، أي: كذبت قاب، وهم قوم صالح عليه السلام، فقد كذبوا نبيهم.
صباحًا عليه السلام فأهللكهم الله بالصيحة الطاغية والصعقة التي قطعت قلوبهم في أجوافهم.

ومساكنهم هي المعروفة بمدائن صالحة في العليا شمالي الجزيرة، قال تعالى: "وأمَّا تَمْرُودُ فَهُدِيْهِمْ فَاتَّصَبَّحُوا الْعَمَّى عَلَى الْأَمْسِرْ فَأَخْرَجْهُمْ صَيْحَةً الْعَذَابِ أَهْوَانُ يَا كَيْسُونَا" [فصلت:17].

قال تعالى: "وَذَكَرْنَا إِنَّكَ أَجَأْتَ أَنْذَرَ الْقَوْمِ وَالْأَحَقَّفَ وَقَدْ حَلَّ اللَّهُ عَلَيْكَ الدُّنْيَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْقِهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا اللَّهُ إِلَّا أَلَّهُ عَلَيْكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [الأنفال:2].

وقال تعالى: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجُلًا صَرِّصًا فِي أَيْبَاءِ هَجَاسٍ لَبْيَدِيكَ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَى وَلَمْ تُصَوَّرْ" [فصلت:16]. وقال تعالى: "وَأَنَّ غَيْرَكَ لَكَ مُنْفَرًا فَأَهْلَكْنَا بِرَيْجٍ صَرِّصَ عَلَيْهِمْ سَحَرْهُمْ عَلَيْهِمْ سَيْنَ آيَانًا وَسَمِئَتْ آيَاتُهُ حُسُوًا فَنَزَّلَ الْقُوَّمُ فِيهَا صَرِّصًا كَأَنْ لَّهُمْ أَمْجَازُ عَلَىٰ هَلْوَى ۖ فَهُوَ يُهُرُّ لَنْهُمْ مِنْ بَاْفِكَرٍ" [الجافري:8-10].

وقد سمى الله عقوله كل منها صاعقة قال تعالى: "فَإِنَّ أَعْرَضَتْ فَقُلْ أَنْذَكِرُوا صَيْحَةً" [فصلت:12].

ومن صيحة: "غَيِّبَةٌ"، أي: وكذب فرعون، وهو فرعون مصر الذي ادعى الروبية والألوهية، فأرسل الله إليه موسى وأخاه هارون عليه السلام فكذب هو وقومه فأهللكه الله بالغرق.

ومن صيحة: "غَيِّبَةٌ"، أي: وكذب إخوان لوط، وهم قوم لوط عليه السلام كذبوا لوطًا عليه السلام، فقلب الله ديارهم عليهم وجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجبل منضود.

ومساكنهم قرب نهر الأردن بنواحي الشام، ويقال: هي المعروفة الآن بالبحر الميت.

ومن صيحة: "غَيِّبَةٌ"، أي: وكذب أصحاب الأية، وهم قوم نبي الله شعيب عليه
السلام.

والآية هي: الغيضة والواحة الخضراء الملتفة بالأشجار.

حذرهم شعيب عليه السلام من نقص الكمال والملحان ودعاه إلى الله عز وجل
لكنهما كفراماً وعاندوا فاهلهم الله قال تعالى: "فَكَذَّبْتُمْ عَدَابَ يَوْمَ الْظُّلْمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يُؤْتَمُّ عَظِيمًا" (الشعراء:189).

"وَقُولْ تَبَيَّنْ أيَّاٰ! وَكَذَّبَ قُوْمٌ تَبَيَّن، وَتَبَيَّنَ: أَيْدُ اللَّهِ عَلَى الْمَلِكِ الْيَمِينِ، وَكَانَ مِنْ أَشْدَهُم\n
أَوْعَامَهُمُ الْمَلِكَ، وَقَوْمَهُ سَبَأٌ، وَكَانَ كَلَّا مِنْهُمْ رَجُلٌ سَمَوَّهُ تَبَعًا، كَيْ يُقَالُ كَسْرَى\n
لَكِ ثُمَّ مِنْ مِلْكِ الْفَرْسِ، وَقَيَّمَ لِمِلْكِ الْرَّمْوِ، وَفَرَعَونَ لِمِلْكِ مِصْرَ كَافِرًا.

أَيْ: وَقُولْ: تَبَيَّنَ كَذَّبُوا رَسُولٍ الَّذِي أَرْسَلْهُ إِلَيْهِمْ.

"وَكَذَّبَ الْأَسْلِمَ: أَيْ: كَلْ مِنْ هَؤْلَاءِ الْأَقْوَامِ كَذَّبُوا رَسُولِهِمْ.

وَفِي هِذَا دَلَّاهُ عَلَى عَدْمِ الْاِغْتِرَارِ بِهَا عَلَى الْآخَرِينَ كَأَنَّهُمْ قَالُوا: "وَمَا أُكْثِرَ أَكْثَرُ الْحَكَّاَيِّينَ وَلَوْ حَرَضَتْ يَمِينَهُمْ" (يُوسُف:3).

"فَقَانَ عِيْبًا: أَيْ: فَقَانَ عِيْبًا عَلَى هُمْ وَعِيْبًا عَلَى الْمَلِكِ الْيَمِينِ - مَعَ مَا يَنْتَظُرُوهُمْ مِنْ عَذَابِ الْأَخَرِيِّينَ.

العذاب الآخرى يوم القيامة، قال عز وجل: "فَأَنْتُمْ أَهْدَاءُ إِلَّا ذِنْبُكُمْ مِنْ أَرْسَالِيُّهُمْ عَلَى أَهْدَاءَ الْصِّحَبَةِ وَيَوْمَ يَذْهَبُ رَبُّكُمْ إِلَى أَهْدَاءِ الْأَبْيَضِ وَيَوْمَ يَذْهَبُ رَبُّكُمْ إِلَى أَهْدَاءِ الْأَحْجَمِ وَيَوْمَ يَذْهَبُ رَبُّكُمْ إِلَى أَهْدَاءِ الْمُغَرُّ". [العنكبوت:40].

وَفِي ذَكِرِ تَكَذِّبُ هؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ ومَا حَقَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عِيْبٍ عَلَى الْمَلِكِ الْيَمِينِ وَعِيْبَةَ عَهْدِهِ وَتَخْوِيفٍ وَخَذْيَرٍ لِلْمَلِكِينَ مِنْ أَمْرِهِ مُحَمَّدٍ، وَذِلِكَ لِيَقَامَ اسْتِحْيَاءَ تَكَذِّبُ قُوْمِهِ؛ لَأَنَّ الْمَلِكِينَ إِذَا عَمَّتْ خَفَتُهُ، فَلَيْسَ هُوَ فَقْطُ الَّذِي كَذَّبُوهُ، بِلَ كَلِّ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كَذَّبُوهُمْ أَقْوَامِهِمْ.

وَفِي دَرْوِسِ تَرُوبِيَّةٍ لِلْدِّعَاةِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُولِيِّينَ وَالْمُرْتَبِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَهُؤُلَاءِ رَسُولُ اللهِ وَأَرْبَابُهُ وَأَقْوَامُهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا هَدَايَتُهُمْ، بَلْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا هَدَايَةً أَخْصَ الأَقْوَامِ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُ نَوْحُ عَلَى الْسَّلَامِ - هَدَايَةَ أَبِهِ وَلَا هَدَايَةً أَمْرَأَهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُ إِبْرَاهِيْمُ عَلَى الْسَّلَامِ - هَدَايَةَ أَبِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُ لَوَطِ هَدَايَةَ أَمْرَأَهُ، كَا لَمْ يَسْتَطِيعَ
عون الرحمن في تفسير القرآن ج1

محمد هداية عمه.

 قوله تعالى: "آيةً بإلَّهِكَ الْأَوَّلَ بَلْ هُوَ فِي لَبِسَةِ مِنْ هَالِكِ جَدِيدَ".


 فاعلنا عن ابتداء الخلق الأول، أي: لم نعجزنا ذلك، أولم نعجز عن ذلك مع أنه أعظم وأشد.

 والمراد بالرحلة الأول: خلق الناس من العدم أول مرة، كما قال تعالى: "هل أّنَّ علَىٰ إِنْسَانٍ مِّنْ أَلْهَرِ غَيْرِ مَكْتُوبَ مِنْهُ" [الإنسان: 1].

 فَلَهُمْ فِي لَبِسَةِ مِنْ هَالِكِ جَدِيدَ. بل للإضراب، في ليس، أي: في شك وضطراب,

قيل: هُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ الْأَعْجَامَ عَنْهُ، يَقُولُهُمْ: وَهُوَ أَقْوَىٰ عَلَيْهِ [الزخرف: 87]، لكنهم في شك من الخلق الثاني.

 وهذا عجب من حؤلاء كيف يقررون بالخلق الأول ثم ينكرون البحث مع أن من قدر على الخلق الأول فهو على الخلق الثاني أقدر من باب أولى، كما قال تعالى: "وَهَوْرَا الَّذِي يَبْدِّؤُهُ الْخَلَقَ بَعْدَ هَذَا وَهُوَ أَقْوَىٰ عَلَىْهُ [الروم: 27].

 وقال تعالى: "وَصَبِرْ لَنَا مَثَالًا وَقَبْلَهُ خَلَقُهُ مِنْ يَمِينِ الْحَيَاطَةِ وَهُوَ رَيْبُهُ" [يس: 87].

 يُصِيبُهَا الَّذِينَ أَنْسَاهُهَا أَوْلَىٰ مَرَّةٍ وَهُوَ يُصِيبُ الْيَوْمَ عَلَيْهِمْ [يس: 79].

 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: كذببني ابن آدم لم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فإياي فقوله: لن يعذني كي بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليهم من إعادته، وأما شتمه إياي فإياي فقوله: اخذ الله ولداً، وآنا الوند الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفنا أحد".

(1) أخرجه البخاري في التفسير 974.
قال ابن القيم رحمه الله: "وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته، وكمال حكمته فإن شبه المتكرين كلها تعود إلى ثلاثة أنواع: أحدها: اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معه تميز شخص عن شخص. الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك. الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه... قال: فجاءت براهين المعاد في القرآن مبينة على ثلاثة أصول:


ويجمع سبحانه بين الأمرين كا في قوله: "أو ألياس الده حلق الأسمر والأرض يقدر علي أن يخلق ويلده حلي وهو الذي يخلق العالم." (ليس: 81).


قال ابن القيم: "وهذا كان الصواب: أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن(...)

(1) انظر (بداائع التفسير) 4/194، 196-197.
(2) انظر (بداائع التفسير) 4/194.
كَيْلاَلِ الْرَّبِّ تَعَالَ وَكَيْلَاءِ أَسَائِهِ وَصَفَائِهِ تَقْتُضِيهِ وَتُوجِيهِ، وَأَنَّهُ مَنْ عَنْ يَقُولُهُ مَنْ كَرَوهُ، كَيْلَاءِ كَيْلَاهُ عَنْ سَائِرِ العِيْبَاءِ وَالنَّقَائِصُ.
الفوائد والأحكام:
1- ذكر تكذيب قوم نوح ومن بعدهم من الأمم لأنبيائهم، وحقق وعبد الله لهم بالعقوبات التي أنزلها في الدنيا، وما ينتظرهم من ذلك في الآخرة- وفي ذلك تعذير وتحذير للمكذبين، وتسليمة للرسول لقوله تعالى: {كَذَّبُوهُ قَمْتُمْ نَجِىً وَأَصْحَبْتُمُ الرِّيْسَ وَفَمُودًا وَعَادُ وَقَوْمُ عُقَبُتُمُّ وَبَشَّرْتُ بِالْيَمِينِ وَفَقَمْتُ بِكُلِّ ذِبَّةِ الرَّسُولِ هُنَّ وَأَعَيْدَتِمُْ}.
2- إثبات رسالة نوح عليه السلام إلى قومه، وإثبات إرساله عز وجل الرسول للأمم المذكورة، وهم أصحاب الرس، وثمود ورسولهم صالح عليه السلام، وعاد ورسولهم هود عليه السلام، وفرعون وقد أرسل الله إليه موسى وهارون، وإخوان لوط ورسولهم لوط عليه السلام، وأصحاب الأيكة ورسولهم شعيب عليه السلام. وقوم تبع.
3- اجتياع كثير من الأمم على تكذيب الرسول، وهذا ينبغي عدم الاعتراف بها عليه الأئمتين.
4- الرد على المكذبين بالبعث المنكرين له، وبيان قدرة الله عز وجل- التامة على ذلك- لأن من قدر على الخلق الأول فهو أقدر على الخلق الثاني من باب أولى- لقوله تعالى: {أَفَمَا يَأْتِيُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَهُمُ الْجَهَرُ}.
* * *
قال الله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان وجعلنا ما توسوس به فاسدًا، وجعلنا أقرب إلى من حمل الوريد١١ إلينا الطمع من أغنياء ومن بخيل، فلأي ضيق من قول إلا الذي رقيب عليه.» وجعلت سكينة الموت تليه ذلك ما كتب منه شيء١٧ وجعل في السموات ما يجري١٧ وجعلت كل شيء بما يفعل. مات به والمعتدة١٨ الأقدار كتبت في عقولكم هذا فكتبت عليه عطاء فأحكم وحكم١٩

دالع عز وجُل فيها سبق بالحلق الأول على قدره على الحلق الثاني- على سبيل الإجمال- ثم أتبع ذلك شيء من التفصيل في هذه الآيات.

قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان وجعلنا ما توسوس به فاسدًا، وجعلنا أقرب إليه من حمل الوريد١١ إذ تلاقى ملكيابين عن أغنياء ومن بخيل، فلأي ضيق من قول إلا الذي رقيب عليه.» وجعلت سكينة الموت تليه ذلك ما كتب منه شيء١٧.

قوله: «ولقد خلقنا الإنسان وجعلنا ما توسوس به فاسدًا.»


و(ما) في قوله: «ولقد خلقنا الإنسان وجعلنا ما توسوس به فاسدًا.» موصولة، أي: وعلم الذي توسوس به نفسه من الوساوس والخواطر والمكهنات والمضمرات، خيراً وشرها.

وإذا كان عز وجُل يعلم ما توسوس به نفس الإنسان من الخواطر ونحوها فعلمه بما عدا ذلك من جميع أحواله وأموره الظاهرة من باب أولى- لكنه عز وجُل لا يؤخذ بحديث النفس، ما لم يتكلم الإنسان أو يعمل، قال٢: «إن الله يتجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم».

(1) أخرجه البخاري في الطلاق 5269، ومسلم في الإيان- باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر.
وعن الرحمان بعث تفسير القرآن، ج: 21


وقال أيضًا (3): «هذا مثل قوله: «وَقَدْ نَفْسَ عَلَيْكَ أَحَنَّ السَّاقِ» [يوسف: 32].» وقال: «إِنَّا أَجْرَانَا نَفْسَكَ زُوَّارَ السَّاحِرَةِ» [القيامة: 18]، فإن جبريل عليه السلام هو الذي قسه عليه بأمر الله، فنسب تعليمه إليه إذ هو بأمره، وكذلك جبريل هو الذي قرأ عليه...


وكم قال: «إِنَّا نَحْنُ نَزُّلُ نِصْرًا الذَّكَرُ وَنِصْرًا لِلَّدُّخُفُّوْنَ» [الحجر: 9] فملائكة نزلت بالذكر...

بالقلب إذا لم تستقر 127، وأبو داود في الطلاق- باب الوسوسة في الطلاق 229، والنسائي في الطلاق 343، والترمذي في الطلاق- ما جاء في محدث نفسه في طلاق أمه فتنه 118، وابن ماجه في الطلاق- من طلق في نفسه ولم يتكلم به 2040، وأحدد 2/ 255، 293، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(1) انظر (بداائع التفسير) 4/ 188.
(2) في «شرح حداث النزول» ص 121، وانظر (مجمع الفتاوى) 5/ 226- 236، 19/ 2، 196- 20.
(3) انظر (بداائع التفسير) 4/ 188- 189.
(4) في (تفسيره) 7/ 376.
وهو القرآن - بإذن الله عز وجل. وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، بإمكان الله فعلى ذلك، فلكل ملك له في الإنسان كما أن للشيطان له (1). وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (2) كما أخبر بذلك الصادق المصدق.

وقال قال ابن تيمية في مجموع الفتوى (3): فقوله: "ومئذ أقرب إليك من حبل الرب"؟ هو قرب ذوات الملائكة، وقرب علم الله منه.

وقال السعدي (4) في كلامه على قوله تعالى: "ومئذ أقرب إليك من حبل الرب". وقال السعدي: "قل: بعلمنا وملائكتنا.

الواقعية: (5) قال: "ومئذ أقرب إليك من حبل الرب"?

هذا كله ما يجب على العبد مراقبته خالقه المطلع عليه ظاهرًا وباطنًا، القريب إليه، بعلمه وإحاظه وقدره، وبملائكته الموكلين به، في جميع أحواله.

إذ ذكرن لا غالب له، إذ ذكرن لا متابع له، إذ ذكرن لا مصداق له، إذ ذكرن لا مقتدر له.

يتلقي: فعل الشرط. "المتصلين": هما الملائكة اللذان يكتبان أعمال الإنسان وأقواله.

"عَيْمَيْنَ وَعَيْمَيْنَ مَندَكِرُ، أي: عن يمين الإنسان وعن شماليه، أي: مترصد، فالذي عن يمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمالي يكتب الشبات.

(1) كأ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إلى الشيطان له باين آدم، وللملك له، فأما الملك للشيطان، فإياد بالله وتكذيب بالحق، وأما الملك فإياد بالله، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه مبناة لله، فإن الله يعلم بي الصبر، فإن الله يعلم بي الصبر، فلن ينسى الله تصرحك، فإنه تصرحك.

(2) أخرجه البخاري في الافتتاح 238، ومسلم في الالبام 175، وأبو داود في الأدب، 4694، وابن ماجه في الصيام - باب في المعتكف يزهره أهل في المسجد 1779، وأحمد في الديعة 376 من الحديث صفية.

(3) 262 - ابن تيمية- رحم الله - ضعف القول بأن المراد بالقرب في الآية التي العرب إلى العلم والقدرة والرؤية. انظر: "شرح الحديث النبوي" ص 121.

(4) انظر "تفسير الكريم الرحمن" 7/187 وانظر 151.
قال الأحنف بن قيس: «صاحب اليمن يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال، وإن أصاب العبد خطيئة، قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهأ أن يكتبها، وإن أبي كتبها».


وإن عتق عنه، أي: عتقه، أي: عتقه. لا يمكن أن يكون ولا يفرط شيء مستعد مثه لكتابه ما يصرف من الإنسان من قول ويكتب عنه من فعل.

قال ابن القيم: «ونبه بإحصاء الأقوال وكسبتها على كتابة الأعمال التي هي أقل وقوعا وأعظم أثر من الأقوال، وهي غيابات الأقوال ونهاياتها.

وهذا ما يوجب على الإنسان الاحترام لدينه، ومحاسبة نفسه.

قال تعالى: "وإن ءالؤكم لم تقضوا (2) كراها كعبه (3) عاقبكم ما عملتم". [الأنصار: 10-12]، وقال تعالى: "وأراك، إنك لذين ماتو في عينكم، وخرج الله يوم القيامة سكنبًا ليلقينه. [الإسراء: 14].

فكل ما يلفظ به الإنسان من الكلام يتفقه الملكان ويكتبنه أي كتب هذا الكلام سواء كان فيه ثواب وعاقبة أو لا، لقوله: "ما يلفظ من قول إلا الذي يقرب عبود".

وقد ذكر أن الإمام أحمد رحمة الله كان يفن في مرضه، فبلغت عن طاووس أنه قال: "يكتب الملك كل شيء حتى الدين" فلم يفن رحمة الله حتى مات.

وهذا هو ظاهر الآية، وإختاره جمع من المحققين كابن تيمية وابن كثير وغيرهما.

---
(1) ذكره ابن كثير في (تفسيره) 7/377.
(2) انظر: "بداائع التفسير" 4/197.
(3) انظر: "تفسير ابن كثير" 7/377.
وقال بعض الموسرين من السلف ومن بعدهم: إنها يكتب ما فيه ثواب وعقاب.
قال ابن رجب (1): «وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات،
والذي عن شماله يكتب السيئات، وهم متفقون على أن المجازة على ما فيه ثواب
وعقاب، وما سوى ذلك: فميحي إن كتب».
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بكلمة من
رضوان الله، لا يلقي لها بالآ يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليفعل بكلمة من
سخط الله لا يلقي لها بالآ يهوي بها في جهنم» (2).
وعن بلال بن الحارث المذني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بكلمة
من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم لقاءه.
وإن الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها
سخطه إلى يوم لقاءه» (3).
واعتق ذلك الحسناء- أن رسول الله ﷺ أخذ برسالة وقال: «كتب اللسان ما يبكي عليه هذا، فقلبته: يا نبي الله ﷺ ويناً لابد أن تتكلم به؟ فقال له ﷺ: "تكلتم أمك يا
معاذ، وهل يكتب الناس في النار على وجههم أو على مناكم أن لا حسائد ألم ستهم؟"
«وبأجرت سكرة العفو المطلق»، هذا وما علجه إلى قوله: «[right to Heaven] ودلتنا
مؤذن»: تفصيل حال الاحترام وما بعده من البكاء وحصانة وجزاء. وقوله: "سكرة العفو المطلق"، أي: سكراتت وشدني وآلهة، وعمراته التي تغشي
الإنسان وتعلبه على عقله وتغطيه.

(1) (جامع العلم والحكم) 1/236 ويسأل (جامع البيان) 24/424، (تفسير ابن أبي حاتم) 10/3308،
(جمع المنهاج) 7/376-377.
(2) أخرج البخاري في الرقاق 1478.
(3) أخرج أحمد 4/469، والتيمي في الزهر: ما جاء في فلة الكلام 2319، وابن ماجه في الفتن- كف
اللسان في الفئة 1969، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).
(4) أخرج الترمذي في الأعيان: ما جاء في حربة الصلاة 4216، وابن ماجه في الفتن 3973- وقال
الترمذي: حسن صحيح.
عن عائشة رضي الله عنها - أن النبي ﷺ لما تغشاه الموت جعل يدته في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول: "لا إله إلا الله، إن للموت لسركات". قال ابن تيمية: "أي: جاءت بها بعد الموت من ثواب وعقاب، وهو الحق الذي أخبرت به الرسول، ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت، فإن هذا مشهور لم ينزع فيه، ولم يقل أحد إن الموت باطل حتى يقال: جاءت بالحق". وقال ابن القيم: "وأنا تجيه بالحق وهو لقاءه سبحانه، والقدوم عليه، وعرض الروح عليه، والثواب والعقاب الذي تعجل لها قبلي القيامة الكبرى".

قال ابن كثير: "أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه".

وقبل إن المراد بالحق هو الموت والفناء الذي كتب الله على الخلق قال تعالى: "وأنت من آلهة يَأْتِيُكَا اللَّهُ" [الحجر: 99] فالموت حق وقيقين، والحياة حق والتار حقيقة ولا منع من حمل الحق في الآية على الأمرين فالموت حق والوعود والوعيد حق.

لكن ما بعد الموت أطم وأعظم.

"ذلك ما كنت يَتَعَرَّضُ إليه إشارة إلى الموت وما: موصولة، والخطاب للإنسان عموما، أي: ذلك الذي كنت أيا الإنسان منه تجديد، أي: طهر وتفر، قد حل بك ونزل بساحتكم، ويجمل أن "ما" نافية، أي: ذلك ما لا يمكنك الفرار منه.

قال عز وجل: "أَلَئِنَّ آَلُوْهَتُ عَلَيْكُمْ نَفَعًا كُلًا مِّنْهُ كَثِيرًا، مُّتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ عَلَى أَقُوَىٰ وَسَبَدَةٍ فَيُسْجَدُكُمْ أَلْمَوتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرْقٍ مُّسْتَبَارٍ" [النساء: 78].

(1) أخرج بهيباري في المغازي 4496، والترمذي في الدعوات 6249، وأبو ماجه في الجامع - ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ 162/6، أحمد 164/70.
(2) في (مجمع الفتاوى) 265.
(3) انظر (بديع التفسير) 197.
(4) في (تفسيره) 377.
(5) انظر (جامع البيان) 427-428.
قال ابن كثير: (أ) : "أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك، فلا يجد ولا مناص ولا فاكك ولا خلاص".
قال الشاعر: (2) : لعمرك ما يغني الثراء عن الفتن إذا حشرجت يومًا وضاقت بها الصدر.
قوله تعالى: "وَفَخَّرَ بِالصُّورِ ذُلُكَ يَوْمُ الْعُرَفَةِ (3) وَمِنْكُمْ نُفْسُكُمْ مُّهَابِيٌّ وَمُهَابِيٌّ (4) لَعَنَّكُمْ بِغَيْفٍ مِّنَ الْغَيْفِ (5) أَلَمْ تَنْبِئُوا أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَ سِرَاً وَأَخْفَىً (6) كُتُبُ فِي عَرَاقٍ مِّنْهَا لَا تُكَفَّرُ عَنْهَا غَيْفِ اللَّهِ أَيْضًا مِّنْهَا حَيِّيًّ (7)".
قوله: "وَفَخَّرَ بِالصُّورِ" أي: نفخ إسرائيل- بأمر الله عز وجل- بالصور وهو: "القرن"، لبعث الخلق بعد موته ورد الأرواح إلى أجسادها للقيامة الكبرى، وهي النفحات الثانية المسيلة بالرادفة كما قال عز وجل: "وَيَوْمَ تَحْتَجُّ الْيَوْمُ الْأَخَرُ (8) ذُبَيْحَةٌ تَأْتِي فِيهَا نَارٌ (9)" [النازعات: 47)، وقال تعالى: "وَفَخَّرَ بِالصُّورِ قَصِيقًَ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِلَّا مِنْ نَائِبٍ (10) (الزمر: 87)".
سأله الله تم تحق فيه أُحْسَنُ قَيْماً يَتُوبُونَ (الزمر: 87)".
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحين جبهته وانتظر أن يؤذن له. قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل". (3)
"ذُلُكَ يَوْمُ الْعُرَفَةِ " أي: يوم القيامة الذي توعد الله به المكذبين لمجازاتهم على أفعالهم بالعذاب الأليم، ووعد به المتقين بالتعيم والثواب العظيم، وأشار إليه بإشارة البعيد "ذلك" تطبيًا له، وخصه بالوعيد- هنا- لأن السياق من أول السورة مع المكذبين.
"وَحَجَّاهُ كَثِيرًا مَّثَّلًا وَسُبُقًا (11) "، أي: وجاءت كل نفس من الإنسان والجن معها سائر.
وهو ملك يسوقها إلى المحشر، "وَسُبُقًا "، وهو ملك يشهد عليها بأعفائها.
وقبل المراد بالشهيد: العمل، قبل المراد به: الإنسان نفسه، يشهد على نفسه بما عمل.
والذي يدل عليه ظاهر سياق الآية هو القول الأول.

(1) في (تفسيره) 7/378.
(2) البيت خاتم الطائي انظر (ديوانه) ص 30، وانظر "النهاية "، "المستان" مادة "حجر".
(3) أخرجه الترمذي في (تفسيره) 4/27.2.
قال الفرزدق(1):

إذا جاءي يوم القيامة قائد عنيف وسّوَّاق يسوق الفرزدق

وأيضاً فقد دلت النصوص من القرآن الكريم على أن الإنسان يشهد على نفسه

وتشهد عليه أيضاً جوارحه قال تعالى: "إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَقَلِبُ الْأَلْسِنَةَ، لْكُنْتُمْ وَيْتِ른َهُ، عَلَى ذَلِكَ لَهُدِيٌّ" [العاديات: 7].

وإذا على أظهر وأشهر القولين في مرجب الضمير (إنه) وأن المراد به أن الإنسان يشهد على نفسه بذلك.

وقال تعالى: "اللَّهُ يَشَاءُ يُصَلِّي عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِمْ وَيُغَلِّبُهُمْ وَيَعْلَمُهُمْ مَا كَانُوا يَلْسُوَّا" [النور: 24].

وقال تعالى: "هَلْ أَصْبَحَ الْإِنسَانُ كَذَا نَجَّاهُ، جَعَلْنَا لَهُمُ الْخَيْرَتَانِ وَلَمْ نَكُنْ إِلَّا بِغَيْرِ عَدْلٍ" [القصص: 20]. وقال تعالى: "فَخَفَّفْ عَلَيْهِمْ وَكَرِهْنَا أَلْجَاهُمْ وَكَرِهْنَا أَعْفَوْنَهُمْ وَكَرِهْنَا كُفَّارَ مَعِيَهُمْ إِلَّا كَانُوا يَكْبِسُونَ" [يس: 65].

وشهد المؤمنون بعضهم على بعض كا في الحديث: أنه مر بالنبي ﷺ جنازة فأثنا

على صحابه خيراً- الحديث وف آخر قال ﷺ: "أنتم شهداء الله في أرضه" (2).

فشهد بالله أمر السنة، وشهد عليه نفسه وجوارحه والمؤمنون، وشهد الأمة المحمدية على الأمم السابقة، وشهد محمد ﷺ على أمته كا قال عز وجل: "وَذَلِكَ جَعَلْنَا أَنْتَنَّى وَسَتَا نَسِيعَةً وَضُعِفَةً عَلَى الْأَكْبَارِ وَيَكْتُونَ الرُّسُولَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" [البقرة: 143].

وشهد على الخلق العليم الخبر الذي لا تختفي عليه خانية، الرقيب عليهم، وهو خير الشاهدين.

قال ابن القيم(3): "ثم آخر عن أحوال الخلق في هذا اليوم، وأنا أحد يأتي الله سبحانه ذلك اليوم ومعه ساق يسوقه وشهد عليه وهذا غير شهادة جوارحه.

(1) انظر: "الكامل في اللغة والأدب"/1، "الأغاني"/10، "ربع الأبرار"/5،151.
(2) أخرجه البخاري في الجامع 1367، ومسلم في الجامع 4249، الحنفی في الجامع 132، والترمذي في الجمع 149، وابن ماجه في الجامع 1491، من حديث أسن بن مالك رضي الله عنه.
(3) انظر (بديائع التفسير) 4/198، 197، 196.
وشهدت الأرض التي كان عليها الله وعلى رسوله والمؤمنين فإن النبي صلى الله عليه وسلم
يُشهد على عبد الحفظة والأئمة والأنبياء الذين عملوا عليها الخير والشر، والجلوس
التي عصوه بها، ولا يحكم بينهم بمجرد علمه، وهو أعدل العاديين وأحكم الحاكمين.
وإذا كان الإنسان قد وكل به كل هؤلاء الشهداء فيجب عليه تقوى الله والاحترام
من الذنب، والمعاصي.

«قد كنت في غفلة من هذا فكناكناك غطاءك فصردت اليوم حديثك». 
هكذا يقال للمكذب المعرض توضيحًا له لولوًا وتعنفًا، وفي النكتة من الحقبة إلى
الخطاب للنبي وشف الذنوب.
اللام لاعب القسم، و«قد» للتحقيق. أي: والله لقد كنت في غفلة من هذا.

والخطاب للإنسان عمومًا، وقيل المراد به الكافر.

وظهر الآية أن المراد به عموم الإنسان: أي: لقد كنت أي الإنسان في غفلة من
هذا- يعني من هذا اليوم، وذلك لأن الآخرة بالنسبة للدنيا كاليقظة والدنيا كالمؤمن.
وبقدر ما يكون إهراش الإنسان عن الحق تكون غفلته.

«فكناكناك غطاءك»، أي: أزنا ما على بصر من غطاء وغشاوة، وما على قلبك
من الحم والران والغفلة.

«فصردت اليوم حديثك»: أي: فيصرك اليوم حاد قوي؛ لأنه في ذلك اليوم تظهر للناس
الحقائق بعد ذهاب ما على اللقول والأبحاث من الغشاوة والغفلة، ويكون كل إنسان في
ذلك مستقبلاً حتى الكفار في ذلك الوقت يؤمنون، لكن لا يشعرون لذلك، كما قال تعالى:

«أمَّنِيْنَّكُمْ وَأَتِمْتُمْ نُبُوَّةً» (ص: 38)، وقال تعالى: «وَوَلَّوْتُ رَجِبًا إِذْ أَعْلِمَ رَبِّي» (بقر: 12)،

وَوَلَّوْتُ رَجِبًا إِذْ أَعْلِمَ رَبِّي (البيتين: 27).
وقال تعالى: «فَقَالَواَ إِيَّكُمْ نَمَّرُ وَلاَ نَكَذَّبُ نَا يَكَّبِرُ وَلَنْ نَكُونَ نَيِّئِينَ» (الأنعام: 27).

الضفائد والأحكام:
1- تأكيد الخبر في القرآن الكريم بالقسم، كما هي عادة العرب الإسقان لتأكيد
الخبر؛ لقوله تعالى: «وَلَقِدْ». 

2- إثبات خلقه- عز وجل- للإنسان وعلمه بها تنطوي عليه نفسه وقربه إليه بعلمه.
وعن الرحمن ﷺ تفسير القرآن ج 21

1. وإحاطته وقدرته، وبملاذته، وذلك من أعظم الدلالات على قدرته - عز وجل - على بعثه؛ لقوله تعالى: "أَلَمْ رَأَيْتَِّ فَتْحًا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ".  
2. سبعة علم الله - عز وجل - ودقائق خبرته؛ لأنه إذا كان يعلم ما توسوس به النفوس فعلمه بها يظهر من باب أولى.

3. - إثبات وجود الملكين الكاتبين لجميع أقوال الإنسان وأفعاله، أحدهما عن اليمين لكتابة الحسنات والثاني عن الشهال لكتابة السيئات، وكتابتهما كل ما يصدر منه من قول أو فعل؛ لقوله تعالى: "إِذ بَلَغْتُ السِّنِّ السَّتِّيْرَاتِ عَلَى الْيَمِينِ وَفِي الْبَيْتِ يَعْمِدُ مَا لا يَبْلُغُ مِنْ قَوْلِهِ إِلَّا لَذِي رَجِيبٍ عَيْبٍ.".

4. - وجوب مراعية الله - عز وجل - وطاعته، والبعد عن معصيته، فكل شيء مصِّب ومكتوب قوله كان أو فعله؛ لقوله تعالى: "مَا إِلَّا مَتَّى تَثْمِنَهُ مَا يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِ إِلَّا لَذِي رَجِيبٍ عَيْبٍ.

5. - أن الموت حق على كل مخلوق لا يجد له عنه، ولا يظهر الحق الذي جاءت به الرسول وزنلت به الكتب من الحساب والجزاء على الأعيال؛ لقوله تعالى: "وَكَذَّبَ سَكَرَتُ الْمَوْتِ يَخْلِقُ ذَلِكَ مَا كَانَ مَكَّنَ مَهَأَ.".

6. - إثبات النفع في الصور؛ حياة الناس وقيامهم من قبلهم للحساب يوم القيامة، وهي النفحات الثانية؛ لقوله تعالى: "وَخُذْ فِي الصَّرْحِ ذَلِكَ مَعَ الْعِبَادِ".

7. - مجهو كل نفس في ذلك اليوم معها ملك يسوقها إلى أرض المحشر، وملك يشهد على أعوانها؛ لقوله تعالى: "وَجَعَلْتُكُمْ نَصْرًا لَّهُ وَنَشِيدًا".

8. - غفلة الإنسان عن الآخرى حتى يتكشف عنه الغطاء بالموت ومعاينة أهوالها فتظهر له الحقائق، وترجع عنه الغشاوة ويندم حين لا يدفع الندم؛ لقوله تعالى: "لَقَدْ كَتَبْتُ فِي عَفْوِكُمْ هَذَا فَكَتَبْتُ عَلَيْكُمْ عَمَلًا كَفُولًا مَّيْضًا لَّكُمْ حَيَّانًا".

* * *
قال الله تعالى: 
«والكذب المشرب الذي قرن به في الدنيا من الملائكة، ووكل بحفظ وحفظ أعهله وأقواله يشهد عليه يوم القيامة بذلك.»

وقال بعضهم: المراد به السائق، واعتبر ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد(1).

«هذا الملك الذي كنت وكلتني به في الدنيا قد أحضره وأتنيك به، وهذا ما كنت عليه وأخصوصه من قوله وعمله حاضر عندي، بلا زيادة ولا نقصان.»

«أليما في جهنم على ساقين دقيقين» الخطاب: للسائق والشهيد، أو للملك الموكل بعذابه وإن كان واحدا.

قال ابن كثير(2): «والظاهر أنها خاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرضة الحساب، فلي أدى الشهيد ما عليه، أمره الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبحث المصير».

و»لامهم«: اسم من أسماء النار، سميت به جهمتها وظلمتها وعذب قعرها وشدة حرها- أعادنا الله وجميع المسلمين منها.

»كل سفاح«: اكفار على وزن (عقال): صيغة مبالغة، أي: أنه قد جمع أنواع الكفر، وبلغ من الكفر غايته.

(1) انظر (جامع البيان) 21/ 436.
(2) في (تفسيره) 7/ 380.
وعن الرحمن ﷺ تفسير القرآن، ج ٤٤

والكرفر معناه: الجحود، أي: َكَلِّ جَهَوَدْ لِرَبِّهِ وَأَلوُهْيهُ وَأَسَائِهِ وَصُفَاتِهِ
ودينه، وملاكئته وكبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
فالكرفر ضد الإيان، ومنه كفر التعم.
(َعَبْدَ اللَّهِ) علوزن فقيل: صفة مشبهة أو صيغة مبالغة، أي: أنه كثير العنان.
شديده، لا يقبل الحق بحال، بأي أسلوب عرض عليه.
والعنان: دفع الحق ورده ومعارضته بالباطل وعدم قبوله عن علم ومعرفة، لا عن
جهله.
(َتَمَّعَ لِلْيَمِينِ) متاع على وزن فعال؛ للمبالغة، يدل على معنى لكل خير.
وبلغوه في المنع غايته. والمراد بالخير المال، كما قال تعالى: ۗ وَإِنَّهُ لَهُ بِالْخَيْرِ نَظْرٌ (العادات: ٨)، أي: لحب المال.

ويحمل أن المراد ما هو أهم من ذلك، وأن المراد: منع الإحسان القولي، والإحسان
الفعلي، والإحسان إلى نفسه بالطاعات وإلى غيره بوجه الإحسان.
قال ابن القيم (١): «وهذا يعم معنى للخير الذي هو إحسان إلى نفسه من الطاعات
والقرب إلى الله، والخير الذي هو إحسان إلى الناس، فليس فيه خير لنفسه، ولا بني
جنسه كما هو حال أكثر الخلق».

(َمُحْرِّكُ،) أي: ظلوم غشوم معتمد على الناس بيده ولسانه، فخيره متنوع عنهم
وشره واصلاً إليهم، معتمد على حدود الله، متجاوز الحد في نفقاته.
(َمَبِينُ،) أي: ذو شك وريب في أمره، وفي وعد الله ووعيده، مشكوك لغيره في ذلك، آت لكل ربة، محذف لم نظر في أمره.
(َذَلِكَ ٱلَّذِي ۡجَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًاۡ أُخَرَٓ،) أي: أشرك مع الله غيره، فلم يخلص العبادة الله، بل
عبد معه إلهًا آخر من الأنسان والإثوان، أو انشغل عن طاعة الله تعالى بهوى نفسه أو
جمع الدنيا، كما قال تعالى: ۗ أَقُلُّلْ مِنْ أَنْتَدِهِ ۚ هُوَ وَأَسْلَطُهُ ۖ أَلَّا تَضْرِبُوا١ۚ (الجاثية: ٢٣)، وقال

١ (انظر (بديع التفسير) ٤/١٩٢.)
أيها الملكان الذين في الجنة والدنام، إن فتحكم في الجنة، فأنتما في بيئة سعداء.

على أنّنا نذكر أنّ الله سماحًا للجنة، قال: {أخفف عننا عذابه}. 

وفي قوله تعالى: {ولكن كان في صلبك تذيله}. 

والمعنى: ليس لنا الذي جعله طاغيًا متجاوزًا الحد. 

وإن كان في نفسه ضالًا قابلاً للباطل معانًا للحق، كما في قوله تعالى في الآية الأخرى: {وقال السجعان لما قطِّع الآمر إبَّكَ الله}.

وما كان في علِّيكم من سلمان إلا أن كُوَّنتم تُبْنِيُّوا، وماأنا مُصْرِيحُكم. 

وفي حقه بما أكثركم من قليل، إن أنتي تلبَّستَهُ. 

وهكذا يتبنا قرين السوء من قريته والمتبوع من أتباعهم كما يتبنا الأتباع من

(1) أخرج البخاري في الجهاد والسير 887، والترمذي في الزهد 377، وابن ماجه في الزهد 1936، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) أخرجه أحمد 3/40.
مونتوعيهم. قال عز وجل: "إِذْ نَبِيُّ أَل ذِيَّ أَثَّنَىٰهُ مِنَ الْأَرْبَعَةِ أَثَّنَىٰهُ وَرَأَى الْمَكَابَةَ وَمَلَّتَهُ لِلْعَسَابِ" [البقارة: 176, 177].

وَقَالَ عِلْمَاءُ: "مَعَ وَيْمَ يُبَدِّلُ الْأَفْلَامْ عَلَىَّ يُرْمِيَ بَيْنِيَّنِي أُتُحُدَّتْ مَعَ الرَّضُوْنِ سَيْبَا" [الخصيت: 176]. وقال تعالى: "أَنْ يُذْهِبَانِ يَنْفِرُانِ بِالْأَثْمِ اِلْكُفَا النَّفْسَ" [البقرة: 44]. وقال تعالى: "أَنْ يَذْهِبَانِ يَنْفِرُانِ بِالْأَثْمِ اِلْكُفَا النَّفْسَ" [البقرة: 44].

وقيل: المراد بـ "قريته" الملك الذي يكتب عمله فيديع الإنسان أنه زاد عليه فيها كتبه عليه، وأنه أعجله بالكتابة عن التوبة، ولم يمهله حتى يتوب، فقال الملك: ما زدت في الكتابة على ما عمل، ولا أعجلته عن التوبة "ولكن كَانَ فِصَلِّي بِعِيْنِ". قال: "لا تُعَتِّصِمُواَ لَدَيْنَا" يُقِلِّل الله عز وجل للإنسان وقريته: "لا تُعَتِّصِمُواَ لَدَيْنَا"، أي: "لا تَعَتِّصِمُواَ لَدَيْنَا".

وقيل: "وَقَدْ قُدِّمَ لِكُلِّ عِبَادِنَا الْأَوِّلَى الْوَعْيَدَ" لِلْمَلَائِكَةِ: "وَهَلْ يَدْعُوَ الْجَاهِلِينَ بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْأَرْسَلَ" [النساء: 165].

وذلك قام في ملك الحجة، وزال العذر؛ لأن من أنذر فقد أعدم.

ما بَدَّلُ الْعَزَّ الْآَوِّلَى" "ما" نافية، أي: إن قول لا يمكن أن يختلف، وخبري لا يمكن أن يتخلف، كأ قال عز وجل: "وَمَتَّى كَنَّىٰ ذِيَتَ صِدْقًا وَعِدَّالًا" [الأعام: 111].

أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، وقال عز وجل: "وَمَتَّى كَنَّىٰ ذِيَتَ صِدْقًا وَعِدَّالًا" [الأعام: 111].
سورة القصص، الآيات: 23-30

قال تعالى: 

النار عذابي أعدب بك من أشخاص، وأنت

وتحمل أكثر من معنى وحب حلم الآية عليها كلها.

قال ابن القيم: (2) بعد أن ذكر القولين: ففعل القول الأول يكون قوله: (وما أن أن يطلق النبوة من تمام قوله: (ما أن أن يطلق النبوة في المعنى، أي: ما قلت ووعدت به لأبد من فعله. ومع هذا فهو عدل لا ظلم فيه، ولا جور. وعلل الثاني يكون قد وصف نفسه بأمور: أن كأس علمه وإطلاعه يمنع من تبديل القول بين يديه، وترويج البطل عليه. والثاني: أن كأس عدلته وغناه يمنع من ظلمه لاعبه).

وما أن أن يطلق النبوة (الواو: عاطفة و (ما): نافية؛ أي: لست بدي ظلم، أو لست

(1) سبأني تخرجبه قريبًا.
(2) انظر (بذاك التفسير) 4/200.
أظلم أحدًا، وهي نكرة في سياق النفي، فنعلم نفي أي ظلم منه للعبد، كا قال تعالى:

«ذُلِكَ يَا مَنْ كَفَّرَ مَعَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ كَبِيرُ الْمُقْبَلِينَ» [آل عمران: 182]، الآتى: 51.


والفالم في قوله: «أظلم» للاستغرق في جميع العبيد، فلا يظلم عز وجل أحدهم منهم، مؤمنهم وكافرهم، ناطقه وبيهم، لأن المراد بالعبودية هنا العبودية العامة لجميع الخلق، كا قال عز وجل: «إِنَّهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا أَيِّي الرَّحمِينَ عِبَادًا» [مريم: 32].

فلا يظلم عز وجل أحدًا من العبيد، ولا يظلم أحدًا بذنب غيره، أو غير ذنب، ولا يمنع أحداً أحر ما عمله من عمل صالح، ولا يزاد في سيئتهم، ولا ينقص من حسناتهم، كا قال عز وجل: «وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا» [الكهف: 94].

ولَا يظلم عز وجل ظلماً صغيراً ولا كبيراً ولا قليلاً ولا كثيراً، كا قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَظُنُّوا مَعَ اللَّهِ أَنْ تَظُنُّوا مَعَهَا» [النساء: 44], وقال تعالى: «وَلَا يَظْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَظْلَمُوا كُلّ مَا وَجَعَلْتُوهُمْ فَلَا يَظْلَمُونَ» [الأنبياء: 54], وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَظْلَمُ الْمُؤْمِنَاتِ» [يونس: 44].

فبل إنه عز وجل حرمظلم على نفسه كما حرمه على العباد، قال عز وجل في الحديث القديم: «لا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تطالوا» (1).

القواعد والأحكام:

1- أن كل إنسان قرن به من الملائكة من يحفظ ويخضع أفعاله ويشهد عليه، ويحضره وأفعاله لوقف الحساب ولا تأخير؛ لقوله تعالى: «وَقَالَ قَوْلُهُ هَذَٰلِكَ الْغِيْدُ».

(1) أخرجه مسلم في البخار والصوت والموارد والبخار 5726، والترمذي في تفسير القرآن، 2496، وابن ماجه في الزهد 2457.
سورَةُ الإِيَن: ٣٢ – ٢٩

٢ - الأمر للملكين الموكلين بالإنسان بإلقاء كل كفار في النار والعذاب الشديد، لشدة كفره وعبادته ومنعه الخير واعتدائه وشكة وشركه؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَيْ يَكُونُ كَهَّنُ مُّكَفَّارٌ عِنْدَكَ﴾.

٣ - الجمع لأهل النار من المكذبين والكافرين بين العذاب الحسي للأبدان؛ والعذاب المنقوبل على القلوب.

٤ - بيان صفات أهل النار المستوجبين دخوله، للتحذير منها؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَيْ يَكُونُ كَهَّنُ مُّكَفَّارٌ عِنْدَكَ﴾.

٥ - تبرؤ الشيطان من أتباعه وقرنين السوء من قريته، وتخاصمهم يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿ذُلِّلْ قَلْبَيْنِ رَبِّي نَُمُرَانِ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

٦ - إثبات ربوية الله تعالى العامة لجميع الخلق؛ لقوله: ﴿رَبِّي﴾.

٧ - أن الله - عز وجل - أقام الحجة على الخلق جميعاً، وحذرهم وأنذرهم، فلا ينفعهم التخاصم لديه يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلَّلْ قَلْبَيْنِ رَبِّي نَُمُرَانِ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

٨ - أن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ما أعظم أسباب الوقوع في الطغيان.

٩ - أن ما حكم الله - عز وجل - به وقبض من تذيب الكافرين في النار لا يبدل ولا يغير؛ كأنه - عز وجل - لا يلبس عليه بالقول؛ لأنه لا تخفي عليه خافية؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا يَطِلُّونَ لَقَيْدٍ﴾.

١٠ - تمام وكمال عدل الله عز وجل ونفي الظلم عنه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا يَطِلُّونَ لَقَيْدٍ﴾.

* * *
قال الله تعالى: «يَمَّ نُؤْلُ يَجُهَّمُ هُلَّ أَمْسَالَا وَيَتَعُولُ هُلَّ مِن مَّرْبِيْرٍ (3) وَأَلْيَهُ بَلَدَةَ الْمُعَذَّبِينِ غَيْرَ (4) يُبْيِدُ هُنَّ مَا مَأْتُوْنَ لِكُلُّ أَوَّلٍ حَيْضِيْرٍ (5) مِّن جَهَنْمَ الْمُلْلَةُ وَالْمَعَذَّبُ وَالْمُتَّهَلَّ بَلَّاءَ مَتْنِيْبٍ (6) أَطْخُعاً (7) يَسْلُبُ هُنَّ مَا مَأْتُوْنَ (8) لَمْ تَأْقُنْ فَيَتَأْقُنُ وَلَدَّنَا مَرْبِيْرٍ (9)».

قوله تعالى: «يَمَّ نُؤْلُ يَجُهَّمُ هُلَّ أَمْسَالَا وَيَتَعُولُ هُلَّ مِن مَّرْبِيْرٍ (3)».

قوله: «يَمَّ نُؤْلُ يَجُهَّمُ هُلَّ أَمْسَالَا» قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: «يوم يقول» بالباء.

وقرأ الباقون: «يَمَّ نُؤْلُ» بالون.

أي: يوم القيامة نقول لجهنم وهي النار التي أعدها الله عز وجل لتعذيب المكذبين والعصاة. وسميت جهنم لجهمتها وظلمتها وبعد قرها وشدة حرها.

«أَمْسَالَا» استفهام لا يقصد منه الاستعلام فالماء عز وجل لا تفتي عليه خافية، وإنما يقصد منه التخوف والتهديد، والتحذير والوعيد، والإشارة إلى عظمة جهنم ومدى سعتها بحيث تسع جميع المجرمين والعصاة، فإنا دام عدهم لم يكتمل فيها فهي لم تمت ولهذا تقول: «هُلَّ مِن مَّرْبِيْرٍ».

والله سبحانه وتعالى أعلم بها إذا امتلأت، ومتى تمثل وقد وعدها عز وجل بملئها.

قال تعالى: «لَأَمَلَّاهَا جَهَنَّمَ مِمَّا أَلْحَقْتَهَا وَلَتَأْقُنُوهَا» [السجدة: 12].

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أن الله عز وجل قال للجنة: "أنتم رحمتي أرحم بك من أشأ من عبادي، وقال للنار: إنما كنت عذابي أذنب بك من أشأ من عبادي، ولكن واحدة منها ملوحة، فأما النار فلا تنمل حتى يضع رجلة، فتقول: قط قط، فهناك تمثل، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً آخر"(1).

ومن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يُلْقَى في النار وتقول هِل من مزيد حتى يضع قدمه فيها تقول: قط قط"(2).

ط: 262

(1) أخرجه البخاري في تفسير سورة في، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، وابن الم振 في صفة الجنة.

(2) أخرجه البخاري في تفسير سورة في، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، والترمذي في.
فهي بقولها: (هل من مزيد) لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين والعصاة غضبًا لربها ويغيظها على الكافرين.
وقيل: معنى قولها: (هل من مزيد)، وهل بقي في مكان يراد فيه، أي: قد اعتنائها.
ووهذا المعنى لا يصح والحديث السابق يرد. والصحيح القول الأول، وهو أظهر من حيث السياق، وأقوى في الوعيد والتهديد والزهر والتخويف.
وهو قول عامة المسئرين من السلف وغيرهم، واختاره جمع من المحققين، منهم الطبري(2)، ابن تيمية(3)، ابن القيم، وابن كثير(4)، وغيرهم.
قال ابن تيمية(5): والصحيح أنها تقول: (هل من مزيد)، على سبيل الطلب، أي: هل من زيادة تزاد في، والمزيد ما يزاد فيها من الجن والإنس.
والحديث الصحيح يرد هذا التأويل.

قوله تعالى: (وأولئك الذين إنك لم تُبصِرهم ابْعَثْهُمْ عِبَارًا عَبَرَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ حَيَّ) (32) أدخلوهَا إِلَيْهِ ذَلِكَ يَوْمِ الْخَلْوَاتِ (33) فَلَمَّا يَشَاءَنَا نَذَرَهُمْ وَلَدِينَا مَنْ يُبِئِسُونَ (34).

التفسير 3272.
(1) أخرجها مسلم في الجنة وصفا نعيمها - باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها المغفرة، 2848 - 1.
(2) انظر: (جامع البيان) 21/443 - 449.
(3) انظر (مجمع الفتاوى) 16/1846 - 1847/1415 - 1416 (منهاج السنة) 4/100.
(4) انظر: (تفسير ابن كثير) 7/381.
(5) انظر: (الدفائق التفسير) 226/5.
(6) انظر (بداائع التفسير) 2/200.
بعد ما ذكر عز وجل حال النار وأهلها أتبع ذلك بذكر حال الجنة وأهلها على طريق القدر الكريم في الجمع بين التزغيب والترهيب. ليجمع المسلم في طريقه إلى الله عز وجل في هذه الحياة بين الخوف والرجاء، فلا يأمن من مكر الله، ولا يبدأ من رحمة الله. وأن يكون الخوف والرجاء له كتجاني الطائر لا يغلب أهدهما على الآخر.

قوله تعالى: "وأزيت لمن حبا يذكر أن حبا يذكر أنه يذكر في الأصل، البستان، وسمي البستان جنة; لأنه يذكر، أي: يسأر من بداخله بكترة أشجاره قال تعالى: "وَأَنْقُسَىَنَّهُمْ سَبْعَ يَكَابِرٍ جَعَلَنَا لِأَحَدِهِمْ جَبَّانِيْنَانِ مِنْ أَشْبَاهٍ وَحَقَّقْتِنَا يَخْلُقُ وَجَعَلْنَاهَا بِنَجْعَانِ" (الكهف: 22)، وقال تعالى: "وَنَزَرَنَّاهُ مِنْ أَسْلَامٍ مَّلَأَهُمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْحَانِ" (القصص: 9). والمراد بالجنة هنا الدار التي أعدها الله لأولئك في الآخرة، والتي لا يقدر قدر ما فيها من ألوان الخضراء والحرية والنعيم إلا الله عز وجل، كما قال عز وجل: "فَلا تَعْلَمُ تَفْسِيرٌ" (الجاثية: 17).

"أَيْتَمَّتُنِينَ" أي: للذين اتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

"عَبْرَ بَيْنِي" وذلك يوم القيامة، وليس بعيدًا؛ لأنه أتت لا معايلة وكل آت قريب. ويعتبر معنى مكانًا غير بعيد. أي: أُدْنِيَت الجنة وقربت مكانًا قريبًا غير بعيد. 

تشاهد وينظر ما فيها، من النعيم المقيم، والحرية والسرور. ومن عظيم كرامة المتقين عند الله أن تقرب اللة لمهم لأنهم يقربون إليها.

وهذا بدأ عن أن من إكرام الضيف أن يقرب الطعام إليه، لا أن يوضع الطعام ويومر الضيف بالقرب إليه.

ولا مانع من حمل الآية على الأمرين، قرب الزمان، وقرب المكان.

"هَذَا النَّكُورُ" الإشارة للجنة وما فيها من النعيم، يقال له هذا على وجه التهنئة لهم والتكريم والتعظيم لذلك الموعد به وما: موصولة، أي: هذا الذي توعدون، أو مصدرية، أي: هذا وعَدًا.
والوعيد غالبًا في الخير، والوعيد في الشر، قال الشاعرٌ:

وإني وإن أوعدته أو وعدتٌ لمخالفٍ إيمادي ومنجز موعدي

(1) البيت لعمر بن الطفيل، انظر: «الصحاح» للجوهر، مادة: «وعد». 

(2) انظر (بيان التفسير) 4/201. 

(3) أخرجه الترمذي في ضغفة القيادة 7516، وقال (حديث حسن صحيح) وأحمد 4/286، 288. 

هذا يدل على أن الإنسان لا يقادن يسلم من الوقوع في الذنب، وأنه بعد النوبة الصادقة أفضل منه قبل المعصية.

والنوبة: الرجوع من المعصية إلى الطاعة. قال ابن القيم: (2): «أي: رجاع إلى الله من معصيته إلى طاعته، ومن الغفلة عنه إلى ذكره».

(3) infusion، أي: يحفظ الله في أقومه ونواهيه فلا يخالف أمر الله ولا يرتكب ذله، كما قال النبي عليه السلام: «حريظي الله» (النساء: 24) وقال تعالى: (2) حريظي الله [النساء: 24].

في حريظي الله والوقود التي بنته وبين الله والتي بينه وبين الحلق، فلا ينقض عهده ولا ينكته.

(4) من حريزي الرحمن، من: موصولة بدل من قوله: (لكي آوأث حريزي)، أي: الذي خشي الرحمن بالغيب.

والخشية بعضنا الخوف، بل هي أشد وأخص من الخوف؛ لأن من شرطها-كما يقول بعض أهل العلم- عظم الخشي وعلم الحاشى، كما قال تعالى: (إنا يُحَيِّي اللَّهُ مِنْ عِبادِهِ الْأُولِينَ) [فاطر: 28].

و (الرحمٌ): اسم من أساطة الله، بل هو الأسم الثاني من أساطة الله عز وجل، كما قال تعالى: (قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فهى الأسماء الحِكْمَةَ) [الإسراء: 11].
ويرأ من دللpurchase أحب الأسباء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن
(1)
 وهو على وزن دللpurchase صفت مشرفة أو صيغة مباهلة دللpurchase مع رحمته عز وجل
وعظمتها وكثرة، ويلخذ منه إثبات صفة الرحمة الدلالة إلى الله عز وجل القائمة به، كما
قال سبحانه: وَرَبِّيَ أَذْرَحْ رَحْمَتَكَ وَأَذْرَحْ رَحْمَتَكَ [الكهف: 85]، وإثبات صفة الرحمة الفعلية التي
يوصلها من شان من عباده كما قال عز وجل: أَعْلَمُ مِنْ يَدَّنَا وَأَرْحَمُ مِنْ يَدَّنَا [العَكْبَة: 41]
(2)
أَلْقَبَنَّهُ أَي: وهو غيب لم يره سبحانه، والغيب ما غاب عن الحواس. وهذا
كان الإحسان أعل درجات الإيمان وهو: أن تعدد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك (3).
والمعنى: من خشي الله وخوفه في سره حيث لا يراه، وهذا من أخوص صفات
المؤمنين المتقين أعلهم يؤمنون بالغيب، كما قال عز وجل: أَلْقَبَنَّهُ أَلْقَبَنَّهُ [البقرة: 2]
أي: بكل ما أخبر الله به من الأمور الغيبية السابقة والأيام، ومن ذلك الإيمان بأركان
الإيمان البراءة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر
خيره وشره.
وهذا من أعظم ما يحمل المرء على تقوى الله، ومراعيته والاحتفاظ به، والثواب
بأداء حقوق الله وحقوق الخلق والبعد عنها نبى الله عليه. قال ابن القيم (3): قوله: فَمَنْ خَيَّرَ أَرْحَمَنَّ أَلْقَبَنَّهُ يتضمن الإقرار بوجوده
وربوبته وقدرته وعلمه واطلاعه على تفصيل أحوال العبود، ويتضمن الإقرار بكتبه
ورسوله وأمره ونهيه، ويتضمن الإقرار بوعده ووعيده ولقائه، فلا تصح خشية الرحمن
(1) أخرج مسلم في الأدب: 2132، وأبو داود في الأدب: 949، والترمذي في الأدب: 2832، وابن ماجه
في الأدب: 728، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
(2) أخرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الباري في الإيمان: 50، ومسلم في الإيمان: 9، والنسائي في
الإيمان: 4991، وإبن ماجه في المقدمة: 24، وأخرج من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسلم في
الإيمان: 8، وأبو داود في السنة: 4695، والنسائي في الإيمان: 4990، وابن ماجه في المقدمة: 23.
(3) انظر (بديع التفسير) 4/201.
بالغيب إلا بعد هذا كله.
وختي الرحم بالغيب أيضًا: في حال غيابه عن أعين الناس، فهو يراقب ربه ويخشاه في الغيب والشهادة، كي في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله: «ورجل ذكر الله خليلاً ففاضت عيناه» (1).
قال الشاعر:
وإذا خلّوت بربية في ظلامة فاستحقي من نظير الإله وقل فأما
إن الذي خلق الظلام برأى (2).
وقد كان الإمام أحمد رحمه الله كثيرًا ما يتمثل بهذين البينين (3):
إذا ما خلّوت الدهر يومًا فلا تقل خلّوت ولكن قل علٍّ رقيب
ولا أن ما يُجبر عليه يغيب (4).
وإلى الله يغفر سagnosis
(6) أخرجه البخاري في الأذان- من جلس في المسجد ينظر الصلاة 659، ومسلم في الزكاة- باب إخفاء الصدقة: 1031، والنسائي في أذاب الفضاعة: 5380، والرومي في الزهد: 2391، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(1) البيان للفتحي، انظر: «تلخيص الفتحي» ص 5.
(3) البيان لأبي العتاهية، انظر «ديوانه» ص 34.
والمنغصات، كما قال تعالى حكايته لقول أهل الجنة: "فَأَلْمَعَّدَلَّ يَلِيقُّ أَذْهَبَ عَنَّا الْقُرْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَعَفْوُ شَكُورٌ ۖ عَلِيٌّ أَلْحَنَّ أَنَّا لَمَعَايِشَاءِنَّ ۖ لَا يَمُسُّهَا نَصْبُ ۚ لَا يَمُسْهَا ظَلَّةٌ فِيهَا ۖ فِيهَا لَوْبٌ 
فارس: 43)، وقال تعالى: "فَوَزَّنَا مَا صُدِّرْنَا مِنْ عَيْنٍ ۖ [الأعراف: 43]." وقال تعالى في الحديث القدسي: "إِنَّ لَكُمْ أَنْ تُحْيَوَ فَلا تَمْتَوَا أَبَدًا، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْتَعْمَوا فَلا تَبَسَّأْوا أَبَدًا.
ويسلم من الله عليهم ومن الملائكة، ومن بعضهم على بعض. كما قال تعالى: "سَلَّمُ وَقَالُوا رَبَّنَا رَحِيمٌ ۖ إِبِسٍ: 58، وقال تعالى: "وَاللَّهُ يُبَذِّلُ عَلَيْهِمْ مَا نَكَّرُ ۖ سَلَّمُ عَلَيْهِمْ قَدْ صَبَرُوا فِي مَعَةِ الدَّارِ" [الرعد: 23، 24]. وقال تعالى: "لَا يُبَقِّي الَّذِينَ كَفَّارٌ فَلَا أُرِينَهُمْ سَلَامًا ۖ إِلَّا يَقُولُ سَلَامًا سَلَامًا" [الواقعة: 26]. وفي هذا من النعيم المعنى ما لا يدرك كنهه، إضافة إلى النعيم الحسي نسأل الله تعالى من فضله.
"كَذَٰلِكَ يَوْمُ الْقُلُوبِ" الإشارة ليوم القيامة.
أي: يوم الخروج في الجنة، فلا يموتون أبدًا، ولا يعشرون أبدًا، ولا يضيعون عنها حولاً كأ جاء في حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: "إِنَّا إِذَا نَصَوَّرْنَا مَا نَصَوَّرْنَا فَإِنَّا لَسَلَّمُونَا عَلَيْهِمْ وَبَشَّرْنَاهُمْ بِالْكَبْرَىٰ" [الإسراء: 43].
و威尔: "وَكُلُّمَا بَيَتَّلُكُمْ فِيهَا "ولهم"، أي: للملتتين "كَبْرُوا فينَ"، أي: الذي يحتاجون ويريدون ويشتهون في الجنة، كما قال عز وجل: "فَرَفَعُوهَا مَا أَشْتَهَىْتُ وَأَيْضًا خَلْدُونَ"، [الأنبياء: 172)، وقال عز وجل: "فَوَرَفَعَنَا مَا كَتَبْنَا وَبَشَّرُوهَا بِالْبَيْتِ" [الحديث: 7].
و"وَلَحَنَّتْنَا مُزِيدًا"، أي: وعندنا زيادة على ذلك المذكور من ألوان النعيم لأهل الجنة.
كما قال عز وجل: "ۖ [أَلِينَ أَحْسَنُ أَحْسَنَهُمْ ۚ وَرَبِّيَةً" [يونس: 28].
(1) أخرجوه مسلم في الجنة وصفة تعييمها وأهلها، 1837، والترمذي في التفسير 244.
ونفد فسرٌ ﴿الحسني بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم﴾.

وهكذا فسر أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: ﴿والدنياك مريد﴾ بأن الرجل عز وجل يظهر لهم في كل جمعة.

ولا مانع من أن الجنة على المزيد من ألوان النعيم من زيارة الرجل عز وجل وتجليه لهم سبحانه ومن الحور العين وغير ذلك من النعيم كما قال عز وجل: ﴿فقِلَا تَعَالَّمُ قَنَسَ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ عَرَاءِ جَهَنَّمَ يَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَنَحْشُونَ رَبِّهِم بِالْعَقِيدَةِ لَهُم مَّغْفِرَةً وَجُزَائِرٌ كَبِيرَةً﴾ [الملك:12].

وقال ﴿قال الله: أعدت لعبادتي الصالحين ما لا يزيد، ولا إذن سمعت، ولا خطر على قلب بشير، فأقرؤوا إن شئتم﴾: ﴿فَلا تَعَلَّمُ قَنَسَ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ عَرَاءِ جَهَنَّمَ﴾[3].

نسأل الله تعالى عن فضله وكرمه أن يجعلنا من تزلف لهم الجنة غير بعيد، ومن أهل الخلد فيها والمزيد، ووالدينا ومعم المسلمين.

الضوابط والأحكام:

1- إثبات الكلام الله عز وجل - على ما يليق بجلاله وعظمته، نقوله تعالى: ﴿وَتَذْكَرُوا مَا قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلَهُمْ﴾.

2- شدة ظلمة النار، وبعد قعرها، وتناهي حرارتها، وهذا سميت جهنم.

3- سؤال الله عز وجل - النار وهو أعلم بها ﴿فَلَكَاتَلَّهُمْ﴾ على سبيل التخويف والوعيد والتهديد للمجرمين.

4- إثبات القول - جهنم! والله أعلم به كيفية ذلك، نقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَىٰ مَنْ تَرْبَى﴾.

5- سعة جهنم، وشدة تلفها إلى المزيد من المجرمين، وغضبها لغضب رب.
العالمين؛ لقوله تعالى: ﴿هَلَّ مِنْ مُّرْيِئِ﴾.

6- تقرب الجنة للمتقين تكريماً لهم، والترحيب بهم، وتهيئتهم بنيل ما يوجدون، والثناء عليهم بالتواب وحفظ حقوق الله وخشية الإنباء، ومشارتهم بالسلامة والخلود في الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَزَلْنَّ مَغْرَةَ الْجَنَّةِ لِلْمُتَقِينِ غَبْرٍ يَبْيِّدُ﴾، هذا ما نعوذ به كل أبى.

7- الجمع لأهل الجنة بين نعيم الفن الديني، ونعيم القلب المعنوي.

8- إثبات وجود النار وإعدادها للمجرمين، وإثبات وجود الجنة وإعدادها للمتقين.

9- إثبات اسم الله - عز وجل - ﴿الرحمن﴾ وصفة الرحمة الواسعة عليه - عز وجل - رحمة ذاتية، ورحمة فعلية، عامة وخاصة؛ لقوله تعالى: ﴿مَرْحَمَةً رَحْمَتِ﴾.

10- الوعد لأهل الجنة بأن هم فيها ما يشاؤون، ووعد الله - عز وجل - لهم بالزمن من عنه، وأعظم ذلك النظر إليه - عز وجل - لقوله تعالى: ﴿فَّمَّا أَيْثَبْتُهُمْ وَلَدَّيْنَا مُرْيَدٍ﴾.

11- إثبات الشئوذة والإرادات للإنسان.

12- جمع القرآن الكريم بين الترحيب والترهيب.

13- التحذير مما يوجب دخول النار والخلود فيها من الكفر ومخالفته أمر الله تعالى، والترحيب بما يكون سبيلاً لدخول الجنة من تقوى الله تعالى والتواب إليه، وحفظ حدوده، وخشية بالغيب، والإنباء إليه.
قال الله تعالى: 

(1) وإن في ذلك ليضحك الذين كأنه قد قيل أو ألقى السنجق وهو شهيد (3) ولقد خلفنا السنجق وألقى ونذكرهم في سنجق آبائي وما ستذكره من ألقاب (3) فأمسكوا ما يقولون ونسبرهم صلالة فإن طلبع السنجق وقلل السنجق (2) ومن أهل فضيحة وآدوار الشجاعة (3).

قلو تعالى: 

(3) وإن في ذلك ليضحك الذين كأنه قد قيل أو ألقى السنجق وهو شهيد (3) فأمسكوا ما يقولون ونسبرهم صلالة فإن طلبع السنجق وقلل السنجق (2) ومن أهل فضيحة وآدوار الشجاعة (3).

أكد عز وجل في هذه الآيات وعيد المكذبين بذكر إهل الكب اليمين قبلهم تذكيراً وتحذيراً، وبياناً لكهن قدرته، وسلية لنبيه.

قوله: 

(3) وإن في ذلك ليضحك الذين كأنه قد قيل أو ألقى السنجق وهو شهيد (3) فأمسكوا ما يقولون ونسبرهم صلالة فإن طلبع السنجق وقلل السنجق (2) ومن أهل فضيحة وآدوار الشجاعة (3).

والهلامان نواعان: هلام حسي بالموت والفناء، كا في هذه الآية، وكا في قوله تعالى: 

(3) حظي هلاك كفلم أن يعص الله كأيوبُ وسول (2) (غافر: 43).

والنوع الثاني: هلام معنوي بالكفر والمعاصي، وهو أشد بل هو هلام الحقيقي، 

كما في قوله تعالى: وآلموا في سباب الله ولا تُناقِحُوا أُبْحَرَكُمْ إِلَى الْمَكْمُولِ (البقرة: 120).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن سلمة بن صخر رضي الله عنه لما وقع على أمران في نهار رمضان وهو صائم جاء فزعًا مزاعمًا يقول: يا رسول الله هلقت وأهلكت (1).

وهؤلاء جمعوا بين الهلاكين؛ الهلاك المعنوي بالتكذيب والكفر والمعاصي، والهلام الحسي حيث أخذوا بالعذاب وأنواع العقوبات.

(2) فقيلهم: أي: قبل كفار مكة المنكرين للحق والبعث.

(1) أخرجه البخاري في الصوم 1363، ومسلم في الصيام 1111، وأبو داود في الصوم 2390، والترمذي في الصوم 124، وابن ماجه في الصوم 1671.
القرآن في الأصل: هو المدة التي يعيش فيه جبل وأمة من الناس وتقدر بعشرة سنة. والمراد بـ هنا الجبل والأمة أي: كم أهلكنا من أمة.
قال تعالى: {خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم} {الروم: 9}.
والمراد بقوله: {قرني}: القرآن الذي عاش فيه وأصحابه، ثم قرن التابعين، ثم قرن تابعي التابعين.
وعن ابن عمر رضي الله عنها قال: صلى الله عليه وسلم قام فقال: {أرأيت ليلتهم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى من هو على ظهر الأرض أحد} {الروم: 9}.

{هم أَنْتَ مِنْهُم بَطْشًا} أي: هذه القرنون الكثيرة، الذين أهلكناهم.
{هم أَنْتَ مِنْهُم بَطْشًا} أي: أشد قوة من كفار مكة، كما قال تعالى: {أَلَّا يَبْقَا فِي الْأَرْضِ نَابِئًا} {الذكر: 21}.
{وَعَمَّرُهُمَا أَسْتَخْبَرُوا مَنْ عَمَّرُوهَا} {الروم: 9}.
وقال تعالى: {وَمَا يَخْلُقُ الشَّيْطَانُ حَيَاتًا فَيُعْمَرُونَ} {النور: 28}.
{فَتَكْرُمُوا فِيهَا} {النور: 28}.
{وَمَا يَخْلُقُ الشَّيْطَانُ حَيَاتًا فَيُعْمَرُونَ} {النور: 28}.
{فَتَكْرُمُوا فِيهَا} {النور: 28}.

وقال تعالى عن قارون: {أَلَمْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ أَقَدْ أَهْلَكَهُ مِنْ قَبْلِهِ} {القصص: 8}.
{فَأَهْلَكْنا أَشْدَ مِنْهُم بَطْشًا وَمَعْنَى مَكْتُوب} {الأولاد: 8}.
{فَتَكْرُمُوا فِيهَا} {النور: 28}.

التنقيب: البحث عن شيء وطلب وابتخاذه، أي: فضبروا في...
الأرض وسأروا فيها طولاً وعراً، وهنا نحن يبحثون عن الرزق ويطلبونه أو يبحثون عن النجاة من هلاله ويطلبونها.

قال أمير القيس (1):

لقد تمّت في الأفاف حتى رضيت من الغنيمة بالإبواب.

هل من مجيب إلا الاستفهام معناه النبي، والمحيس: المفر والمهر. 

والمعنى: هل من مفر أو مهر كان له من قضاء الله وقدره وعقابه وهن فعفهم أو دفع عنهم ما عندهم من قوة، وما كان منهم من تكواف في البلاد وعمران لها وطلب للمهر والمهر من الهلال أي: أن ذلك لم يدفع عنهم ولم يدفع عنهم الهلال وعقاب الله لما كذبوا رسوله، فكذلك أنت يا كفار مكة أيضًا لا مفر لكم من قضاء الله وعقابه ولا مجد لكم، ولا مناص ولا محيس. قال تعالى: كُلُّ تَرَأَيْزِيَ إِذْ قُوِّيْتُمْ فَأَقْرِطُوا فَأَقْرِطُوا مِنْ مَكَانٍ قُرْطُبٍ [سَبِيل١۰]، وقال تعالى: أَلَئِنْ بَيَنُوا فِي الْأَرْضِ فَنَظَّرُوا كَفَّ كَانَ عِنْدَهُمْ يَأْتِيهِمْ دُمَرًا رَكَّزُوهُمْ وَلَكِنْ أَنْبَتُوهُمْ [الأنعام ۵۲۷].

وقال تعالى: فَكُلَّا أَخْدَمْتَنَّ يَزِيدْهُمْ فِي مَنْ آرَسَلَنَا عَلَيْهِمْ حَافِضًا وَيَتَهِمْنَهُمْ مَنْ أَخَذَّنَّهُمْ القَبِيحَةَ وَيَتَهِمْنَهُمْ نَبِيَّاً حَسَنَ بِلِفْضَلاً وَيَتَهِمْنَهُمْ مَنْ أَخَذَّنَّهُمْ آخَرَتَهُمْ وَهُمْ يَتَهِمُّونَهُمْ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَهُمْ [العنكبوت ۲۰۲]، وقال تعالى: فَيَرَوُوا إِلَى اللَّهِ مُؤَتِّمَهُمْ الْبَلََاغُ [الأنعام ۵۲۷].

وهذا قول: بشر القاتل بالقتل، والزاني بالفقر، ولو بعد حين) (2).

إِنَّهُ إِلَيْكَ أَحْتِكَرْتُ ۚ الْإِشَارَةُ إِلَاءِ الْهَالِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرُونِ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شَدَدٍ وبُطُشَ وَقُوَةٍ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ تَنْقِيبٍ فِي الْبَلَادِ.

والذكرى: العظيمة، والعبرة، أي: إن في هلال تلك القرون تذكرة وموعظة وعبرة، والسعيد من وعظ بغيره.

لَمْ يَلْهَجْنَ ۗ لَّا قُلُوبٍ، أي: لَمْ كَانَ لَهُ لُبٌ وَعَقْلٌ وَأَعَابُ يُعْقَبُ بِهِ، وَهَوَّ الْقَلِبْ.

(1) انظر (ديوانه) ص ۷۲ طبعة بروت والرواية فيه (وقد طوَف). 
(2) انظر: (كشف الحفاء) ۴/۲۸۶، «المقصود الحسناء» ص ۲۳۸. 
وعن الرحمن ﷺ تفسيّر القرآن ج: 21

والعقل الذي يتفق به صاحبه، والذّي هو مناط الدّمَح، لا القلب والعقل الذي هو مناط التكليف فقط، ولا يتفق به صاحبه، كما قال عز وجل: "كل في ذلك نمّ في نمّ" [الفجر: 95] أي: لذي عقل. وقال تعالى عن الكفراء: "ممّ قلوب لا يفقهون وهمّ أمّين لا يبصّرون بيه وهمّ فادحون لا يسمعون به، أتيه كالأضل بلههمّ أمّين، أو ليه همّ النّفّلّطور" [الأعراف: 179].

وقال عز وجل: "ومعنا لهمّ سمعا وأبصار وأفهادا فما أغلق عنهمّ سمعهمّ ولا أصبّهم ولا أخطىهمّ من شيء إذ كأنّا متعمدون فيّنتين الله وحاء يعمل ما كأنّا به باستهدافون" [الأنفال: 26].

"أو ألقى السّمع" "أو" بمعنى الواو، أي: ألقى السمع.

والإلقّاء السمع هو الإصغاء أي: ألقى سمعه، وأصغى واستمع الذكرى.

"وهوّ شهيد" أي: حاضر بجسمه وعقله، فسمعه بأذنيه، ووعاه وعقله، وفهمه بعقله وقلب وفطنه، وكان لذلك أثر على جوئه.

فاجتمع عنه القلب الذي هو مناط التكليف، فكان ذا قلب وعقل، وأنصت وألقى سمعه بشهود قلبه وعقله الذي يستفيد به، والذّي هو مناط الدّمَح والذمّ لأن وجود القلب والعقل ليس بكاف، ما لُكن القلب والعقل شاهدًا حاضرًا مستنفّعًا مستنفّعًا يظهر أثر ذلك على الجوارج.

ووهذا نجذ القرآن الكريم بثبت العقل للمؤمنين المتّقين لانتقاعهم به، وأينه عن الكفار المكذبين- كَما في الآيات السابقة وغيرها- لعدم انتقاعهم به، وهذا ما يوجب على الإنسان أن يحضر قلبك وعقله عند قراءة أو سياح الآيات القرآنية، ويتدرك فيها، كما قال عز وجل: "كذب أُرْثُكِ إِلّا أَتّكَ مِنْهُ لَا يَكْفُوُكَ أَوْلُوا الْأَلَّثِينَ" [ص: 29].

وقال عز وجل: "أَقَلْتُ يَتَبَيَّنُوا لِلسَّوْءِ مَرَّةً قَالَوُاَ أَقَلَّمُوا أَقَلَّمُوا" [محمد: 24].

فبالتدبر في آيات الله الشرعية والتأمل والتفكير في آياته الكونية يحصل الانتقاع والفائدة، وبدونه لا يحصل شيء من ذلك، وهذا قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه ينبغي أن يكون عليه الداعي: "ادعوا الله وأنتم موظمون بالإجابة، وأعلموا أن
الله لا يستجيب دعاءٍ من قلب غافلٍ لأو لاإلهٍ! (1)
وقال ابن القيم (2) في كلامه على قوله تعالى: "إني في ذلك لأحدثن لمن كان له قلبٍ أو آلهٍ أعلمّ وقضشّد: "فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من كون أن العلم، وكيف تفتح مراوعاته للعبد أبواب العلم والهدى، وكيف ينطق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراوعاتها، فإنما سيحن له أن يدبروا آياته الملتزمة المسموعة، والمرئية المشهودة بها تكون تذكرةً لمن كان له قلب، فإن من عدم القلب الوعي عن الله أن ينتفع بكل آية تمر عليه، ولو مرت به كل آية، ومرور الآيات عليه كطوله الشمس والقمر والنجوم ومرورها على من لا بصر له، فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصري إذا مرت به المرئيات فإنه يراها ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين:
أحدهما: أن يحضره ويشهد لما يلقى إليه، فإن كان غالبًا عنه مسافراً في الأمان والشهوات والخيالات لا ينتفع به، فإذا أحضره وشهد له ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي إلى بكلته إلى ما يوضو له ويرشد إليه، وهكذا ثلاثة أمور:
أحدها: سلامة القلب وصحة وقبوله.
الثاني: إحضاره وجمعه ومنعه من السوء والحرف.
الثالث: إلقاؤه السمع وإصغاؤه والإقبال على الذكر.
فذكر الله تعالى الأمور الثلاثة في هذه الآية.
وقال أيضاً (3):
وجاء العطاف بـ "أو” - والله أعلم - دون الواو للإشارة إلى أن المتفق بالآيات من الناس نوعان:
أحدهما: ذو القلب الوعي الذي يكتفي بهدأته في أدمنه تنبهه؛ لأن قلبه وأعذكي وهذه حال أكمل الخلق، كما قال تعالى في وصفهم: "وَيَرَىٰ أَلَّذِينَ أُوْثَنُ أَلِيُّمَ آَلِيَةً".

(1) أخرجه الترمذي في الدعوات ٤٤٧٩ وقال: "حديث غريب".
(2) انظر (بداائع التفسير) ٤/٢٠٣.
(3) انظر (بدايات التفسير) ٤/١٩١، ١٩٢، ٢٠٠٦، ٢٠٠٩، ٢٠١٢.
أ rêve إياك من رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ [سبأ: 12]، وقال تعالى: "لَا يَضُرُّ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنَ الْأَمْرِ [النور: 25]". فهؤلاء يدعون بالحكم، تُرِقُّوا من علم اليقين إلى عين اليقين، ومن مقام الإنسان إلى مقام الإنسان.

والثاني: من ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه هدى أصغر إليه بسمه واحضر قلبه وجمع فكرته عليه، وعلم صحته وحسن بنظره واستدلاله. وهذه طريقة أكثر المستجبين، فهؤلاء يدعون بالوعظ الحسنة، وهم في مقام الإنسان ولم يصلوا إلى مقام الإنسان، عندهم علم اليقين، ولم يصلوا إلى عين اليقين. فمن كان ذا قلب واع، وأصغى بسمبه وأماله كله نحو المخاطب، وأحضر قلبه وذهنه عند المتكلم اتفع بالذكرى، فإن فقد واحداً من هذه الثلاثة لم يتفع.

قوله تعالى: "وَلَا يَضُرُّ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنَ الْأَمْرِ [النور: 25]".

ولقد خلقنا السَّمَوَاتِ ۚ وَالأَرْضَ ۚ وَمَا بَتَّهَا فِي سَبِيلِ آبَابِ ۗ وَمَا مَسَّهَا مِنْ تَحْيَىٰۡ [طه: 88]所说。

قوله: "وَلَا يَضُرُّ لَهُمْ شَيْءٌ مِّنَ الْأَمْرِ [النور: 25]".

ولقد خلقنا السَّمَوَاتِ ۚ وَالأَرْضَ ۚ وَمَا بَتَّهَا فِي سَبِيلِ آبَابِ ۗ الوَالِدُ لِلسَّتِّينِ، وَلِلنَّاسِ، وَلِلْقَاسِمِ، وَمُقَدِّمِ الْقُدُورِ، وَلَهُمْ مَا خَلَقْنَا فِيهَا مِنْ سَائِرِ الدُّنْيَا، وَمَا بَيْنَهَا من سَائِرِ الْمَخْلُوْقَاتِ، فِي سَبِيلِ آبَابِ ۖ أَيَّ: فِي مَنْهَةِ سَبْعٍ أَيَّامٍ مِّنْ مِّلْيُونٍ أَيَّامٍ مِّنْ الدُّنْيَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أُولَٰئِكَ الْأَهْلِ بَيْنَ الْبَيْنِينَ، وَلله خَاطِبُ البَيْتِ بَيْنَ يَدَيْهِ [السَّمَرَاء: 59].


وُلِّكُنَّ فِيّكُونُ [يس: 28].

لكنه عز وجل جعل خلق الأشياء أسباباً ومقدمات تتكامل شيئاً فشيئاً حتى تنم كا جعل عز وجل خلق الإنسان أطواراً، كأ قال نوح عليه السلام لقومه - فتحاك الله عنه: "وَقَدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَارًا [بِنَجْ: 13]". 14.
وقد قيل: إن من الحكمة في ذلك أن يعلم عباده الآثاءة في الأمور، وأن المهم فيها
الإرث لا الاستعلج.

وَمَا مَسَّا ٍ بِنَّ لُؤْبٍ ّ عِنْ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيُ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «جَاءَ الْيَهُودَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.» فقَالُوا: يا مُحَمَّدٌ أَخْبِرْنَا مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ السُّبْعَةِ؟ قَالَ: «خَلَقَ النَّارَ الْأَرْضَ يَوْمَ الْحَيْثَانِ وَالْأَرْضَ يَوْمَ الْعَشِيْبَةِ وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الْعَشِيْبَةِ وَخَلَقَ السُّمَوَاتِ وَالْمَلَائِكَةَ يَوْمَ الخَمِسُ إِلَى
رِئَاءِ الْأَرْضِ» أَوْلِيَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ الْعَشِيْبَةِ واِلْأَهْمَارُ وَعَمْرِهَا وَخَرَابٌ يَوْمَ الْأَرْبعَاءِ وَخَلَقَ السُّمَوَاتِ وَالْمَلَائِكَةَ يَوْمَ الخَمِيسِ إِلَى
رِئَاءِ الْأَرْضِ» أَوْلِيَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ الْعَشِيْبَةِ. (1)

وَأَنْزَلَ اللَّهُ: «وَمَا مَسَّا ٍ بِنَّ لُؤْبٍ ّ صَرِّخَانِى مَا يُثَكِّرُونَ».

وَقَالَ قَنَاهُ: قَالَتِ الْيَهُودُ- عِلْمِهِ عَلَائِئِنَّ اللَّهُ- خَلَقَ اللَّهُ السُّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سَتَةِ أَيَامٍ، ثُمَّ عَسِرُهَا فِي يَوْمِ الْإِلَهَةِ، وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتُ، وَهُوَ يَوْمُ الْرَّاحِةُ
أَنْزَلَ اللَّهُ تَكْذِيبَهُمْ فِي جَلَّ الْخَلْقِ وَتَأْوِلُوهُ [وَمَا مَسَّا ٍ بِنَّ لُؤْبٍ ّ]
وَلَمْ يَأْتِيَنَّهُمْ بِفَوْضُدٍ يَقُدرُونَ عَلَى أَن يَمْعِدُوا الْخَلْقِ بِحْيَانِى عَلَى رَبِّي مَّعْنَىٰ (٣٣) (الْبَحُورِ: ١٤٩).

وَقَالَ تَعَالَى: «خَلَقَ الْخَلْقَاتِ وَالْأَرْضَ أَسْتَثْنَى مِنْ خَلْقِ النَّاَسِ» (غَافِر: ٧٦)، وَقَالَ
تَعَالَى: «أَنْتَ أَمَّسَحُ ْهَا لِأَنْتَ أَشْتَغَلَ بِهَا» (الْمِلْكِ: ٢٧).

(1) أَخَرَجَهَا الطَّبِيرِيُّ فِي (جَامِعِ الْبِيْانِ) ٢١/٤٦٥-٤٦٧. ٤٧٤
قال في الآية الأخرى (وأصر على ما يقولون واهجهم جبرًا جليلًا) (النمل: 10)، وقال تعالى: (كأصبر كصابرأ ولؤلؤ مسيس وعظام واستجلFFFFFFFFFFFFقل) (الأنفال: 35).
وقال ابن النجم: (أمر نبه بالتأمي بمثابة السباحة بالصرف على ما يقوله أعداؤه فيه، كما أنه سباحته صبر على قول اليهود أنه استراح. ولا أحد أصر على أدي يسمع منه).
وفي الحديث: (لا أحد أصبر على أدي يسمع منه الله، إنهم يجعلون الله نذاء، ويجعلون له ولدًا، وهو يرزقهم ويعافيهم).
وفي أمره بالصرح على المعاندين ثبت لقلبه وترويضه، فإن الصبر نصف الإيان، وهو من الإيان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو يتضمن أمرين، عدم التضجر ما يقوله المكذبون من قومه، والمضي قدمًا في سبيل الدعوة وعدم المبالاة بها يقولون. وهكذا ينبغي أن يعي الدعاة والمصلحون هذا المعنى، فإن طريق الدعوة ليس مفروشًا بالورود والرياحين، بل هو طريق شاق يحتاج إلى الصبر والمصابة والمرابطة، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصبروا ورايتوا وأنغوا الله تعلمكم) (التلحم: 1) (آل عمران: 200).
ونيل الإمامة يحتاج إلى صبر وجهد وتضحية قال تعالى: (وجعلنا منكم أيمنًا يهديها) (البقرة: 24).
ثم أمره عز وجل، يا بنى على الصبر على قولهم وهو الإقبال على الله - عز وجل - وتسويحه وعبادته، فقال:
(وسيطح وسحاب يرقد على طول ألسنين وقيل أفروض) التسبيح: معناه تنزيه الله عن النقائض والعيوب، وعن مثالي الخلقين. و(الحمد): وصف المحمود بصفات الكمال مع الحب والتعظيم.
ومعنى الآية: سبح ربك ونسبه متشابهًا بحماه، أي: قارنا بين تسبيحه وحده، كما

(1) انظر (بدائع التفسير) 4/212، 210.
(2) أفخره البخاري في الآداب 99، وسلج في صفة القيامة 280، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
(3) وَقَدْ رَأَى هَذَا عِنْ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: (التفسير الجامع) ص 512.
في دعاء الركوع والسجود: «سبحانك اللهم ربا وحمدك»(1).
وكما في الأذكار بعد الصلوات: «سبحان الله والحمد لله واللهم أكبر»(2).
ومن تسبيح الله عز وجل بالمعنى العام وحمد عبادته بأنواع العبادة كلها.
ومن ذلك: صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاة العصر قبل غروبها.

عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أما إنكم سترون رجوم، كأ ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها- يعني صلاة العصر والفجر- ثم قرأ: (َوَسَيَّرَىٰ رَبِّكَ فَبِطْلُوْعِ الْيَمِينِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)» (ط: 130)(3).
وقال: (من صلى البردين دخل الجنة)»(4).
ومن آليته فنَّسَحُهُ وآذَبَرَ الْشَّجَرُ» قرأ نافع وأبو جعفر، وابن كثير وحة وخلف:
(5) وإدبار السجود بعكس الهمزة، وقرأ الباقون: (وآذَبَرَ الْشَّجَرُ) بفتحها.

ومعنى (ومن آليته فنَّسَحُهُ) أي: صل له، وبدخل فيه صلاة المغرب والعشاء، والتهجود، كما قال تعالى: (وَمِنْ آَلِيَةِ فَنُحِجَّدُ يِهْوَاهُ نَعْبُدْنَآى) (الإسراء: 67).

وأطلق على الصلاة التسبح؛ لأن التسبح من أهم ما يقال فيها.

وأيضًا فإن التسبح يطلق على ما هو أعم من ذلك وهو تنزهه سبحانه عن

(1) أخرج البخاري في الأذان 817، ومسلم في الصلاة 484، وأبو داود في الصلاة 87، والنسائي في التطبق 471، وأبو ماجه في إقامة الصلاة 889.
(2) سبأني خرجه قرطب.
(3) أخرج البخاري في مواقيت الصلاة 554، ومسلم في المساجد - فضل صلاة الصبح والعصر والمساجد عليهما 243، وأبو داود في السنة - باب في الروية 4729، والترمذي في أبواب صفة الجنة - ما جاء في رؤية الرب بارك وتعالى 2551، وأبو ماجه في المقدمة - باب فيها أنكرت الجهيمة 177، وأحمد 8/4 366.
(4) أخرج البخاري في مواقيت الصلاة 574، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة 630، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
النقائص والعيوب، والعبودية والانقياد له عز وجل، كما قال تعالى: "وَإِن يَنْمَىٰ مَّنّىٰ إِلَّا يُسَبِّبُ هُمُّهَا، "[الإسراء: 44]. وقال تعالى: "إِنّمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ رَحْمَةٍ عَبْدُهُ" [مريم: 93].

وقيام الليل من أفضل الأعمال وقد أثنى الله عز وجل على أهل قيام الليل في آيات عديدة قال تعالى في مدح المتقين: "كَانُوا قَبِيلًا مَّن آيَاتِنَا مَا يَبْلُغُونَ" [الباراق: 17] و"وَلَأَرْضَاهُمْ مَا يَصْبِحُونَ" [النور: 18]. وقال تعالى: "عَدَّلَيْنِ امْتِلَأَنِّي وَأَطْرَقُوهُمْ وَغَيْرِهِ مَن يَذْهَبُ عَن حَيَاةِ الْآخِرَةِ وَيَذْهَبُونَ" [السورة: 12، 110] .

وقال تعالى: "أَلَا إِنَّمَا هُوَ قُلُوبُ هُمُّهَا وَجَهْرُهُمْ وَكَيْفَ يَفْتَنُونَهُمْ وَمَعَهُمْ رَزْقٌ مِّن مَا يَجْعَلُوهُ" [الأنعام: 40]. وقال تعالى: "فَاذْهَبُوا فِي نَفْسِكُمْ مَا أَحْصَفْهُمْ مِّن فَوْضَعَ اعْمَلُوا يَسِيرَونَ" [المؤمنون: 71].

وقال تعالى: "وَمَا يَسِيرُونَ" [النحل: 132].

والمقصود: "أَمَّنَّ اثْنَيْنِ أَنْ يَضْرِبُوا وَالَّذِينَ لَا يُضْرِبُونَ" [الأحزاب: 9].

وقال الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل» فكان ابن عمر بعد هذا لا ينام من الليل إلا قليلًا«[1].

وفي رواية من عبد الله بن عمر عن الامام رضي الله عنهما قال، قال في رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[2].

وقد قام ﷺ حتى تفطرت قدماه[3].

وسألت عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: «ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره، على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا، فلا

---

(1) أخرج البخاري في التوبة 1510، ومسلم في فضائل الصحابة 4527، وابن ماجه في تعمير الرؤيا 3919.
(2) أخرج البخاري في الجماعة 1152، ومسلم في الصيام 1159.
(3) أخرج البخاري في التفسير 4836 من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه -، ومن حدث عائشة - رضي الله عنها - 4837.
تسل عن حسنن وطوفن، ثم يصل له أربعًا فلا تسل عن حسنن وطوفن، ثم يصل
ثلاثًا (1).
ولم يترك قيام الليل لا حضرة ولا سفرًا، وكان إذا غلبه نوم أو وقع صل من
النهار الثاني عشرة ركعة (2).
(3) أخرجه البخاري في صلاة التراويح 1341، وأبو داود في الصلاة
1697، والترمذي في الصلاة 324، 325.
(2) انظر: زراعة المعاذ 1/ 473، 476.
(3) أخرجه الطبري في (جامع البيان) 216/ 21.
(4) أخرجه البخاري في الأذان-باب الذكر بعد الصلاة 843، ومسلم في المساجد-باب استحبذ الذكر
بعد الصلاة وبيان صفت به 595، وأبو داود في الصلاة 160.
(1) وآذن التاجوري، أذان الشيء ما يأتي بعده، أي: وسبحه أداب السجود، أي:
بعده.
وختلف في المراد بذلك، فقال ابن عباس رضي الله عنها: التسبيح بعد
الصلاة (3) فحمل السجود على الصلاة.
ويؤيد هذا ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول
الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدروجات العلى والنعم المقيم. فقال: «وما ذاك؟»
cالوا: صلى يوم نصلي، وصوموا يصوم، ويصقرون ولا يتصدحون، ويعتقون ولا
نعتق. فقال رسول الله ﷺ: «أفنآ أعلمكم شيئًا تذكرون به من سبقكم، وتسبرون به من
بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بل يا رسول
الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحملون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة». فرجع فقراء
المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخوانا أهل الأمور بها فعلنا ففعلنا مثله:
قال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» (4).
(5) وروى عن ابن عباس رضي الله عنها أن المراد بـ «أداب السجود»: الوتر.
وروى عن جمع من الصحابة والتابعين أن المراد بـ «أداب السجود»: الركعتان بعد

(1) أخرجه البخاري في صلاة التراويح 1341، وأبو داود في الصلاة 1697، والترمذي في الصلاة 329، 324.
(2) انظر: زراعة المعاذ 1/ 473.
(3) أخرجه الطبري في (جامع البيان) 216/ 21.
(4) أخرجه البخاري في الأذان-باب الذكر بعد الصلاة 843، ومسلم في المساجد-باب استحبذ الذكر
بعد الصلاة وبيان صفت به 595، وأبو داود في الصلاة 160.
กองทุนการศึกษา

وعند القولان فيها نظر: لأن الوتر وصلاة الليل كلها تدخل تحت قوله: «ومن
أَيْلُ الْقُسْطَسَاءِ».

وكان القول بأن المراد به الركعتان بعد المغرب تخصيص بلا دليل.
والذي يدل عليه ظاهر الآية هو القول الأول، وأن المراد بقوله: «وَأَذْبَرْ الْشَجَوِّ»:
التسبيح والذكر قبل الصلوات الخمس، ويشمل ذلك - والله أعلم- الرواتب بعد
الصلاة - مع الأذكار، قال تعالى: «إِذَا قَضِيَتْ أَصْلَحَةٌ فَأَدْخُلُوا مَا
مَنَعَهُ الْخَيْرُانِ وَقَرَءُوا وَجَابَتْ» (النساء: 31). وقد جاءت السنة النبوية ببيان هذه الأذكار المشروعة عقب الصلوات الخمس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في نزول كل صلاة
ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون.
وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وله الملك، وله الحمد، وهو على كل
شيء قدير، غفرت خطآً، وإن كانت مثل زبد البحر»(1).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ: إذا انصرف من صلاته,
استغفّر ثلاثاً، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك ذا الجلال والإكرام» قال
الوليد - أحد الرواة عن الأوزاعي، فقالت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول:
«استغفر الله، استغفر الله»(2).

وعن المغيرة بن شعبة أنه أملى في كتاب إلى معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان
يقول دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد،
وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا

(1) انظر (جامع البيان) 21/ 469 - 473.
(2) آخرجه مسلم في المساجد ومواقع الصلاة 597.
(3) آخرجه مسلم في المساجد 591، وأبو داود في الصلاة 1513، والترمذي في الصلاة 300، وأبان ماجه في
 إناء الصلاة: 928.
الجد منك الجد»(1).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه: «أنه كان يقول دير كل صلاته حين يسلم: لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا تعود إلا إياه، له النعمة، له الفضل، له الثناء
الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون» وقال: كان رسول الله

يجلب بين دير كل صلاة»(2).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «إذا
لزمت مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين، وكبري ثلاثاً وثلاثين، وأحمدي أربعًا
وثلاثين، فذلك مائة، فهو خير لك من الحداد. وإذا صليت الصبح فقولي: لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، له الملك، له الحمد، يحيى ويحيى. يحيى الغد، وهو على كل شيء
قدير. عشر مرات، بعد صلاة الصبح، وعشرين مرات بعد صلاة المغرب» الحديث
(3).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أوصيك يا معاذ لا
تدعن دير كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(4).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات
دير كل صلاة»(5).

وعن أبي أامارة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسي دير كل
صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»(6).

---

(1) أخرج البخاري في الأذان 844، ومسلم في المساجد 593، وأبو داود في الصلاة 1505، والنسائي في
السهو 1341.
(2) أخرج مسلم في المساجد ومواقع الصلاة 594، وأبو داود في الصلاة 1506، والنسائي في السهو
1339.
(3) أخرج أحمد 4/272.
(4) أخرج أبو داود في الصلاة 1522، والنسائي في الافتتاح 1304.
(5) أخرج أبو داود في الصلاة 1523، والنسائي في السهو 1336، والترمذي في فضائل القرآن 2903،
وقال (حديث غريب) وأحمد 4/155.
(6) أخرج النسائي، وصححه الألباني في (تفسير المشكاة) 974.
عَن الرَّحْمَنِ ۖ يَتَفَسِّرُ الْقُرْآنُ، جُ ۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛۛ۴

إِلَى غَيْرِ ذِكْرٍ مِّنَ الأَذْكَارِ الْخَاصَّةِ وَالعَالَمِ.
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذًا قَضَّيْتُمُ الْقَوْلَۖ أَفَلَا تُؤْنِيُّوا وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَمْرٌ﴾ (النساء: 11).

وَقَدْ أَتَى النَّارُ عَلَى الْذَّابِنِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّادَكِرُونَ عَمَّا ثُمَّ عَمَا، فِي قُوْلِهِ تَعَالَى:
﴾إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْعَلَمَةُ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ أَنَّىٰ عِبَادَهُ، أَفَلَا تُؤْنِيُّوا وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَمْرٌ﴾ (الأحزاب: 31).﴾

وَعِنَّ عِبَادَ اللَّهِ بِنْ بَسِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا فَقَالَ: يَا رَسُولُ اللَّهِ أَيْنَ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ؟
فَكَرِئُتْ عَلَىٰ فًأَخِرِنِي بِشَيْءٍ أَشْتَهَبُ بِهِ فَقَالَ: ﴿لَا يَزَالُ لِسَانِكَ رَبْطًا مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (القصص: 37).

وَعِنَّ أَبِي هِرَيْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿قَالَ ﴿كَلَّمَتُ خَفْيَانَ عَلَى الْلَّسَانِ، ثُمَّ قَالَ﴾ (الأنفال: 23).

وَعِنَّ سَمِرَةَ بِنْ جَنِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: يَا رَسُولُ اللَّهِ ﴿أَحْبَبَ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، سَبِحَانَ اللَّهِ وَخَمْدَهُ، سَبِحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: 23).

وَقَالَ ﴿الْبَقَائِاتِ الصَّالِحَاتِ، سَبِحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لَهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَنَّهُ أَكْبَرَ﴾ (الأنفال: 24).

وَقَدَ قَالَ اللَّهُ ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حَمْرٌ﴾ (الكهف: 46).

وَقَالَ ﴿أَفَضَلَ الْكَلَامَ أَوْ خَيْرَ الْكَلَامِ سَبِحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لَهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَنَّهُ أَكْبَرَ﴾ (النحل: 11).

(1) أَخْرَجَهُ سَعدُ الدَّهْشُوِّيُّ فِي الْدُّعُوَاتِ ۳۷۳، وَأَبِنَ مَاجِهِ فِي الْأَدْبِ ۳۷۴.
(2) أَخْرَجَهُ البَخْرَيُّ فِي الْدُّعُوَاتِ ۶۴۰، وَسَعِيدُ الْبَخْرَيُّ فِي الْدُّعُوَاتِ ۳۷۵، وَأَبِنَ مَاجِهِ فِي الْأَدْبِ ۳۷۶.
(3) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ الْبَخْرَيُّ فِي الْدُّعُوَاتِ ۱۳۷.
(4) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ۱/۷۱، مِّنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ عِنْدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْ حَدِيثِ التَّعْمِانِ بِنْ بِشْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ۴/۲۶۲.
(5) أَخْرَجَهُ البَخْرَيُّ مَعَالًا بِصِيَاغَةِ الجَزِيرَةِ فِي الْأَيَاكِيْلَ وَالْاَلْدُّوْرِ، بَابِ إِذَا قَالَ اللَّهُ لَا أَنْكَلُمُ الْبَيْتِ، قَالَ: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَنَّهُ أَكْبَرَ﴾ (مُحَدِّثُ البَارِيِّ) ۱۱/۵۳۶.
قال تعالى: "ألَّا أَقُولُ سَبِيعَانِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ للَّهِ وَلَا إِلَى اللَّهِ أَحْبَابٌ (1)
ما طلعت عليه الشمس".

ولا كان ذكر الله عز وجل وشكره ونسبيحة وحده أكبر معين على ثبات القلب وطمأنتني ورباطة الجأش، وإشراحا الصدر، أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بذلك بعد ما أمره بالصبر على ما يقوله المكذبون من قومه فقال عز وجل: "أَصْبِحْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وُسْبِحْ يُصَدِّقُ رَبِّي كَلَّا لَّيْلَةٍ وَلَا نَهَارٍ وَمِنَ الْأَيَّامِ مُسَبِّحًا وَأَذَّنَّندَنَا الشَّجَدُ".

فانتبه أخي الكريم هذا المعنى قال تعالى: "لَا يَجْعَلُ الْمَكْرُ أَمَّامًا وَلَا يَضْلِعَ الْظُّلُمَّاتِ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَحْسَبُ الْمُكَذِّبِينَ الْقُوُّرَبٌ" (الرعد: 28).

الفوائد والأحكام:

1- تخويف المكذبين بإهلاك كثير من القرؤن قبلهم مع قومهم وشدة بطشهم وضربهم في الأرض، فلم ينفعهم ذلك، ولم يفلتوا من عذاب الله؛ لقوله تعالى: "وَكَمْ أُهْلِكَ مِنْ قَرْوَاتِهِمْ فَنَفَّذُوهَا فِي الْبَيْتِ حَتَّى نَحْيَهَا".

2- أن في التأمل فيها أوسع الله في المكذبين من الأمم سابقة من العقوبات -مع شدة بطشهم- أعظم الموعدة من استمع بحضور قلب؛ لقوله تعالى: "إِنَّ مَعِيْنٌ لَّيْكَ لَا تَكُنْ أُوْلَى الْمَلَائِكَةِ وَلَا أَشْهَدَ".

3- يجب إحضار القلب عند قراءة القرآن وسبع مواضعه، والتذب في ذلك لنحصل الذكرى والمنفعة.

4- إثبات كمال قدرا الله - عز وجل - في خلق السماوات والأرض وما بينها في ستة أيام وتوقيف الماء ونفي اللغوب عنه، والرد على اليهود في زعمهم الباطل لعنهم الله؛ لقوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الطَّيْرَينَ وَاللَّهِ وَمَا أَضْلَعْتُمُّمَا فِي سَيْفِ أَيَامِ وَمَا مُسْتَهِمْنَا مِنْ لُغُوبٍ (6)

5- تقوية قلب الرسول ﷺ وعزميته بأمره عز وجل له بالصبر على ما يقول المكذبون من ذمه وتكذيبه فيها جاء به. وأمره له بتسبيحه وحده؛ لقوله تعالى:

أخرجه مسلم في الجهر والدعاء والنوبة والاستغفار، 2695، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (1)
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج1

۷۴

۶- إثبات ربوبية الله - عز وجل - الخاصة لنبيه وتشريفه بخطابه عز وجل، وإضافة اسمه عز وجل إلى صمته؛ لقوله تعالى: وَسِيَّىٰ يَحْمِدُ رَبِّكَ قَبْلَ طِلْعِ الْشَّمَـسِ وَقَبْلَ الْغَرْبِ.

۷- وجوب تسبيح الله - عز وجل - بأداء الصلوات المفروضة، واستجاب الإكثار من النوافل وقيام الليل والأذكار العامة، والذكر بعد الصلوات، وأن ذلك أعظم معين على الصبر على أذى الأعداء; لقوله تعالى: وَسِيَّىٰ يَحْمِدُ رَبِّكَ قَبْلَ طِلْعِ الْشَّمَـسِ وَقَبْلَ الْغَرْبِ

۸- أن التخلية قبل التحلية، فالسبح بنزيه الله تعالى عن النقص ومماثلة المخلوقين، مقدَّم على إثبات الكمال بالحمد والعظيم بالعبادة.

۹- فضل هذين الوقتين: ما قبل طلوع الشمس، وما قبل غروبها.

۱۰- فضل قيام الليل، وفضل التسبيح والذكر بعد الصلوات.

* * *
سورة ق، الآيات: 41 – 45

قال الله تعالى: "أَفَأَتَبَيَّنُوا الْقَوْلَ الْحَقِيْقَةَ وَالْأَنْبَاءَ؟ إِنَّا نَبَيِّنُهُ لِلْمُنِيَّينَ وَنَبِيِّنُهُ لِلْمُتَّقِينَ إِنَّهُمْ ثُمَّ كَبَّارُ الْأَمْرَرَ وَأَخْرَجُوا الْكَفَّارَ مِنْ بَيْتِهِمْ فَخَافُوا وَعَيْدٌ".

أكد عز وجل في الآيات السابقة وعهد المكذبين بذكرما حل بين ما كان قبلهم من العقوبات الدنيوية ثم أتبع ذلك بذكرما ينظرهم من العقوبات الأخرى تخفيفاً وتحذيراً لهم، وتسليم للنبيّ. أما أنه بالاستمرار بالذكير بالقرآن لم يخف وعبيد الله وعذابه.

وقوله: "وَأَتَبَيَّنُوا الْقَوْلَ الْحَقِيْقَةَ وَالْأَنْبَاءَ"، أي: واستمع يا محمد، يوم ينادي المنادي: وهو إسرائيل عليه السلام بالتفخ في الصور يوم القيام للبعث، وهي النبحة الثانية.

وفي قوله: "وَأَتَبَيَّنُوا الْقَوْلَ الْحَقِيْقَةَ وَالْأَنْبَاءَ"، إنها آتية وكل آت قريب.

وقال عز وجل: "إِنَّهُمْ ثُمَّ كَبَّارُ الْأَمْرَرَ وَأَخْرَجُوا الْكَفَّارَ مِنْ بَيْتِهِمْ فَخَافُوا وَعَيْدٌ".  

"إِنَّا نَبَيِّنُهُ لِلْمُنِيَّينَ وَنَبِيِّنُهُ لِلْمُتَّقِينَ" الصححة: الصور الشديد المرتفع، وهي النبحة الثانية.

في الصور وهي الودعة كما قال تعالى: "وَأَتَبَيَّنُوا الْقَوْلَ الْحَقِيْقَةَ وَالْأَنْبَاءَ" [النساء: 71].

فالراجفة: النبحة الأولى في الصور؛ ليموت كل حي من المخلوقات إلا من شاء الله، والرادفة: النبحة الثانية للبعث بعد الموت، وعود الأرواح إلى أجسادها.

"وَأَتَبَيَّنُوا الْقَوْلَ الْحَقِيْقَةَ وَالْأَنْبَاءَ"، أي: الصححة المحققة الوقع، والتي تأتي بالحق الذي وعدوا به وهي البعث الذي كان أكثرهم فيه يمرون.

ذَلِكَ يَوْمُ الْقُيَامَةِ"، ذالك، أي: يوم نداء المنادي بالبعث وهو يوم الخروج من القبور والاجداد كما قال عز وجل: "وَيَقُولُنَّ فِي الْمَيْتِ يَا هُمَّ مِنْ الْآجَمَارِ إِلَى رَبِّهِمْ يَسِيرُونَ" [البقرة: 51]، وقال تعالى: "وَيَقُولُنَّ فِي الْمَيْتِ قُسِّمُونَ" [النور: 28]، وقال تعالى: "حَسَّنَا (1) أخرجه البخاري في الرقائق 5005، وأبو ماجه في الفتح 4040، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(1)
بعن الرحمن يفسر القرآن، ج. 21

تقول عز وجل عن نفسه بصيغة العظماء: "إنا خلقتم نعيم، ون difíc" أي: بهذا الإيحاء والإماتة; أي: إنه عز وجل هو الذي يحي ويحي، فهو الذي بدأ الخلق وهو الذي يعيد سبحانه وتعالى، وهو الذي ينفخ الحياة في الأجساد، وهو الذي يميهم، كما قال تعالى: "لَيْتَنَا أَحْسَنَ كُلّ تَوْهٍ خَلْقًا. وَيَبْدَأ لَخَلْقِ الْإِنْسانِ مِن طِينٍ فَتْرَاهُم مَّسَحْعاً مِّن قَآوٍ مَّهَيِّنٍ" [السجدة 7-9]، وقال تعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن طَينٍ مَّوْجَعٍ" [النحل 70].

وَإِلَيْنَا تَوْفِيقُ السَّمِيعِ، أي: ولينا وحدنا مصير الخلقان، ومرجعهم ومردهم فتحاسمهم على أفعالهم، ونجازي كلًا منهم بما عمل، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

فمهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة فإن الله له بالمرصاد، ومرده ومرجعه إليه، ولن يعجزه هري، فالطريق إليه وحده، والطرق إلى غيره مسدودة، قال تعالى: "مَا كَانَ لَرَبِّكُمَا إِلَّا ابْتِغَاهُ وَلَكُمَا كَفَّارٌ مُّقْلِدٌ" [الإنسانية 16]، وقال تعالى: "إِنَّ رَبِّكَ لَيْقَامُ عَلَى النَّجْمِ السَّمِيعِ" [النور 141].

تقول عز وجل عن الأرض: "يَمَّ نَقْفُ الأَرْضَ عَنْهُم بِرَيَاكَا"، أي: يوم تشقق الأرض عن أجسادهم للخروج من الأجداد يوم القيامة، كما تشقق عن الحب والحب.

قال فيها رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: "أنى سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" (1).

(1) أخرج مسلم في الفضائل - باب تفضيل نبينا عليه السلام على جميع الخلق.
قال ابن كثير (1): "وذلك أن الله تعالى ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلق في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرائيل فينفخ في الصور.


"ذلك حسن عليه تبدير": الحشر: هو الجمع للحساب أي: إخراجهم من القبور وجعهم للحساب أمر يسير علينا؛ لأنه عز وجل لا يعجزه شيء، كما قال عز وجل: "إن سكنات إلّا صاحبة وجدتها فإذا هم جميع لدينا محضرون" [يس: 33]، وقال تعالى:

"إنه فِي رَحْمَةٍ وَجَدَّةٍ" أُرِءِيَتَهُمْ أَلَّا يُؤْمِرُونَ [النوازير: 13، 14]. [النوازير: 13، 14]

وقال تعالى: "ما خلقكم ولا بَسَّمِكم إلّا حسنات وجدة" إن الله جَمِيعُ بصير" [القصص: 88]، وقال تعالى: "إمّا فَرَآنا لَقَى" أو "إذا أدركنا أن نقول له鏡: لن يُفْكَ ؕ[النحل: 40]، وقال تعالى: "وما أُمِرُونَ إلّا وجدة كِتَابَ يَبْصِرُ" [القمر: 50].

"هَبْتُم مَّاءً يَبْيَضُونَ يَقُولُ الله عز وجل مخاطبًا نبيه وسلملي له ومؤبدًا: "وَمَتَعَدَّى الْمَكْتَبِيِّنَ: نَحْنُ أَعْرَضَنَا لَكَ وتَمُّنَّا كَأنَّكَ تَضْلِيقٌ صَدَأَكُم بَايِّسَ يَقُولُونَ يَفْسَح، يَمْعَرُ وَكَنْ مِنَ السَّابِحِينَ وَأَعْتُبُ رَبك حَتَّى يَأْيُبَكَ الْيَمِينَ" [الحجر: 97-99].

فَقَدْ كَانَهُمْ بَأْيِهِمْ وَأَمِينَ كَثِيرٌ نَّمَّا قُومُهُمْ بِكَلَّهُمْ وأَهَلِ الرَّأيِ فيهم، بل من أقاربه وأعهَمِهِنَّ كَأَبِي جَهَلِي وأُبِي هَبَ، ورمي بالسحر والشعر والكِهَانَةِ وَالجَنُونَ، وَمَا ثُمَّنَهُمْ عَنِ الدَّعُوتِ بِلِفِي سَبِير وَصَابِر، كَانَ يَقُولُ:
رب اغفر لقومي فإنه لا يعلمون» (1).

قال ابن القيم: «أخبر سبحن أنه عالم بما يقول أعداؤه، وذلك يتضمن جزائه.

هم يقومهم إذ لم يخف عليهم، وهو سبحانه يذكر علنه وقدرته لتحقيق الجزاء.

»وما أن تعلوهِ يتباهِ?, أي: وما أنت عليهم بمحاربته على الهدى وتلزمهم به\n
وإنما مهتمتك البلاغ فقط، كما قال عز وجل: "أن جنَّةٌ إلا ألبَّنَتْ" (الشراي:48)، وقال تعالى: "ما علَّم الرسول إلا ألبَّنَتْ" (الائدة:99)، وقال تعالى: "إنْ عَلِيَّكَ أَلْبَنَتْهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ يُصْطَبْرِ" (البراءة:27), وقال عز وجل: "إِنْ لَهُمْ مِنْ أَحَبَّاتِهِ وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (الイヤض:56).

فمهمه الرسول عليهم الصلاة والسلام هي البلاغ، وليس عليهم هدياً الخلق

وإجبارهم على الدخول في دين الله، فإن هدياً الخلق بيد علام الغيوب.

وهذا لم يستطع نوح عليه السلام هدياً أباه، ولا هدياً زوجه، ولم يستطع إبراهيم

عليه السلام هدياً أبيه، ولم يستطع لوط عليه السلام هدياً زوجه، ولم يستطع سيد

الخلق محمد هدياً عمه أبي طالب.

وينبغي أن يأخذ المصل过的 الدعوة إلى الله تعالى من هذا دروساً وعبرًا في طريق

دعوهم إلى الله.

»فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ"، أي: فعِظ بالقرآن بتلاوته على الناس؛ ليذكروا ويعظوا به.

من الوعيد والزجر والتهديد، "من يُجَافِكُ وَيِعَيدُ" (من): موصلة بمعنى

(1) أخرج البخاري في استنباط المريد ١٩٢٩، ومسلم في الجهاد والسهر ١٧٩٦، وأبان ماجه في الفتن ٢٥٤، ٤٥، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(2) انظر (بدائع التفسير) ٤/٢٠٢.

وإنها خص عز وجل بالأمر بالذكرى من يخف وعديه؛ لأنه هو الذي ينتفع بالذكرى، أما من لا يؤمن بلقاء الله، ولا يخف وعديه، ولا يرجو وعده فلا ينتفع بالذكرى.

ومهمة الرسل عليهم السلام هي التذكير بالوعيد والتخويف والإندزام من عذاب الله، والتبشير بعود الله بالنعمائم الفي، قال عز وجل: «رُسُلَا مُبَيِّنَينَ وَمَنْذِرِينَ إِلَّا أَنْ يُنَظِّرُوا كَأَنْ هُمْ فِي النَّارِ» [النساء: 165].

الفوائد والأحكام:

1- الإشارة إلى قرب الساعة والنهب في الصور، خروج الناس من قبورهم وقيامهم لرب العالمين، وتحقق ذلك ووجوب الاستعداد له؛ لقوله تعالى: «رَأَيْتُمُ يَمْثِلُونَ مِنَ الْمَكَانِقَةِ». 

2- قدرة الله عز وجل التامة على إحياء الخلق وإماتتهم وبعثهم وردهم إليه سبحانه وحصصه بذلك، وثناؤه عز وجل على نفسه بذلك؛ لقوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ ۖ ثُمَّ نُبَيِّنَ». 

3- إثبات البعث، وتشنق الأرض يوم القيامة عنده فيها من الموتى وخروجهم بها مسيرين إلى موقف geçir، والحساب؛ لقوله تعالى: «يَمْثِلُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ ۖ ۖ يَمْثِلُونَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يِسْتَرَءًا». 

4- إثبات الحشر وجمع الخلق يوم القيامة، ويسير ذلك على الله تعالى؛ لأنه عز وجل لا يعجزه شيء ولا يتعسر عليه أمره؛ لقوله تعالى: «ذَلِكَ حَيَّ ۖ إِنَّا نَحْنُ عَلَيْهِمُ ۖ تُسَرِّبُونَ». 

5- تسليمة النبيين وتضمينه والوعد للحكذبين له بإجابة علم الله بما يقولون ومجازاتهم على ذلك؛ لقوله تعالى: «خَلَقْنَ ۖ أَمَّا ۖ أَنْ تَقُولُوا».

6- أن مهمة الرسول التذكير والدعوة إلى الله عز وجل، وتبلغ الرسالة، وليس عليه هدأ الخلق وإجبارهم على اتباع الحق؛ لقوله تعالى: «وَمَا أَنتُ عَلَيْهِمْ بِمَعَارَفٍ».
وفي هذا درس للمربين من الوالدين والوجهين وغيرهم، بأن عليهم التربية والتوجيه، والنتائج أمرها إلى الله تعالى.

٧ - إنها يذكر بالقرآن من يخف وعيد الله ويرجو وعده؛ لقوله تعالى: فذكر بالقرآن من يخف ويعيد.

* * *
تفسير سورة الداريات
سؤرنا الداريات: المقدمة

المقدمة

أ- اسم السورة:
سميت هذه السورة: "سورة الداريات"؛ لقوله تعالى في مطلعها: "والذين يؤمنون".

ب- مكان نزولها:
مكة.

ج- موضوعاتها:

1- افتتحت هذه السورة بالقسم الداريات وما بعدها على أن البث والجزاء
حق: "والذين يؤمنون، ولا الذين سكنهم النار، ولا الذين كفروا، ولا الذين كفروا".

2- بيان ما أعد الله للملتقات من الجنتين والنعيم، والثناء عليهم وامتداحهم
بالإحسان وفضائل الأعمال: "إن الذين في جنات وعيون، إن الذين جعلناهم رهمهم، إنهم كانوا قبل ذلك مختفين، كانوا في أ العرب، وإن الذين في جنات وعيون، إنهم هم الذين جعلناهم رهمهم، وإن الذين كفروا، وإن الذين كفروا، وإن الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، وإن الذين كفروا، وإن الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، وإن الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، وإن الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، وإن الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، وإن الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفروا، إنهم هم الذين كفرو

3- التذكير بعدد من آياته ونوره، وتأكيد أن البث والجزاء حق: "وفي الأبين ما أبتغيت "يمكن أن يفسر برغم من أن الآيتين ما يهدجوون، وإن الحاصل هو نصعفون، وفي أموليهم حق

4- ذكر حديث ضيف إبراهيم من الملائكة عليه وعليهم السلام: "هل أنك حديث ضيف إبراهيم المكرون، إذ سلوا عليه فقولا سلنا، قال سلمن يكرون، إلى قوله

5- إهلاهم قوم لوط بسبب إجرامهم وإسرافهم: "قالوا فلتظهروا أيها المرسلون، قالوا إلا أرسلت إباء غير بني هود، لتريل عليهم حاجرتين، إن مسلمة عند ركز للمشرقة، فأخرجنا من كان فيها من المويشين، فما بعدنا فيها عن بني إسرائيل، وركنا فيها عبادة للدين، يقرون المذاب الأليم".
عون الرحمن ﷺ تفسير القرآن ج 21

6- التنبيه على آيات الله عز وجل في إهلاك الأمم الكاذبين بأنواع العقوبات:

تحذيرًا للمشركين: «وفي موسى إذ أرسلته إلى فرعون يسلطلا مُبينين» (63) إلى قوله تعالى:

«وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْ خَلَقْنَاهُمَا وَقَدْ نُصِيبَنَاهُمَا قَوْمًا كَمِمَّا قَدْ قَدَّرْنَاهُمَا» (64).

7- التنبيه على آيات الله تعالى في الكون الدالة على تمام قدرته ووجوب عبادته:

وحدث لا شريك له: «وَتَفَقَّهْ بِبَيَانِهَا يَأْتِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» (67) والأرض فرضتها قبضتها بما من المنهدون (8) وين حلقو هم خلقنا وهم قبضنا للكفر تذكرون (68) ففروا إلى الله إلهكم خلقكم (69) قبضناهم (70) ولا تجعلوا مع الله إلهًا آخرًا إلا لا كفر بهم تذكرون مبينًا (71).

8- تسليمة الرسول ﷺ وتأييده وقوية قلبه: «كذلِك ما أُذِينَ مِن قِبَلِهِم مِن رَسُولٍ إِلا كَأَنَّا سَأَجَرَ أُمِّيِّمَانِ أَوْ أَوَّادِيَةٍ أَوْ أُنَوَّيًا بِهِمْ قَومٌ مُّغَاطِرُونَ (69) فَتَولَّى عَنْهُمْ فَمَا أَنَتْ يُطِعُونَ» (72) وذكر 

فَإِنَّ الْذِّكْرِيَاتِ تَنْقِعُ الْمُؤْمِنِينَ» (73).

9- بيان الحكمة من خلق الجن والإنس: «وَمَا خَلَقْتَ إِلَٰهًا وَإِلَٰدَةً إِلَّا يَمِينًا مُبَارَكًا» (74).

ما أريد منهم من زمنًا أريد أن تطمئنون (75) إن الله هو الزرازق ذو الفوائد المبين (76).

10- التهديد والوعيد للظلمين الكافرين بعدم الدنيا والآخرة: «فَإِذَا هُذَٰلِكَ طَعَمواً دُنْيَا مِثْلَ ذُنُوب أَصْحَابِهِمْ فَلَا يُسَمِّعُونَ (80) فَوَيْلٌ لِّذُنُوبٍ هَٰذِهِ الْعُدُوُنَ» (77).

* * *
سورة القدر، الآيات: 6

«وَذَٰلِكَ ذَٰلِكَ الْمَرْأَةُ مَيْلًا١ وَفِرْقًا١٦ فَأَذَّنَّاهَا وَقَدْ أَذَّنَّاهَا مُحَلَّٰٓٔا٢٨ فَأَذَّنَّاهَا لِأُنْقِطَعَهَا أَمَّٰر٢٩ إِنِّي أَنْصَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِمْۢ...»

قوله تعالى: «وَذَٰلِكَ ذَٰلِكَ الْمَرْأَةُ مَيْلًا١ وَفِرْقًا١٦ فَأَذَّنَّاهَا وَقَدْ أَذَّنَّاهَا مُحَلَّٰٓٔا٢٨ فَأَذَّنَّاهَا لِأُنْقِطَعَهَا أَمَّٰر٢٩ إِنِّي أَنْصَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِمْ» (الكافرون: 5).

وسميت الريح بالذاريات؛ لأنها تنذر المطر والتراث والثواب إذا يبس، أي: تنشر ذلك وترفعه قال تعالى: «فَأَذَّنَّاهَا لِأُنْقِطَعَهَا أَمَّٰر٢٨ فَأَذَّنَّاهَا وَقَدْ أَذَّنَّاهَا مُحَلَّٰٓٔا٢٨ فَأَذَّنَّاهَا لِأُنْقِطَعَهَا أَمَّٰر٢٩ إِنِّي أَنْصَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِمْ» (الالم: 4).»

ذروها مصدر، أي: نشرًا ونفيًا، تارة بشرة وقى، وتارة بلين ولف، وتارة بين ذلك.

فَأَذَّنَّاهَا وَقَدْ أَذَّنَّاهَا مُحَلَّٰٓٔا٢٨ فَأَذَّنَّاهَا لِأُنْقِطَعَهَا أَمَّٰر٢٩ إِنِّي أَنْصَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِمْ (الالم: 4).

وما بعدها: متعطف على «الذاريات» داخل ضمن المسدد بـ«الأمارات» و«الشاحبة»، أي: ثعالباً من الماء الكثير الذي ينفع الله به العباد والبلاد، كما قال تعالى: «وَهَوْهُ أَلْدَىٰ٣٠٠٠ يَرِيَهُمُ الْبَرَّيْكَ حُبُّٰٓٔا وَرَطْعٌ السَّحَابَٰٓٔا٢٨ إِنِّي أَنْصَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِمْ». (النور: 12).

قال ابن القيم (1): «وهي روافد الأرض يسوقها الله سبحانه على متون السحاب بالرياح».

قال زيد بن عمرو بن نفيل (2):

وأرسلت نفسى لـن أسلمت له المروز تحمل عذابًا زلالا و«الذاريات»: السفن التي تجري في البحر، وتتمطر عبادها بقدرة الله عز وجل،

(1) انظر "بداائع التفسير" 4/213.
(2) انظر "سير أبي هشام" 1/231.
تحمل الناس والأرزاق وغير ذلك، كما قال تعالى: "ومن أُتيت أن يفرَّ في البحير كالأَكْثِرِ" [الشورى: 32]، وقال تعالى: "إِذَا لَمْ تَفْتَنُوا أَلْمَانًا حَمَّصُوا فِي الْحَبْرَة" [البيع: 11]، وقال تعالى:
"وَالْمَلَكُ يَقْرِئُ فِي الْبَحْرِ يَا أَمْرَهُ" [الحج: 36].

وبهذا قال جمهور المسندين من السلف ومن بعدهم.

وقال بعض أهل العلم: المراد بالجارية الجرم، التي تسير وتتجري، كما قال تعالى:
"نَأْتُوهُ مُّقَدَّمًةً قُصُورًا كَأَلْطَفَا وَالْكَثْرِ" [التكوير: 1016].

واختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وهذا أحسن في الترتيب والانتقال من السافل إلى العالي، فإنه بدأ بالريح، وفوقها السحاب، وفوقها النجوم، وفوقها الملاكمة". (1)

(1) أي: جريبا بيسر وسهولة، مسخرة مدحلة منقدة.

(2) أي: جريبا بيسر وسهولة، مسخرة مدحلة منقدة.

(3) تقسم ما أمرها الله عز وجل بتقسيم، كما قال عز وجل:
"فَكَأَلْفَةُ أَمْرًا. وَمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِتَقْسِيمِهِ" [المؤمنون: 5].

(4) فجبريل يقسم بأمر الله الوحي، ويقسم العذاب وأنواع العقوبات على من خالف الرسل، وميكائيل يقسم بأمر الله القطر والبرد والثلج والنبات، وملك الموت يقسم بأمر الله المنايا بين الخلق، وإسرافيل يقسم بأمر الله الأرواح على أبادها عند النفخ في الصور، وهكذا غيرهم من الملاكمة كل منهم قد جعله الله عز وجل بتقسيم وتدبير أمر من أمور الدنيا والآخرة لا يتعاد ولا ينقص منه.

(5) فقسم عز وجل بالذاتيات، وهي الريح، وبالخاملات، وهي السحاب، وبالجارية، وهي السفن على قول عامة المسندين، وبالقمصان، وهي الملاكمة.

(6) قال ابن القيم رحمه الله: "وأقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة: لمكان العبيرة والآية والدلالة الباهرة على ربيته ووحدانيه، وعظم قدرته، ففي الريح من الغبر هبها وسكونها، ولينين وشدتها، واختلاف طبعها وصفاتها ومهاها وتصريفها، وتتنوع منافعها، تنظر "بذلائع التفسير" 13214، 215.214215"
وشدة الحاجة إليها، فلم يخطر خصاً رياح: ريح، ينشر السحاب، ويسبح ينزلف بينه، ويسبح تلقحه، وريح تسوقه حيث يبدع الله، وريح تذرو أمامه وتفرقه. وثلثات ريح، وللسفن ريح، وللرحاوة ريح، وللعذاب ريح، إلى غير ذلك من أنواع الرياح، وذلك يضقي بوجود خالق مصرف لها مدير لها يصرفها كيف يشاء، ويجعلها رخاً تارة، وعاصفة تارة، ورحمة تارة، وعذاباً تارة، فتارة يحيي بها الزرع والثمار، وتارة يذيب بها، وتارة ينحي بها السفن، وتارة يلعقها بها، وتارة تربط الأباذان، وتارة تذيبها، وتارة يعقيها، وتارة لاقحة، وتارة جنوبًا، وتارة دبورة، وتارة صبأ، وتارة شالان، وتارة حارة، وتارة باردة.

وهي مع غاية قوتها أثلف شيء، وأقبل المخلوقات لكل كيفية، سريعة التأثر والتأثير لطفية المسارق بين السماة والأرض. إذا قطع عن الحيوان الذي على وجه الأرض ذلك، كبح الماء الذي إذا فارقه حيونات الماء هلك.

يجسدها الله سبحانه إذا شاء، ويرسلها إذا شاء، تحمل الأصوات إلى الآذان، والراحوة إلى الأنف، والسحاب إلى الأرض الجزر، وهي من روح الله تأتي بالرحة، ومن عقوبته تأتي بالعذاب، وهي أقوى خلق الله... إلى أن قال: «والقصود أن الريح من أعظم آيات رب الدالم على عظمته وروبيته وقدره...».

قال: «ثم أقسم بالسحاب، وهو من أعظم آيات الله في الجو في غاية الخفة ثم يحمل الماء والبرد، فيصير أثلف شيء، فيأمر الرياح فتحمله على متوه، وتسره به حيث أمرت، فهو مسخر بين السماة والأرض حامل لأزراق العباد والحيوان فإذ أفرغه حيث أمر به أضحمر وتلتشى بقدرة الله، فإنه لا يقي لأضر الرباد والحيوان فأشاء سبحانه في زمن يصلح إنشاؤه فيه، وحمله من الماء ما يحمله، وساقه إلى بلد شديد الحاجة إليه...

إلى أن قال: فسل السحاب من أنشأه بعد عده، وحمله الماء والثلج والبرد؟ ومن حمله على ظهور الرياح؟ ومن أمسكه بين السماة والأرض بغير عداد، ومن أغاث بقطره العباد، وأحياه بالبلاد، وصرفه بين خلقه كأراد.

وسأل الرياح من أنشأها بقدرته؟ وصرفها بحكمه، وسخراها بمشيئته، وأرسلها بشربً، بين يدي رحمته...

وسأل الجميات، يسرًا من السفن من أمسكه على وجه الماء، وسخرا لها البحر؟ ومن أرسل لها الرياح التي تسوقها على الماء صوب السحاب على متون الرياح؟ ومن
حفظها في مجارها ومرساهما من طغيان الماء وطغيان الريح؟ قال تعالى: "وَمَا خَلَقَكُمْ إِلَّا لِتَمَشَّيْنَ فِي الْأَرْضِ وَلَعَلَّكُمْ تَعُدُّونَ فِي هَذَا نَمَّى. لَا يَضُرُّكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا لِأَنْعَامِكُمْ مَا يُنفِقُونَ فِيهَا. وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْ تَمُوتُوا فِيهَا وَلَا تَدْخُلُوا فِيهَا جَنَّةَ الْحَيَاةِ الْأَطْرَافِ" (الشريعة: 32-34).

وسل الجاري يسرًا من الكواكب والشمس والقمر من الذي خلقها وأحسن خلقها، ورفع مكانها وزين بها قبة العالم.

إلى أن قال: وأنت إذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كما تدل على المبدأ، وتدل على وجود الخالق، وصفات كاهله، وربوبته وحكمته، ووحدانيته أعظم دلالة، وكل ما دل على صفات جلاله ونوعت كياهه دل على صدق رسله.

فكما جعل الله النجوم هديا في طريق الرب والبحر فهي هديا في طريق العلم بالخلق سبحانه وقدرته وعلمه، وحكمته، والببدأ والمعاد والنبوة ودلاتها على هذه المطالب لا تقتصر عن دلالتها على طريق الرب والبحر، بل دلالتها للعقول على ذلك أظهر من دلالتها على الطرق النفسية فهي هديا في هذا وهذا.

ثم قال: «وأما دلالة المقاسات أمرًا وهم الملاتكثة فإنما يشاهده من تدير العالم العلوي والسفلي وما لا يشاهده إنها هو على أيدي الملاتك، فالرب تعالى يدير بهم أمر العالم وقد وكل بكل عمل من الأعمال طائفة منهم، فوكل بالشمس والقمر والنجوم والجواب طائفة منهم، ووكل بالقطر والسحاب طائفة، ووكل بالبنت طائفة، وبحفظ بنى آدم طائفة، ووكل بالأجنة والحيوان طائفة، ووكل بالموت طائفة، وإحياء أحياءهم وكتابتها طائفة، وبالله طائفة، وبالجبل طائفة، و بكل شأن من شؤون العالم طائفة، هذا مع ما في خلق الملاتك من البهاء والحسن وما فيهم من القوة والشدة وطلاقة الجسم، وحسن الخلق، وكبالالإنتقاد لأمره، والقيام بهخدمة، وتنفيذ أوارمه في أفطار العالم».

قوله: "زِيَاءُواٰ لَصَادِقٍ (7) وَلَا أَلْبَسِينَ لَوَاقِعٍ".

جملة جواب القسم، فأقسم عز وجل بالرب والبحرين والسفن والكواكب، والملاتكثة على أن ما يوجد به الخلق لصدق وإن الدين لواقع.

«إِن»، «إن»: حرف توكيد ونصب وما توصلة أو مصدرية، والتقدير: في الذي توعدونه أو إن وعدكم لصدق. واللام في قوله «لصدق» وفي قوله «لواقع»
للتوكيد.
والمعنى: إنها توعدون من أمر القيامة والبعث والثواب والعقاب لوعد صادق.
كما قال عز وجل: "{وَيَسْتَفْنِينَهُمُ اللَّهُ فَلَنْ أُذُنِّبَ إِنْ أَنْفَسَتْيُنَّ إِنْ أَنْفُضْتُمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَيْنَ}{[يونس:53].
و"الدين" هو الجزاء على الأعيال فيجازي كلا بما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشراً
كما قال عز وجل: "{فَمَنْ يَعْمَلُ شَرًا فَخَيْرًا يَشْفَكَ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ يَعْمَلُ}{[الزمر:78].
فوعده عز وجل صدق وجازاته العباد واقعة لا محالة.
الفوائد والأحكام:
1- إقتسام الله- عز وجل- على أن البعث والمعاد حق وصدق، وأن الحساب
والجزاء واقع لا محالة- تأكيدها لذلك وتعظيمها له؛ لقوله تعالى: "{وَالْدُعَارِيِّتُ يَدْرُوْا}{[قل:109].
2- في إقتسام الله- عز وجل- بهذه المخلوقات العظيمة تبنيه على كمال قدرته،
وعظيم نعمة. فأقسم عز وجل بالرباح والسحاب، والسفن أو النجوم، والملائكة لما في
خلقها من العظمة وما لها من الفوائد والمنافع التي لا تحصى.
3- أن الله- عز وجل- أن يقسم بما شاء من مخلوقاته؛ لما في ذلك من الدلالة على
عظيمه عز وجل.
4- إثبات وجود الملائكة؛ وأنهم مكلفون بأعمال مختلفة؛ لقوله تعالى: "{فَالْمُقَسَّمَةُ}{[آيات].

* * *
قال الله تعالى: "رَأَيْتُمُّ ذَاتَ الْجَهَبَةِ ۗ إِنَّكُمْ أَقْرَأْتُمُّ ۗ يُوْقَةَ عَنْهُ مِنْ أَيْكُمْ ۗ يَلِدُ ۗ الْمَرْصَامُ ۗ أَلْيَآنَ هُمُّ فِي غَيْبَتِ ۗ وَۚ يَهْلُكُوْنَ ۗ يَعْقُبُ ۗ إِنَّمَا ۗ يُضَنُّوْنَ ۗ ۗ يُوْقَةَ عَنْهُ مِنْ أَيْكُمْ ۗ يَلِدُ ۗ الْجَهَبَةِ".

أقسم عز وجل بالآيات السابقة على أن ما وجد الله به حق وصدق، وأن الجزاء على الأفعال كائن وواقع لاً محاولة، ثم أقسم في هذه الآيات بالسماة على اختلفهم في ذلك قوله: "رَأَيْتُمُّ،" الواو: حرف قسم وجر، والسماة: مقسم به مجرور، والمراد أجرام السماوات السبع التي هي من أعظم المخلوقات. وإقصامه عز وجل بها، وبغيرها من المخلوقات، ليدل على عظمته هو فهو الخالق العظيم لذلك كله.

أي: صاحبة الجِهَبَة، والجَهَبَة: إجادة عمل الشيء وإتقان صنعه.

يقال: ثوب محبوك إذا أوجد نسجه، وحلة محبوك: إذا كان شديد الفتيل والمعنى: والسماة ذات الصنع المشتق من الحسن البديع، والخلق القوي الشديد، واللبان المتقن الرفيع، كما قال تعالى: "لَا خَلَقَ سَمَّى سَمَّى تَبَارَىٰ مَا تَرَى فِي حَيَاةِ الْرَّحْمَٰنِ ۗ مِنْ تَقْوَرٍ فَأُولَٰئِكَ الْمَسْرُورُونَ ۖ وَۚ أَوْزِعْ ۗ الْمُسْرِفِ الْمِكْرَ ۖ ۗ فَأُولَٰئِكَ ۗ إِلَيْهِ الْبَصَرُ ۗ وَوَحَدُّهُ ۗ ۗ وَلَقَدْ زَرَأْنَا ۗ أَسْمَاَٰهَةَ الَّذِينَ يَصِيبُونَ وَيُعَمِّرُونَ رُءْبُهُمْ لِشَيْطَانِ" (الملك: 3-5).

قال ابن عباس رضي الله عنها: "ذات البهاء والجبال والحسن والخسارة والاستواء".

وقال ابن كثير (1) بعد أن ذكر عدة أقوال عن السلف في معنى الجبهة: "وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، هو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس رضي الله عنها- فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيحة شديدة البناء مشعة الأجزاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثواب والسيارات، مشوشة بالشمسم والقمر والكواكب الزهرا، كما قال تعالى: "فَصَعَبَتْ آنَئِيْهَا اللَّهُ أَلْقَىٰ آنَئِيْهَا لَهُمْ [النمل: 88]."

"إِنَّكُمْ لَيْبَا قُرْوُونُ مَعْلُوفٍ ۗ يُوْقَةَ عَنْهُ مِنْ أَيْكُمْ ۗ هَذَا هُوَ الْمَقْسُومُ عَلَيْهِ. والخُطَابِ".

(1) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 81/ 488-489.
(2) في "تفسيره" 7/392.
للمشاركين من أهل مكة، واللام في قوله: (آتي) للتوكيد.
والمراد بالقول المختلف: أقواعهم في القرآن الكريم، وفي النبي ﷺ، وفي البعث،
المختلفة المضاربة، والتي منها عل التخمين والتخرص والخبرة بسبب تكذيبهم
بالحق، فإنهم لم كذبو بالحق البشبي أمر عليهم، فأختلفت أقواعهم ومذاهبهم
وطرائفهم وآرواؤهم فلم يستقر لهم رأي، ولم يثبتوا على حال، كما قال عز وجل: (بِلّ)
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمْ جَاهِزَهُمْ فِي أَمْرِ مَرَجٍحٍ) [ق:5]، وقال تعالى: (عَمَّا يَسَّاءُ لَنَّا
َعَنَّ النِّيَاءِ) [اللهب:1-2].

فقالوا عن القرآن سحر، ومن قول البشر، وأساطير الأولين، ونحو ذلك، وقالوا
عن الرسول ﷺ: ساحر، أو شاعر، أو كاهن، أو مجنون. وأنكروا البعث، فهم فيه بين
مكتب ومشكك.

قال ابن القيم (1): «وفي ضمن هذا الجواب أنكم في أقوال باطلة متناقضة يكذب
بعضها بعضا بسبب تكذيبهم بالحق»

(وَبَلْ غَيْرُ ظَنٍّ) ; أي: يصرف عن الأقياس بالحق الذي جاء من عند الله تعالى: القرآن
الكريم، والرسول، والبعث والجزاء على الأفعال وغير ذلك.

(وَالَّذِينَ أُكْفِنِّيْنَ هُمْ خَيْرٌ) من صرف من مسبق في علم الله أنه من أهل الضلال، كما قال تعالى:
(وَأَصْرَفُ عَنْ كَثِيرٍ مِّنَ الْأُمَامِ) [الأعراف:146].

وجمل أن تكون «عن» هنا فيها معنى السببية وضميرة الهواء عائد إلى القول
المتختلف، فيكون المعنى: يصرف بسبب، أي: بسبب هذا الاختلاف في القول من صرف
وقضي عليه بالخدوان.

و هذا وذاك مما يجب على العبد الإقبال على الله، وطلب مرضاته والتقرب إليه
بطاعته، فهذا هو السبب الوحيد للتوفيق، وليحذر الإنسان كل الخذار من المعاصي التي
تبعد عن الله، وتكون سببًا لصرفه عن الحق والقضاء عليه بالخدوان. قال تعالى:

(1) انظر: "بدائع التفسير" 4/220، 223، 224.
وعن الرحمان رأى تفسير القرآن ج 21

وقيل: `أبنهم وأصطرهم كما لزيمنا بهم` أول سرور وندمهم في عطالتهم يعنونه (`96`)

أعلم وألقى` (`97` وسماحة الله تعالى: `فسراً`)`8` وأنام من نبال واستغذى `9` وكذب وبغى `10` فسراً لل مصرى] [الليل 5-10].

وقال: `أعمالنا فك فل ميصر لما خلق له، فأهل السعادة سوف يسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاعة سوف يسرون لعمل أهل الشقاعة ثم قرأ قوله تعالى:
فأمتكم أعلم وألقى` [الليل 5] ((1)).

وأملك.

الأمر مضمون، الكذابون المرتابون المخلدون الذين اختلفت أقوالهم فيها جاءهم من الحق من عند الله تعالى، كأثاب تعالى: `إن يبَغون وإن هم إلا يبَغون` [الأنعام 112].


{ساهوين} `أي: غافلون، والسهو: الغفالة عن الشيء وذهب القلب عنه.

{يسألون} `أي: يسألون استبعاداً للوقوع، وجدداً وشكاً ونإداً وتكذيباً، كأ` حكي الله عنهم قومهم: `(أوذاً يشيا وكتاً نزيا ذلك رفع بعده` [uç: 13]، وقال تعالى:
{يسكنتم بها} `أي: يسكون你們 بِالجَمِيعَ {للايومن بهما` [الشورى 18].

{أين يوم الدين} `أي: متى و يوم الدين` `أي: يوم الجزاء على الأهل.

أي: متى يوم الدين الذي نجازى فيه بأعمالنا، يقولون هذا استبعاداً وتكذيباً، كما

(1) أخرج به الخرافي في `التفسير` 949، وسلم في القدر 2647، وأبو داود في السنة 4194، والترمذي
في القدر 2136، وأبن ماجه في المقدمة 78، من حديث علي رضي الله عنه.
قال تعالى: «كَلَّآ يَلْكَحْزُونَ يَالَّذِينَ» [الأنفال: 9].

فَسِيمٌ يوم القيامة بِيَوْمِ الْأَيُّ، لَأَنَّ الْمَرْءَ فِيهِ يَدَانٌ وَيُجَازِىُ بِهَا عَمَلٌ مِّنْ خِيرِ وَشَرِّ.

كَأَيْ قال تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ فَكَالٍ دَرْوَشَارًا، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ فَكَالٍ دَرْوَشَارًا» [الزُّيَا: 7، 8].

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ دَرْوَشَارٍ: "فَيَوْمَ هُمْ عَلَى الْأَرْضَ يُقَنُّونَ".

أَيْ: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يَقْنِونَ وَيَعْبُودُونَ وَيَبْعَرُونَ، وَمَنْ ثَقَلَ عَلَى قُوَّةِ تَعَالَى.

تَعَالَى: "إِبْنِ آَلِيَّةَ قَنْتُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" [البَرُوجِ: 10]. أَيْ: أَحْرَقُوهُمْ بِالْأَنْفُسِ.

"دُوِّرُوا فَيَنْتَكَرُونَ"، أَيْ: يَقُالُ لَهُمْ هَذَا إِهَانَةً وَتَوْبَيْحًا لَّهُمْ وَتَقْرِيبًا، وَالْذِّوَقُ هُوَ أَحْدٌ.

الْحَوْاسَ الخَمْس.

وَالْمَعْنَى: يَجْرِعُوا وَكَابِدُوا وَأَحْسَا بالعَذَابِ فِي النَّارِ وَاحْتِرَاقُهُمْ فِيهَا كَأَيْ قَالَ تَعَالَى:

"ذِيِّنَ إِلَيْكَ أَلْقَيْتُ الصَّرْحَيْمَ" [الدَّخَانِ: 49].

قَالَ أَبِنُ الْقَيْمِ (1): "وَحَقِيقَةُ الْأَمَرِ أنَّ الفَتْنَةَ تَطَرَّقَ عَلَى الْعَذَابِ وَسِبْحَةٌ، وَهَذَا سَمِيَ الْلَّهُ الْكَفْرَ فَتْنَةً، فَهُمْ لَا أَأْتَوْا بِالْفَتْنَةِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ الْعَذَابِ فِي النَّارِ سَمِيَ جَزَاءً فِي الْفَتْنَةِ؛ وَهَذَا قَالَ: "دُوِّرُوا فَيَنْتَكَرُونَ" وَكَانَ وَقِفُوهُمْ عَلَى النَّارِ وَعَرْضُهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْظَمِ فَتْنَتِهِمْ، وَأَخْرَ.

هَذِهِ الفَتْنَةُ دَخُولُ النَّارِ وَالْعَذَابُ بِهَا فَقْنُوْا أَوْلَى بِأَسْبَابِ الْدُّنْيَا وَزُيْنَتِهَا، ثُمَّ فَقُنُوْا بِإِرَاسَالِ الرِّسْلِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ فَقُنُوْا بِمَخَافَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، ثُمَّ فَقُنُوْا بِعَذَابِ الْدُّنْيَا، ثُمَّ فَقُنُوْا بِعَذَابِ الْعَذَابِ، ثُمَّ فَقُنُوْا عَلَيْهِمْ وَعَرَضُوا عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ فَتْنَتِهِمْ، ثُمَّ الفَتْنَةُ الْكَبْرَى الَّتِي أَتْسِهِنَّ جَمِيعَ الْفَتْنَ قَبْلَهَا.

وَقَرِيبٌ مِّنَ هَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمَ- قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَرِجَّحَهُمُ الْكَبْرَى صَيْحَةً يَتَلَّهَا" [الدُّوْرَى: 40].

فَأَطْلَقَ عَلَى المعَذَابِ عَلَى الْسَّيِّئَةِ مِنْ بَابِ المَشَأَكِلةِ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ سِبْبُ الْثَانيَةِ: "هَذَا عَبْدُكَ قُتِّطْ بَيْنَ الْغَيْبِ وَالْخَلْيَةِ" -هُذَا إِشَارَةٌ إِلَى تَعَذِيبِهِمْ فِي النَّارِ، أَيْ: هَذَا الْجَزَاءُ.

وَالْعَذَابُ فِي النَّارِ الَّذِي كَتَبَ مُتَعَجِّلُونَ بِقَوْلِهِمُ وَسَأَلُوكَمُ "أَيَانَ يَوْمَ الْأَيُّ".

(1) انظر: "بِدائع التفسير" 4/221.
وهذا على سبيل التقريع والتوبيخ والتحقيبة والتصغير لهم.
وهذا من العذاب المعني الذي لا يقل عن العذاب الحسي. نسأل الله السلامة والعافية.
الفوائد والأحكام:
1- إقسم الله - عز وجل - بالسما العظيمة الخلق الرفيعة البناء، المنتظرة الصنع للدلاله على عظيمه وركاب قدرته، لقوله تعالى: (وأَنَّاَ نَحْيَكَ عَلَى الْحَقِّ). وله عز وجل أن يقسم بما شاء من خلقه.
2- اختلاف المشركين في صدق رسالته وما جاء به من الوحي والإخبار بالبحث على أقوال كلها باطلة متناقضة؛ لقوله تعالى: (إِنَّكَ لَفِي مُقَدِّمٍ ثَابِثٍ).
3- لا يصرف عن الحق إلا من قضى عليه بالاختلاط فلا سبيل إلى هدايته؛ لقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ عَمَّامُ أَيْكَ).
4- أن الاتفاق ورد الحق سبب للخذلان.
5- لعن الله عز وجل وإهلاكه لأهل التخريص والغفلة والجهل المنكرين للبعث والمعاد والجزاء على الأعوال وطردهم من رحمته؛ لقوله تعالى: (فَلْيُقْلَ مَنْ قُصُورُ النَّارِ أَلَّذِينَ مَعَ غَيْبِهِمْ سَاهِرِينَ).
6- الوعيد للمكذبين بالبحث والجزاء بالعذاب الحسي بالنار والعذاب المعني للقلوب بالتوبيخ والتقريع؛ لقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ عَلَى الْآَلَاتِ يَهْتَمُونَ دُوَّارًا وَفَنْسَكُ هَذَا أَلَّذِينَ كَسَّمُونَ إِلَيْهِ كَيفَ سَتَجْعَلُونَ).
7- أن الفتنة تلقى على العذاب، وعلى سببه؛ وهو الكفر واستعجال العذاب.
قال الله تعالى: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكُونُونَ فِي جَنَّتِهِ وَهُمْ كَأَنَّهُم مَا مَاتُوا وَهُمْ يَنْعِيُونَرَبَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا قَلِيلًا مِّنْ آيَاتِنَا وَأَصَابُوا هَـٰذَهْ نَرَأُونَهُمْ وَهُمْ يَنْتَفِعُونَهُمْ حَتَّى لِلْآوْلِيَاءِ وَالْمُحْتَقَرِينَ وَفِي الأَرْضِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ وَأَفْلَحُوا».

قوله تعالى: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكُونُونَ فِي جَنَّتِهِ وَهُمْ كَأَنَّهُم مَا مَاتُوا وَهُمْ يَنْعِيُونَرَبَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا قَلِيلًا مِّنْ آيَاتِنَا وَأَصَابُوا هَـٰذَهْ نَرَأُونَهُمْ وَهُمْ يَنْتَفِعُونَهُمْ حَتَّى لِلْآوْلِيَاءِ وَالْمُحْتَقَرِينَ وَفِي الأَرْضِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ وَأَفْلَحُوا».

ذكر عز وجل ما أعدوا من العذاب في النار للمكذبين، ثم أتبع ذلك بذكر ما أعده للمتقين علية طريقه للقرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب، ليجمع المؤمن في طريقه إلى الله في هذه الحياة بين الخوف والرجاء. قال عز وجل: «آَمَّنَّا فِي قَلْبِ آيَةٍ سَلِيمٍ وَقَدْ أَصَفَّرَهَا ٌفِي الْآخِرَةِ وَرَجَعَهَا رَحْمَةً مِّنِّي» (الزمر: 9). وقال تعالى: «فَيَبْعَثُنَّهُمْ مَعَ الأَذَّارِ» (الحج: 16).

قوله: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكُونُونَ فِي جَنَّتِهِ وَهُمْ كَأَنَّهُم مَا مَاتُوا وَهُمْ يَنْعِيُونَرَبَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا قَلِيلًا مِّنْ آيَاتِنَا وَأَصَابُوا هَـٰذَهْ نَرَأُونَهُمْ وَهُمْ يَنْتَفِعُونَهُمْ حَتَّى لِلْآوْلِيَاءِ وَالْمُحْتَقَرِينَ وَفِي الأَرْضِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ وَأَفْلَحُوا».

فهذه حقيقة تقوى الله.

والتقوى في الأصل: مأخوذة من الوقاية، وهي أن يجعل الإنسان بينه وبين الشيء المخوف وقائية، فيتقي البرد بالملابس وفيتى الحر بالبعد عن الشمس، ويتقي الشوك بلبس النعلين ونحو ذلك، ويتقي عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواياه.

قال ابن المعتز:(1)

كبيرهُا ذاك التقى
ضالآذى ما يرى
لا تحققان صغرى
خل الاذى صغيرها
واعمل كي بعمن ف فوق أر

(1) انظر: ديوانه 2 / 76 - تحقيق محمد بدوي شريف.
ونع الريح من تفسير القرآن ج1

وأصلها «وقوي» فقلت الرواية لعائلة تصريفية فقيل: «تقدير».

في جنة جنات: جمع جنة وهي المنازل التي أعدها الله لأوليائه المتقين وحذبه اللطحين، فهي من الكرامة وأنواع النعيم ما لا يقدر قدره إلا الكريم العظيم. كما قال عز وجل: "فلاتعلم نفساً مأخرح في قرية أخرى، رحمته يمكناه وأسعفناه" (السجدة: 17).

واصل الجنة: البستان، سمي جنة لأنه جيد ويستر من بداخله وأشجاره وثماره الكثيرة الملونة. والجيم والنون بمعنى الستر، ومنه سمي الجن «جنا» لأنهم مسترون، وسمي القلب «جناناً» لأنه مستر، وهكذا.

وعينين: جمع عين، وهي ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض وجسم.

والماء: عيون الجنة التي تنبع من أرضها وجري في وسطها، ومنها التسنيم والسلسلة، كما قال عز وجل: "وَرَأَبَتْهُ مِنَ الْأَرْضِ عَيْنَيْنِ يَنْبَعُانَ" (المطففين: 281)، وقال تعالى: "وَسَفَرُوفُهُمَا كَأَكَانَا بِحَرَاءٍ بَيْضَاءٍ" (النساء: 17). فالمنفاذون في جنات يسكنونها ويمتعون بها فيها من المأكل والمشارب والمناكم وغير ذلك من أنواع النعيم، وفي عيون يشربون منها ويتمنون بروئتها.


والأخذ: هو تناول الشيء باليد وغيرها.

وأما: موصلة تفيد العلوم بمعنى «الذي»، أي: أخذين الذي أعطاهما ربيهم من ألوان النعيم وأنواع الكرامة، والخير والثواب، والأجر العظيم، والسرور والغزبة.


(1) انظر "بديع التفسير" 4/222.
فكونا أخذوا ما أمرهم به في الدنيا وقابلوا بالرضى والتسليم وانشرح الصدر،
أخذوا ما تأهلم من الجزاء كذلك».

(إِنْمَّا كَانَ مَنْ إِنْفَضَأَ منْ عَلَيْهِ) الإشارة في قوله (بَلْ ذَلِكَ) إلى ما قبل مجازاتهم، أي:
إلى جهلهم في الدنيا، وأنهم كانوا في حياتهم الدنيا محسنين، أي بسبب إحسانهم في الدنيا
كما قال تعالى: (وَلَيْسُ عَلَيْهِمْ بَصَارَةً بِمَا أُنْفَضُوا فِي الْيَوْمِ الْآتِيِّ) [الحاقة: 24]، وقال تعالى:
(هَلِ الْجَزَاءُ الْإِحسَانِ إِلَّا الْإِحسَانُ) [الرحم: 30].

أي: إنه كانوا في الدنيا محسنين في عبادة الله تعالى، ومحسنين إلى عباد الله،
فالإحسان في عبادة الله تعالى بالخلاص لله عز وجل والمنتهية للرسول ﷺ كما قال عز
وجل: (وَمِنْ أَحْسَنِ دُنْيَا مِنْ أَسْلَمَ وَحِجَّةَ اللَّهِ وَهُوَ مُحْسَنُ وَأَنْتُمْ مَهْدِيَّ حَنِيفًًا) [النساء: 125]، وقال تعالى: (يَلُو مِنْ أَسْلَمَ وَحِجَّةَ اللَّهِ وَهُوَ مُحْسَنُ فَلْيَلْهَبُوهُ عَنْدَ رَبِّهِ) [لا
حوَّلَ عَلَيْهِمْ وَلَا وَلَّاهُمْ عَزْمَانِ] [البقرة: 112].

قال ﷺ: وقد سائل عن الإحسان: (الإحسان أن تعبد الله كأن تراه فإن لم تكن
تراه فإنه يراك» (1).

والأحسان إلى عباد الله بأداء حقوقهم الواجبة والمستحبة من الوالدين والأولاد
والأزواج والأقارب وسائر الناس، وذلك بتوبيع الإحسان: القولي والفعل، من حسن
الخلق وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى وغير ذلك.
قال ﷺ: «من أحب أن يحزن عن النار ويدخل الجنة فلتائه منه وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر، وليأتي إلى الناس الذي يجب أن يأتى إليه» (1).

---

(1) كَيْماً في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وسؤاله عن
الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها- أخرج مسلم في الإيام 8، وأبو داود في السنة 6795،
والنسائي في الإيام وشرايعه 4990، وابن ماجه في المقدمة 12.
وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري في الإيام 55، ومسلم في الإيام 9، والنسائي في
الإيام 4991، وابن ماجه في المقدمة 24.

(2) أخرج مسلم في الإيام- واجب الوفاء بيعة الأول فلا أول، 1844، والنسائي في البيعة 1911، وابن
ماجه في الفتن 952، من حديث عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنها.
وقال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

إذ أساء مسيء فليكن لك في عروض زلته صفح وغفران(1)

وما أسعد من وقفة الله عز وجل - إلى الجمع بين الإحسانين: الإحسان في عبادة

الله، والإحسان إلى عباد الله في الفعال.

وأحسن فهو القرآن الكريم كله، بل التشريع كله في الكتاب والسنة دائر بين الأمر بالإحسانين

والنهي عن ضدها، وبيان حال المحسنين ومآهم، وحال المسيئين ومآهم:

فلا يطلب من العباد في هذه الحياة إلا أن يكون محسناً في عبادة الله وحسنًا

إلى عباد الله.

فكن أخوك الكريم جامعًا بين الإحسانين وكن في هذه الحياة دارًا بينها واحسن;

{ًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًَ

(1) البيتان لأبي الفتح البستي. انظر «حياة الحيوان الكبري» 1/ 250، «مجاني الأدب» 4/ 94.
سورة الدhariات، الآيات: 15 - 22

عليهم هو ما كان مثل قيامه ﷺ، ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه- كما
سيأتي بيانه.

وقيل المعنى: أنهم ما يهجمون قليلًا من الليل، فكيف بال كثير منه، بمعنى أنهم يقومون
ليل كله. وهذا ضعيف؛ لأن الله عز وجل لم يأمر بقيام الليل كله، وإنما أمر رسوله
بقيام نصف الليل، أو النقص منه، أو الزيادة عليه قال تعالى: "أتهمها اللَّهُ ۖ فَأَلَّي إِلَّا
قيلت ۙ أَقَضِهَا وَأَقْضِي مَنْ قَدْ أَقَضَىَّ، ثُمَّ قَامَ اللَّهُ وَرَأَى الْغَمَرَةَ ۚ قَرِيبًا (المزمل: ۱- ۴)."

وقال تعالى: "وَمِنَ الْأَيَّامِ فَتَهْجَدَ ۦ يَوْمَ نَفْسِكَ حَقًا، وَلَوَزَجْكَ عِلْكَ حَقًا (الإسراء: ۶۹)." ومن للتبعض، ولم
يقل: فتهجد الليل كله، بل لا يشرع قيام الليل كله.

وهذا لما بلغ النبي ﷺ، أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه كان يقوم الليل كله
قال له ﷺ: "إِن لَّنِفْسِكَ عِلْكَ حَقًا، وَلَوْزَجْكَ عِلْكَ حَقًا (۱)." 

وأنكر على عثمان بن مظعون وأصحابه رضي الله عنهم الذين قالوا: نقوم ولا
ننام (۲).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أحب
الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام
نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا (۳).

وهذا كله يدل على ضعف قول من حمل معنى الآية: "كَأَنَّهُ مَلَكَ مَنْ أَلْيَاءَ مَهْيَفُوْنَ" 
على قيام الليل كله وقد رد ابن القيم هذا من عدة أوجه (۴).

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال رجل من بني تميم لأبي:
يا أبا أسماء صفة لا أجدها فينا، ذكر الله قومًا، فقال: "كَأَنَّهُ مَلَكَ مَنْ أَلْيَاءَ مَهْيَفُوْنَ".

(۱) أخرج البخاري في الصوم ۱۷۴، ومسلم في الصوم ۱۱۹، والنسائي في الصيام ۲۳۹.
(۲) سبأني ترجمته قريبًا.
(۳) أخرج البخاري في الصوم - حتى الأهل في الصوم ۱۷۷، ومسلم في الصيام - النهي عن صيام الدهر
۱۵۹ وأبو داود في الصوم ۲۴۴۸، والنسائي في قيام الليل ۱۶۳۰، والترمذي في الصوم ۷۰۰، وابن
ماجة في إقامة الصلاة ۱۷۱۲.
(۴) نظر "بدع التفسير" ۴/ ۲۲۴ - ۲۲۴.
ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم، قال له أبي: «طويلي من رقد إذا ناس، واتقي الله.
إذا استيقظ». 
ووفي الآية دلالة على فضل قيام الليل، وأنه من أعظم الإحسان؛ لأن الله وصف المتين بأنهم محسنون، ثم ذكر من أول صفاتهم قيام الليل فدل على أنه من أفضل وأعظم الإحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، نسأل الله التوفيق.
وقد قال: «حتى تفطرت قدماه(1)، وكان لا يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة(2)، وكان لا يترك قيام الليل لا حضرًا ولا سفرًا، وإذا غلبه نوم أو وضع صلي من النهار اثنتي عشرة ركعة(3).»
وقال لابن عمر: «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل فكان ابن عمر.
بعد هذا ما ينام من الليل إلا قليلا(4).»
وقال: «لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل»(5).
وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس أفسوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نائم، تدخلوا الجنة بسلام»(6).

---
(1) أخرج الطبري في 426/377.
(2) أخرج البخاري في التفسير 4836 من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، ومن حديث عائشة رضي الله عنها.
(3) أخرج البخاري في صلاة التراويح 1341/1477، والترمذي في الصلاة 2499/1637.
(4) انظر: «زور المعاذ» 1/364.
(5) أخرج البخاري في التعبير 1510/1489، ومسلم في فضائل الصحابة 5274، وابن ماجه في تعبير الرؤيا.
(6) أخرج البخاري في الجمعة 1152/1159، ومسلم في الصيام 1249/1256، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنها.
(7) أخرج أحمد 5/45، والترمذي في صفة القيامة 4885، وابن ماجه في إقامة الصلاة 1334.
وجاء عن بعضهم أن أهل قيام الليل يسبقون إلى الجنة(1).
وقال بعض السلف: "كابننا قيام الليل عشرين سنة، ونعتماً به عشرين سنة"(2).
وقد أحسن القائل:

فمن كان أسعي كان بالمجد أجدراً
فلستأخر من أراد تقدماً
وقد أخبار(3)
وقال الآخر:

سوف ترى إذا اتجلى الغبار
فاحرص أخي بارك الله فيك أن يكون لك حظ مع هؤلاء المنتجين المحسنين من قيام الليل ما أمكنك ولو بالشهب كيفاً قيل:

فنشتبوا إن لم تكونوا من أهل فلاح(5)

قال عز وجل في الحديث القدسي: "ولا يزال عبدي يقرب إلي بالتوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبيصري الذي يبصر به، أي متفائل بها، ورجلته التي يمشي عليها، ولقن سألي لأعطيه، ولئن استعذبي لأعذبته"(6).
وعلى الأقل فلا تغلب على الوتر ثلاث ركعتين.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أوصاني خليلي بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام"(7).

____________________________
(1) انظر: "اللفظ المعترف" لابن رجب ص 141، "غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب" ص 100.
(2) انظر: "قروة اللباب" ص 73، "الفتوا الفا ئر" ص 3.
(3) البشري: "ابن علوي ص 150.
(4) انظر: "الأمثال المولدة" ص 24، "المتمحاة والمعاصرة" ص 23، "مجمع الأمثال" ص 444، "زهر الأكم في الأمثال والحكم" ص 77.
(5) انظر: "نفح الأسماء" ص 9، "صيد الأفكار" ص 4. وهذا البيت يروى لأبي الفتح بخيت بن حشيم الحكم، السهري، المطول سنة 850، وأيضاً لعبد الغني النابلسي المطول سنة 1141.
(6) أخرج البخاري في الواقت ص 150، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(7) أخرج البخاري في الصوم 192، ومسلم في صلاة المساجد وقصيرها، وأبو داود في الصلاة ص 1432، النسائي في قيام الليل 177، والترمذي في الصوم 76.
وفي الآية رد على الذين يبتلون فيقومون ولا ينامون قال ﷺ لما بلغهم عن عذاب ابن مطعون رضي الله عنه أنه لا ينام من الليل بعث إليه فجاء، فقال: «يا عذاب أرغبت عن سنتي؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولكن ستلك أطلب، قال: فإني أتمنى وأصلي وأصوم وأفتر، وأكنك النساء، فاتق الله يا عذاب، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لضيفك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، فقسم وأفتري، وصل ونم»(1).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ إذا حل من بين الصائمين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزنائب، فإذا فترت تعلقت به.

فقال النبي ﷺ: «لا حلّوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر، فليل قد»(2).

قوله: «وَإِلَىَّ الْأُحْدَاثِ ِّيَتْمَ أَسْتَفْعَاهُ» كقوله تعالى: «فَاسْتَفْعَاهُ بِالْأَسْبَاطِ» [آل عمران: 21].

والإحرار: جمع سحر، وهو آخر الليل، ما قبل طلوع الفجر، وهو وقت إجابة الدعاء كما ورد في حدث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربا تبارك وتعالى كل ليلة إلى النساء الدنيا، حين يبقى ثلاث الليل الآخر؛ يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(3).

ومن دعاء أحمد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياها، وذلك كل ليلة»(4).

وهكذا قال أكثر المسجدين في قول يعقوب عليه السلام «سَوَّف أَسْتَفْعَاهُ لِكُمْ رَبّكُمْ رَبّكُمْ» [يوسف: 98] أنه أخرجهم إلى وقت السحر لأنه وقت إجابة الدعاء.

(1) أخرج أحمد 2/ 268، من حديث عائشة- رضي الله عنها.
(2) أخرج البخاري في الجماعة 1150، ومسلم في صلاة المسافرين 784، وأبو داوود في الصلاة 1312، والسني في قيم الليل 1413، وابن ماجه في إقامة الصلاة 1371.
(3) أخرج البخاري في الجماعة 1145، ومسلم في صلاة المسافرين 758، وأبو داوود في الصلاة 1315، والترمذي في الدعوات 498، وابن ماجه في إقامة الصلاة 1366، وأخرج أحمد 3/ 388/1 بنحوه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(4) أخرج مسلم في صلاة المسافرين 757.
قال الناظم (1):

فسوّفهم فيها وأوحِدهم بها لوقت إجادات الدعا ساعة السحر

(2) يحيى الصقري في قصيدته المسبكة "القصيدة الصقرية" ص 45.

(3) أخرج مسلم في المساجد 591، وأبو داود في الصلاة 1512، والترمذي في الصلاة 300، وابن ماجه في إقامة الصلاة 928.
قوله تعالى: "لله ما ختمت به الأعيان النبوية والاستغفار.
وهي أمورهم حق للكبائر والمحرومون".

بعدما وصف الله عز وجل المتقين المحسنين بالصلاة والاستغفار،
وبهذا إحساس فيها بينهم وبين الله - عز وجل - بوصفهم بالزكاة والصدقة والبر والصلاة، وفي هذا إحساس إلى عباد الله، فقال:

"وفي أمورهم حق للكبائر والمحرومون"، أي: نصيب واجب مقدر مقوم قد أفرزوه للسائل والمحرومون.

وفي سورة المعارج: "حق معلوم" (الآية: 24)، قيل: قوله في الذarias: "حق".

أي: حق عام، وفي المعارج: "حق معلوم"، أي: معين؛ وهو الزكاة. والسائل: هو الذي يتبدئ بالسؤال وله حق، كما جاء في الحديث: "للسائل حق وإن جاء على فرس".

والمحرومون: المتبعفع الذي لا يسأل الناس كأ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال: قال النبي ﷺ: "ليس المسكون الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنها المسكون الذي لا يسأل الناس، ولا يطلب له فيتصدق عليه".
وفي بعض الروايات: "إنها المسكون الذي يتلعفع، واقتروا إن شئتم يعني قوله:

(1) آخر جهنة النسياني في الطهارة 148، والترمذي في الطهارة 55، وابن ماه في الطهارة 470.
(2) انظر "بديع التفسير" 4/ 225.
(3) آخر جهنة أحمد 1/ 201 وأبو داود في الزكاة - باب حق السائل 1275، من حديث علي وابنه الحسين رضي الله عنها.
سورة الديارات، الآيات: 8 خ: 97

(...)

فالمحروم الذي لا يسأل الناس وليس له شئم في بيت المال ولم تسبر له أسباب الكسب، وهو المحارف الذي قتر عليه رزقه، وتعسرت في وجهه سبيل الرزق.

وصم بي المحروم؛ لأنه حرم الرزق كونًا وقدرًا كما قال تعالى: {وأمَّإِذَا ما أَبْتَلَيْنَهُ فَقُدَّرَ عَلَىٰ رَبِّهِ رَزْقُهُ} [النجم: 12] أي: ضيق عليه رزقه.

قل ابن القيم (2) ثم أخبر سبحةه عن إحسانهم إلى الخلق مع إخلاصهم لربهم فجمع هم بين الإخلاص والإحسان ضد: {أَلَّذِينَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرُورُ} وَيَسَعَونَ أَلْبَاسَهُمْ [المؤمن: 96].

وأكد إخلاصهم في هذا الإحسان بأن مصرفه للسائر الذي لا يقصد بإعطائه الجزاء منه ولا الشكر، والمحروم المعفف الذي لا يسأل. وتأمل حكمة الربر تعالى في كونه حرمه بقضائه، وشرع لأصحاب الجيئة إطاعته، وهو أغلب الأشياء، وأجود الأقوام، فلم يجمع له بين الحرمان بالقدر وبالشرع، شرع إطاعته بأمره وحرمه بقدر، فلم يجمع عليه حرمانهم.

وفي قوله تعالى: {وَقَمْ أَمَلِيْهِمْ كَحُقَّ الْمَغْفُورِ وَالْخَيْرِ} إضافة إلى كونه ثناءً على المحسنين بذل الزكاة والصدقة والتفقات ترقب وحث على هذا العمل لما فيه من الإحسان إلى عباد الله، وأن هذا العمل من صفات المحسنين الذين جمعوا بين الإحساني الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله.

وفي قوله تعالى: {وَقَمْ أَمَلِيْهِمْ} ما يدل على مشروعية الإنفاق من جميع ما يتمله الإنسان من أي أصناف المال كان، لكن الزكاة إنها تجب في الأموال الزكوية، كما دلت(...)

(1) أخرجه البخاري في التفسير 459، ومسلم في الزكاة- باب المسكين الذي لا يجد غني ولا يفطن له فيصدق عليه 1039، وأبو داود في الزكاة 1331، والسني في الزكاة 2571.

(2) انظر: "مبادئ التفسير" 4/250.

(3) كما قال للبخيل "محروم" لأنه حرمت قادرًا وكوثرًا بحرمانه لنفسه بخل، وما أمر شرعًا بذلك بل نهى شرعًا عن البخيل.
بعون الرحمن ﷺ تفسير القرآن ج ٢١٠

على ذلك السنة، وهي: التقدان وعروض التجارة، والسليمة من بهيمة الأนำมา
والخارج من الأرض من الحبوب ونحوها.

وفي مقابلة السائل بالمحروم ما يدل على جواز السؤال عند الحاجة.

قوله تعالى: {وفي الأرض مأذونا} [النور: ١٠٦].

في هاتين الآيتين الكريمتين تذكر الخلق بأيات الله الكونية في الأرض وفي الأنس
الدارة على كيانه في ذاته وأسباته وصفاته واستحقاقه للعبادة دون من سواه، وقامت
قدرته، وأن ما جاء به الرسول ﷺ والمرسلون قبله من الوفي والوعد والوعد وترمز
المعاد كل ذلك حق من عند الله عز وجل.

ويأتون الله عز وجل فتقوم إلى قسمين: آيات شرعية، وهو ما أنزله من الوفي على
أنبيائه ورسله، آيات كونية في الكون والأنفس وسائر المخلوقات.

والمراد بالآيات هنا الآيات الكونية أي: تأملوا وتفكروا وانظروا واعتبروا بهذه
الآيات العظيمة في الأرض وفي الأنس الدالة على وجود الخلق وعظمه وقامت قدرته،
وكيانه في ذاته وأسباته وصفاته وربوبيته وألوهيته كما قال عز وجل: {أَلَمْ نَكُنَا

قال الشاعر:

فواجِبُ ما يَعْصَى الْإِلَهُ
أم كَيْفَ يَحْدِدُ الْحَمَّادُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُرُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَاحِدٌ

والوقنون: هم أهل الآيات واليقين، واليقين أعلى درجات الآية، وهو التصديق
الجائز.

وإنا خص الوقنون بالذكر؛ لأنهم هم الذين يتفكرون ويتأملون في آيات الله

(١) البيتان لأبي العتاهية. انظر: {ديوانه} ص: ١٠.
ويعطون ويعترون، كما قال تعالى: «إن في السموم والأرض كنزًا للفائدين» [الجاثية: 3].

بخلاف من لا يقي من عينه ولا إبان فلا يبتلع الآيات كما قال عز وجل: «قل أطروا مأذى في السموم والأرض وما بنيت إلا النذر ونذكر عن قول الله لا يؤمنون» [يونس: 101].

وقال تعالى: «وَوَسَأَّتُنَّ مِنْ عَلَيْكِ فِي السَّمُومِ وألَّا تَصْبِرُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعَطَّضُونَ» [يوسف: 5].


ومنها: تعدها كما قال عز وجل: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَمْلِئُهَا يَتَعَزَّرُ» [الطلاق: 12].


ومنها: كونها مسطحة مع أنها في الحقيقة كروية الشكل. قال تعالى: «وَأَلْبَىَّ الْأَرْضَ» [الغاشية: 20].

كيف سُطحنت» [الغاشية: 20].

ومنها: كونها ذلولاً، كما قال عز وجل: "فَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِلًا فَاتَّشَأَوَّا فِيهَا" (الم الملك: 15).


ومنها: ما أودعه الله ودحاه فيها، كما قال عز وجل: "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحْوًا" (روهن: 22).

ومنها: إسكان الماء فيها لصالح الإنسان والحيوان والنبات كما قال عز وجل: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً فَأَسْكَنْهُ فِي الأَرْضِ وَأَبَقَّنَا ذَلِكَ لِلْمَلِيْكِينَ" (المؤمنون: 18). 

ومنها: إحباطها بعد موتها وما أخرجها الله منها من النبات والحيوان والماء والمرعى، كما قال عز وجل: "وَأَبْعَثْنَا لَهُمْ الأَرْضَ الْكِبْرَى أَحْيَانِهَا وَاشْرَبْنَا مِنْهَا حُبًا فِيهِ" (بقر: 33-35). 

وقال تعالى: "وَقَرْبُ الْأَرْضِ هَيْدَةً فَإِنَّهَا أُنْبِلَتْ عَلَيْهَا اللَّهُ افْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبِثَتْ مِن
سورة النذرات، الآيات: 15 - 23

ق: [السورة 7:165] وقال تعالى: "وأَلْهَرْسَ مَدْنِنَهَا وَأَلْقَبَتْهَا رَوُّسِيَّةً وَأَلسَّنَا فِيهَا مِنْ قَوْرِينَ بِنَجْحِهِ".

وفي الأرض قطيع متوجو، وَجْنَتِهَا مِنْ أَعْنَبٍ وَرَزْعُ وَنَحْجِلُ صَوْتُ وَعِيدُ صَوْنَوِينَ يَنْصُقُ يُمَّالَ وَزِمْهُ وَقَفْضُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي النَّاسِ يَنْسِقُ وَقَوْرُ بِنَجْحِهِ [الرعد: 44] وقال تعالى: "وَفَزْرَتْنَاهُ مِنَ النَّاسِ مَيْتَةً مَّيْتَةً فَأَنْبِسَنَا يَوْمَ النَّزْحِ وَحَبَّ النَّسْبِ "[النور: 99] وَأَنْزَلْ بِهِمْ مَا طَخَّنَتْهُ مَيْتَةً [رَفَقَ الْيَدِ وَأَحَيَّاهَا بِبَلَدَةٍ مَيْتَةٍ كَذَٰلِكَ آلِهَةٌ كَذُٰلِكَ آلِهَةُ كَذَٰلِكَ [القان: 10].

وَمِنْ آيَاتِهَا: أَنَاَّ تَسْبِحُ لِلرَّحْمَٰنِ [الإسراء: 44].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ عَزْ وَجَلَّ - فِي النَّاسِ، وَالَّتِي لا تَحْصُى كَثْرَةَ وَلَا نُوعًا، مِنْ ذَلِكَ مَا يُحْصَلُ لَهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْارْتِجَاجِ وَالْإِرْتِجَاجِ وَالْلذِّلِّي وَالْبُرْزُ وَالْتَبَلِّعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَد ذَكَرَ أَبِنَ الْقَيْمِ رَحَمَهُ اللّهُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنْ آيَاتِ النَّاسِ مِنْهَا: بِأَرْجُعَ هَاذَا الجَانِبِ.

فِيهَا عَنِ الْمَاءِ مَعَ كُونِ مَقْتَضَى الطَّبْيَةِ أَنْ يَكُونَ مَغْمُورًا بِهِ.

قَالَ:
فِي لَكَ مِنْ آيَاتِ حَقِّ لَوْ اهْتَدَى بِمُـعْرِضِ الْحَقِّ كَانَ هَوَادِيًا، وَلَكَنْ عَلَى تَلَكَ الْقَلَوبِ أَكْنَةً فَلِيَسْتَ وَإِنَّ أَصْغَتْ تَحْيَبُ الْمَنَادِيْنَ، إِلَى أَخْرَجَ مَا كَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي كُلَّ مُتَّلَكَ طَوِيلً، يَجْنَبَ الْوَقْفِ عَلَيْهِ. (1)

قُولُهُ: "وَقَلَّ أَنْتِسْكَرَكَْ، أَي: وَفِي أَنفُسِكَ آيَاتٍ، أَقْلَأَ تَحْيَبُونَ" الاستفهام معناه.

(1) أنظر: "بَدَايَةَ الْعُلَومِ" 4/230.
الأمر، وفيه أيضًا معنى التوبخ والتقريع، أي: لا تنصرون، أي: تنصروا وتفكروا في أنفسكم، وما فِيها من دقيق الخلق، وبديع الصنع، وعظيم التدبير، وما ركبت منه من الأعضاء والعظام والأعصاب والعروق واللحام والدم والحواس، من السمع والبصر والعقول وغير ذلك. قال تعالى: ﴿فَلَا تَفَخَّرُوا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَصْحَابِ قَبْلَ الْجَهَنَّمَ ۚ ذَٰلِكَ لِأَنِّي نَظَرْتُ عِينَيَّ عِيْنَيْ مُنِيعَةً ۚ وَمَن يَشَاءُ يَقْدِرُۢ﴾ (الملك: 22).

وقال تعالى: ﴿قَلْ أَرْبَابُۢ نَٰفِالأَجْرِۢ إِنَّ أَيْمَانَكُمْ وَأَيْمَانِنَاۢ وَكُلُّ عَنْ ثَمْرَةٍ مِّنْ ذَٰلِكَۢ إِنَّهُ عِبَادَنَاۢ﴾ (التوبة: 43).

وأيضًا تنصروا وتفكروا فيها بين الناس من الاختلاف العظيم في ألسنتهم وألوانهم وطاباً عليهم، وما بينهم من النفاوت في العقول والفهوم والحركات، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو في المكان الذي هو مختار إليه فيه.

قال قنادة: «من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق وليت مفاصله للعبادة»(1).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَكَّةَ إِنَّكُمْ مُّرْضَدُونَ﴾.

قوله: ﴿وَقَالَ مَكَّةَ إِنَّكُمْ رَكَّٰٰزٌ﴾، الرقز: العطاء، والمراد به عطاء الدنيا؛ من المطر الذي هو رحمة من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَأَنْفَسْنَا إِلَىٰ أَبَاأ‌ۢ رَحِيمَة‌ۢ ۗ حَسَنَ السَّمَآءَ ۗ وَأَرْضَۢ﴾ (الروم: 50)، وكذا الرقز المقدر لهم بقدر الله الكون النازل من السماء من الأموال والأولدات والصحة وغير ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿کَتَبَتُ لَهُمْ هَكْتَوَلُاءَ وَهَكْتَوَلُاءَ مِنْ عُطَاۢهَا رَبِّكَۢ وَمَا كَانَ عَطَالُهَا رَبِّكَ مَحْتَوَأً﴾ (الأسرار: 20).

وقبل: «إن الرقز يشمل عطاء الآخرة، والذي هو أعظم عطاء، وهو نعيم الجنة التي هي رحمة الله تعالى، كما قال عز وجل في الحديث القدسي للجنة: «أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشه من عبادي»(2)».

(1) انظر تفسير ابن كثير: 7/296.
(2) أخرجه البخاري في التفسير 4580، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها 2846؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال ابن القيم: بعد ما ذكر أن الرزق فسر بالمطر، وفسر بالجنة، وفسر برزق الدنيا والأخرى قال: "ولا ريب أن المطر من الرحمة، وأن الجنة مستقرة الرحمة، فرزق الدارين في السماوات التي هي في العلو.

وأما تعودون، ما: موصولة، أي: والذي تعودون من أمر الساعة والقيامة
والجنة وما فيها من الخير والنعيم والثواب، والنار وما فيها من الشر والعذاب والعقاب
وغير ذلك.

قال ابن القيم: "كون الجنة والخير في السماوات لا إشكال فيه، وكون النار في السماوات وما يوعد به أهلها يحتاج إلى تبين، فإذا نظرت إلى أسباب الخير والشر، وأسباب دخول الجنة والنار واعتقاد الناس، ونقصهم إلى شقي وسعيد، وجدت ذلك كله ينصب على الله وقدره، النازل من السماوات، وذلك كله مثبت في السماوات في صفح الملائكة وفي اللوح المحفوظ قبل العمل وبعده، فالامر كله من السماوات.

وقال أيضاً: "بعدما ذكر قول مجاهد في قوله: فقريت الله ورضي وغفر وجعلنا من النازلين: "الجنة والنار" قال: وهذا يحتاج إلى تفسير فإن النار في أسفل السافلين ليست في السماوات. ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه، وقاله أبو صالح عن ابن عباس:

"الخير والشر كلاهما يأتي من السماوات".

قوله تعالى: فوربِي أَنتُ الْأَمِينِ، إِنَّ حَكِيمَ الَّذِي حَكَمَ مَا أَنْطَقَتْ. قوله: فوربِي أَنتُ الْأَمِينِ، إِنَّ حَكِيمَ الَّذِي حَكَمَ مَا أَنْطَقَتْ.

قوله: فوربِي أَنتُ الْأَمِينِ، إِنَّ حَكِيمَ الَّذِي حَكَمَ مَا أَنْطَقَتْ: عاطفة، والواو للقسم، والقسم به: رب السماوات، فأقسم عز وجل بنفسه. والمراد بالسماوات: السماوات السبع والأرض، والمراد بالأرض: السماوات السبع، والأرض السبع. وهكذا إذا ذكرنا هذا فالسياق أن يراد بذلك أجرام السماوات والأرض قال عز وجل:

"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... وَيُبَارِكُ الْمَدَنَّينَ".

(1) انظر: "بدائع التفسير" 4/234.
(2) انظر: "بدائع التفسير" 4/234.
(3) انظر: "بدائع التفسير" 4/237.
(4) انظر: "جامع البيان" 21/522.
أَلَّمْ أُمَتْنِي أَلْعَبَتْ بِهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ؟ [الطلق: 11].

وجواب القسم قوله: {إِنَّهُ، لَحَقٌ} ومرجع الضمير في قوله: {إِنَّهُ} إلى ما وعده به من القيامة والبعث والجزاء على الأُمَّال واللَّام للتوثيد.

أي: إنه كافٍ لمحالة وحق وصدق لا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: {وَكَانَتْ كَلَّمَتُهُ مِثْلَ كَلَمَةِ نَبِيٍّ} [الأسماء: 115]، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.

وَيَّلَقُ مَا أَنْفِقْتُ وَمَا مَتَ إلى [المبادئ: 189]، مثل: شبه، وما (م) مصرفية، أي: مثل نطقكم، والنطق: الكلام.

أي: حق ثابت وصدق واقع مثل كونكم تطقون وتتكلمون، فكما لا يخلل الإنسان أدنى شكل في نطقه، فذلك ما أخبر الله عنه من أمر التوحيد والربوة والمعاد والجزاء على الأُمَّال حق ثابت وواقع لا شك فيه، كما يقال: هذا حق مثل الشمس.

قال الشاعر:

وليس يصبح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل.

وأما حسن قول المنتبِي في مقدمة الحسن بن إسحاق التنوخي، وكان أحد الوشاة قد هجاه في قصيدة ونشبها للمنتجِبى، فكتب إليه أبو الطيب قصيدة منها قوله:

وهنيئ قلت هذا الصبح ليل أعمى العالون عن الضياء.

قال ابن القيم (3): {وهنا أُمَّي أَمَّي أَمَر يَنْفَعَنَا التَّقْطَنُ، وَهُوَ أَمْر يَنْفَعْنَا التَّقْطَنُ، وَأَمْر عَلَى، وتَنْفَعَنَا، وَأَمَّر عَلَى، وَأَمْر يَنْفَعَنَا التَّقْطَنُ}.

أخبر به، وهو أصدق الصادقين، وأقسم عليه، وهو أَمْر يَنْفَعَنَا التَّقْطَنُ، وأحكمه بشهبه بالواقف الذي لا يقبل الشك هوه، واقام عليه من الأدلة العيانية والبرهانية ما جعله معايّنة مشاهدة بالبصائر، وإن لم يعاب بالأيام، ومع ذلك أفتك النفس في غفلة عنه لا تستعد له، ولا تأخذ له أبهة، والمستعد له الآخذ له أبهة لا يعطيه حقه منهم، إلا الفرد بعد الفرد، فأكثر الحقلة لا ينظرون في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار، ولا يفكرون في قلة مقامهم في دار الغرور، ولا في رحيلهم وانتقاه عندها، ولا إلى أين

(1) البيت للمنتجِبى. انظر {ديوانه} ص 220.
(2) انظر {ديوان المنتبِى} ص 9 دار إحياء التراث العربي- بيروت.
(3) انظر: {بداائع التفسير} 4/ 235-236.
برحلون؟ وأين يستقرون؟ قد ملكهم الحسد، وقل نصيبهم من العقل، وشملتهم الغفلة، وغرتهم الأمن، التي هي كالسراب، وخدعهم طول الأمد.
و والعجب كل العجب من غفلة من تعد عليه حفاظه، وتحصى عليه أنفسه، ومطايا الليل والنهار تسرع به، ولا يتكفر إلى أين يحمل، ولا إلى أي منزل ينقل:
وكيف تنام العين وهي قربة ولم تدر في أي المخلفين تنزل؟
وصدق ابن القيم - رحمه الله - في نظرته لواقع الناس، وهذا مصدق قول الله عز وجل: "وَمَا أَضْعَفْتُ اللَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ وَلَوْ هَزَّتِ بِعَمْوَانٍ [بَوْسف: 103]". وقوله تعالى: "وَإِنْ تَعْلَمُونَ مَثَّلَ أَنَّ فِي الأَرْضِ نَجْزِي الْمُتَّقِينَ [الأنفال: 11]"، وقوله تعالى: "وَقَدْ لَمْ يُنْثِرَ عَلَى النَّاسِ شَكُورًا [سبأ: 13]"، وقوله تعالى: "إِنَّا لَآَلِينَ مَآءَ وَعَمِّيْلَانَا الصَّلِيحِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَاهُمْ [قص: 24]".
وأمر الله عز وجل آدم لما استخرج ذريته أن يأمر من كل ألف واحد للجنة والبقية إلى النار.(1)
وقال
(1) "الناس كلب مائة لا يوجد فيها راحلة"(2).
وقال قال بعض السلف: "لا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، ولا تستوحي من الحق لقلة السالكون"(3).
وقال الشاعر:
وأما الناس ألَف منهم خواهد واحد كالألف إن أمر عنى(4)
القوائد والأحكام:
1 - جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب.
2 - عظم ما أعد الله للمتقين في الجنت والعيون من جزيل العطاء والنعمان; لقوله
______________________________________________________________
(1) أخرجه البخاري في الأنباهي 9348، ومسلم في الإيات 222، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(2) أخرجه البخاري في الحراق 1498، ومسلم في فضائل الصحابة 2547، والترمذي في الأمثال 2872، وابن ماجة في الفتح 3990، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.
(3) سيبقى ترجيحه.
(4) البيت لا ابن دريد أنظر "ديوانه" ص 132.111
 تعالى: "إنَّ الْإِخْبَارَ فِي جَنَّتٍ وَحُكْمٍ".

3- إثبات ربوية الله عز وجل الخاصة للملتقيين: لقوله تعالى: "إِنَّ ذَٰلِكَ إِنْ هُمْ مَا يَضْلِبُونَ رَأِيَّاهُمْ".

4- ثناء الله - عز وجل - على المتقيين، الذين جمعوا بين تقوى الله بفعل أولم، واجتناب نواهه، والإحسان في عبادته وإذ عباده: لقوله تعالى: "إِنَّهُمْ قَالُوا أَقِمَ الْكَفَّارَةَ وَإِسْتِكْبَارًا يَتَّقُونَ".

5- الترغيب في الإحسان في عبادة الله وعباد الله، وفي قيام الليل والاستغفار بالأسحار: لقوله تعالى: "كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ يُكَلُّوْنَ وَلَاتَّخِذُوا لِلّهِ ٱلْحَمْرَاءَ مُسْتَقْفِينَ".

6- وجوب إخراج زكاة الأموال وإعطائها لمستحقها، واستجاب الصدقة والإحسان إلى المحتاجين من سائل ومتعبف: لقوله تعالى: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ كَيْفَ ِلِلسَّلَّامِ وَالْمُتَّحِرِّينَ".

7- الإشارة إلى جواز السؤال عند الحاجة.

8- الحث على التأمل في آيات الله - عز وجل - في الكون، في الأرض، وفي النفس، ودلالتها على عظيم قدرة الله تعالى: لقوله تعالى: "فِي ٱلْأَرْضِ وَيَدُوْنِيُّ وَفِيَّ أَنتُمْ نُبْلُوْنَ".

9- إنها تأمل في آيات الله في الأرض وفي غيرها ويتفكر فيها: أهل البقين: لقوله تعالى: "فِي ٱلْأَرْضِ وَيَدُوْنِيُّ وَفِيَّ أَنتُمْ نُبْلُوْنَ".

10- أن رزق الخلاص كلهم من السياح من عند الله - عز وجل - بالمطر، وبقدر الله النازل من السياح: لقوله تعالى: "وَفِي أَلْبَابِ ٱلرُّءْسِ".

11- أن الجنة في السياح، وأن كل ما يوجد به الخلق من خير، أو شر بقضاء الله - عز وجل - النازل من السياح: لقوله تعالى: "وَمَا تَوَّهُدُونَ".

12- إثبات البعث والحساب والجزاء على الأُمِّيِّن، وإقسمواه - عز وجل - بنفسه، وهو رب السياح والأرض للخلائق على أن ذلك حق كنطبقهم: لقوله تعالى: "فَرُبِّ ٱلْمَلَائِكَةَ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ يَلْحَقُ مَثَلًا مَّا أَنْفِكْمُ تُطِفُونَ".
قوله: "هل أنت حديث صنيف إبراهيم المكسيك؟" هل للاستفهام، ومعناه التشويق، أو التقرير، أي: لم يأتك.

وقيل: "هل" هنا بمعنى "قد" التي تقضي التحقق والتوكيد، كما في قوله تعالى: 


وإنما صدر الكلام بالاستفهام للعناية والاهتمام والتشويق، والتقرير، وتنبيه المخاطب للتدبر والتفكير فيها سياط بي: لما له من الأهمية، أو لما فيه من الموعظة أو العجب ونحو ذلك، كما قال تعالى: "وهل أنت حديث موسى" [طه: 9]. وقوله: 

"وهل أنت حديث النبأ" [ص: 21]. وقوله: "هل أنت حديث اللهي" [الأعلى: 1].

كما أن في تصدع الخطاب له بقوله تعالى: "هل أنت؟" التنبيه على أن إيان هذا إليه علم من أعلام نبوته، أي: إن هذا من الغيب الذي لا تعلمه أنت ولا قومك، فهل أنت من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا لك؟ أي: إنه لم يأتك إلا من قبلنا.

كما قال عز وجل: "فإنه من أبناء الغيب نوحياً وكأنك تمثلهم أنت ولا قومك من قبله.

هذًا" [هود: 49].

"حديث صنيف إبراهيم"، أي: خبر وقصة ونباً صيوف نبي الله ورسوله إبراهيم عليه السلام من الملاكاة.

وإبراهيم هو خليل الرحمن، وأبو الأنباء عليهم السلام، فكل من جاء بعده من الأنباء من ذريته، أوهم بكره إسحاق بن إبراهيم من سريته هاجر، وهو أبو العرب،
ولمن ذريتى نبينا محمد ﷺ. ومنهم إسحاق بن إبراهيم من زوجته سارة. وهو أبو بني إسرائيل.

(1) أُذْهِبْ عَلَيْكَ مَّجْهُرُونَ [الأنبياء: 26].

ويحتمل المكرمين عند إبراهيم عليه السلام. ولا تنافى بين القولين، فضيوفه عليه السلام مكرمون عند الله، ومكرمون عنه، وهو بذلك يدل على فضله عليه السلام.

(1) أُذْهِبْ عَلَيْكَ [النور: 28].

وقال ابن القيم (1): «قوله تعالى: أُذْهِبْ عَلَيْكَ، فلم يذكر استذائتهم، ففي هذا دليل على أن عليه السلام كان قد عرف بإكرام الضيوف واعتياد قراهم، فبقي منزله مضيئًا مماثلًا عن رده، ولا يحتاج إلى استذان، بل استذان الداخل دخوله، وهذا غاية ما يكون من الكرم».

فقال سلمًا، أي: نسلم عليك سلامًا، أو سلمنا عليك سلامًا.


(2) فقوم مكررون قال ابن كثير (2): «وذلك لأن الملائكة وهم: جبريل وإسرائيل، ومكّانات قدموه عليه في صور شباب حسان عليهم مهابة عظيمة».

وذكر ابن القيم أن مما يدل على كرم إبراهيم عليه السلام أنه حذف المبتدأ من

---

(1) انظر: بدائع التفسير، 4 / 277.
(2) في: تفسيره، 2 / 397.
ف长途: "قوم منكرون فإن ما أنكرهم ولم يعرفهم احتمش من مواجهتهم بل فظ ينفر الضيف لو قال: أنتم قوم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألفت الكلام. وكان رسولنا محمد ﷺ لا يواجه أحدًا ما يكره بل يقول: "ما بال أقوم يقولون كذا ويفعلون كذا" (1).
و قال: "منكرون" بالناء للمفعول وحذف الفاعل، ولم يقل إن أنكركم.
قال ابن القيم (2): "و هو أحسن في هذا المقام وأبعد من التنفيق والمواجهة بالخشونة.
و هو الذي أنكرهم، ك穴 قال في سورة هود: "فانحرموه" {الآية: 70}.
وعند مواجهة المخاطبين لما يكرهون تعبير جاء به القرآن والسنة، ينبغي للمسلم الأخذ به في مخاطراته، وفر قٍ بين قول القائل:
 فأقسم أن لو التقينا وأنتمُ لكان لكم يوم من الشر مظلم (3)
و بين أن يقول:
 فأقسم أن لو التقينا وأنتمُ لكان لكم يوم من الخير نزيٍٍ.
فأؤثر إلى أهل إطفاء، فجمع بين سبيلين، أي: ذهب وانسل مسرعاً خفية بحيث لا يكاد يشعر به، وهذا من كرم الضيافة أن يذهب الضيف خفية بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحقي، فلا يشعر الضيف إلا وقد جاءه رب المنزل بالطعام، بخلاف من ينادي بالإفطار بالطعام وضيعه يسمم أو يستشير الضيف فيها يأتي به من الطعام، مما يجعل الضيف يستحم ويجعل وحش، وربما تعذر عن الأكل، وأبدى أنه لا حاجة له في الطعام حياءً، وقد قالوا: "من شاور ما أعطى".

(1) أخرج البخاري في الأبيان والنذر- عن أبي حميم الساعدي- رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ يقول:
"فأيا بالعامل تستعمله فإنثيًا فقوله هذا من عملكم وهذا أهدى إلي..." ٢٦٣١.
وعن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: "قام النبي ﷺ خطبًا فقال: "بلغني أن أقوماً يقولون كذا وكذا..." أخرج البخاري في الشكل ٢٥٠٦.
وعن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: "قمة الذين أرادوا التليل أنه قال: "ما بال أقوم يقولون كذا وكذا، لكنني أصلي وأطاع وأحكم وأفقر وزوج النساء، فمن رغب عن ستي فليس مني" أخرج البخاري في
الإثه ٢٦٢٠، ومسلم في النكاح ١٤٠١، ٢٤٢.
(2) البتور: "بدائع التفسير" ٤/ ٢٣٨، ٢٤٢.
(3) البيت لامرأة البغدادي. انظر: "خزاءة الأدب" للبغدادي ١٠/ ٨٠.
وقوله: "فالله أهله،" يدل على أنه مستعد متنهي للضيافة فلم يتج إلى الذهاب إلى السوق، أو إلى الحراء أو غيرهم؛ ليشترى أو يستقرض ونحو ذلك.

وقوله: "فاغ فل أهله، فجعل يبيع سينين" يدل على خدمته عليه السلام لضيفيه بنفسه فلم يأمر من يأتي ب الطعام من خادم أو غيره، وهذا أبلغ في الإكرام.

والعجل: هو ولد البقر، والذي يعد خمه من ألب ولأنع اللحوم.

ومن كرمه عليه السلام أنه جاءهم بالعجل كاملا لبيضه.

واختار لهم العجل السمين الذي هو من خيار ماله، كثير اللحم والشحم، ولذذ الطعم، ولم يبق هذا له، ويتناولهم الهزيل.


"فَقَرْنَى إِلَى مَّلَكٍ قَالَ أَلَا تَأْكُرِبْ إِلَى مَّلَكٍ قَالَ أَلَا تَأْكُرِبْ" أي: أدنى فهم هذا العجل المشوي هو بنفسه ولم يأمر من يقدمه لهم من خادم أو غيره، ولم يأمرهم أن يقوموا ويقربوا إليه، وهذا كرم منه ويلطف مع ضيوفه، وهذا لاشك أبلغ في الإكرام.

وذكر المذكورة الحديثة عكست الأمر إيضاحا للراحة ونحو ذلك، بل ربما يعد من العيب عند البعض أن يقدم الطعام للضيف في مكان جلوسه، فله مجلس للقهوة، وللذات مكان خاص، بل ربما ترك الضيف يخدم نفسه كما يفعله المخدعون بالمدينة الزائفة، ويقولون للضيف: اخدم نفسك بنفسك.

قال: "أَلَا تَأْكُرِب" عَرَض حسن، وتلتطف بالقول؛ ليأكلوا ولم يقل لهم: "كلوا" تلطفًا معهم في القول، ولم يكن ضيوفه يحتاجون إلى إذن في الأكل، بل كان إذا قدمهم الطعام أكلوا، وليامتع هؤلاء الضيوف من الأكل؛ لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون؛ لأنهم من صمد ليس لهم أجواش، قال لهم: "أَلَا تَأْكُرِب".

واستدل بالآية على مشروعية إكرام الضيف وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزلاء (1)، وعلى ذلك دلت السنة.

(1) انظر: "تفسير ابن كثير" 7/397.
قال تعالى: "من كان يوم الله واليوم الآخر فيكيره ضيفه".(1)

قال تعالى: "ما لم يأكلوا أوجس في نفسه خفية، كما قال عز وجل في سورة هود: "قلما رأيتَ أبدأ تأكلينَ لا تأكلينَ أبدًا تأكلينَ، وأوجسينَ مثّم خفيةً" [الآية: 77]، أي: أحس وأضمر في نفسه منهم خوفًا، كما هي عادة العرب إذا نزل بهم ضيف وأبي أن يباح، أي: أبي أن يأكل من طعامهم خافه أنه إنما جاء لشر، فإذا أكل من طعامهم اطمئنوا إليه وأمنوا من أن يعذرون بهم.

قال ابن القيم: "ما رأه لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفًا أن يكون معهم شر، فإن الضيف إذا أكل من طعام رضي المنزل اطمئن إليه وأسند به.

لكن عندما يضعف واعز الدين، ويتجدد البعض من الشيم والعادات والتقاليد والأخلاق الكريمة الطيبة فإنه قد يأكل من طعام القوم ويغيد بهم وهذا في منتهى الخسارة والانضواء.

قالوا لا تخف، أي: قال ضيفه من الملائكة لما عرفوا ما وقع في نفسه من الخوف لما امتنعوا من الأكل، لا تخف.

وكتب أوغست راموس البرشة: الإخبار يا يسر وتكافر مأخوذ من البشرة؛ لأن الإنسان عندما يسمع بخير سار تبسط بشرته، ويظهر ذلك على وجهه.

والغلام: هو المولد الذكر، "فيض" أي: يكون هذا علم بما يمنحه الله من النبوة، والمراد به إسحاق عليه السلام، كما صرح به في بشرة زوج إبراهيم عليه السلام سارة عليها السلام؛ لأن هذاولد منها فككل منها مبشر به، قال تعالى: "فَبَشَّرْهَا بِخَالِدٍ ثَانِيَةً وَيَوْمَ يَقُومَ الْحَقِّ" [هود: 171].

كما بشر إبراهيم عليه السلام قبل ذلك بإسحاق عليه السلام من سريته هاجر;

استجابة لدعائهما عليه السلام حين قال: "بَشَّرْنَاهُ بِنَاسٍ أَخْلَصُونَ"، قال تعالى: "فَبَشَّرْنَاهُمْ.

(1) أخرجه البخاري في الأدب، 67، مسلم في الإيام، 47، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) نظر: "ب دائما التفسير"، 4/243.
قال ابن القيم (1): "وهذا الغلام إسحاق، لا إسرايع؛ لأن امرأته عجبت من ذلك فقالت: عجوز عقيد لا يولد لمثل، فأنى لي بالولد وأنا إسرايع فإنه من سريته هاجر، وكان بكره وأول ولده.

وقد استدل ابن القيم (2) بهذه الآيات على عظيم كرم إبراهيم عليه السلام من خمسة عشر وجهًا ثم قال: فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف إنها هي من أوضاع الناس وعوائدهم وكمى بهذه الآداب شرقًا وغربًا.

وقال ابن كثير (3): "وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطبعه من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمت عليهم أولاً، فقال: نأتيكم بطعام؟ بل جاءه بسرعة وحناء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتى سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يصل على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: "لآ تأتيكم"؟ على سبيل العرض والتوطد.

(4) فقلاً، آمرًا: "سارة في تَرَيْ الَّذَيْنَ، أي: في صرخة عظيمة ورنة شديدة وهي قولها: يا وليتي.

(1) تعجب النساء من الأمر الغريب.

(2) قلب ابن القيم: "فبه بياض عقل المرأة وعدم ثباتها، إذ بادرت إلى النذبة فصكت الوجه عند هذا الخبر.

(3) وقأة وهو عقيد، أي: كيف ألد وأنا الآن عجوز، وقد كنت قبل ذلك في شبابي.

(1) انظر: "بداائع التفسير"، 4/244.
(2) انظر: "بداائع التفسير"، 4/237-239.
(3) في "تفسير"، 7/298.
(4) انظر: "بداائع التفسير"، 4/244.
وفي صياغة عقيم.
فذكرت لتعجها من الوالدة سببين: الأول أنها عجوز، أي: كبيرة السن، بلغت سن الإياس فلا تحيل، والسبب الثاني أنها كانت قبل ذلك عقيبًا.
وقال في سورة هود: {وَأَمِرَنَّهُ قَائِمًا فَصَبَحَتْ فَضَجْكَتْ فَسَّرَنَّهَا إِلَى عِينٍ وَدَارَا إِلَى عِينٍ يَقْعُوبُ} {قُلْ تَذَكِّرِي مَا أَلَّهُ عَدْوَتُهُ وَهَذَا بَعْلِي يَعْلَمُ إِنَّ هَذَا إِلَّا الْقَيْدُ إِلَّا هُدْيُهُ} {الآية: 72}.
فذكرت السبب المائع منها ومن إبراهيم وصرحت بالعجب.
قُلْ أَنتَ كَذَلِكَ كَالَّذِي قَالَ رَبَّكَ {أَيِّا} قالت لها الملائكة: كذلك قال ربك، بأنه سيولد ل천يا غلامًا.
وفي هذا إثبات صفة القول الله عز وجل.
وفي إضافة {رب} إلى ضميرها في قوله: {رَبِّي}: تشريف وتكرير لها وعناية بها؛ لأن المراد بالربوية هنا الروبية الخاصة.
{إِنَّهُ الْمُلْكُ لِلْحَكِيمِ} {الحكم، والعالم)، اسنان من أسماء الله عز وجل، كل منها على وزن فعيل، {الحكم}: مأخوذ من الحكم بأقسام الثلاثة: الكوني والشرعي والجزائي، ومن الحكم بقسمها: المحكمة الإلهية والحكمة المصرية، يدل على أنه عز وجل ذو الحكم النافذ، والحكمة البالغة.
و{العالم}: مأخوذ على العلم وهو إدراك الأشياء على ما هي عليه إدراكًا جازمًا.
يدل على أنه عز وجل ذو العلم الواسع كما قال عز وجل: {وَصَّبِرْنَ مَا عَلَى عَنْكَ} {اله: 98} فهو عز وجل ذو الحكم والحكمة والعلم فيها خلق وما أمر وشرع.
وقدَّم في هذه الآية {الحكم} على {العالم} مع أن الغالب في القرآن العكس، وذلك- والله أعلم- للتأمل في حكمة الله- عز وجل- في عدم ولادة سارة في شبابها، ومن ثم ولادتها بعد أن صارت عجوزاً واعتقدت أنها عقيم.
قال ابن القيم (1) : «والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال فالأعلم يتضمن الحياة ولوازم كلاها من القيومية والقدرة والبقاء والسمع والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم النام، والحكمة تتضمن كلا الإراده والعدل والرحب والإحسان والجود والبر، ووضع الأشياء على أحسن وجهها، وتنضم إرسال الرسل وإثبات الثواب والعقاب».

الفوائد والأحكام:

1- تصدير الخاطب بالاستفهام للعناية والتنبئ والهبة؛ لقوله تعالى: "هَلَّ أَنَاُّكِ؟".

2- تشريف النبي وتكريمه بترحيبه الخطاب له؛ لقوله تعالى: "هَلَّ أَنَاُّكِ؟".

3- تحقيق وإثبات جيء ضيف إبراهيم عليه السلام من الملائكة وهم جبريل وإسحاق و一双ب على صورة شاب حسان من بني آدم، وما جرى بينهم وبين إبراهيم عليه السلام؛ لقوله تعالى: "هَلَّ أَنَاُّكِ نَحْيُنَّ فَيْنَ مُرَحَمُ بِكَ؟". وفي هذا علم من أعلام نبوة نبينا.

4- عظم منزلة هؤلاء الملائكة، وأنهم مكرمون عند الله - عز وجل -، ومكرمون عند نبيه إبراهيم عليه السلام؛ لقوله تعالى: "نَحْيُنَّ فَيْنَ مُرَحَمُ بِكَ؟".

5- مشروعة السلام ورد، وأن رد إبراهيم أبلغ وأكمل من سلم الملائكة؛ لقوله تعالى: "خَذْنَ أَنَاُّكِمُ فَأَقْلِ ذَلِكَ سَلَمَ رَبُّكُمْ".

6- كرم إبراهيم عليه السلام وأن منزله كان موثقاً للضيوفان بلا استثناء؛ لقوله تعالى: "خَذْنَ أَنَاُّكِمُ فَأَقْلِ ذَلِكَ سَلَمَ رَبُّكُمْ".

7- جواز أن بين صاحب المنزل للضيف أنه لم يعرفه تدراجاً معه في الكلام وإيناساً له؛ لقوله تعالى: "فَعَمَّتْ مَنْ تَعْمَرُونَ".

8- شدة كرم إبراهيم عليه السلام، وخدمته لضيفه بنفسه، وتلطينه معهم في القول؛ لقوله تعالى: "وَأَنَاُّ إِلَيْهِ فَضُعْتُ سَيِّئَتِي فَقَرَأْتُ لَهُمْ كَانَ أَلاَّ تَأْكُلوُنَّ".

9- وجوب إكرام الضيف، قال تعالى: "مَنْ كَانَ يُؤُمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ".

(1) انظر "بديائع التفسير" 4/ 244.
سورة الازدرى: الآيات: 24-30

10 - أن من كرم الضيافة مبادرة الضيف بما يستحقه من الضيافة، والترتفع معه في الحديث، وتقريب أجود الطعام له، وخدمته؛ لقوله تعالى: "قَالُوْنَ قَالُوهُمْ أَلَّا تَكُونُنَّ". 

11 - طمأنة ضيوف إبراهيم عليه السلام له وبيان أنهم ملائكة من عند الله، ومشارتهم له بإسحاق نبي من الصالحين؛ لقوله تعالى: "قَالُوا لَن تَعْفَ وَيَسْرُوْهُ يَقْلِلُهُ عَلَيْهِمْ".

12 - ينفي للضيف طمأنة الضيف بالأكل مما يقدم له إزالة للحوشة، ولئلا يظن أنه إنها جاء لشر.

13 - تعبير امرأة إبراهيم عليه السلام "سارة" عن كونها تلد وهي عجوز كبيرة، وقد كانت في صباها عقيبة؛ لقوله تعالى: "فَأَطْلَبْتُ لَأَمْرَاهُ وَهُدِيَهَا وَجَهَّهَا وَأَوَّلِيَهَا عَرْقُهَا".

14 - ضعف عقل المرأة إذ سارعت إلى الندة ولطم وجهها؛ لقوله تعالى: "فَصَرَّفْتَ وَجَهَّهَا".

15 - إثبات القول "عز وجل" وإثبات ربوبيته الخاصة لأوليارائه؛ لقوله تعالى: "قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ".

16 - إثبات أسماء من أسماء الله "عز وجل" - وهما "الحكيم" و"العالم" وإثبات صفة الحكم النام والحكمة البالغة والعلم الواسع له - عز وجل - لقوله تعالى: "إِنَّهُ هَوَأَلَّهَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ".

17 - إثبات كمال قدرة الله - عز وجل - على إيجاد مولود علي خلاف الأسباب المعتادة.

18 - في اقتران اسميه "عز وجل "الحكيم" و"العالم" كمال إلى كمال.

* * *

(1) سبب تفريعه.
قال الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرسلون (31) كفاراً إذا أرسلنا إلى قول الله تعالى: {قال قل خذ هدى أنت المُرس...}

وكان من أدب الله عليه وعلى نبينا وجميع المرسلين الصلاة والسلام، أنه لم يلطف ضيفه ويكادره بالسؤال عن شأنهم، وسبب مجتهديهم، بل بادرهم بالحفاوة والإكرام، ليأنسوا ويشير صدورهم، وهكذا ينبغي أن يفعل مع الضيف.

{ قالوا } مبينين له الهدف الذي جاؤوا من أجله.

{ إنا أرسلنا إلي قول تجريمين }، يعنون قوم لوط عليه السلام الذين عصوا نبي الله لوطًا على السلام، وارتكبوا الجريمة العظمى والفاصلة الكبرى: اللواط قال عز وجل حكاية عن قول لوط لقومه: {أتأتون الذكران من الصليبين } وقيلوا ما خلق لكر ركيم من أرشيف { بل أنتم قوم غدوين } [الشعراء: 135 ، 140]، وقال تعالى: { ولو لغد } إذ قالت لقومه { أتأتون الفجيعة ما سبقكم بها من أجركم الفعليين } { إنكم لم تأتون أئجل شاهود من دوب أنفسكم بل أنتم قوم مشرفوين } [الأعراف: 80].

وأما الصرايين في المرسل لهم - وهو الله عز وجل - تأديبًا مع الله سبحانه وتعالى: لأنهم مرسلون بالعذاب، وهذا كما في قوله تعالى { عن ألم مضى عليهم } [الفاتحة: 7].

وقوله { والشر ليس إليك } (1).

(1) آخره مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، ويده داو في الصلاة ، والسني في الافتتاح.

897 من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وِمُهَرِّمَنَّ: جَمِيعٌ مُجْرِمٌ، وَهُوَ مُرَكَّبُ الْجَرَائِمِ، وَوَضَعْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَا رِكَابًا لِلْجَرَامِةِ
الْعَظِيمِ وَالفَاحْشَةِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ إِبْنُ الْذَّكَرِ مِنَ الْمَالِمِينَ، وَالَّذِي هُوَ أَشْدَدُ وَأَعْظَمُ
مِنَ الْزِّنَا، لِأُنْثِيَ إِبْنُ الْذَّكَرِ الْذَّكَرُ لَا يَجْزِي بَأَيِّ هَالِمٍ مِنَ الْأَحَواْلِ، أَمَّا إِبْنُ الْذَّكَرِ الْأُشْقَى
فِي جَزَى بِمِنَ الْأَحَواْلِ وَهُوَ حَالٌ كَانُ الْمَرَأةَ زُوْجَةً لِلرُّجُلِ أَوْ سَرِيًّا لَهُ،
كَيْ أُنْتِهِ الْقِلْوَةِ يُصَبِّعُ الْحَرْزُ مِنْهُ، لَوْ جَدَّ الْذَّكَرُ مِنْ الْذَّكَرَ لَا يَسْتَنْتَكِرُ بِخَلاف
وجوده مع الأنثى.
لَيْفِنِّي عَلَيْهِمْ جُحَارَةٌ مُحَيَّرَةٌ} [الجاثية: 189]. (مَهَرِيمَنَّ)
لِلْتَّنَبَيْلِ، أي: لَأُجَّلَ أنْ نَرِسَلْ عَلَيْهِمْ حَجَارَةَ مِنْ
طَينِ، وَهِيَ حَجَارَةُ السَّجِيلِ، وَهُوَ الْطَينُ الَّذِي أَوْفِدْ عَلَيْهِ حَتَّىْ يُحَجَّر، كَيْ قَالَ تَعَالَيْ فِي
الْأَيْةِ الْأَخْرِى: {قُلْ لَكَ جَلَّ الْأَمَٰرُ أَمْرٌ لَّكَ تَعْلَمْ عَلَيْهِ سَيْرَتَهَا وَأَمْضِيْتَ عَلَيْهَا جُحْارَةٌ مِنْ
الْفَلَثْلِيكَ}. (مَهَرِيمَنَّ)
مَسْأَوَةٌ عَنْدَ رَّبِّكَ وَمَا هَيْنَ
أَلْفِلِيمَيْكَ بِبَعْضِكَ} [الجاثية: 188].
ومعْيَنِ {مَسْأَوَةٌ عَنْدَ رَّبِّكَ} مَعْلُوَّهَا، أَي: مُكْتَبَةَ عَنْهُ بَعْضًا، كُلُّ حَجَرٌ عَلَيْهِ اسْمُ
صاَبِهِ.
قُوْلُهُ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَمْضُيْنَ عِبَارَتَيْنِ مِنْ النُّصْبِينَ وَتَرْكُنَا
بَيْنَاهَا عَلَيْهِمْ يَّوْمَ يُحْيَى الْغَدَامَّ نَصْبًا}.
قُوْلُهُ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، أَي: أَخْرُجِنَا وَنَجِيْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقْوَةِ
مِنْ كَانُ فِي قَرْيَةِ قُومٍ لَوْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصَدِينَ، وَهُمْ لَوْتُ وَأَهْلَ بُيُوتِهِ مَا عَدَّ أَمْرَتُهُ.
وَذَلِكَ بَنَى أَمْرَنَا أَمْرًا قَدْرِيًا بَالْخَروْجِ فَخَرَجُوا وَنَجِيْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ، كَأَمَّا قَالَ تَعَالَيْ:
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {فَاسْقِطْ عَلَيْهِمْ نَكَبَتَيْنِ}
الْأَيْامِ} [الجاثية: 187]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قَالَ إِنَّكَ فِي هَذَا أَوْلَى تَثْبِتْ أَعْظَمَيْنِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَأَهْلَهَا،
إِلَّا أَمْرَنَا} {سَكَانَتْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [العَكْبِيَّةَ: 82].
وَهَذِهِ السَّنَةِ اللَّهُ وَلَنْ تَحْصِلْ لَهَا لَسْنَةٌ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَحْصِلْ لَهَا لَسْنَةٌ تَحْوِيْلًا يَنْجِي أَوْلِيَاءَ
الْمُؤْمِنِينَ وَحَزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَيَئْتِيمَ مِنَ أَعْدَادِهِ وَأَعْدَادِهِ الْمُكْذِبِينَ، وَيَجْعَلَ العَاقِبَةَ لِلْمَتَّقِينَ.
والخزي والندامة والخسارة على الكافرين.

"فأوحَدَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ"، أي: فَأَخَذُونَا في هَذِهِ الْقَرْيَةِ سَوَى بَيْتٍ واحِدٍ من المسلمين، وهم بيت لوط عليه السلام، وهم المؤمنون، وهم المخروجون الناجون من العقوبة والعذاب.

أطلق عليهم مؤمنين ومسلمين لاجتماع هذين الوصفين فيهم: الإيابان هو صلاح الباطن، والإسلام وهو صلاح الظاهرة.

قال ابن كثير (١): "احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المتزلج، من لا يفرق بين مسمى الإيابان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الآساني هنا خصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

فقبل للمخرجين منهم الناجين من العذاب مؤمنين مسلمين لاجتماع الوصفين فيهم لأن كل مؤمن مسلم.

وقبل للموجودين منهم مسلمين؛ لأن المسلم لا يلزم أن يكون مؤمنًا وهذا سايهم مسلمين؛ لأن منهم امرأة لوط وهي مسلمة ظاهرةً لكنها غير مؤمنة.

قال ابن القيم (٢): في كلامه على قوله تعالى: "فَأَخَذُونَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ"، فأوحَدَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ قال: "فأخرج بين الإسلام والإيابان هنا لس اقتضاء الكلام، فإن الإخراج هنا عبارة عن النجاة، فهو إخراج نجاة من العذاب ولا ريب أن هذا مختص بالمؤمنين المتبوعين للرسل ظاهرًا وباطنًا.

وقوله تعالى: "فَأَخَذُونَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ" لما كان الموجودين من المخرجين أوقع اسم الإسلام عليهم؛ لأن امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت، وهي مسلمة في الظاهرة، فكانت في القوم الموجودين، لا في القوم الناجيين، وقد أخبر سبحنها عن خيانة امرأة لوط، وخياناتها أنها كانت تدل قومها على أضيافه وقلبها معهم، ليست خيانة

١٣٩٩

(١) في تفسيره ٧/٤٢.

(٢) انظر: بدائع التفسير ٤/٤٢٦.
فاحشة، فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهرًا وليست من المؤمنين الناجين.
قال: "وهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور وهو: أن الإسلام أعم من الإيان، فكيف استثنى الأعم من الأخص، وقاعدة الاستثناء تقنيص العكس؟ وتبين أن المسلمين المستثنين ما وقع عليه فعل الوجود والمؤمنين غير مستثنين منه، بل هم المخرجون الناجون.

وويخذد من قوله: «فَمَا وَكَذَّبَ فِيهَا عَبْرِيْنَ يَتَّخِذُونَهَا مَصَابِيْنَ» عِدَمَ الاعتراف بها عليه الكثير من الناس فهذا نبي الله لوط عليه السلام لم يؤمن من قومه إلا أهل بيته فقط ما عدا أمراه وقد قال فيها أراء الله: «وَرَأَيْتِ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرِّجْلَانَ وَالرِّجْلَانَ النَّبِيَّ وَلَسْتُ مَعَهُمْ أَحَدًا» الحديث (١).

فالأبرة بالكيف، لا بالكم، وبغث النار من كل ألف تسعائة وتسعة وتسعون وواحد إلى الجنة كما جاء في الحديث (٢).
قال بعض السلف: «لا تغتبط بالباطل لكثرة الهالكين ولا تستوحي من الحق لقلة السالكين» (٣).
وقال ابن دريد (٤):

(١) أخرجه البخاري في الطب، ٥٧٥، وعده في الإيان ٢٠٠، والرمذي في سفر القياس ٢٤٤٦، من حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الركض، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد...» الحديث.
(٢) أخرجه البخاري في التفسير ٤٧٤١، وعده في الإيان ٢٢٢، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) مبقي تغريمه.
(٤) انظر: "ديوانه" ص ١٣٢.
والفناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنى
المصير فيهما للعقوبة التي أوقعها الله في قوم لوط أو لقربهم
عبرة وعظة وعلامة على كيال قدرته عز وجل وكياله في ذاته وأسائه
وصفاته واستحقاقه للعبادة وحده دون من سواه وعلى صدق رسله وعقوباته
للذين بين. وكان قريتهم لا زال موجودة وهو البحيرة المسماة "البحر الميت" وهذا قال
 تعالى مخاطباً هذه الأمة: [وأَنَّكُمْ لَتَمُّونَ عَلَيْمَ مُفْتِينَ] {يَسْوَى١٣٠}، وأيال١٢٨، [الصافات:١٣٨].

"للذين يفخرون بالذباب الأليم"، وهم المؤمنون المتوفون الذي يرون رحمة الله ويخافون
عذابه; لأنهم هم الذين يفخرون بالآيات كما قال تعالى: [إِنَّ فِي ذَلِكَ دِينًا يُبْنِى خَافٍ عَذَاب
الأُمْرِ] {بقر:٣٠}، وقال تعالى: [سَيَذَكَّرُونَ مَنْ يَتَّقِينَ] {الأعلى:٣٠}، وقال تعالى: [وَذَكَّرُ]
إِنَّ الَّذِينَ تَفَقَّرُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ [النذر:٥٥].

وأما من لا إيان عنه فلا تنفع الآيات والنذر، كما قال عز وجل: [وَمَا تَغْنِي
الآيتُ وَالنَّذَرُ عَنْ قُوَّةٍ لَا يُؤْمِنُونَ] {يونس:١٠}، وقال تعالى: [وَلْقُلْ أَوْلَىٰ عَلَى الْقُرُورِ أَلِيمُ]
أمَّرَ مَطْرًا سَمَرًا فَكَذَّبُوا يَكُونُوا بِكَانَةٍ لَا يَجِرُونَ نَذَرًا} {النور:٤٠}.

قال ابن كثير: (١) "أي: جعلناها عبارة لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحِوْجاء
السجِيل، وجعلنا ملتهما بحيرة منشأة خفيفة، ففي ذلك عبارة للمؤمنين الذين:
بِفَخْرٍ مَّعْلُومٍ."

كما قال عز وجل: [وَأَمُرْنَاهُم بِمُطَّرَ مَسْلِي مَّطَرٍ مُّسْنُودٍ] {مَسْنُودٍ} {٣٧}، إن في ذلك لأنه وما كان
أَكْثَرُ مُمْتَفِعِينَ} {الشعراء:١٧٣}. [١٧٤]

وقوله [الأليم]، أي: المؤمّم الموجود حسا ومعنى، فهو "فعيل" بمعنى "فاعل".
فعاقب الله عز وجل قوم لوط بعقوبة لم يعاقب بالمثل أحداً من العالمين لعظم

(١) في "تفسيره"، ٧/٣٩٩.

(٢) وهي المعروفة بالبحر الميت -قرب نهر الأردن.
جرمهم وهو إيان الذكران من العالمين، بأن جعل أعلى قريتهم سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل، كا جعل عز وجل عقوبة من يفعل مثل فعلهم من هذه الأمة القتل.
قال تعالى: «من وجد موه يعمل عمل قوم لوط فاقتلاو الفاعل والمفعول به» (1).
فيقتلاه مطلقًا سواء كانه محصن او غير محصن بخلاف الحكم في الزنا، وذلك لأن إيان الذكر للذكر شذوذ وخروج عن الفطرة السوية وهو لا يحل بحال من الأحوال، أما إيان الذكر للأنثى فهو يحل إذا كانت زوجة أو مملوكة له، كما قال تعالى: «وألفين هم ليزوجهم خافتن (2) إلا على أهله لانما ذلك Они خافتن (3)» (المؤمنون: 5-6، المرجع: 13-21).
وعن أن الله عز وجل أباح للرجل أن يتمتع من زوجته ومملوكته بها شاء من جسدها إلا أنه حرم أن يثبتها من دبرها، وسمي هذا العمل اللوطية الصغرى وهي إيان المرأة في دبرها كا جاء في الحديث: «أن إيان المرأة في دبرها اللوطية الصغرى» (2).
القواعد والأحكام:
1- جواز سؤال الضيف عن مقصده وحاجته؛ للقول تعالى: قالت فما خطبكتك أيتها السيدة، إذ أتبت
2- شدة إسراف قوم لوط، وعظم جرمهم، وهو فعل المواط مع تكذيبهم للوطن عليه السلام، وهذا كانت عقوبتهم أหลากหลาย الحوقيات حيث أرسل الله عليهم حجارة من طين، وجعل عالي ديارهم سافلها؛ للقول تعالى: قالت أيها أزليتاأيا ئ قوم تجريين 33، نزلت

(1) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أبو داود في الحندود 4462، والترمذي في الحندود 1456 وقوله: «حديث حسن»، وابن ماجه في الحندود 1791، والحاكم في المستدرك 2-355- وصحبه
ووفقه الذهبي. قال ابن القيم في زاد المعاد 2-341- ويسانده صحيح.
وأخرجه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ابن ماجه 2562، والحاكم 4-350 وسنده ضعيف، لكنه يصلح في النواحي.
(2) أخرجه أحمد 2-182، 1012 من حديث عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه وقد ذكره
البصري في مجمع الزوائد 4-298 وقال: «رواه أحمد والبازار والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد، والبازار رجلا الصحيح»، وذكره المذنبري في `الترغيب والترهيب` 3-200، وقال: «رواه أحمد والبازار، ورجاهما رجلا الصحيح».
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج 21

٣- تزامن عهد إبراهيم مع عهد لوط عليها السلام.

٤- إثبات ربوبية الله- عز وجل- الخالصة لنبيه عليه السلام: »سمة عند ربك«.

٥- إنذار الله- عز وجل- من كان في قريه قوم لوط من المؤمنين قبل نزول العذاب عليهم وهم لوط وأهله عدا امرأته: »فالله تعالى: فأخرجنا من كن فيها من المؤمنين».

٦- سنة الله- عز وجل- في إنجاء أوليائه وحذبه المفلحين، وإهلاك الكاذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا.

٧- فضيلة الإيان وأنه سبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

٨- أن الإيان أخص من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا.

٩- قلة السالكين لطريق الحق، وكثرة السالكين لطريق الباطل، فلا ينبغي الاتيتر بذلك.

١٠- في قصة إفلاك قوم لوط، وما أوقع الله بهم وبقرتهم من العقوبة دلالة على عظيم قدرة الله- عز وجل- وعظة وعبرة لمن بعدهم، فمن يخافون عذاب الله، وأليم عقابه؛ لقوله تعالى: »وركزها بناية للذين يخافون عذاب الأليم«.

١١- ووجب أخذ العظة والعبرة مما حصل بقوم لوط، والحذر كل الحذر من سلوكهم المشين.

* * *
قال الله تعالى: 

» وفي موسى إذ أرسلته إلى فرعون مسلطينٍ مهينٍ (3) فَنَوَّلَ رُكْمَهُ وَكَانَ سَجْرَأً 

» فَأَقْضَاهُ وَمَرَّ مَعَهُمْ فِي أَلْبَامٍ وَعَبْرَمٍ (6) فَوَعَلَّاهُ إِذَا أَسْلَمَهُ عَلَى أَرْيَعَ المَؤْنِمِ (7) مَا 

» تَكُونَ مَكَّةً أَنْتُ مَلِكُهُ فَأَلْضِلْهُ كَأَلْقَاهُ كَأَلْقَاهُ (8) فَوَعَلَّاهُ إِذَا ذَهَبَ سَيْلُهُ 

» فَأَقْضَاهُمْ القَبْضَةَ وَكَانَ يُظْرُفَ (9) فَكَأَسْتَطِيعُونَ يَقُولُونَ وَمَا كَانُوا مُسْتَقِيمِينَ (10) وَفَقَرَ تُجَوَّلَ 

» وَقَالُوا قَدْ تَبَيَّنَ شَكَّانَا قَطِيعٌ (11) 

وقوله تعالى: 

» وفي موسى إذ أرسلته إلى فرعون مسلطين مهينٍ (3) فَنَوَّلَ رُكْمَهُ وَكَانَ سَجْرَأً 

» فَأَقْضَاهُ وَمَرَّ مَعَهُمْ فِي أَلْبَامٍ وَعَبْرَمٍ (6) 

» فَوَعَلَّاهُ إِذَا أَسْلَمَهُ عَلَى أَرْيَعَ المَؤْنِمِ (7) مَا 

» تَكُونَ مَكَّةً أَنْتُ مَلِكُهُ فَأَلْضِلْهُ كَأَلْقَاهُ كَأَلْقَاهُ (8) فَوَعَلَّاهُ إِذَا ذَهَبَ سَيْلُهُ 

» فَأَقْضَاهُمْ القَبْضَةَ وَكَانَ يُظْرُفَ (9) فَكَأَسْتَطِيعُونَ يَقُولُونَ وَمَا كَانُوا مُسْتَقِيمِينَ (10) وَفَقَرَ تُجَوَّلَ 

» وَقَالُوا قَدْ تَبَيَّنَ شَكَّانَا قَطِيعٌ (11) 

وقوله: 

» وفي موسى الواو: عاطفة- هنا- وكذا فيها بعده. 

وقد تكون استثنائية، ويكون قوله: 

» وفي موسى» وما بعده متعلقاً بفعل مذكور 

دل عليه الذكور، أي: تركنا في ذلك آية.

ومعنى قوله: 

» وفي موسى »، أي: وفي نبي الله موسى بن عمران عليه السلام 

أفضل أنبياء بني إسرائيل، وثالث أولي العزم بعد محمد وإبراهيم عليها الصلاة 

والسلام، آية وعزة وعظمة.

» إذ أرسلته إذ أرسلته » فرعون، أي: حين أرسلناه إلى فرعون.

ويرفع هو ملك مصر آنذاك الذي تعالى على الله ودعى الربوبية والألوهية لنفسه.

وصار اسم فرعون بعد ذلك علامة على كل من حكم مصر من الكفار.
الله عز وجل لنبغه موسى عليه السلام، كما قال عز وجل: "وَلَقَدْ قَالَ رَبُّكَ لَنُنْعِشَهُمْ فَيَتَّلَبَّ مِنْ مَعْصِرَتِهِمْ فَيَعَدُّهُمْ ضَعْفًا بَلْ عَجَّلَتْ عُرْقَهُمْ إِلَى الْخَمْسَةِ يَوْمَيْنَ مُهْدِيًا بِذَٰلِكَ كَأَنْ هُمْ لَدَى الْجَنّةِ في عَدَدٍ جَمِيلٍ وَتَأْتَيْنَهُمْ بِشَجَّرَةً تَكْمِلُ مَيْهَاتَهَا فَأَيْضًا [الإسراء 6:10]"

ومنها: ما ذكره الله عز وجل في سورة الأعراف في قوله: "فَأُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ..." [الآية 132].

ومنها: السنون ونقص الثمرات وانفلاج البحر، وغير ذلك من الآيات كأنفجار العيون من الخجر وغير ذلك (1).

(فَوَى) أي: أعرض عنا جاء به موسى من الحق استنكارًا وعنادًا.

(بركنه) أي: بما يركب إليه من جميع وجوند متزعزُرًا ومغترَبًا به ومحقرًا لهم.

(وَقَالَ سَكَرْجُ،) أي: وقال فرعون عن موسى عليه السلام أنه إما ساحر تلبس على الناس بسحره؛ لأن الله أعطاهم من الآيات ما يفوق عمل السحرة المنتشر في عهده كأنقلاب العصامية، وإدخال بده في جبهة وخروجها بمساعدة من غير سوء.

(وَجَعَّلَنَّ،) ختل العقل؛ لأنه قال: "إن الله هو الرش الخالق، والله المعبود، لا فرعون.

وهذه طريقة المكتبين للرسول يرمون من دعاهم إلى الله من الرسل وغيرهم بأفحه التهم؛ ليصدوا الناس عن أتباعهم.

(1) الطوافان: الغرق أو المطر، وقيل غير ذلك. والقَمْلُ: السوس الذي يخرج من الخطة، وقيل: دواب سود صغار، وقيل غير ذلك. والدم الرعاف، أو انقلاب مياههم دمًا، وقيل غير ذلك. والجراد هو المعروف وكذا الضفراع، ملأت بينهم وأثبهم وأطعمهم. انظر: "جامع البيان" 1/114، "تفسير ابن كثير" 1/122-123.
وهكذا قيل لسيد الخلق نبينا محمد ﷺ ساحر وشاير ومجنون وكاهن، وما ثناه ذلك عن دعوته صلوات الله وسلامه عليه.

وينبغي أن يستهل الدعاء إلى الله والمصلحين والمربين من هذا أعظم الدروس فإن طريق الدعوة وطريق الجنة شاق ليس مفروشاً بالورود والريحان، قال تعالى:

«أم حسبركم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهادوا منكم يعلم الصمديين» [العمان: 142].

وقال تعالى: «أَحْسَبَ أَنَا الْمَلَامِحَ أَنْ يُكْرِهَنَّ أَلْوَانَهُمْ أَمْ كَانَ مِنْ انْفُقَادٍ وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ» [الملك: 3].

فَقَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَلْوَاتٍ وَفَاتَّهُ ثَلَاثًا: [العنكبوت: 1-3].

وذكر الله تعالى: «فُحِيَتُ النَّارُ بِالشَّهَواتِ».

قال المنذر: 「فَدَرَبَ الصَّادِقِينَ كَأَلْعَمَّامُ بِالْأَشْهَائَانَ تَكَثَّرُ لَا الْوَرْودَ».

أَيَّادُهُمْ وَجَوْدُهُمْ، أي: طرحناهم وألقيناهم في الباب، وهو البحر الأحمر الفاصلي بين آسيا وأفريقيا، أغرقهم الله فيه.


قال المنذر: 「فَوَقَعُهُ»، أي: في عاد عهدة وعظمة وعلامة ودلالة على قدرة الله عز وجل وكماله في وسعته وألوهته وأسائه وصفاته.

وقال: «وَقَعَ» أي: عاد عندهم الهود عليه السلام، وهم عاد الذين قال الله عنهم في سورة الفجر: «إِنَّالَهَمْ نُرِيبُ فَعْلُونَ يَعْمَالُونَ إِنَّذَا أُعَمَّنُوا أَلَّا تَفَسَّرُوا مَا نَبِيَّهَا» [1-8].

(1) آخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيهما ١٨٢٣، والترمذي في صفة الجنة ٢٠٠٩.
ومساكنهم بالأحقاف جنوب الجزيرة في اليمن.

(إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) ((إذ) ظرف بمعنى حين، أي: حين أرسلنا عليهم الريح العقيم، وهي الريح المسددة المهلكة المدمرة التي لا تنتج شئًا، العافية شديدة البرودة، وشديدة الهدوب، قال عز وجل: (وأنت من شئين أرسلت علية ريح صرصور) (1) يحيط بها عليهم سمين أيال وتمييزة أيما خمسًا فترى اللهم فيها صرع عن كنهم أعمى.

(لهاة6-8).

وهي الريح الغربية "الدبور" كما في حديث ابن عباس رضي الله عنها قال قال رسول الله ﷺ: "نصرت بالصبا وأهلكت عاد الدبور" (1).

(ما أدرى أن توجه أنت عليه الحمالة كالحصى) أي: ما تترك من شيء أنت عليه ما أراد الله إهلاكه إلا جعلته كالحمالة، وهو الحمالة الهالك البالي.

قوله تعالى: (وإنه يشهد فقير فم تعرف أحداً) (2) فهم يطمع أن يزعمهم فأخذتهم الصنعة.

وهم ينظرون (3) فاستدعتهم بنبيهم ونافعون من مطيعون (4).

قوله: (وفى نوى) معطوف على ما قبله، أي: وفي ضمود عباءة وعظة ودلالة.

وعlama.

وتمود هم قوم صالح عليه السلام، مساكنهم في الحجر شمال الجزيرة في العلاء، وهي المعروفة بمدائن صالح.

(إذ يذكرون) (5)، أي: حين قال لهم، والقيل لهم هو الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

صالح عليه السلام، وذكر بالبناء للمفصول، لأنه عز وجل معلوم؛ ولأن الشر لا ينسب إليه مباشرة، كما قال: "والشر ليس إليك" (6).

(متعأنا على جميع) أي: تتمتعوا في الحياة، والتمتع: استعمال المتاع من مأكل

(1) أخرج البخاري في الجمعة 135، والصحيح في صلاة الاستمساك 900، والصحيح في الزكاة 839.

(2) أخرج البخاري في صلاة المسافرين 776، وأبو داود في الصلاة 760، والصحيح في الافتتاح 897، والترمذي في الصلاة 266، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها 824، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
ومشرب وغير ذلك.

(1) في «تفسيره» 7/400.

ورد، وهو ثلاثة أيام كما قال تعالى: «فمَّن أُجِرْتِهِمْ فَإِنَّهُمْ تَصَعَّبْنَ فِي كَارِهِ هُمْ يَأْثَرُوا أَجْلَاهُ وَهُمْ غَيْرُ مُكْتَدِرُونِ» (هود: 67).

فَمَا وَعَمِِّرُ أَمْرَهُمْ العتصاى والتمرد والعناد والاستكبار وeggies الحد.

فَأَخْذَهُمُ الْقَبْلَةُ، وهي صيحة شديدة صعقة بسباها، فَتَقَطَّعَتْ قَلَوْبَهُمْ في أجوافهم، كما قال تعالى: «وَمَا نَمَّى فَهَدِينَهُمْ فَأَسْتَخْبَرُوا الْعَمَّى عَلَى أَهْلِدَى فَأَخْذَهُمْ صِعْقَةُ العذاب المغون بِهِ فَكَانُوا يَكْبِيِّنَ» (فصلت: 17)، وقال تعالى متوعداً كفار قريش: «كَإِنَّ أَمْرَهُمْ فَقَّلُ أَنْذَكَرَ اسْتَطَرَّكُمْ بِصَيْحَةٍ عَادٍ وَمُحْمَرِ يُنْسَكُ» (فصلت: 12).

وقال تعالى: «فَلَمَّا أَجَابَهُمْ أمَّارُهُمْ أَجْحَسَ أَصْبِحُا صَلِبًا وَاللَّيْبَاتُ مَأَسِرًا مَعْهُ. يَحَمَّلُونَ يَدًا وَنَحْزًا» (هود: 66، 67)، وقال تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ اسْتَكْبَرُ الْجَعْفَرُ المُرْسَلِينَ وَمَا تَلَقُّىهمُ مَا أَجَبَتْهُمُ عَنْهُ مُرْضَيْنِ» (فصلت: 13) وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَزِيدَتْهَا فَكَانُوا كَكَشْيْرِ» (الأعراف: 78).

وهى الرجفة، قال تعالى: «فَأَخْذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوْا فِيهِمْ جَنْمِينَ» (الأعراف: 78).

وَفَرَضُوْنَ أَيّهِمْ يَجْبَرُهُمْ يَجْبَرُونَ بِعَذَابٍ وَيَبَتِّهُونَهُ.

قال ابن كثير (1): «وَقَدْ أَمَرَهُمْ أَنْ يُظَلِّلُوا الْعَذَابَ ثَلَاثَةِ أَيَامٍ وَجَاءَهُمْ فِي صِيْحَةِ الْيَمِينِ الربع مُجَرَّةَ النَّهَارِ.»

فَسَأَمِيطُ اللَّهُ عَذَابَهُمْ بِالصَّعَاعَةِ وَالصَّيِّحَةِ وَالرَّجْفَةِ، كَأَمَامَ عَذَابٍ عَادٍ بِالرَّيْحِ.
بالصاعقة والصية، قال تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَن يَكُونَ كَأَنْ هُمْ يَصِرُّواْ عَلَى صِيَّ أَن يُرِيدُونَ" [المؤمنون:41]. وقيل تعارا: "فَأَخْذُهُمْ الصَّيَحَةُ يَلْقَحُ فِي جَعَلِهِمْ عَشْكَا" [الشعراء:123]. والمراى بهم عاد، وقال تعارا: "وَسَمِيَ عَذَابٌ قُوْمٌ لَّوْ تَغَيَّرَ عِلْمُهُمْ".

وَسَمِيَ عَذَابٌ قُوْمٌ شَعْبٌ عَلَى السَّلَامِ بِالصَّيَحَةِ والرَّجْفَةِ، قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ أَمَّمًا جَعَلَهَا أَمْرًا جَعَلَهَا شَعْبًا وَلَا ذَٰلِكَ مَا مَعْنِى وَرَحْنَمَةً مَّنْ أَسْتَجِبَ لَّهُ وَأَسْتَجِبَ لَّهُ يُطِلِبُ الْقُرْآنَ صَيَحَةً فَأَصْبَحُوا فِي بَيْتِهِمِ جَيْشٌ كَانَ أُنْفُقُوا فِيهَا أَنَا لَمْ تَدْخِلْنَا إِلَّا مَعْنِي كَمَا بَعْدُ صَمَودًا" [مٰحَمَدٰ:495]. وقال تعالى: "فَأَخْذُهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَيْشٌ" [الأعراف:96]. تَعَلَّمَتْ ٣١٧.

وَقَالَ تَعَلَّمَ عَلَى السَّبِيعِينَ رَجَالًا الَّذِينَ اخترعهم موسى من قومه "فَلَمَّا أُخْذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ سَفِئتْ أَهْلُكُمْ مِنْ قَبْلَ وَأَنْتُ (الأعراف:155). فالصاعقة والصية والرجة تطلق على جنس العذاب أياً كان؛ وهذا قال عن المنافقين "يَعِصُونَ مَا صِيَّ أَعِيسَ عَلَيْهِمْ" [المائون:4].

فَأَسْتَطَعَوْا مِنْ يَبَايِرِهِمْ، أي: فَأَسْتَطَعُوا أَنْ يَقَوْمُوا، أي: ما استطاع القاعد منهم أن يقوم من مكانه لما وقع عليهم العذاب.

وَمَا كَانَ مُنْفِقِيْنَ، أي: وما كانوا مبادرين على الانتصار؛ لدفع ما حل بهم من العقوبة، لا بأنفسهم ولا بالانتصار بغيرهم.

قوله تعالى: "وَقَوْمَ يَجْرِى مَنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ سَكَانَا وُقُومًا فَقِيِّينَ".

قوله: "وَقَوْمَ يَجْرِى مَنْ قَبْلِ" الواو عاطفة، أي: وقوم نوح من قبل هؤلاء أهلكناهم بالغرق بالوطافان. وفي إهلاكهم عبرة وعظمة وعلامة وآية ودلالة على قدراً لله عز وجل، وكما، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له.

وَهُمْ سَكَانَا وُقُومًا فَقِيِّينَ، أي:سبب أنهم "سَكَانَا وُقُومًا فَقِيِّينَ". أي: خراجين.

عن طاعة الله عز وجل بالكفر والمعاصي. والفسق في الأصل: الخروج للفساد، ومنه سمبت الفأرة فوسيفة لخروجها من
سورة الدرايّات، الآيات: 38 – 46

137

جحراً للإفساد.

ويؤخذ من إهلاك الله عز وجل لقوم لوط وفرعون وقومه وعاد وثموود وقوم نوح وغيرهم من المكذبين سنة الله الكونية في إهلاك المكذبين لرسله وله تجد سنة الله تبديلًا ولم تجد سنة الله تحويلاً كي قال عز وجل: "فلما أخذنا بذئبتهم فبينهم من آمنا عليه حاصباً ويبينهم من أخذهنا الصيحة ويبينهم أن أدنى الله ويبينهم أن أعطينا وما أعطاه الله لبلده من أұکات له أنفسهم يبنيهم بظליוهم" (العنكبوت: 40).

الفوائد والأحكام:

1- إثبات رسالة موسى عليه السلام وأن في قصة إرساله عليه السلام إلى فرعون وما جرى بينها دلالة على قدرة الله عز وجل وعظة وعبرة لمن يعتبر لقوله تعالى: "وَفِي وَمَوْتِكَ إِذَا أَرَسَلْنَا إِنِّي نَزَّلْتُمْ الآيات".

2- تأييد الله عز وجل لموسى عليه السلام بالحجيج والآيات العظيمة لقوله تعالى: "ذَٰلِكَ إِلَّا وَقُوَّةً مُّلْكُهُ لِتَسْتَمِعَ الْجِهَادُ".

3- تولى فرعون بجندها وإعراضه عن الحق، ومكابره معما جاء به موسى من الآيات البينات، ورماه له بالسحر والجنون لقوله تعالى: "فَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ مَوْشِيَةٌ مُّسَأَلَةٌ سَمِيعٌ".

4- عقوبة الله عز وجل لفرعون وجندها باغراقهم في الهم، فأجسادهم للغرق وأرواحهم للنار والحرق لقوله تعالى: "فِي ذَٰلِكَ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ وَمَثَاقِلَ مَاءٍ وَفِي ذَٰلِكَ الْمَيْءَ".

5- إثبات فرعون بأعظم ما يلام عليه من الكفر والفحور والعنايد، إذ لا كفر أعظم من دعوة الروبية والألوهية.

6- إهلاك الله عز وجل لعاد بالريح العقيم الدبوب المفسدة المبدعة لكل شيء أنت عليه مما أراد الله إهلاكه لقوله تعالى: "فَقَوْهَا إِذَا أَرَسَلْنَا عَلَيْهِمْ أَرْيَعَ الْعَقِيمِ مَا نَذَرْنَهُمْ فَخَافِئًا أَنْ يُعْلَمَ النَّجْرُ عَلَيْهِمْ كَأَكْبَرَ".

7- إثبات روبية الله عز وجل العامة لجميع الخلق لقوله تعالى: "فَقَمَّوْا عَنْ أَمِّرِكُمْ رَبِّكُمْ".

8- إهلاك الله عز وجل لتمود لما تمردوا وعتوا عن أمر الله عز وجل بالصاعقة التي قطعت قلوبهم في أجوافهم، فلم يستطيعوا الفرار ولا الانصارة لقوله.
 تعالى: ﴿وَفِي نُوحٍ ۛ أَمْرٌ قُلْتُهُمُ الصَّدِيقُونَ رَبِّّنَا إِنَّكَ سَمِّيْتَهُمُ الْمُكَآرِيِّنَ﴾.

9- إهلال قوم نوح - عليه السلام - بالغرق بسبب فسقهم; لقوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ فِي قُرْبَىٖ إِبْنِهِمْ سَكَانُوا قَوْمًا فَتِيقِينَ﴾.

10- وجب أخذ العظمة والعبرة مما حل بالمكذبين من العقوبات، فإن في إهلاك هؤلاء الأقوام؛ عاد وثمن وقوم نوح عظة وعبارة للمعتبرين، ودلاله على كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه.
سورة الدرايا، الآيات: 47–51

قال الله تعالى: "وَأَرْسَلَنَا بَيْنَهُمَا نُوحًا وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا مُوسَى وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا مُهَارَبَةً وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا مُحَمَّدًا فَعَلَّمُوهُمُ الرَّقْبَةَ وَأَنَّى هُمْ يُكَرِّسُونَ (٨) فَخَلَفَنَا إِلَى اللَّهِ أَرْضَيْنَاهُمْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِنَّ دَعَاءً (٧) وَلَن تَجَلَّمُوا مِنَ اللَّهِ إِلَّا مَا نَرَأَى وَلَن تَجَلَّمُوا مِنَ الْأَحْمَدِ إِلَّا مَا نَرَى وَلَن تَجَلَّمُوا مِنَ الْمُهَدِّرِ إِلَّا مَا نَرَى وَلَن تَجَلَّمُوا مِنَ الْجَهَّالِ (٩)即时ه تَحْلُّلُوا مِنَ الرَّفَعِ (٩) وَلَن تَجَلَّمُوا مِنَ الْأَضْرَارِ فَرْسَانَها فَيُمَهِّدُونَ (٩) وَلَن تَجَلَّمُوا مِنَ الرَّفَعِ (٩)."

قوله تعالى: "وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا نُوحًا وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا مُوسَى وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا مُهَارَبَةَ وَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا مُحَمَّدًا فَعَلَّمُوهُمُ الرَّقْبَةَ وَأَنَّى هُمْ يُكَرِّسُونَ (٨)". 

أي: في هذا كله عرفة وآية وعلامه ودلالة على عظيم قدرة الله عز وجل واستحقاقه للعبادة دون ما سواء وكمسه في ذاته وفي راهبهه وآلهته وأسمائه وصفاته. قوله: "وَأَرْسَلْنَا المَرَادِ بِالسَّمَوَاتِ السَّبْعَ، (٨٧) بَيْنَبَنِيْنَ (٨٧) خَلَفْنَا، أي: خلقناها ورغمها وجعلناها سقفاً رفعاً، كما قال عز وجل: "وَجَعَلْنَا السَّمَوَاتِ سَقَفاً مُّخْفَوْطَةً (٨٧) (الأدبيات: ۲۳) (بَيْنِيْنَ) أي: بقوة."

وعن ابن أبي طالحة عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله: "وَأَرْسَلْنَا بَيْنَبَنِيْنَ (٨٧)

يقول: "بقوة"، كما قال تعالى: "وَبَيْنَبَنِيْنَ فَسَعَى بَيْدَادًا (٨٧) (ال ба: ۱۲)

ووهو كذلك فهره فجع من السلف وعليه عامة المفسرين.

وتفسير "الأيد" هنا بالقوة، كما قال تعالى في الثناء على إبراهيم وإسحاق ويعقوب: "وَأَرْسَلْنَا بَيْنَبَنِيْنَ وَأَرْسَلْنَا بَيْنَبَنِيْنَ وَأَرْسَلْنَا بَيْنَبَنِيْنَ (١٠٥) (القدس: ۴۰) أي: أصحاب القوة في تنفيذ الحق، والقوة في الطاعة والعبادة ودعوة إلى الله تعالى، وأولي البصائر والفقه في الدين.

وليس فيه منافية لإثبات اليدين الله عز وجل كما في ذلك قوله عز وجل: "يَبْيَلْسَنَ " (١٠٥) وما نعَّمكَ أن تَضْفِعَ، تَلَّفَتَ، تَرْجَحَتَ (١٠٤) (الдумать: ٧٥) وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

و"وَاَرْسَلْنَا مُوسَيْنَ "، أي: وإنا في بنائنا هذا لمسعونه، جعلناها واسعة الأرجاء رفيعة البينة، ويغير عدم؛ لأن العمد قد تقلل من سعتها، قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاءَ ۱۰ (الisons: ۱۰) وقال تعالى: "حَلَّقَ السَّمَوَاءَ ۱۰ (القلم: ۲۵).

(1) أخرجه الطبري في "جامع البيان" ۲۱/۴۰ ۵، وابن أبي حاتم في "تفسيره"، ۸۷۲/۳۸، الأثر ۱۸۶۶، ۱۳۳۳/۱۰/۱۵.

[الزخرف: 10] وقال تعالى: "لقد جعلناكم شعبًا بساتينكم" [النبأ: 2].

فيمهم المهددون؟: ثناء من الله عز وجل وامتداد لنفسه- وهو سبحانه أهل الثناء والجهد- في هذه الأرض وفرشها وتدليلها وتوسعتها، فلم يجعلها صعبة قاسية لا يمكن الانتفاع بها، ولا لينة رخوة لا يمكن الاستقرار والعيش عليها، بل جعلها وسطاً مناسبة على أكل الحالات؛ لمصالح جميع المخلوقات فوقها.

والملح بمعنى البسط والفرش والتوطئة.

ومن حكى قوم خلقنا رجلين لم نذكرهم، أي: ومن جميع المخلوقات خلقنا وأوجدنا زوجين، أي: صنفين وتوعين متقابلين، ليتلمح الحال بين الذكر والأثلي من الإنسان والحيوان والنبات وتصلح الحياة، فأثر وسيا، وليل وهنار، وشمس وفبر وبحر، وضياء وظلم، وبيان وكفر، وحياة وموت وسعادة وشقاء ونة ونار، وذكر وأثلي وحلو وماء، وحر وبرد إلى غير ذلك من أنواع المخلوقات، من الحيوانات والنباتات والجليادات.

فلكلمنا نذكرهم، أي: أوجدنا هذه المخلوقات أزواجاً لأجل أن نذكرها، أي:

من أجل أن نتعظوا ونتفكروا في عظمة الخالق ووحدانيته عز وجل لا شريك له. قولنا تعالى: "فرى إلى الله إلهي لذكرك، نذكروا الله بذكرى محبوب" [طه: 42].

قوله: "فريقى إلى الله"، أمر من الله عز وجل للناس جميعاً بالفرار إليه سبحانه.

والفرار هو الهروب من شيء إلى شيء.

قال ابن عباس رضي الله عنها: "فروا منه إليه واعملاً بطاعته". 
وقال سهل بن عبد الله: «فرّوا مما سوى الله إلى الله». 
وقال بعضهم: «اهربوا من عذاب الله إلى رجحته وثوابه بالارض والمطردة».
قال ابنه: «وهو نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء، فرار السعداء: الفرار إلى الله عز وجل، وفرار الأشقياء: الفرار منه لا إليه. قال: وأما الفرار منه إليه ففرار أولئك».
والمعنى: توجهوا إلى الله في عبادتكم، واجيأوا إليه واستعينوا به في جميع أموركم.
وفي الحديث: «لا ملجأ ولا منجز منك إلاّ إلهك».
إِنِّي لَكُنْ نَذِيرٌ، أي: قال لهم يا محمد إني لكم أبى الناس من الله نذير، أي: خوف ومخترص من عذاب الله.
فَبِئْنِ النذارة والتخويض من كذب وخلافة أمر الله بها جئتكم به من الدلايل والحجيج القاطعة والبراهين الساطعة من عند الله عز وجل بها أرحاه الله إلّي في القرآن والسنة النبوية وغير ذلك من الآيات والمعجزات كما قال: «إِنَا مِثْلٌ وَمَثِيلُ مَا بعثني الله به كمثل رجل أُ Темوما، فقال: رأيت الجيش بيني وإني أنا النذر الغربان، فالنجا، النجاة، فأطاعته طائفة، فأجلوا على مهلهم، فنجوا، وكدبته طائفة منهم، فصيحوا الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكدب بها جئت به من الحق».
ومهمة الرسول عليهم الصلاة والسلام وسيدهم رسولنا ونبياً محمد هي

(1) انظر: "بداائع التفسير" 4/247، وانظر: "جامع البيان" 21/549.
(2) انظر: "بداائع التفسير" 4/247.
(3) آخر جه البخاري في الوضوء 247، ومسلم في الذكر والدعاء والاستغفار 770، وأبو داود في الأدب 586، والترمذي في الدعات 394، وابن ماجه في الدعاء 287، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(4) آخر جه البخاري في الاعتام 783، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
البشارة والإنداد كما قال عز وجل: «رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُّبَشِّرِينَ مَنْ شَاءَ يُقُولُ لِلْيَارَىٰ عَلَىٰ أَنَّهَا حَيَّةٌ تَدُورُ بَعْدَ الْأَرْضِ» [النساء: 165].

وأكثري في هذا الموضع بذكر الإنداد فقط لأن الكلام- والله أعلم- مع المكذبين للرسل عليهم السلام والسلام ومنهم كفار قريش الخاطبين بهذه الآيات وما بعدها.

وَلَا يَحْفَظُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا مَلَكَاتُ النَّارِ.»

أمر الله عز وجل في الآية السابقة بالفقرارة إليه سبحانه وذلك باللجوء إليه والاعتداد عليه والتوجه إليه وعبادته وتوجيهه، ثم أعجب ذلك بالنxiety على أن يجعل مع الله إلهًا آخر.

وأكد الطلبين: الأمر باللجوء والتوجه إليه وعبادته، والنهي عن الإشراف به بقوله: «إِلَىٰ كَتَبِينَ يَبْرَءُنَّ تَفْرِيقَ مَعْلُومٍ وَبَيْنَهَا نَذِيرٌ مَّكُونٌ». 

وجعل بالندارة والتخويف لهم من عقاب الله إن أشركوا مع الله غيره، وهو بين النذارة بما جاء به من عند الله من الآيات والحجح والمعجزات.

وقال: «لا تفطروا فمَّا عَلِىٰ إِلَّهَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ ۚ جَعَلْنَا سَيْرًا عَلَىٰ سَبِيلٍ مُّبِينٍ.» [الحج: 23].

 وقال: «تعس عبد الدربهم تعس عبد الدبينار، تعس واتكس، وإذا شيك فلا انتقص». (1)

الفوائد والأحكام:

1- التنبيه على كمال قدرة الله- عز وجل- وجمال قوته، وعظيم نعمته وثنائه على نفسه، في بناء السماوات بقوة وتسيرها، وفروض الأرض ومدها، وخلق الزوجين من كل شيء; لاجل أن يتذكر الخلق ويعتبروا؛ لقوله تعالى: «وَلَا تَفْرِيقَ مَعْلُومٍ وَبَيْنَهَا نَذِيرٌ مَّكُونٌ».

(1) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 2887، والترمذي في الزهد 2375، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
سورة الدفء، الآيات: 47-51

2- عظمة خلق السماوات والأرض، وبناها السيا، وجعلها سقًا للمخلوقات، وبسط الأرض ومهدها للقرار عليها.

3- وجوب الفرار إلى الله- عز وجل- بعبادته وحده لا شريك له واللجوء إليه والاستعانة به في جميع الأمور وسائر الأحوال؛ لقوله تعالى: «فَعَلَّهُ إِلَى اللّهِ يَلْهَبُوُّهُ مََّيِّهِنَّ».

4- وجوب الحذر من الشرك قليله وكثيره، كبيره وصغيره، جليه وخفيفه؛ لقوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْنَّكُمْ مَّعَ اللّهِ إِلَّا مَّا أَخْرِجْنَ مِنْ لَحْجِهِنَّ لَعَلَّهُنَّ يُبْصِرُونَ».

5- تأكيد بيان ووضوح ما جاء به من الإنذار بالآيات العظيمة والحجج والمعجزات.

6- أن مهمة الرسول ﷺ هي الإنذار للمكذبين والبشارة للمؤمنين؛ لقوله تعالى: «إِلَى لَدُونِهِنَّ يَلْهَبُوُّهُ مََّيِّهِنَّ».

* * *
قال الله تعالى: 
"كَذَٰلِكَ مَا آتَيْنَ ٓآَبَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالَ Aَوَّلَ أَوْحَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ مَعْلُومًا وَلَا مُبْتَغِيًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ فَوْقَهُ كَأَنْ لَهُ مَعْلُومٌ".

وَما *لَيْنَ ۗ وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا يَٰمُوسَىٰ فَلَا يَٰمُوسَىٰ وَلَا يَٰمُوسَىٰ أَجْرٌ أَنِّي بُشِيرٌ كَأَنَّ أَلْلَهَ هُوَ الْأَرْضَ ۚ دَوَأَ الرَّحْمَٰنَ ۗ إِنَّ اللَّهَ طَلَّبَ عَنْهُ ذَوَّابَ أَحْسَنَهُمْ فَلَا يَسْتَجِبُونَ فَرِّيَ الْيَتِبَّةِ ۗ كَفَّرْنَاهُ مِنْ يَوْمِيٓ أَلِيمَ وَلَا مُعَذِّبُonda.150

بيّن عز وجل في الآيات السابقة أن في إهلاك المكذبين عظة وعبرة، كما أن في ذلك وفي خلق السموات والأرض والأزواجه دلالة على عظيم قدرة الله عز وجل ما يوجب إخلاص العبادة له وحده، ثم أتبع ذلك بتسليم النبي ﷺ بياناً أن ما حصل من قومه من التكذيب له ورميه بالسحر والجنون هو دين المكذبين للرسل قبلهم آمراً له بالإعراض عنهم ومذكرةً للمؤمنين، وبهذا أن عز وجل إنما خلق الحق لعباده، وأنه الغني عن خلقه، وتموعداً المكذبين له بالعذاب في الدنيا والآخرة كسابقهم.

قوله تعالى: "كَذَٰلِكَ مَا آتَيْنَ ٓآَبَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالَ Aَوَّلَ أَوْحَىٰ عَلَيْهِمْ مَعْلُومًا وَلَا مُبْتَغِيًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ فَوْقَهُ كَأَنْ لَهُ مَعْلُومٌ".

قوله: "كَذَٰلِكَ مَا آتَيْنَ ٓآَبَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالَ أَوَّلًا سَاحِرٌ أَوْجَحُونَ". هذا فيه تسلية للنبي ﷺ، وبيان أن ما حصل له من التكذيب والرمي بالسحر والجنون من قومه حصل لغيره من الأنبياء قبله من أمهم.

"كَذَٰلِكَ" أي: مثل ما حصل لك من قومك، فمرجة الإشارة إلى ما حصل له من قومه، من رميهم له بالسحر أو الجنون.

"مَا آتَيْنَ ٓآَبَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ"، أي: ما أنى الذين من قبل قومك من الأمم من رسول من عند الله.

"إِلَّا قَالُوٓا سَاحِرُونَ أوْجَحُونَ"، أي: إلا قالوا عن رسولهم: هو ساحر، أو مجنون.

والساحر: هو الذي يعمل السحر ويعقد العقد بالخلفاء وينبت فيها، يؤثر في العقول والأبدان، والأبصار بإذن الله الكون، كما قال عز وجل: "وَمَا هُمْ يضْـكَّرُونَ يَهُوَٰ إِلَّا أَحْكَمُ إِلَّا يَٰمُوسَىٰ" [البقرة: 102].
اورعِنون »أو «مانعة خلو، أي: لا يخلو حاله إما أن يكون ساحراً، أو يكون وحيداًً
وليس مانعة اجتماع، أي: قد يجتمع فيه الوصفان، كما يقال: جالس الحسن أو ابن سيرين
أي: لا يخلي حاله من مجالسة أحدهما، ولا يمنع أن تجالسها معاه، ومانعة الاجتماع مثل
قومهم: نزوح هندي أو أخته، أي: إذا هذه وإما هذه، أما أن تنزوهجها معًا فلا.
والموسو: ختل العقل.
وإنها رمود للساحر لقوة تأثير ما جاء به من الوحي وبالغته.
ورمود الساحر لدعوته إلى توحيد الله وتقدير البعث والمغالاة ما هم عليه وآباؤهم
من الشرك والضلال المبين.
وهم في هذا يتخطبون هدفهم: تنفيز الناس منه، وإلا ففرق بين الساحر
والموسو، والداخري، والكاى.


«أنواصر» الاستفهام للإكثار، أي: أوضى بعضهم ببعض بهذا المقالة؟
بل هم فوق طاغون ببل لالإضراب الإبطالي، وطاغون: جميع طاغون، والطغيان
هو الزيادة والتجاوز الحد، ومنه قوله تعالى: «إِذَا نَصَعَتْ الْخَالِصَةُ حَمِينَةُ في الْبَارِيَةِ» [الحياة:11],
ومنه سمي الطاغون: وهو ما تجاوز به العبد حده من معبر أو متبوع أو مطاع في
غير طاعة الله ورسوله.
أي: والحقيقة والواقع أنهم لم يوص بعضهم بعضًا بذلك، بل جميعهم على ذلك
توافقهم على الطغيان.
قال ابن كثير: (1): «أي: لكنهم قوم طاغون، تشيعت قلوبهم، فقال متأخرهم كأ قال

(1) في تفسيره 7/2016.4
عند الرحمن "تفسير القرآن ج1 21

"متقدمهم.

"قولهم فناماً أنتم بئثور" أمر من الله عز وجل لرسوله ﷺ بالإعراض عنهم، وأنه لا لوم عليهم ولا تبعة في كفرهم وطغائهم بعد أن بلغهم رسول الله ﷺ وآدى الأمانة، ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده، وهذا فيه تسلية ثانية له ﷺ ببيان أنه لا يلازم على إعراض عنهم وعدم إياهم.


أما هدـى القلوب فهي بيد علام الغيوب، كما قال عز وجل: "مَّـنَّا هُدِّيَّـهِمْ وَلَسْـنَّ نَّبِيَّينَ مِـنْكُمْ" [البقرة: 272].

وفي هذا والذاك تسليـة للدعـاة إلى الله عز وجل والمصلحين والمرشدين والموهبيـن من الآباء والأمهات وغيرهم فيليس عليهم إلا النصح والإرشاد والتوجيه وأما هدـى القلوب فيـد الله عز وجل.

كما أن قوله: "قولنهم فناماً بئثور" تهديداً ووعيداً وتحذيراً وتحريطاً للمكذبين.

"وَذَكَرْ فِي الْذِّكْرِ الْبَيِّنَاتُ".

وهذا فيه أيضـاً تسليـة وطمأنـتـه لـه ﷺ وأمر له بالذكر والوعيد والاستمرار على ذلك، وإعلام له بأن دعوته ﷺ وجهاده في الأمـة وذكـاره لن يئيب، بل سيكون له أعظم النتيجة والأثر وينتفع بذلك المؤمنون، وإن أعرض عنه الطغاة المعرضون؛ لأجل أن يستمر في تذكيره ودعوته، ولا يالي بالطغاة المعادين.

وهكذا ينبغي للـدعـاة إلى الله والمصلحين والموهـبين من الآباء والأمهات وغيرهم أن لا يستطعن النتائج ويسعجلوا في جني الشهر، فإن من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحراـمـه، فها هو نبي الله نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ومع
ذلك ما آمن معه إلا قليل، ولكن لا يب من كل مجتهد من نصيب، ولا يب بإذن الله عز وجل من الشعرة والنتيجة، وأقل الأحوال براءة الذمة.
والذكرى: هي الموعظة بذكر الأحكام مقررة بالرغبة والترهيب، والثواب والععقاب، وبيان آيات الله الشرعية والكونية الدالة على عظمته عز وجل وقدرته واستحقاقه العبادة دون من سواء.

«لعنَّ المؤمنين» أي: ينفع بها المؤمنون المصدرون بوعود الله ووعيده دون من سواء، فلا ينفع بالذكرى إلا المؤمنون قال عز وجل: 
فذكر إن نعثي الذروة ١٢ سيذكر من ينحي١١ ويتجثه الأدنى ١٠ الذي يصل آثار الكبر١٠ (الأعلى: ٩-١٢)، وقال تعالى: «واذاك إذا دكروا ربيهم لم يجروها علية صمت١٣ (الفقرة: ٧٣).»
قوله تعالى: «وَمَا حَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَۡ ٱلَّإنسِ إِلَّا لِيُبَيَّنَّ ۖ ۚ مَّا أُرِيدُ يَنْتَهُونَ مِنْ يَنْتَهُونَ مَّا أُرِيدُ أَنْ يُطُمْنُونَ ۖ إِنَّ ٱللَّهُ عَزِزٌ حَكَمَ ۖ لَا طَأْرُ ۖ لِلَّهِ.»
قوله: «وَمَا حَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَۡ ٱلَّإنسِ إِلَّا لِيُبَيَّنَّ ۖ ۚ مَّا نَافِعٌ أَوْلَٰٰدُ ۖ وَۡ أَرْضٌ أَنْ أَخَلَقَنَّهَا» الواو: استثنائية و«ما» نافية.
قوله: «خلقت» أي: أوجدت، و«الجَنَّ والَّإِنسَ» هما الثقلان، الإنسان ذريه آدم عليه السلام، والجَنَّ ذريه إيليس لعنه الله.
خلق الله الإنسان من الطين، وخلق الجَنَّ من مارج من نار.
وفي الحديث: «خلق الله الملاكـة من نور، وخلق الجَنَّ من مارج من نار، وخلق آدم مما ذكر لكم»(١) يعني من التراب والطين.

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، ٢٩٩٦، من حدث عائشة رضي الله عنها.
«لاِ لِيُّعْطِنَّكُمْ أَلَّا إِلَّا أَدَّاءَ حَصَرِ اللَّهِ، وَاللَّهُ فِي قُوَّةٍ.» (ليَعْطِنَّكُمْ) لَامَ التَّعْلِيل، أي: إنها خلقتهم لأجل عبادي، لا لغير ذلك. قال ابن تيمية (1): «وَمَا خَلَقْتُ آَلِيَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيُّعْطِنَّكُمْ» قال: إِلَّا لَآ أُمِرِّهِم بعبادتي.

وقال ابن كثير (2): «أي: إنها خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم.»

والعبادة في اللغة: النذل والخضوع لله عز وجل، يقال بغير معبد، أي: مذل بالركوب عليه، وطريق معبد، أي: ذلك الأقدام. وهي في الشرع: اسم جامع لما يحبه الله ورضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة (3).

وتطلق العبادة على فعل التعب، وتطلق على نفس العبادة كالصلاة والزكاة والصوام والحج وغير ذلك.

والعبادة تشمل فعل الواجبات والمستحبات والباحات مع النية الحسنة، وترك المحرمات والمكروهات، فالموقوف عاداتهم عبادات يؤدون على أكلهم وشربهم ونومهم ونثرهم وراحتهم، والمحذولون عاداتهم عادات وفشي نفسك، وفرق بين موفق يأكل ليعيش ويتعد الله، وبين مخذول يعيش ليأكل أشبه حالاً بالبهيمة.

فألهف الذى أوجد الحق إلى أجل هو عبادة الله عز وجل وتوحيده، وهو الأمانة التي أشفخت من حلها السموات والأرض والجبال، قال عز وجل: «إِنَّا عَرِضْنا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ، قَالُوا أَيَّ مَنْ يَحْتَسِبُهَا؟ وَأَيَّ مَنْ يَأْمَلُهَا ؟ لَيْسَ كَذَا هُمْ يُجَهَّلُونَ» (الأحزاب: 72).

وكثر من الناس لا يفهم هذه الحقيقة وإن ادعى أنه يفهمها، وكيف فهمها من يعيش ليأكل، لا يأكل ليعيش.

---

(1) في "مجاميع الفتاوى" س 186، 167/57-39.
(2) في "تفسيره" س 401.
(3) نظرة: "مجاميع الفتاوى" س 153، 149/10-169.
وإن كل ما يحصل من تقصير وبرود في القيام بحقوق الله وحقوق الخلق، وضعف
في المنافسة والمسارعة إلى الخير هو بسبب عدم فهم هذه الحقيقة تماماً.
فأسفنا على أعقاب وأوقات وصحة وفراغ تبضع سدى، وتذهب بلا فائدة ولا
عمل- والله المستعان.
ولقد أحس القائل:
قد رشحوك لأمر لوصفنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل(1)
وقال الآخر:
الأمر جد وهو غير مرزح
فاعمل لنفسك صالحًا يا صالح(2)
وما أريد منهم يطعمون واي: وما أريد منهم يطعمون فهو عز وجل الغني ليس
بحاجة أن يطعموه، كما قال تعالى: (وهو يطعم ولا يطعم) [الأعاص: 14]
إن الله هو الرزاق (الرزاق): اسم من أسماء الله- عز وجل - على وزن (فعال)
صفة مشهية أو صيغة مبالية يدل على سعة رزقه وكثرة باعتبار كثرة المرزوقين وباعتبار
كثرة رزقه لكل فرد منهم، فالرزاق: هو المعطي العطاء الجليل لجميع خلقه أموالًا
и وأولادًا وصحة وأمنًا وغير ذلك، كما قال تعالى: (كله له وللملؤاً ولفتلاً من عظوم الرزق)
وما كان عظيمًا ركبت عظيمًا) [الأسراء: 20]
وفي الحديث (لا منع لما أعطت ولا معطي لما منعت) (3)
أي: أنه عز وجل إنهآ أراد شرعاً بخلقته أن يفدوه، ولم يرد منهم كونًا أن يفدوه.
(دوارلفظ) ذو بمعنى: صاحب، أي: صاحب القوة.

(1) البيت للطغراني. انظر: شرح لأمامة العامر ص 124.
(2) البيت للشافعي. انظر: ملوك حصر وأقيال اليمن ص 1.
(3) آخريه البخاري في الأفاد 444، ومسلم في المساجد 565، وأبو داود في الصلاة 1505، والنسيبي في
السهو 1341، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.
التيين: اسم من أسماء الله عز وجل على وزن «فعيل» أي: الشديد القوة

العزيز، كما قال تعالى: «وهو آلوهوم، آلِيَزَر» [الشورى: 19].
فهو عز وجل لم يخلق الخلق إلا لعبادته فقط لم يخلقهم ليتقوى بهم من ضعف أو يستكثر بهم من قلة، فهو سبحانه القوي المتين، ولا ليزرقوه ويطعموهم، فهو- عز وجل- الرزاق المطمع للخلق كلهم، وهو سبحانه الغني عن الطعام والشراب، الغني عبا سواه، كما قال عز وجل: «فَبِكَانِيَا أَنتُ نَأَسَمُ السَّفَرُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْحَمِيدُ» [فاطر: 15].

وعن أنس بن Malik رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناء في قلبه، وجعل شمله، وأتاه الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدرت له»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملا صدرك الغني، وأسد فقرك، وإلا تفعل مثل يديك شغلا، ولم أسد فقرك»(2).

قال ابن القيم(3): «فأخبر أنه لم يخلق الخلق إلا بحاجة منه إليه، ولا يريح عليهم، ولكن خلقهم جودًا وإحسانًا لعبادته، فيرحبوا به عليه كل الأرواح، كقوله: «فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْجَحِيمِ بَشَرٌ عَظِيمٌ» [الإسراء: 7]، وقال تعالى: «وَمَنْ عَسَى صَلِيْبَهُ فَلِلَّهِ جَزَاؤُهُ» [الرعد: 44].

وقال أيضاً: «فأخبر سبحانه أن الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته التي أصلها كالمحبة، وهو سبحانه كأ أنه يجب أن يعبد، يجب أن يحمد ويشي علي، ويذكر بأوصاف العلى وأسباطه الحسن».  

(1) أخرجه الترمذي في صفة القيامة 2465.
(2) أخرجه أحمد 58/2، والترمذي في صفة القيامة 2466، والبخاري في الزهد 4107 وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».
فقوله تعالى: "لا تُعَذِّبُوا ذُنُوبًا تُذَكِّرُونَ، فَلا تَسْتَمِعُوا إلى ذَنُوبٍ من بَعْضٍ إِلَّا ذَلِكَ إِلَّا ذَلِكَ الَّذِينَ قُسِّمُوا مِن نَّبِيٍّ". {البقرة: 286}

فقوله تعالى: "فَإِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ غَفُورٌ جَالِسٌ عَلَى عَرْقٍ عَظِيمٍ. {الأنفوُس: 109}

والمراد بالمَنْذَرِينَ: كَفَارَةُ مَكَة وَجِبَارُهُم مِّن جِنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَمَا جَاءهُ بِهِمْ مِنْ عِندِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

"ذُنُوبًا" الذُنُوب: النصيب، أي: نصيبًا من العذاب.

"يَقِلُّ ذُنُوبَ أصْحَابِهِمْ" أي: مثل نصيب أصحابهم في العذاب والتذكير من الظلمين.

ولكن في الأمر قبلهم، كما قال عز وجل: "فَكَأَنَّاهَا نَحْرًا يَزَاوِهِمُهُ بِمَاءٍ عَلَى الْجَبَلِ" {الزمر: 1}.

وقال تعالى: "فَأَصَابْهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبَّوْا وَذَلِينَ ظَلَمًا مِّنْ هَوْلَاءِ سَيِّئَاتِهِمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا كَسَبُوا وَمَا كَسَبُوا وَمَا تَعَمِّرُونَ." {الزمر: 11}

ووعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إِن اللَّهُ ليُحْيِي اللَّهُ، حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ إِلَّا هُدَّى، ثُمَّ قَرَأَ "يَرَى كُلُّ نَافِذَةٍ إِذَا أَخْذَهُ رَيْكَ إِلَّا أَخْذَهُ أَيْمَّا،" {البقرة: 202}

فأنا في قولهم فيها حكي الله عنهم: "فَوَالَّذِينَ أَحْبَبْنَا لَعَلَّهُ بِمَثَلِ أَيْمَةٍ، وَلَيْسِ بِذَلِكَ" {النور: 116}

وقد جاءهم نصيبهم من العذاب الدنيوي في بدر الكبرى التي قتل فيها سبعون من كناديهم، وفي الغزوات بعدها التي تتابعت عليهم فيها الهزائم وأظهر الله الهدى.

(1) أخرجه البخاري في التفسير 486، ومسلم في البر والصلة والآداب 583، والترمذي في التفسير 3110، وابن ماجه في الفتح 1008. 4.
عون الرحمن في تفسير القرآن

ودين الحق على الدين كله، ويتظرهم العذاب الأخروي يوم القيامة كـ قال عز وجل:

قُلْ لَيْتَنَا نُسْلَحْنَا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يُوعَدُونَكُمْ (ويل) كلمة مهذية ووعيد.

وعذاب، ويبال: هو اسم واد في جهنم.

للذين يستفسرون وحيدة الله وألوهية وأسماها وصفاته وشرعيته، أو شيئاً من ذلك، ولم يؤمنوا.

يَوْمَ يُوعَدُونَ (أي: يوم القيامة الذي يوعدون بالبعث فيه والعذاب.

الأليم في النار لكونهم وعادتهم رمي رسل الله عليهم السلام بالسحر والجحون.

ولكن بعضهم أوصى بعضًا بذلك؛ لقوله تعالى: 

كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالَ أَنَا سَلِيمُ أَوَّلُ جَنَّةٍ أَنْتُمْ أَوَّلُوْيَةٌ.

1- ببيان أن دين المكذبين وعادتهم رمي رسل الله عليهم السلام بالسحر والجحون.

2- تسلية النبي وتقواه عزيه تعالى تجاه التكذيب قومه له، ورميهم إياه بالسحر والجحون.

3- الإنكار والتوضيح للمكذبين، وأن الذي جلهم على التكذيب ورمي الرسل عليهم السلام، وهي المقالات هو الطغيان؛ لقوله تعالى: 

نَلَّهُمُ قَمَّةٌ مَّأَوَىٰ

4- لا لوم عليه بالاعراض عليهم بعد إقامة الحجة عليهم، وليس عليه هداهم؛ لقوله تعالى: 

قُولُوا عَمُّوْرُكُمْ فَمَآ أَتَاكُمْ مِنْ يَتِلْوُهُ

5- أمره بالاستمرار بالذكرى وطمأنة على حق المفهعة بإذن أنه عز وجل؛ لقوله تعالى: 

وَذَكِرْ فَإِنَّ الَّذِكْرِ يَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

6- الإشارة من قام بالذكرى والدعاء إلى الله تعالى بأن جهده لن يضيع سدى، ولن يجد الفائدة.

7- أن الذين يستخفون من الذكرى وتخفهم مؤمنون دون من عداهم؛ لقوله تعالى: 

فَإِنَّ الَّذِكْرِ يَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وفي هذا امتثال لهم وثناء عليهم.

8- أن الهدف من خلق الإنسان والجحون هو أن يعبدوا الله عز وجل؛ لقوله تعالى:
سورة الذاريات، الآيات: 52 - 60

وَمَا خَلَقْتُ الْأَرْضَ وَلَانَتَى إِلَّا لِيَعْبُدُونَ

- استغنا الله عز وجل - التأم عن الخلق، لقوله تعالى: "وَأَرْبَى مِنْهُمْ نَزْفًوَا نَزْفًوَا أَرْبَى أَنْ يُطَعِّمُوا".

10- إثبات الإرادة والمشيئة لله تعالى.

11- إثبات اسمين من أسماء الله - عز وجل - وهما "الرزاق" و"المتین"، وإثبات صفة القوة له عز وجل، وأنه سبحانه الرزاق المطمن لخلق، ذو القوة الشديدة والعزة النامة، لقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَرْزَقُ وَلَا يُؤْلِفُ عَلَى النَّاسِ إِذَا أَمَاتَهُ".

12- الوعيد والتهديد للظلمين المكذبين للرسول ﷺ يبتغوا من العذاب الدنيا في بدر الكبري وغيرها، والعذاب الآخر في النار يوم القيامة، لقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا ذَيَّنَا بِذُنُوبَ أَهْلِهِمْ فَلا تَسْتَمَعُوا ۚ فَوَيْلُ الَّذِينَ سَكَتَوْا مِنْ بَعْدِهِمْ وَالَّذِي يُؤْتُونَهُمْ".

13- كَأَجَمَعَ المَكِذِّبِينَ لِلرَّسُولِ عَلَى رَمَيِّهِمْ بِالسَّحْرِ وَالجَنَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَتَكَذِّبُهُمْ جَمِيعَهُمْ بِالعِقِـوَاتِ الْمَخْلَفَةِ فِي الْدِّنْيَا وَالعِذَابِ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ ؛ لقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْنَا ذَيَّنَا بِذُنُوبَ أَهْلِهِمْ فَلا تَسْتَمَعُوا ۚ فَوَيْلُ الَّذِينَ سَكَتَوْا مِنْ بَعْدِهِمْ وَالَّذِي يُؤْتُونَهُمْ".

14- نهيه عن الاستعجال بالعذاب، تأكيداً لقريته وتحقيقها.

* * *
تفسير سورة الطور
بـ: مكان نزولها:
مكة.

جـ: فضلها:
عن جبر بن مطعم رضي الله عنه قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أم خُصِّصْوا بِعَضْرِكَ أَمْ هُمُ الْخَيْلُ وَأَمْ خُلْصَّؤْا الْقُدُورُ وَأَمْ خَلْتُوْا الْبَيْتَ وَأَمْ خَلْتُوْا الْأَرْضَ بِلَّا يُؤْفَكُونَ}، قال: كاد قلبي أن يطير. (1)
وعنه قال: "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فإني سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه". (2)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "فطفت ورسول الله ﷺ إلى جنب البيت، يقرأ بـ {وَاتَّلَّوْرُ} و{كَتَبَتُ مَسْتَطِرُ}.

دـ: موضوعاتها:
1- افتتحت السورة بالقسم بالطور وما عطف عليه على أن البحث والجزاء وعذاب المكذبين واقع حقيقة: {وَاتَّلَّوْرُ} و{كَتَبَتُ مَسْتَطِرُ} في رواف مضروب، وأليت التمتعور {7} و{البَرَّيْرُ} والسجور {6} وإن عذاب رَبِّكَ لَوْفَعَ {7} ما له من دافع.

2- ذكر بعض أهوال القيام والوعيد للمكذبين بدفعهم إلى جهنم وتقريعهم:
{يَوْمَ يَتَمْحَى السَّمَاوَاتُ مَورًا وَيَقُولُ الْجَبَلُ سَيْرًا قُوْلُ يُصِبِّهِ الْمُكْذِبِينَ وَأَلْدِينَ هُمْ في}.

(1) أخرجه البخاري في التفسير ٤٨٤، وأبو داود في الصلاة ٨٢٣، وأخرجه خصصر مسلم في الصلاة ٤٤٨، وأبو داود في الصلاة ٨١١، والنسائي في الاحتفال ٩٨٧.
(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٣٠٠، ومسلم في الصلاة - الإقراء في المطبخ ٤٧٣، وأبو داود في الصلاة ٨١١، والنسائي في الاحتفال ٩٨٧، وأبو داود في إقامة الصلاة ٨٣٢.
(٣) أخرجه البخاري في الصلاة ٤٦٤، ومسلم في الجهر ٨٢٧ وأبو داود في المسند ١٨٨٧، والنسائي في مناسك الحج ١٩٢٥، وأبو داود في المسند ١٩٦١.
عون الرحمن 

١٥٨

وحَوِيَّةٌ يُبَلَّمُونَ ١٤٠٠ يَوْمٍ يَنْفَغُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ ذَٰلِكَ هَذِهِ الْنَّارُ الَّتِي كَسَّرَهَا خَالِدُونَ ١٤١٠ أَفْصَبَّهُ هَذَا أَمَّمُ أَنْصَرَ لَا تُصِيرُونَ ١٤٢٠ أَصِلُّهَا فَاصِرًا أَوْ لَا تُصِيرُوا سَوَاءً عَلَى كُلِّ مَا نُخْرَجُونَ مَا كَفَّارَتُكُمْ ١٤٣٠

٣- وعد المتقين بالجنة والنعم: "إِنَّ الْمُتقِينَ فِي جَنَّتٍ وَبَيْسُمِ" ١٩٧٠ إلى قوله تعالى: 

٤- تقوى قلب النبي ﷺ وسلمه وتقييم وكفر الكذبين له وتوبيخهم وتهدیههم بعدم الدنيا ويوم القيامة: "فَشَكَّرُوا آنَذَا يَبْنُوا رَبَّهُ مَكَانًا وَلَمْ يُجَّلُّونَ ١٩٨٠ يَوْمَ لَا يَنَفْعَانَهُمْ كَبَيْتًا وَلَا هُمْ يَصِرُّونَ ١٩٩٠" وَإِنَّ الْمُلْمِنَّينَ طَلَّمُوا عَدَاءًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ ٢٠٠٠

٥- أمره عز وجل له بالصرح لحكمه بيه، وتسبيحه في جميع الأوقات، وإظهار عنايته عز وجل به وحفظه له: "وَأَصِيرُ لَكَ رِيَّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْمَىٰ وَسِيِّبُ يَحْيَيْ رَبِّيٰ يَقُومَ ٢٠١٠ وَمَنْ أَطْلَبُ فَسِيَّبُهُ وَإِذَّ بَرَزَ النَّجْوُيَ" ٢٠٢٠.

* * *
سورة الطور، الآيات: 1 - 12

{ الله almighty

(1) انظر «بداية التفسير» 4/251.

(2) 

(3) 

(4) 

(5) 

(6) 

(7) 

(8) 

(9) 

(10) قصد أن يشير إلى أن الجبل الذي رفعه الله عز وجل على بني إسرائيل ليتخويفهم من عقاب الله تعالى، كما قال عز وجل: {وإذ أحذانًا ميشقتكم ورقعنا فوقكم الأعور خذوا ما أتينكم من فوؤ واذكروا ما فيه为我们是为了你們而做的} [البتور: 131]. وقال تعالى: {وإذ أطمن على تقنونكم قومًا واسمعوا} [البتور: 132]. وقال تعالى في سورة الأعراف: {وإذ تقنن الابن فوقهم أنهذ قاله وطمدو أنه ذهابهم خذوا ما أتينكم فوؤو واذكروا ما فيه为我们是为了你们而做的} [الأعراف: 171].

وهذا ما عليه جهور المفسرين من أن المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

قال ابن القيم (1): {فالطور هو الجبل الذي كلم الله عليه نبي وكمية موسى بن}
عمران عند جهور المفسرين من السلف والخلف، وعرّفه هننا باللام، وعرّفه في موضع
آخر بالإضافة، فقال: {وطُورُمُينَ}.

وقال ابن كثير (١): {فالطور هو الجبل الذي تكون فيه أشجار، مثل الذي كُلّه عليه
موسى، وأرسل منه عيسى، وما لم يكن في شجر لا يسمى طورًا، إذا يقال له جبل}.

{وكتب مُسَّطُورٍ} الواف: عاطفة، وقوله: {وكتب مُسَّطُورٍ} وما بعده إلى قوله
{وأَلْحَمَّرُ الْمُسَجِّرُ} معطوف على قوله: {ورُحُبُّ الْمُسْطَرُ}، داخل ضمن المقسم به.

{وَأَلْحَمَّرُ الْمُسَجِّرُ}، والمراد بالكتاب في قوله: {وَكتب مُسَّطُورٍ} القرآن الكريم، وقيل: المراد به التوراة
لاقترانًا بذكر {الطور}. وقيل: المراد به عموم الكتب السماوية المنزيلة من عند الله تعالى.

{وَقَبْلُ الْمَرَادِ بِالْلَّوْحِ المَحْفُوظِ وَرَدْهَا اِبْنُ الْقَيْمِ. قَالَ: وَهَذَا غَلْطٌ إِنْ فَيْنَ لِبَرِقْ.}

{وَقَبْلُ الْمَرَادِ بِالْكِتَابِ الَّذِي يُتْضَمِنْ أَعَالَمُ بَنِي آَدَمَ، وِيُؤْيِدُهُ قُوَّةَ تَعَالَى: وَقَبْلُ}

{الْقُرْآنِ َّالْحَيّ َالْقِيَّمَةَ َصِيِّبِيَّةً َبَيْنَاهَا َبَنِي َمَنْشُورًا} [الإسراء: ١٣].

قال ابن القيم (٢): {فالظاهر أن المراد بِالكتاب المنزِّل من عند الله وأقسام الله به
لةِمْثَالِه وَجَلَالِهِ، وَمَا تَضَمْنُهُ مِنْ آياتِ رَبِّيتهِ، وَأَدْلَةٌ تَوْحِيدِهِ وَهَدَايَةٌ خَلِقِهِ، ثُمَّ قَبْلُ}
{هَذَا الْتُّرَاوَةَ الَّتِي أَنَزَلَ اللهُ عِلَى مُوسَى، وَكَأَنَّ صَاحِبَهُ هَذَا الْقُولُ رَأَى اقْتِرَانُ الْكِتَابِ
بِالْتُّرَاوَةِ فَقَالَ: الْتُّرَاوَةَ، لَكِنَّ الْتُّرَاوَةَ إِنَا أَنزَلْتُ فِي أَلَوْاحٍ لَا فِي رَقٍّ، إِلَّا أَنْ يَقْالُ: هِيْ
فيَّ رَقٍّ فِي السَّيَاءِ وَأَنزَلْتُ فِي أَلَوْاحٍ وَقَبْلُ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَلِلَّذِي أَرْجَحَ الأَقْوَالِ لِأَنَّهُ}
{سَبِحَهُ وَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ فِي صَحِيحٍ مُطْهَرٍ بِأَيْدِيِ سَفْرَةٍ كَرامٍ بَرَاء، فَالسَّيْحَةِ هِي
اَلْرَقُّ بِازِيَتْهُ سَفْرَةٌ حَدَّى مَنْشُورٍ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَدْ أَقْسَمْ بِسَبِيدِ الجِبَالِ
وَسِيدِ الْكِتَابِ، وَيَكُونَ ذَلِكَ مُتْضَمِّنًا لِلنُّبُوتِينَ المَعْتَمِتِينَ، نِبْوَةَ مُوسَى وَنِبْوَةٌ مُوسَى وَنَبْوَةٌ محمدٍ،
وَكَثِيرًا مَا يَقُرُّ بِهِمَا وَبِبُحُورِهِمَا كَأَنَّهُ فِي سَوْرَةِ الْثَّيْنِ والْزِيَنَةَ.

{مُسَّطُورٍ}، أي: مُكْتُوبٌ مَفْرَغٌ مِنْ كِتَابِهِ، سُطْرٌ بَعْدِ سُطْرٍ وَهَذَا يَضَعَفُ أَن

(١) في {تفسيره} ٧ / ٢٠٣.
(٢) انظر {مبادئ التفسير} ٤ / ٢٥٢ - ٢٥٣.
يكون المراد به كتب الأفعال التي بأيدي الملائكة.

"في رق"، الروح: الصحف البيضاء، كما قال عز وجل: "في سمع"، تكرم، "مُفتوح"، مطهر، "أي الأيدي السمراء" (عبس: 13-15).

وأصل "رق"، الجلد الرقيق الذي يكتب فيه، ومن هنا سميت خزارة الجلود: كتابة. قال الشاعر ميلغر: "وكتابون ومساخطت أناملهم حرًا وما قرؤوا ما خات في الكتب" (1) "منثور"، أي: منشور في الصحف، متروك مفتوح لم يقرأه، لم يمنع أحد من قراءته والإطلاع عليه بشرط الطهارة المعنوية من الشرك والطهارة الحسية من الأحداث.

"والبيت الالممور": هو البيت الذي في السياق السابعة حذاء الكعبة، المسمي بالصرايح، وهو سيد البيت.

"الممور": صفة البيت، أي: الذي تعمّر الملائكة بالعبادة يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم، والذي رفع للنبي ليلة الإسراء.

كما جاء في حديث أنس بن مالك عن مالك بن سعومة رضي الله عنها في قصة الإسراء، والذي جاء فيه: "فوقع في البيت الممور، فقال جبريل، فقال: هذا البيت الممور، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعدوا إليه آخر ما عليهم" (2).

قال ابن كثير: "ىعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطرف أهل الأرض بكمبتهم كذلك البيت الممور هو كعبة أهل السياق السابقة، وهذه وجد إبراهيم الخليل- عليه السلام- منسناً ظهرته إلى البيت الممور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل، وهو بحيا الكعبة، وفي كل ساء بيت يجده في أهلها ويضلون إليه، والذي في

(1) انظر: "مقامات الحريري" ص 427.
(2) أخرج البخاري في بعده الخليل- ذكر الملائكة 3207، ومسلم في الإيران- باب الإسراء 164، والنسائي في الصلاة 448، والترمذي في التفسير 148/1، وأحمد 148/149.
(3) في "تفسيره" 7/24-25.
السما الدنيا يقال له: بيت العزة.
وقيل: إن المراد بالبيت المعمور: البيت الحرام قال ابن القيم (1): «ولا ريب أن كلها منهما معمور: فهذا معمور بالملائكة وعبادهم، وهذا معمور بالطائفين والقائمين والركن السجود، وعلى كلا القويين فكل منها سيد البيت».
وكسر الموضع: السقف في الأصل: ما يقف به البناء قال تعالى: «فَنَحْرُ عَلَيْنِمَ».
والمعنى من قوله: [النحل: 26].
والمراد بالسقف المرفوع: السما؟ لأنها سقف الأرض، وهي كالقبة عليها، وسقف العالم، قال تعالى: (وَجَعَّلْنَاهَا سَقُفًا مَّغْفُورًا وَهُمُّ اسْتَطَعُوا كُلَّمَا رَدَّوْا مِنْهَا) [الأنباء: 22].
ويحمل أن المراد بالعرش: لأنه سقف جميع المخلوقات.
قال ابن كثير (2): "وله اتباع، وهو يرد مع غيره، كما قال الجمهور.
والمراد بالبحر في الأصل: هو الشق. والمراد به البحر الكبير كمياج البحر، والأنهار والغدران، وسمي بذلك: لعمقه واتساعه وكونه في شق من الأرض.
والمراد بالبحر بحر الأرض الذي نشاهده، وقيل المراد به: البحر الذي فوق السماء وعلى العرش.
وقيل المراد بالمجور: الممنع المكشوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها، مع أنه يغطي أكثر من ثلاثة أرباع الأرض.
وقيل المراد بالمجور: المرسل، وقيل: اليابس الذي نسب ماؤه، وقيل غير ذلك.
قال ابن القيم (3): "وأقوى الآيات في المجور أنه الموقد، وهذا هو المعروف في

(1) انتظر "بديع التفسير" 4/ 252.
(2) في "تفسير" 7/ 405.
(3) انتظر "بديع التفسير" 4/ 255.
 اللغة من المسجور ويدل عليه قوله تعالى: «وَإِذَا أَلَحَّقَ الْوَجَّازُ» [التكوين ٦:٣] 
قال علي بن عباس: «وُقَدَت فِصَارَتُ نَارٍ» (١).
ومن قال: بياست وذهب ماؤها فلا ينفّذ كونها نارًا موقعة، وكذا من قال ملكت، فإنها تملأ نارًا وإذا اعتبار أسول القرن ونظمه ومرافعه رأيت اللحظة تدل على ذلك كله، فإن البحر محبوب بقدرة الله، وملعوم ماء، وذهب ماؤه يوم القيامة، ويصير نارًا، فكل واحد من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني.
وفي كون البحر مملوء بالماء، محيطًا بالأرض مع أنه ليس في الطبيعة ما يقتضي حبس الماء عن بعض جوانب الأرض، بل إن مقتضى الطبيعة أن يكون ماء غامر للأرض فإن كرمة الماء عالية على كرمة الأرض بالذات في ذلك; دلالة على وجود الخالق وكمال قدرته، فهو الذي أسس الماء يقدر أن يفيض على الأرض فيفرقه، وفي هذا أعظم الرد على أصول الملاحة والقهوة الذين ينكرون الصانع ويسبون الأمر إلى الطبيعة (٢).

(١) إن عذاب زكّى لوزع: هذا هو القسم عليه، أي: جواب القسم، أي: وقع على الكافرين.
(٢) فأسس عز وجل بخمسة أشياء من أعظم مظاهر آياته وقدره وحكمته الدالة على روبته ووحدانيته على أن عذابه واقع على الكافرين والملحدين.

مَالَاهُ تَمُّنُ لَّهُ مَوْرَازٌ: أي: ما له من أحد يدفعه ويمنعه قبل أن يقع، ولا يدفعه ويرفعه إذا وقع، بخلاف عذاب المؤمن العادي فقد يدفع قبل وقوعه أو بعد وقوعه، إما بعفو الله - عز وجل - أو بشفاعة صالح المؤمنين، وغير ذلك.

كان مشيتها من بيت جارها سمو السحايا لا ريست ولا عجل
قال الأعشى (1):

"وَذَٰلِكَ لِأَيَاهُ بِالمَقَاصِدَ وَالْبَصَائِرَ، إِنَّ هَذَا مَجَارُ اللَّهِ، مَجَارُ الصَّبْرِ، فَلِيُّمَدَّنَ بِهَا، لَوْ كَانَ مَجَارٌ لِلْمَخْلُوقِ."

قال ابن القيم (2): "والمرود قد فسر بالحركة، وفسر بالدوران، وفسر بالتموج والاضطراب، والتحقيق، أنه حركة في تموج وتكفؤ وذهب ومعيء، وهذا فرق بين حركة السيا وحركة الجبال فقال: "وَزَيَّرَ الْجِبَالَ سَيْراً"، وقال: "وَإِذَا أَلَّبَال شَرَبَتْ" [التكوير: 30] من مكان إلى مكان، وأما السيا فإنها تتكمفا وتموج وتدبب وتحيء.

قال تعالى: "وَزَيَّرَ الْجِبَالَ سَيْراً"، كما قال تعالى: "وَزَيَّرَ الْجِبَالَ تَحْصَا جَاهِدةً وَهِيَ تَمُّرُ النَّشَابِ" [النمل: 88]، وقال تعالى: "وَسَلَّمُ الْجِبَالُ فِي بَيْسٍ سَمَّيَّ" [الواقعة: 5]، ونسف نصفا ونصير هباء، كما قال تعالى: "وَسَلَّمَ الْجِبَالُ عِنْدَ الْيَتَابَ" [البقرة: 267] فقول النبي ﷺ في نسخته: "أَقْلِصُها قَآبًا صَفْصَأً وَعَلَا أَنْثَا" [البهجة: 32]

قال ابن القيم (3): "ثم ذكر وعد المكذبين بالمعاد والنبوة، وذكر أعيالهم وعلومهم التي كانوا عليها، وهي الخوض الذي هو كلام باطل، واللعب الذي هو سعي ضائع، فلا علم نافع ولا عمل صالح، بل علومهم خوض بالباطل وأعيالهم لعب ...

"فَوَلَّى مَعِنَىُّ الْمَكْذِبِينَ" وقيل: كلمة عبد وتهديد، وقال: اسم واد في جهنم، والمعنى: فول له ذلك اليوم من عذاب الله ونكائه بهم وعاقبته لهم.

"أَلَّهُمَّ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعِبُونَ" أي: يخوضون في الباطل، ويتخذون دنيهم هزوا ولعبا فأعياهم وأقوامهم وأعماهم كلها لعب وهو لا جد فيها، بل هي ومال عليهم، كما

(1) انظر "ديوانه" ص 144 طبعة بروت وفيه "مر السحايا" ولا شاهد فيه وليست في "مجاز القرآن" لأبي عبيدة 2/231، و"جامع البيان" 27/13، وانظر "بديع التفسير" 4/256.
(2) انظر "بديع التفسير" 4/256.
قال الله تعالى فيها حكاه عنهم: «وَصَغُّواْ مَعَ الْقَافِئِينَ» [المذخر: 45].
وكما قال تعالى عن المنافقين أنهم قالوا: «إِنَّا صَنَعْنَا عَلَيْهِمْ نَخْوَةً وَنَعْلُبُ ٌ فَلَيَأْتِهِمْ وَلَذَاتُهُمْ وَرَسُولُهُ كَانَ تَسْتَهْيِلُونَ» [التون: 66]. وقال تعالى عن الكافرين: «ذَٰلِكَ أَنْتُمْ أَنْمَدُواْ درَءًا ٌ وَلَٰيْسَ ٌ وَقَرْنُوهُمْ الْحَيَوَةَ الْأَخِيَّةَ أَنْ يَأْتُوهُمْ نَسْتَهْيِلُونَ سَحْرًا مَّآ سَوَّاهُمْ يَوْمًا حِينًا وَلَوْ كَانُواْ يَكَابِلُونَ ٌ وَلَوْ كَانُواْ يَكَابِلُوْنَ الْعَمَّةِ» [الأعراف: 51].

وإذا كان هذا الوصف للمكذبين، فمن حايل مجالس المؤمنين الصدقين، وماذا فيها من الخوض فيها لا يعني من القليل والقائل والغيبة والنميته وضياع الأعاز، ولا شك أن من كانت هذه حالة فله نصيب من الوصف المذكور في الآية. وما أكثر هذا الصنف.

ِّبَيْعُ يِدْعَيْتُهُمْ، أي: يقالون ويدفعون في أقتيتهم وأكتافهم.
ِّإِلَّا نَارَ جَهَنَّمَ، هي الدار التي أعدها الله لتعذيب الكفرة والعصاة، وسماه جهنم لجهنم وظلمتها وبعد قعرها وشدة حراها أعادنا الله وجعع المسلمين منها.
ِّدَعَاهُ، أي: دفعًا بعد دفع بشدة وعنف.
ِّهَذِهِ النَّارُ الَّتِي كَنَّا يُكَذِّبُونَ أَيْ بُصِرُّهُمْ هُدَىً أَمْ أَتْبَغَوْنَ بُصِرُّهُمْ أَصِلُّوْنَ. فأصبحوا أتوتصروا سوءًا علىهم إنما تحرؤن ما كتبتين تصلون.
أي: يقال لهم هذا على وجه التقرع والتوبين لهم، وقد يكون القائل هو الله عز وجل، أو ملاكته وزيانية النار.
وفي توجيه الخطاب لهم مباشرة بهذا التقرع والتوبين ما لا يخفى من العذاب المعنوي الذي لا يقل شدة ووقوعًا على قلوبهم من العذاب الحسي.
 قوله: «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كَنَّا يُكَذِّبُونَ» يقال لهم هذا عندما يعابون النار ويوقفون عليها.
أي: هذه النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون، وتقولون لا حقيقة لها يتعلقكم للرسل والوحي من عند الله عز وجل فلا هي النار، وليس الخبر كالعيان ولهذا قال الله علهم: «وَنَظَرُّنَّ إِذْ وَقُطُّٰناً عَلَىٰ أَلْيَاتٍ فَقَالَواْ يَا مُلْكُٰنَ نَّدِرُ وَلَا نَكَذِّبُ ٌ يَبْتَغِيُّ رَبَّنَا وَلَا نَكُونَ مَعَ الْمُكَذِّبِينَ».
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج 21

[الأنعام: 72]

«أفسح هذا الاستفهام: للتقريع والتوضيح، أي: هذه النار التي دفعت إليها، وأدخلتم فيها، مجرد سحر وتحليل، كي كتبتم في الدنيا نشر الله عز وجل، وإنذارهم لكم، وما جاووا به من الوحي بالسحر. كأ قل الله تعالى عنهم: "وَقَالُوا مَهْمًا نَّأَتَيْنا يَوْمًا يَوْمٍ يَسْحَرُونَهَا يَهَا قَمَّا تَقَرُّ النَّارِ يَتَمْمِّيِكُنَّ" [الأعاف: 132]، وقال تعالى: "وَقَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ مَا جَاءَهُمْ إِن هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّنِينٌ" [سُبْحَانَ: 42]، وقال تعالى: "وَإِن يَنْبِرُوا فَاحْرُوبُوا عَلَيْهِمْ سَيَسْحَرُ مِمَّنْ يَسْحَرُونَ" [الشعراء: 24].


وهكذا قال النصارى لعيسى عليه السلام، كما قال تعالى: "فَقَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا مَنْ يَا عِيسَ" [المائدة: 110].

وهكذا قال المكذبون من سائر الأمهات لرسلهم، كما قال تعالى: "فَكَذَّبَهُمْ مَا أَيْنَ تَأْثِرُونَ مِنْ سَرُّ سُورَةِ الْمُمَّتِّحِينَ" [الدراية: 82].

أم أنتم لا تُنفِّذونّ الاستفهام كسابقه: للتوضيح، أي: أم على أبصاركم غشاوة فلا تبصرون النار، كأ كان عليهم غشائة في الدنيا فلا تبصرون الحق.


«أَصْلُوهَا»، أمر إهانة وتحقيب، أي: ادخلوها وانغمروا فيها، وقاسوا حرها وتقلبوا فيها لتصبيكم من جميع جهاتكم وواجهكم.

"أَصْبِرُوا"، أي: فاصبروا على حرها وفهيها وحيمها وزقومها وألون عذابها.

أَوْ لَا تَصْبِرُوا» "أو": عاطفة.
سواء علىكم: أي: سواء علىكم أصابتم على عذابها أو لم تصبوا، فلا الصبر-
مع استحالته: يخفف عنكم عذابها، ولا الجزع يضعف عليكم قلوب الخزنة، ولا
يستنزل لكم الرحمة، فعذابها ملازم لكم، لا خير لكم عنها، ولا خلاص لكم منها.
كما قال عز وجل: وما هم يفخرين من آل الآسر [القرة:167]، وقال عز وجل
ويذرون أن يهرون من الآسر وما هم يفخرون منها، ولهم عذاب مقيمٍ [المائدة:72]
ولقال تعالى: لا تذرون أنفوسكم في مسيرة [الزخرف:7]، وقال تعالى: ونادوا ينكلو
ليفض على نارًا فكل إنكر ميكونت [الزخرف:77].
إعما جتثن ما كنتم تعملون [إنا]: كافية ومكفوهة (1)، تنديد الحصر، أي: ما تجوؤن
إلا ما كنتم تعملون وما: موصلة أو مصدرية، والتقدير: إنا تجوؤن الذي كنتم
تعملون، أو إنما تجوؤن علماكم. فدفعهم إلى النار وغمرهم فيها جزاء كفرهم.
فالله عز وجل لا يظلم أحدًا، بل يجازي كلا بما عمل إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر،
كما قال عز وجل: فمن يعمل مثلكم بارًة حرًا بشر [ر و م] ومن يعمل مثلكم
ذرّو شأرك يبره [الزلزلة:87].
وي ينبغي للإنسان أن يتأمل فيها ذكر الله عز وجل من أهوال يوم القيامة وما توعد
الله عز وجل به المكذبين من العذاب والتقريع والتوعية فيحذر من سلوك طريقهم فإن
السعود من وعظ بغيره.
الفوائد والأحكام:
1- إقسم الله - عز وجل - بالطور وما بعده على وقوع العذاب على الكافرين فلا مانع
بمنه، ولا رافع يرفعه؛ لقوله تعالى: وَأَطْيَبْ وَكَتَبُ تَسْطِيرٍ [في رقّي مبشر (2)
واللبيث المعنون، والصافف المرفوع، والبحر المسجور، إن عذاب ربك لوعظ (3).
2- أن الله عز وجل أن يقسم بها شاء من خلفاته، كالطور والبيت المعمور،
والسفق المرفوع، والبحر المسجور، وغير ذلك.
(1) أي: دخلت ما على إن فكفتها عن العمل.
عون الرحمن يُفسّر القرآن، ج 21

3 - تعظيم الله- عز وجل- للطور وهو مكان نبأ موسي عليه السلام التي هي من أعظم النباتات; لقوله تعالى: وآتائكم رضوان. 

4 - تعظيم الله- عز وجل- للقرآن الكريم الذي هو أعظم كتاب- عز وجل-، أنزله على أفضل رسله محمد صل الله عليه وسلم لقوله تعالى: وكتب تنوير.

5 - إثبات البيت المعمور وعظمته في السياة السابقة حذاء الكعبة، والذي تعمره الملائكة بالعبادة، لقوله تعالى: وألبيني التمغور.

6 - الإشارة لعظم قدرة الله- عز وجل- في رفع الساءة وبئسها، وفي خلق البحر وملته بالماء ثم بالنار؛ لقوله تعالى: ولآسف المروع ولأنحر المسجور.

7 - إثبات ربوبية الله- عز وجل- الخاصة لنبيه عليه وسلم، وتشرفه بإضافة اسم رب أو وصفه إلى ضميره. لقوله تعالى: إن عداك ربك لنجعل.

8 - شدة أهوال القيامة فقيه، وموج الساءة وتضرب طهيداً لذوبانها وتبادلها، وتسير الجبال مهيداً لنفسها وكوها كشيياً مهيلة، لقوله تعالى: يوم تمر أنت ورفائك.

9 - الوعيد الشديد والتهديد الأكيد للمكذبين الخائدين في الباطل، لقوله تعالى: فويل يومين للكذبين.

10 - أنه يجمع للمكذبين بين العذاب الحسي بدفعهم بشدة إلى النار والعذاب العنيف بتقريعهم وتوبيعهم على تكذيبهم بها في الدنيا، وزعمهم أنها جاءت به الرسل سحر، لقوله تعالى: يوم يغمره إلى نار جهنم دعا هذى النار التي كنت كفروا بها تكذبون.

11 - إثبات وجود النار، وأنها أعدت للمكذبين والكافرين.

12 - تكييت المكذبين وتعنيفهم بشدة، وتحذيرهم بقوة وبيان أن هذا العذاب جزء عملهم، لقوله تعالى: أصلحوا فأصبروا أو لا تصرحوا سواء علىكم إنما مجرون ما كُتِبَ علىكم.

13 - أن الجزاء من جنس العمل.
قال الله تعالى: "إنَّ المُتّقينَ في جَنَّتٍ وَيَمِينٍ فَتَكُونُنَّ لَهُمْ رَبًّا وَفَوْقَهُمُ الرَّحْمَٰنُ عَزَّ وَجَلَّ يُجْرِيهِم بِأَمْرٍ سَمِيعٍ بَيَّنًا وَآثِرًا مَّتَّعُونَ ۛ مَّطْعُونٌ عَلَى سَمْرُ مُّصَفُّوقٍ وَذَكَّارٍ مَّجْرَاهُمْ يُحُورَ عِينٍ " (١٦٩).

أقسم الله عز وجل في الآيات السابقة على وقوع العذاب على الكذبيين، وذكر أنهم يوم القيامة يدفعون إليها دفعًا، ويغمرون فيها جزاء تكذيبهم وخوضهم بالباطل، ثم أتبع ذلك بذكر ما أعداه سبحانه للمتقين جزاء تقوىهم وعملهم الصالح على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب ليجمع المؤمنين في طريقه إلى الله بين الخوف والرجاء، فلا يركن من رحمة الله ولا يأمن مكر الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لَوْ يَعْلَمُونَا مَا عَدَّ اللهُ مِنَ العَقُورِ". ما بعد "١٧٠

وقوله: "إِنَّ المُتَّقِينَ"، "إِن" حرف توكيد ونصب، "المُتَّقِينَ" جمع متقين، وهم الذين اتبعوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فجعلوا بذلك بينهم وبين عذاب الله وقاعة.

في جَنَّة: جمع جنة، وهو ما أعد الله عز وجل لأوليائه المتقين وحزيبه المفلحين، من البساتين العظيمة والمساكن الطيبة والمنازل الرفيعة والعرف البنية العالية. وسميت "جنات"؛ لأنها جنّ، أي: تستر من بداخلها كثرة أشجارها وتفاحها، ونكرّت للتعظيم.

وَيَمِينٍ: أي: ونعيم عظيم. والنعيم: ما ينعمون به يتلذذون من نعيم البدن ونعيم القلب؛ من أنواع المأكل والمشرب والمناكح والملابس والمراكب والخمرة والسرور وغير ذلك. نسأل الله تعالى من فضله.

فَتَكُونُنَّ لَهُمْ رَبًّا وَفَوْقَهُمُ الرَّحْمَٰنُ ۛ مَّتَّعُونَ ۛ مَّطْعُونٌ عَلَى سَمْرُ مُّصَفُّوقٍ وَذَكَّارٍ مَّجْرَاهُمْ يُحُورَ عِينٍ: هذا وما بعده تفصيل للنعيم الذي أعده الله للملتقيين في الجنة.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٧٥٥، والرزمي في الدعوات ٢٥٤٢.
فِنَّكَهْيَنَّ حال، أي: حال كونهم فاكهين بها آنذاك وهم من أصناف الملاذ وأنواع النعيم، والفكرة: التلذذ بالشيء، والإعجاب به، والسرور وطيب النفس والبال والرح والفرح، كأ قال تعالى: "إِنَّا أَصْحَبَنَّ أَلَّا إِنَّهُ مِثْلُ فِتْنَعْكَهُنَّ قَدْ آتَيْنَّهُنَّ فِي طَيْنَلٍ عَلَى أَلَّا إِنَّهُ مَتَكُونُونَ" [بسم 56] والفكرة من أعظم النعيم المعنوي، وهو نعيم القلب.

يَمَا أَنْهَىْنِهِمْ رَبِّمَا مَوْصِلُوَنَّ أَي: البالذي آنذاك وهم.

وأرسل الإبئيل إليه عز وجل باسم الرؤوية تذكيراً بأن النعيم الدنياي والأخروية كلها منه سبحانه، وأنه المربي المنعم كما قال عز وجل: "وَمَا يَكَفُّ مِنْ ىَتْمَّرُ فَيْنَ آنِقَ اللَّهِ" [النحل: 3].

وَوَفَقْنِهِمْ مَعَ ذَدَةِ ْالْجَبْرِيْرِ، أي: نجاهم من عذاب الجحيم، وهي النار التي أعدت للكافرين والعصاة، وسميت بالجحيم لعظمها وشدتها توعدها وتأججها وبعد قعرها، كأ قال تعالى: "قَالَ أَنتَ انْثَىَ اللَّهُ بَيْنَيْنَ فَأَتْلَوْهُ فِي الْجَبْرِيْرِ" [الصفات: 97]. وهذه نعمة مستقلة، فجمع الله لهم بين حصول المطلوب والنجاة من المرهوب، وذلك غاية الفوز والفلاح.

و精选 الإظهار في مقام الإضمار في قوله: "وَوَفَقْنِهِمْ رَبِّمَا وَإِضَافَةٌ "رب" إلى ضميرهم في الموضوعين امتنان من الله عز وجل عليهم، وإشارة لعناية بهم وتكريمه وحفظه لهم.

قال ابن القيم (1): "ووالقصود أنه سبحانه جمع لهم بين النعيمين: نعيم القلب بالفكرة، ونعيم البدن بالأكل والشرب والنكاف، ووقاهم عذاب الجحيم، فوقعهم ما يكرهون، وأعطاهما ما يحبون جزاء وفائقاً.

كَلَّا وَأَشْرَىَ مَهْيَاً وَمَكَسَّرُوا تَمْلَكُوهُمْ، كقوله تعالى: "كَلَّا وَأَشْرَىَ مَهْيَاً وَمَكَسَّرُوا تَمْلَكُوهُمْ" في الآية "الثامنة" [الجاحنة: 242] أي: وقال هم هذا تكريماً لهم، وقد يكون القائل لهم هذا هو الله.

(1) انظر: إبادات التفسير 4/257
عز وجل أو ملاكك، وأطلقه كان كل قائل يقول هم هذا وينهثهم به.
وإنها أني الأمر بالأكل والشرب دون سائر أنواع التمتع؛ لأن الأكل والشرب من أهم وأخص أنواع التمتع، وما لا غنى للإنسان عنها، وهم كسوة الباطن، بخلاف ما عداهما من أنواع التمتع.

هيئة، أي: طيبًا لذيدًا مستسامغًا حال الأسماك، ونافعًا مفيدًا محمود العاقبة بعد الأكل، مع الأمن من انقطاع هذا النعيم، وهذه الأوصاف الثلاثة لا تنتمي إلا في طعام وشراب أهل الجنة. نسأل الله تعالى من فضله.

(ينمكُوتُ تَسْلُومُ) الباء سببية و(ما) موصولة أو مصدرية، أي: بسبب الذي كنتم تعملون، أو بسبب عملكم.

وهذا يقر مذهب أهل السنة والجماعة أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، وليس عوضًا عن دخول الجنة كا تقوله المعتزلة، وإنما دخول الجنة بلحة أرحم الراحمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لن يدخل أحدًا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدي الله برحمته وفضل، فسنستقلي وقاربوا، ولا يتمتنين أحدكم الموت، إما محسوبًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مسينًا فلعله أن يستعبب) (1).


(1) أخرجه البخاري في المرضي 5673، ومسلم في صفة القيامة 1816، والنسائي في الإيام وشرائعه 2001.
(2) أخرجه الحاكم في الثوبة 4/ 250، من حديث جابر - رضي الله عنه - وقال: «صحيح الإسناد» وضعفه الذهبي. وقال ابن القمي في شفاء العليل 1/ 114: «إسناد صحيح، ومعناه صحيح لا ريب فيه». 

(2) ذكره ابن كثير في تفسيره 7/407.

(3) أَنْظِرْ بِبِدْانِ التَّفْسِيرِ 4/2582، تَفسِير ابن كِثِير 7/245، تَفسِير ابن كِثِير 7/243.

(4) في تفسيره 7/407.

(5) في تفسيره 7/407.

(6) في تفسيره 7/407.
سورة الطور، الآيات: 17-20

1- القائد: [الصفات: 48: 49]، وقال عز وجل: [فيهُ حَرَثُ جَنَّاتٍ] [الرحم: 70].

2- فقال ابن القيم: [فالبضاع في ألوانهم، والحسن في وجههم، والملاحقة في عيونهم].

الفوائد والأحكام:

1- جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب، فبعد ما ذكر ما أعد للمتدينين من العذاب الأليم، ذكر ما أعد للمتدينين من الجنة والنهج.

2- عظم ما أعد الله عز وجل- للمتدينين من الجنة والنهج، لقوله تعالى: [إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَسَيَمِيتُونَ]

3- تفكيك المتدينين وتناولهم بما آنأهم ريهم من ألوان النعيم، ووقايتهم من عذاب الجحيم، فحصلوا على المطهر، ونجوا من المرهوب، لقوله تعالى: [فَنَكِهَا وَمَآ أَهْتَمُّنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَفَقْنِهِمْ بِغَيْرِ أَبْلَاجٍ]

4- إثبات رؤية الله عز وجل- الخاصة للمتدينين، لقوله تعالى: [رَبُّهُمْ]

5- تهيئة أهل الجنة بما أعد الله لهم من الأكل والشرب جمعاً لهم بين النعيم الحسي والنعيم المعنوي، الذي لا يقل عن النعيم الحسي، لقوله تعالى: [فَلَوْ أُشْرَىٰ هُمْ آمِنُونَ]

6- أن طعام أهل الجنة ما يكون طبياً ولدآ وطعماً ونفعاً وحسن عاقبة بلا انقطاع، لقوله تعالى: [هُزَآٰ]

7- فأنت تقوى الله تعالى بنفول أوامر، واجتناب نواهيه، والإلبان والعمل الصالح، لسبب دخول الجنة والتنعم فيها، لقوله تعالى: [هُزَآٰ يَكُونُ تمَّ مَا كَانَ تَمَّ]

8- أن نعيم أهل الجنة جلوسهم على السرير المصنوع مقابل بعضهم بعضًا، ولا يتدرون، وتزويدهم بالحور العين، لقوله تعالى: [مَتَّكِينَ عَلَى سَرِيرٍ مَصْفَوفٍ وَرَفِيجُهُمْ مِصْفُوفٌ].

* * * * *

(1) انظر "بداائع التفسير" 4/259.
قال الله تعالى: "والذين آمنوا وأطيعوا يدرببهم إليكم فلتقوا يوم درببهم وما أنتم من علوا فين أنتو". ثم أضاف: "ويلك من عدوناك فأنت تعلمون". ثم أضاف: "وليربككم علماً لحكمكم فكل من كرام." ثم أضاف: "ولبكونكم على بعض. 

يقتسم من بكر التنين فإنه هو البر الرخيم.

هذه الآيات في تفصيل أنواع النعيم الذي أعد الله للملتقيين في الجنة.

والذين آمنوا وأطيعوا يدرببهم إليكم قرأ أبو عمرو: "ولبكونكم على بعض. " بثم الناء دون ألف، غير أن ابن عامر ويعقوب قرأ: "ذرياتهم".

بثم الناء ووافقت قبلها.

أي: والذين آمنوا من الوالدين وابتعثهم ذريتهم من أولادهم وأحفادهم بإيال،

أي: فاجتمعوا على الإيال، لا على النسب والحسب والحرية أو الرق، بل على الإيال. 

ألفبهم "ذريتهم"، قرأ ابن كثير وحماة والكسائي وعاصم: "ذريتهم"، بالإفراد.

وقرأ الباوين بكسر الناء وألف بعدها: "ذرياتهم".

أي: أتبعنهم ذريتهم، فجمعنا بينهم في المنزلة في الجنة، وإن لم تبلغ الذرية مبلغ الآباء في العمل، لتقرب أعين الوالدين بأولادهم وأحفادهم، وليحصل للجميع لذا.

الاجتماع بعد الفرقة.

وهذا من فضل الله عز وجل وكرمه وامتنانه وإحسانه إلى عباده، وهو من أفضل ألوان النعيم، فإن في اجتماع الوالدين بذريتهم، أولادهم وأحفادهم كمال الأنس والسرور. نسأل الله تعالى من فضله.

ولا سرور مع الفرقة، وهذا فإن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لدى فيها فرحًا.

"وما أتاهتم من عيلهم من شيء"، قرأ ابن كثير بكسر الملام من "أالتهم".

وقرأ الباوين ففتحها.

أي: وما نقصناهم من عملهم من شيء، فلم نحترمن من درجة الوالدين مقابل رفع
ذكرتهم معهم. قال ابن عباس رضي الله عندها: «إن الله ليرفع ذريعة المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لترفع ذريعتهم عليه، ثم قرأ هذه الآية»(1).

وقال ابن كثير(2) في كلامه على الآية: «يُحِبّ تعلُّم عن فضله وكرمه، وإمتناه، ولطفه ببلده وحبسه: أن المؤمنين إذا اعتُبوا ذريعتهم في الأين يُحققهم بأبائهم في المنزلة وإن لم يلبغوا عملهم; لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منزلتهم، فيجمع الله بينهم على أحسن الوجه، بأن يرفع الناقص العمل بكل عمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك، وهذا قال: »أَنْفَعَّكُمْ وَمَا أَنْفَعَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ وَمَا عَلِيَّهُمْ مِنْ أَنْفَعَهُمْ«.

وقد اختالف الفقهاء في هذا الإحلام يراد به الذرة الصغر، أو الكبار الذين عملوا، أو أنه يشمل الصغر الكبار على أقواف ثلاثة، وأخذ ابن الزبير أن يختص بالصغير. قال: »واختصاص الذرة هنالك بالصغير أظهر لعل يلزم استواء المؤتمنين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم هذا في الصغير، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته«(3).

قال ابن كثير(4) بعد كلامه على قوله تعالى: »وَأَلْدَاؤُكُمْ إِمْتَنُّوْا وَأَنْفَعَكُمْ وَمَا أَنْفَعَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ وَمَا عَلِيَّهُمْ مِنْ أَنْفَعَهُمْ« قَالَ: »هَذَا فِضْلُهُ عَلِيٌّ عَلَى الأُمَانِي; بِرَكَة عِمَل الآباء، وآمَر فِضْلُهُ عَلَى الآباء; بِرَكَة دِعَاء الأُمَانِي...« ثم ذكر ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: »إِن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، يقول: يا رب، أني في هذّا؟ يقول: باستغفار ولذٌك ذلك«(5).

وأياب أُرِيَتِهُ 6 خبره الله عن رسول الله ﷺ، قال: »إِذًا مَات ابن آدم اقطع...»

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان 21/579، والحاكيم في النسخ والمسند 3/28-576.
(2) الآثار 484-485، والطحاوي في المشكل الآثار 2/14، وإسناده صحيح.
(3) في تفسيره 7/4-7-408.
(4) أنور، بابائع التفسير 4/265-266.
(5) في تفسيره 7/5-7-266.
(6) أخرجه أحمد 2/576. قال ابن كثير في تفسيره 7/409 (إسناده صحيح).
(7) وأخرجه ابن ماجه في الأدب، البر والدين 3/2660.
عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له(1).

وعدل على الأمرين جميعًا- شفاعة الآباء بالذرية، والذرية بالأباء- قوله تعالى:

«جَنَّتَ عَذَابَ الْخَوْلِ وَمِنْ سَلَحٍ مِّنْ عَبَاتِهِمْ وَوَرَثَيْهِمْ» [الرعد: 23].

وقوله تعالى: «رَبَّنَا أَطْلُبُ مِنْكَ حِكْمَةً» [الأنعام: 8] و«وَأَطْلُبُ مِنْكَ حِكْمَةً إِلَّا أنَّكَ أَعْلَمُ الْأَمْرَ اللَّهُ» [غافر: 8]

قال ابن كثير(2): «لم أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤخذ أحداً بذنب أحد».

ومعنى قوله: «كُلُّ أَمْرٍي يَا كَسْبُ رَهْبَانِ» [المهر: 38].

وقال تعالى: «وَلَا تَزَادَ وَرَأْيَةً وَرَأْيَةً وَإِنَّ ابْنَيْكُمَا تَحْبُسَانِ» [النساء: 19]. فلا يؤخذ أحد بجريزة غيره حتى أولاد الكفار لا يلحقون بالعذاب تبعًا لأبائهم ما لم يعملوا أعمال الآباء.

ففي مقام الفضل منه عز وجل والإحسان إلى عباده يشفع بعضهم في بعض، ويزيد في أجور من شاء منهم ويضاعفها لهم أضعافًا كثيرة بلا حد ولا عد ولا حساب تفضيلاً منه عز وجل وكمًا وامتناً، كأنه قد يعفو عن يشاء من أهل المعاصي مما هو دون الشرك كما قال عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ مَا يُعْفُرُ أَن يُعْفَرَ» [النساء: 112].

أما في مقام العدل فإنه يجازي كلاً بما عمل، فلا يؤخذ أحداً بجرم غيره من الناس أبا كان أو ابنًا أو غيره، ويجازى المنيء على قدر إسائه، ولا يظلم أحدًا من خلقه.

(1) أخرج مسلم في الوصية- ما يلحق الإنسان من العوار بعد وفاته 1361، وأبو داود في الوضايا 2880، والنسائي في الوضايا 3651، والترمذى في الأحكام 1376.

(2) في تفسيره 8/7 2009.
سجنه كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَل مُّفَاسَكَةٍ ذَٰلِكَ ضُرُرٌ بَيِّنٌ﴾ [الزُّور: 8]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا رَبِّكَ يَظْلَمُ الْمُتَّقِينَ﴾ [فصلت: 42]، وقال تعالى: ﴿وَاِنَّا أَنَا يَظْلَمُ الْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 26]، وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلَمُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآباد: 12]، الآيات: 10، الحج: 51، سباعي: 38.

وفي قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿قَالُوا لَيْسَ إِلَّا أَنْتَ أَبُو الْأَمْيَاتِ﴾ [الأيات: 38-42].

ما يشير إلى الأمرين جميعًا: مقام العدل، ومقام الفضل، ففي مقام العدل كل نفس مرتهنة بعملها جازى بها من غير زيادة أو نقصان، وفي مقام الفضل يزيد سبحانه من شاء من خلقه ويضاعف لهم أكثر مما عملوه، فلم يجازوا بأعماهم فقط، بل ضعفهم هم الأجر، ووجوزوا بأكثر منها، وهذا قال: ﴿وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾، أي: فلا يجازون بعملهم فقط، بل يزايد هم الأجر على عملهم، ويضاعف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وليس في الآية ما ينفي أنهم يجازون بها كسبوا، لأن كل إنسان مرتهن وجازى بعمله إن خيراً فخير وإن شرًا فشر، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَل مُّفَاسَكَةٍ ذَٰلِكَ ضُرُرٌ بَيِّنٌ﴾ [الزُّور: 8]، وإنها فيها الإشارة مما سبق وهو أن أصحاب اليمين لا يكون جزاؤهم بقدر أعماهم فقط بل يضاف الله لهم الأجر بفضله ومنه كرمه.

وأمّدتهنّ يفتكهنّ، أي: أعطينهم عطاء مستمر الأبد إلى الأبد وزودناه بفاكهة، وهي جنس ما يفتك به ويجعله له التلذذ والنعم والسرور، وطيب النفس والبلاء والفرح من أنواع ما يفتك به، كما قال تعالى: ﴿كَفَّرَهُمْ ﻓِي ﻢَنْيَكُهُمْ وَفِي ﻣَيْلٍ يَدْخُلُونَ﴾ [البقرة: 75]، وقال تعالى: ﴿يَعْدُونَ ﻓِيهَا وَيَنْفَعُونَ ﻓِيهَا يَفْتِكُهُمْ صَبْرٌ وَيَثْرُبُونَ﴾ [المؤمن: 19]، وقال تعالى: ﴿وَيَنْقُلُونَ فِيهَا يَفْتِكُهُمْ مَأْمُوسٌ﴾ [المؤمن: 19].
عون الرحمن في تفسير القرآن ج ٢١


وهاي يدل على أنهم يتفكرون بكل ما أتاههم برهم من أنواع النعيم، وذلك أن كل مأكل أهل الجنة مما يتفككه به؛ لأنهم لا يجعون أبدًا.

"وَرَجُلٌ مِّنْ بُيُوتِيْنِ"، معروف على فاكهةٍ، أي: وأمددناهم بلحم، أي: ببجنس اللحم، أي: بأنواع اللحم.

"بُيُوتِيْنِ"، أي: ما يستطيب ويستدل وتشتهيه نفوسهم.

وقدم الفاكهة على اللحم، كما في قوله تعالى: "فَكْهَةٌ مِّنْ بُيُوتِيْنِ" و"بِثْرِيْهَا طَيْرٌ" [الواقعة: ٢٠، ٢١]. مما يدل على أن الفاكهة تؤكل قبل اللحم، وأن ذلك هو الأفعال للجسم، وهذا خلاف ما عليه كثير من الناس اليوم.

"بُيُوتِيْنِ"، أي: يتعاطون فيها كأسًا، وهي كأس الخمر على سبيل الأنس والانشراح والمذابة.

"لا نَفْرِيْبُهَا"، أي: لا يحصل بسبب شربها لغو، وهو الكلام اللغو من الهذى بن الباطل، لأن خمر الجنة لا يحصل بسببها ذهاب العقل كخمر الدنيا كأ قال تعالى:

"يَبْعَشُونَ لِدُرُّ لِدْنِيْنِ [الواقعة: ١٨] لا يَعْلَبُونَ ولا يَعْلَبُونَ بِغَرْمِهَا [الصافات: ٤٦، ٤٧]."

وقال تعالى: "لَا يَصِدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَبْغُونَ" [الواقعة: ١٨].

فهي بيضاء حسنة النظر لذات الذهب، لا تعتال العقول فتذهبها، ولا يحصل بسببها نزيف بسبب الصداع وألم البطن، بخلاف خمر الدنيا، فإن من شربها حصل له الصداع والنزيف، ووقع منه اللغو والهذى بن الباطل لإذهابه للعقول.
ولا تأكلوا أنفسكم، أي: لا يأكل شربها ولا يشرب شربها في الإثم. بخلاف خر الدنيا فإن من شربها أثم لما فيها من المضار والمفاسد العظيمة، ووقع فيها يثمر من الموتات والجرائر بسبب ذهاب العقل.

قال ابن القيم (1): فنفى باللغو: التخاصم والهجر والفحش في المقال والعربدة، ونفى بالتالي جميع الصفات المذمومة التي أثبت شارب الخمر.

ولا يطوف عِلْيهم، أي: ويدور عليهم لقضاء حوائجهم «까َفِراً»، أي: خدم وحشى لهم أعطاه الله إياهم في الجنة.

"أَكَانُوا مَكُونَاً"، أي: كانوه في جاهل وباضهم وجال أبانهم وحسن هياتهم، ولباسهم ونواحيهم ونضاتهم «المكون»: وهو من أحسن أنواع الجواهر «مكون»، أي: مصنوع في أصدافه، لم تدنسه الأيدي، ولم يغمر، ولم يتبدل بسبب الاستعمال أو عوامل البيئة، فهم مع اتصالهم فخدمتهم لم تذهب الخديمة منهم تلك المحاسن.

والرجال على هياتهم، كما قال عز وجل: "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَيَلْدُنْ خَلْدُونَ" [بِالْزَّوَازَةَ: 19]، وقال تعالى: "ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَيَلْدُنْ خَلْدُونَ" [الإنسان: 19].

ويعد الله سبحانه وتعالى أصحاب الأمن والغفران والرحمان، فهم في النهاية يرخون بفضل الله، كما يقول تعالى: "وَلَمْ يُكَادُونَ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ إِلَّا مَا يَرَى وَتَأْتَيْهِ الْيَوْمُ الَّذِي يُقَدَّرُ لَهُمْ [الإنسان: 19].

ومع الفرق الشاسع والابن الواسع بين عين الدنيا وعين الجنة، ترى الفرق بين من سخر الله له ولوده وأهله وأصلحهم فكانوا في طاعته وقضاء حوائجه، يرسل أحد أبنائه لشراء حاجة من السوق، فيدخل وينفي بها، ويرسل الآخر بهدية إلى أحد الأقارب، ويرسل الثالث بمهمة ثالثة وهكذا فعندما ينظر إلى أعظم غباء هذا الوالد وما أذ حياته وما أطيب عشية، يخفف من سلط عليه أهله وأولاده فخرجوا عن طاعته فهو يخدم نفسه بنفسه، ولا يجد من أهل وولاده من يقوم بجانبه ويعينه على قضاء حوائجه فلا تسأل عن حاله ونكد عشية.

وقد يكون هذا قد أتي من قبل نفسه بسبب تقصيره في حق الله تعالى وفي حق أهله وولدته، وقد يكون ذلك ابتناء من الله له لتكفيه سئاته ورفعة درجاته.

(1) انظر: "بداية التفسير" ٤/٢٨٠
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج 21

» وأقبل بعضهم على بعض يسألون، ويتوجه بعضهم إلى بعض في الحديث والتساءل عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا.

» قالوا: إن الله عز وجل قد كفينا من النار الحامية. فهؤلاء كانوا خائفين مع إحساسهم، فأبدفهم الله بذلك أمانا في دار المقاومة لا خوف بعده. نسأل الله تعالى من فضله.

» فاتبعاً الله عز وجل في عداب الستمو، أي: تفضل عز وجل علينا فأجرانا ما كنا نخاف. ووقانا عذاب السموم وهو النار الحامية.

» قال الحسن: «لا أن تصحب أوقاماً يخوفونك حتى تدرك الأمن خير من أن تصحب أوقاماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاويف» (1).

» إننا أتمنون من قلبي قرأ نافع المدني والكساي: «أنا كتا» بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها: «أني كتال».

» بيت قليل، أي: في الدنيا.

» ونعتوه، أي: نعبده ونضرع إليه رغبة ورهبة، والدعاء هو العبادة، كما قال عز وجل: وقيل: «وَقَالَ رَبِّيَّنَا آَوْهُوَى أَسْتَجِبَ لَنَا إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَكِيدُ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ» (غافر: 102).

(1) أخرجه في الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لدعم بن حداد 1/201، وفي «الوجه والتونيق بالعمل» لابن أبي الدنيا ص 28، وذكره في «حلية الأولياء» 2/150.
وعن النعيم بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله ﴿وَقَالَ رَبِّي أَعْفَأْنِ﴾ أَسْحَبِبْ لَوْرَبِّي أَعْفَأْنِي قال: الدعاء هو العبادة ṭوَقْرَا: ﴿وَقَالَ رَبِّي أَعْفَأْنِ﴾ أَسْحَبِبْ لَوْرَبِّي أَعْفَأْنِي إلى قوله ﴿ذَلِكَ ﴿}. (1)

وَإِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ، أي: هو البر الرحيم بعباده؛ هذا استجاب لنا، وأعطانا سؤالاً. وَالْبَرُّ وَالرَّحِيمُ: أسْبَيْنَانِ مِنْ أُسَاءَ الله عز وجل. وَالْبَرُّ مَعْنَاهُ: ذو البر، وسعة الإحسان والجود والكرم، الذي من صفته عز وجل البر بعبادته المنتمين.

كيا يبدل الرحيم على إيثات صفة الرحمة عز وجل صفحة ثابته له عز وجل، كما قال عز وجل: ﴿وَرَبِّي أَعْفَأْنِ﴾ وَرَبِّي أَعْفَأْنِ ذو الرحمون. {الكهف: 58.}

وصفة فعلية له وصولها إلى من شاء من عباده، كما قال عز وجل: ﴿يَعْدُبُّ مَن يُشَاءُ﴾ وَيَعْدُبُّ مَن يُشَاءُ {النحل: 21.}

كيا يبدل على إيثات صفة الرحمة العامة له عز وجل جميع المخلوقات، والرحمة الخاصة لأولئك المتقين وحزبه المنحلين.

وفي قولهم: ﴿إِنَّا أَسْتَجَابْنَاهُ فِي أَهْلِيَّ مِثْقَافَيْنِ﴾، وقولهم: ﴿إِنَّا أَسْتَجَابْنَاهُا مِنْ قَبْلِ نَذِعُوَهُ﴾ ما يفيد أنهم جمعوا بين الخوف والرجاء، فحصلوا على المطلوب وهو دخول الجنة، ونجوا من المرهوب وهو دخول النار، وهذا ما ينبغي أن يسير عليه المؤمن في طريقه إلى الله، بأن يكون بين الخوف والرجاء وأن يكون له كجناحي الطائر ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو علم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جتنة أحد، ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قطع من جتنة أحد» (2).

وأنا من أсыر الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك»؟ قال: والله يا رسول الله، إن لأرجو الله وأخف ذنبي. فقال رسول الله ﷺ: (3)

(1) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن 1919، وابن ماجه في الدعاء 3828 وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(2) أخرجه مسلم في الثوبة 770، والترمذي في الدعوات 3542.
لا يبتعد في قلب عبد في مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وآمنه ما يخفى(1).

وفي قولهم: "لقد كتب الله علیها" وقولهم: "إنه هو آخر الرحيم" دلالة على أن دخولهم الجنة وواقيتهم من النار إنها هو بفضل الله عز وجل وبره ورحمةه عليه قالوا: "لن يدخل أحدًا عمله الجنة" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتعمد الله برجمته من وفضل"(2).

فسبب خوفهم في الدنيا منه عز وجل ومن عقابه، وسبب عبادتهم له أدخلهم عز وجل الجنتين ومن الخاشف ووقاهم من النار، وذلك كله برجمته وبره سبحانه وتعالى.

الفوائد والأحكام:

1- عظم فضل الله - عز وجل - وكرمه في إخافة الذرية بآبائهم من المؤمنين في الآخرة وإن كانوا دونهم في العمل، من غير تقص في درجة الآباء لنفتر أعين الآباء، وبحصل للجميع لذة الاجتماع والسرور، لقوله تعالى: "والذين آمنوا وأبنائهم وإياكم نحن نؤمر بهم عبادةً".

2- فضل الإ貊ان، وأنه سبب لاجتماع الوالدين بأولادهم في الجنة.

3- أن من تمام النعمة اجتماع الوالدين بأولادهم وأحفادهم.

4- أن كل إنسان مرتين بعمله، وسيجازى عليه، وهذا في مقام العدل، أما في مقام الفضل فإن الله يريد من يشاء ويعفو عن من يشاء؛ لقوله تعالى: "كل أمري ما كسب رهن".

5- عظم ما أعد الله - عز وجل - لأهل الجنة من ألوان التعبير، ففاكهة، ولهما يشتهون، وكأس، وغلالان حسان عليهم يطوفون؛ لقوله تعالى: "وأمدناهم في الجنة مircle ونحري جميراً نفخنا بهما لحما لا نفردهما ولا تأيدها، ونطوف عليهما عينين نحن لهم كأنهم أدول".

6- الإشارة إلى أن الأحسن تقديم الفاكهة على اللحم في الأكل.

(1) أخرجه الترمذي في الجائزتين 983، وابن ماجه في الزهد - ذكر الموت والاستعداد له 4261.
(2) سبق تجريبه.
7- سلمة خمر الجنة من اللغو والتأثيم ما يحصل في خم الدنيا، لقوله تعالى:

"أَنَاِ اللَّهُ الَّذِي خَلَقُوْاْ جَنَّاتَ الْعَدنَ..." 

8- المؤاسية بين أهل الجنة وإقبال بعضهم على بعض وتساؤلهم فيها بينهم متذكرين

معمة الله عليهم وحالمهم في الدنيا، لقوله تعالى: "وَأَقِمْ بِعَضْمِكَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ تُبَالِغُونَ" قالوا إننا

"خُطِئتُمْ فِي أَهْلِ الْمُشْقِيقينَ " ٦٥ جَزَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفَوْقَانَا عَذَابُ الْمُتَمَرِّمِينَ ٦٦  

9- اغتيباط أهل الجنة وسرورهم أن وفقهم الله في الدنيا إلى خوفه وعبادته ودعائه بره

ورحمة، فأبدل الله خوفهم أمناً ووقاهم في الآخرة عذاب النار وسمومها، لقوله تعالى:

"فَعَلَّهُ بَلَاءً وَلَدَاءً عَذَابُ الْمُتَمَرِّمِينَ ٦٦ إِنَّا أَصْطَبَاتُنَا بَيْنَ الْمُتَمَرِّمِينَ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْجِبَّرُ"  

10- وجوه الجمع بين خوف الله عز وجل وعبادته ودعائه، ورجائه، وأن ذلك

هو السبب بإذن الله للوقاية من الجحيم، ودخول جنات النعيم. والحذر من الجمع

بين الأمن والإساءة، لقوله تعالى: "إِنَّا أَصْطَبَاتُنَا فِي أَهْلِ الْمُشْقِيقينَ ٦٥ فَمَرْكَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا  

وَفَوْقَانَا عَذَابُ الْمُتَمَرِّمِينَ ٦٦ إِنَّا أَصْطَبَاتُنَا بَيْنَ الْمُتَمَرِّمِينَ"  

11- أن الأمن الحقيقي في الدنيا والآخرة للمؤمنين الذين خافوا الله واتقوه كما

قال تعالى: "آتِينَا عَذَابَ الْجَحِيمِ وَلَيْسَ لِنَّا إِلَّا مَثَالَهُ وَلَيْسَ لَنَا مَثَالُهُمْ مَثَالًا" [الأنم: ٨٢].

12- إثبات اسمين من أسماء الله - عز وجل - وهما: "البر" و"الرحيم" وإثبات

صفة البر والرحمة له - عز وجل، لقوله تعالى: "إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْجِبَّرُ".

* * *
قال الله تعالى: "قد نعتُمَّت يَعْمَّت رَكِبْتُ بِهِ لاَ يَجْتَنُونَ ۛ أَمْ قَوْلُونَ شَأْعَرُ نَفْسِيَّۢنَّۢ ۚ بِهِ رَبِّ الْقُرْءَانِ ۛ قَلْ رَبَّ الْقُرْءَانِ إِنِّي مُكَفَّرٌ مِّنْهُ ۛ أَمْ تَأَمَّرَهُ أَنْ يُذْهَبَۢنَ ۛ أَمْ قَوْمَۢنَّ ۛ طَاعَنُونَۢ ۚ أَمْ قَوْلُونََّ ذَلِكَ بِلاَ يَجْتَنُونَ ۛ كَفَّارٌ مَّعْنَايَةٌ ۚ إِنَّ كَافِرًا سَمِيقًا".

بعد ما ذكر الله عز وجل ما أعدا للمكذبين من العذاب الأليم وما أعدا للمعتين من النعيم القيم أمر الرسول ﷺ بالثواب على التذكر، وعدم الالتفات لما يرميه به المكذبون من قولهم: كاهن أو مجنون أو شاعر، وقولهم: إن تقول القرآن من عند نفسه، والرد عليهم في هذه المزاعم الباطلة، التي حملهم عليها الطغبان وعدم الإياب.


"فَمَا أَلَزَّنَّ ۖ أَهْلَ الْقُرْءَانِ ۛ فَلاَ يَجْتَنُونَ" الفاء: تعليلية، "وما": نافية، أي: ولا تبال بها يقول عنك المكذبون من قولهم: كاهن أو مجنون، فها أنت بحمد الله بما أنعم به عليك ربك من النبوة بكافن ولا مجنون.

كما قال عز وجل: "وَأَمَّا يَعْمَمُونَكَ فَحَيْثُ" [الضحي: 11]، أي: بإعماك عليه بالنبوة، والباء في قوله: "بكافن": زائدة من حيث الإعراب، مؤكدة من حيث المعنى لعموم النفي.

قال ابن كثير (1): "والكاهن الذي يأتي الرأي من الجان بالكلمة يلتقاها من خبر السياء.

والمجنون: هو المعتوه، ففقد العقل، الذي يتخبطه الشيطان من المس.

أي: لست بإعماك الله عليك بالنعمه الكبرى نعمة النبوة والرسالة بكافن ولا مجنون، كيف تكون بهذه النعمة كاهنًا ومجنونًا! فدع عنك أقاويلهم الباطلة وافتراضاتهم الكاذبة، واستمر على تذكر الناس بالله، ولا تبال بهذه القواعط.

وينبغي أن يستلهم هذا المعنى الدعاء إلى الله والربون والموهون، فلا يثني

(1) في "تفسيره" 7/ 411.
عازفهم نعيق الناعقين ولا تشكيك المبطلين.

فهذه عادة المكذبين للرسول، قال تعالى: {كذلك ما أتى الذين من قبلكم من رسول إلا قالوا: سلعن أو مجوس} ([النور]: 52) وقال تعالى: {إن الذين أتبعوا كانوا من الذين عادوا} {يسعون} {إذًا مروا بهم يغمارون} {وإذا اقتربوا إلى أهلهم أنقلبوا فكحبن} {وإذا رأوه} {قالوا إن هو إلا أضالة} ([المطففين]: 29-32).

{أم يقولون شاعر} أم في هذه الآية والآيات بعدها إلى قوله: {أم يرديون كيدا} هي: {أم} المنقطعة التي بمعنى {بل} التي للإضراب الانتقائي، وهمزة الاستفهام الإنكاري والتوضيح، والتقدير: بل يقلون عنك يا محمد شاعر.

{أين رفرف} أي: ننتظره، ونصب عليه حتى جلي به.

{رب السوء}، أي: قوار الذهب وفجائعه، و{المتنور}، أي: المورث، أي: حتى يأتيه الموت فمستريح منه، ومن شأنه.

فرد الله عليهم بقوله: {قل} الأمر للنبي {أرأصوا}، أي: أمر تهديد وتحذير للمكذبين، أي: انظروا.

{فإني معلمٍ} {الغافر}، الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر، أي: انظروا فإني معلم من المنظرين من تكون العاقبة والنصر في الدنيا والآخرة، فالعاقبة للمتقين.

وقوله: {أم يرديون كيدا} يدل على مكانة الشاعر عندهم، وأثر الشعر فيهم، وهذا هو الواقع، فلقد كان الشعر في أول الإسلام من أعظم وسائل الدعوة.

{أم تأمّر له} {أفتحم} {هذا} الاستفهام كسابقه للتوضيح: والإنكار أي: بل أمرهم أن يعوchem بهذا، أي: بمقولاته عنك من المزاعم الباطلة.

{أينم} {قُوم} {طاغون}، أي: بل هم قوم طاغون متجاوزون للحد في الكفر والعناص.

فهذا هو الذي حملهم على تلك المقالات، التي لا يقوهم عاقل وهم يعلمون أنها مضار أضرام وزور.

{أم يقولون} {قلو} {أئذى}، أي: بل يقولون قلوا عنون القرآن، أي: افتراه من عند نفسه.

كما قال تعالى عنهم: {أم يقولون أفتى} ([يونس]: 48، هود: 13، سورة: 2، السجدة: 2، الأحقاف: 8)}
القائمة الكفر وعدم الإيام، مع أنهم في حقيقة أنفسهم يعلمون أنه لا يمكن أن يأتي بمثله البشر.

قَلْ أَمْ أَتُّمِّنُكُمْ بِمَا كُنتُ عِندِيُّ فَأَنْصُرُهُمْ فَأَنْصُرُهُمْ وَأَنْفُقُ مَا آتَيْنَاكُمْ مِّنْ هَالِكَ، أَيْ: إِنَّهُمْ صَدَقُوا فِي دُعَاءِهِمْ وَقُولُهُمْ: «قُولُوا: الْلَّهُمَّ إِنَّكَ مُحِيَّنَتَيْنِ». وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقُولُهُنَّ: «قُلْ أَمْ أَتُّمِّنُكُمْ بِمَا كُنتُ عِندِيُّ فَأَنْصُرُهُمْ فَأَنْصُرُهُمْ وَأَنْفُقُ مَا آتَيْنَاكُمْ مِّنْ هَالِكَ»، وَقُولُهُ تَعَالَى: «قَلْ أَيَّا أَجْمَعْنَيْنَ أَنْ أَنْقُلَ أَنْ أَبْنِيَ» [الإسراء: 88].

الفوائد والآحاسـ:
سورة الطور، الآيات: 29 - 34

7- تحدي المشركين المكذبين للقرآن الزاعمين أنه سحراً وشعراً وكهانة أو أن الرسول اختلقه من نفسه أن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين في زعمهم، وهيهات لهم ذلك، لقوله تعالى: "قلناً بحديث مثله إن كناأصدقاء".

* * * *
قال الله تعالى: «أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخلقون؟» (76) أم خلقوا السكون والأرض بل لا يرون، (77) أم عدهم خزائن ربك أم هم المصورون؟ (78) أم هم شاكون يصير مميتون في قلوبهم، (79) مستعمرون بالسيكين؟ (80) أم تكثيف أجرهم بين مشردين تضييعون، (81) أم يعدهم اللب كم يكتبون، (82) أم يقولون هذا قال الله تبارك وتعالى «أم هم الخلقون؟» (83) أم معمدانهم الله (84) هلDOGTA يأولون؟ (85).»

قال ابن كثير (1): «هذا المقام في إثبات الرواية وتوحيد الآلوية».

قوله: «أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخلقون؟» في هذين الموضوعين وما بعدهما هي المنقطة التي بمعنى "بلى"، وهمزة الاستفهام الذي يمنع النفي والإنكار والتوقيع والوعيد، أي: "بلى" أوجدوا من غير خالق، "بلى" أوجدوا أنفسهم.

وكل الأمر مستحيل، فمستحيل وجودهم بدون خالق، ومستحيل أن يخلق المرء نفسه.

وإذا بطل الأمران تعين أن يكون لهم خالق خلقهم وفاطر فطرهم، وهو الله وحده المستحق للعبادة دون ما سواء.

قال ابن كثير (2): "أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخلقون؟"، أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكوراً.

وقال ابن القيم (3): "تأمل هذا التردد والحصر المتضمن لإقامة الحجة بأقرب طريق، وأفصح عبارة بقوله تعالى هؤلاء خلقون بعد أن لم يكونوا، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم، فهذا من المجال المنتبئ عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوع من غير صانع، وخلق من غير خالق... ثم قال: "أم هم الخلقون؟"، وهذا أيضًا من المستحيل أن يكون العبد مجددًا وحالفًا لنفسه، وإذا بطل القسنان تعين أن لهم خالقًا خلقهم، وفاطرأ فطرهم، فهو الله الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلهًا غيره، وهو وحده الخالق لهم».

(1) في "تفسيره" 7/412.
(2) في "الصواعق المرسلة" 2/493.
سورة الطور، الآيات: 35-43

(1) أخرج البخاري في تفسير سورة الطور ٤٨٥٤، ومسلم في الصلاة ٤٣٣، وأبو داود في الصلاة ٨١١، والنسائي في الافتتاح ٩٨٧، وابن ماجه في إقامة الصلاة ٢٣٢.
كون الرحمن في تفسير القرآن 21


والله عز وجل منزله عن الشرك وعن الصاحبة والولد، قال تعالى: «يَبْعِثُ السَّكِينَةَ وَلَا يَأْخُذُ مِنَ الْأَنَامِينَ أَحَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ وَلَدَيْنِهِمَا وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ إِلَّا مَوْئِلًا أَحَدًا ۚ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مَسَاءً مِّينَاءً. وَاللَّهُ يَغْفِرُ أَلْلَهْبَةَ وَيَتَقَلُّبُ لَعَلَّهُ يَغْفِرُ لَهُمَا أَخْرَى مِنَ اللَّهِ رَبَّكُمَا ۖ عَلَى هُوَ أَرْضُكُمَا بُدْرُهُمْ فِي النَّارِ ۖ أَلَسْ مِمَّا يَجْعَلُونَ» [النحل: 30- 58].

وبيّن عز وجل رفعة منزلة المرأة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: «فَأَسْتَجِبَ لِهِمْ رَبُّهُمْ أَنْ لَا أُضْعِفَ عَلَى عَمْلِ عِبَادِي الْأَنَامِينَ مِنْ ذَكْرِي أَوْ أَنْثِيٍّ بَعْضُكُمْ بَعْضٌ لَّبَدَآ» [ال عمران: 185]. وقال عز وجل: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنَ الصَّالِحِينَ فَبَذَلْنَاهُ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيرًا» [النساء: 24]. وقال تعالى: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنَ الصَّالِحِينَ فَأَنْبِدْنَاهُ الْجَنَّةَ وَبَذَلْنَاهُ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيرًا» [الحج: 81]. وقال تعالى: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنَ الصَّالِحِينَ فَبَذَلْنَاهُ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيرًا» [الزخرف: 47].

وقال تعالى: «وَكَانَتْ أَنْسَانَ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مَنْ ذَكْرٍ وَأَنثَى وَجَعَلْنَا شَعْرًا وَقَدْ سَلَّمْنَا لَهُ مِنْ قَبْلٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [الحجرات: 13].

وقال تعالى: «إِنَّا النَّسَاء ضَافِئَةُ الرِّجَال» [النحل: 1].

(1) أخرج أبو داود في الطهارة 126، والترمذي في الطهارة 113، واين ماجه في الطهارة 212، وأحمد 6/277، 266/3 من حديث عائشة رضي الله عنها.
وقد قال ﷺ: "إن أحق ما أخذتم عليه أجزاً كتاب الله"(1).

وأمَّ عِنْدَاهُ اللَّهُ فَمَّا يَكَبُّونَ، أي: "بل" أعتقدهم علم ما غاب عن الحواس من

(1) أخرجه مسلم في الفضائل ٢٣١٦. من حديث أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري في الطب- الشرط في الرقية بقطع من الغنم ٥٧٣٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
أخبار السماوات والأرض والأخبار السابقة واللاحقة ونحو ذلك فهم يكتبون لأنفسهم ما يريدون.
والمعنى ليس عندهم علم الغيب؛ كما قال تعالى: "قل لا يُعلمُون مِنْ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ أَّلَّا يُنَبِّئُونَهَا [النمل: 56].
وأُثِّرَت عَلَى مَعْنَى مَعْنَى عَلَى الْأَرْضِ ما ذُكِّرْت مِنْهَا أَلَا يُعْبُدُونَهَا إِلَّا دَرَءَةُ الأَرْضِ تَأْصَلُّ مِنْهَا مَنْ سَأَلَهَا [سُبُر: 14]، ولقد أحسن القائل: 
"لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجر الطير ما الله صانع" (1)
وقال الآخر:
"أطلاب النجوم أحلامونا على ألقم أرق من الهبباء كنوز الأرض لم تصلوا إليها فكيف وصلتما على السما" (2)
«أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا» أي: بل أريدون في تكذييفهم الحق ورميهم النبي بالكهناء والجنون والشعر، وأنه تقول القرآن من عن نفسه كيدًا للحق ورسول الحق. والكيد هو المكر بخبيفة، كما قال تعالى عنه: «وَأَيْ بَيْنَكُمْ أَلَّا يَكُونَ لَكُمْ مِنَ الْمَكَارِمِ» [الأنفال: 30].
"أَلَيْكَ فَتَا نَصْرَ هُمْ النَّكِيدُونَ» أي: أن عاقبة كيدهم ومكرهم و وباليه على أنفسهم كا قال تعالى: "يَكُونُ فَتَا نَصْرَ هُمْ النَّكِيدُونَ [الطارق: 10]; وقال عز وجل: "وَيمْكَرُونَ وَيَبْعَاشُونَ وَيَبْنُونَ الْحَيَاةَ الْأَيَُّ الْمَهِيجَةَ [الأنفال: 30]، وقال تعالى: "وَيَمْكَرُونَ إِلَّا يَنْفِسُونَ وَمَا يَشْعُرُونَ [الأنعام: 122].

(1) البيت للبيد. انظر: "ديوان" 3/ص 57.
(2) هذا البيت ينسب لعلي رضي الله عنه. انظر: "غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب" 1/191.
والشطر الأول من البيت الأول: أيا عليا النجوم.
وأظهر في مقام الأضواء فقال: (قدَّرْناُ كُفُويًا هَمَّ الْمُكِيدُونَ) ولم يقل: (أم يريدون
كيفهم المكيدون) لننص على أنهم كفار، وأهملهم المكيدون، وأن كل من كفر فهو المكيد.
(أَمْ مُّنَّى إِنَّهُ يَعِبْرُ الْآنِيَّةَ) أي (بل) أُمِّهم إِنْهُ؟ أي: معبد غير الله، والاستفهام: للإنسان
الشديد والنبي الأكبر أن يكون مع الله شريك في العبادة.
أي: ليس لهم معبد غير الله فكيف أشركوا مع غيره من الأصنام والأنداد وغير ذلك.

(سُبُخْنُ أنَّا أَعْمَلُونَ) تنزه نفسه عز وجل عما يدعى المشروكون من الشركاء من
الأصنام والأنداد التي يعبدونها مع الله.

الفوائد والأخلاق:
1- الإنكار على المشروكون في عبادتهم غير الله والاستدلال على وجوب توحيد
الألوهية بتوحيد الروبية الذي يقولونه؛ لقوله تعالى: (أَمْ خَلَقْنَا عُرْقَانَهُ؟) الآيات.
2- أن المخلوق يدل على وجود الخالق، ولا أحد ينال نفسه فتبث أن لا خالق إلا
الله، خلق الناس والسموكيات والأرض وجميع المخلوقات، ولا معبد بحق سواء؛ لقوله
 تعالى: (أَمْ خَلَقْنَا عُرْقَانَهُ؟ أَمْ هُمْ أَلْخَلَقُونَ؟).
3- أن خزيئ السموات والأرض وتدبير الكون كله وتصريفه بيد الله - عز
وجل -: (أَمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنَ رَزِيكُمْ أَمْ هُمْ أَلْخَلَقُونَ؟).
4- إثبات ربوبية الله - عز وجل - الحاصلة لنبيه وتشريفه بإضافة اسم الرتب أو
وصفه إلى ضميره؛ لقوله تعالى: (أَمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنَ رَزِيكُ؟).
5- تحدي المشروكون وبيان عدم دينهم، وضعفهم وفقرهم وانقطاع حجتهم;
والحبلة بينهم وبين خبر السماوات؛ لقوله تعالى: (أَمْ خَلَقْنَا عُرْقَانَهُ؟) إلى قوله: (أَمْ هُمْ
سُلَيْمُونَ ؟ وَلَمْ يَمْسِكُواْ ؟ مَهَيَّنَهُمْ بِشَادَّةٍ مِّثْلَهَا ؟).
6- الإنكار على المشروكون في نسبة الولد إلى الله - عز وجل -، وجعل البنات له
وتخصيص أنفسهم بالبنين؛ لقوله تعالى: (أَمُّ لَهُ أَبْنَتٌ وَلَمْ يَأْتِهِ أَبْنَٰنَ؟).
7- أن الرسول لم يسأل الناس أجرًا على تبليغه الرسالة فيديع المشروكون
المكذبون نقل الغرامة عليهم، وليس عندهم علم الغيب فيكتبون لأنفسهم ما يريدون؟

لقوله تعالى: (أم تعتقدون أجرًا فهم من مغرون؟) (2) ألم عدهم الغيب فهم يكتبون؟

8- إرادة الكفار الكيد للرسول ﷺ ولم جاء به من الحق، وبيان أنهم هم المكيدون، وأن و بال ذلك عليهم؛ لقوله تعالى: (أم يريدون كبدأ كاذين كفراء هن...) (3)

9- الإنكار على المشركين في عبادتهم غير الله، ونفي ما ادعوه من الآلهة سواه، وتنزيه نفسه عز وجل عن الشركاء؛ لقوله تعالى: (أم هم إلهٌ غيّر اللهُ مسجحٌ نعماً يعترون) (3)

* * *
سورة الطور الأيات: 44-49

قال الله تعالى: «وإنْ يَزْجَّوْا كَنَّا مِنْ أَصْلَهَا سَافِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّزْوَمٌ ۙ فَذَرُوهُمْ حَتَّى يَبْغَوُوا بُيُومَ أَلِيِّهِمْ ۙ فَيَقُولُوا لَنْ يُنْفِعُنَّكُمْ نُحْلًا وَلَا نُحْلًا بَصَرًا ۙ ذَٰلِكَ لَا يُؤَفُّونَهُ لَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤَفُّونَهُ».

قوله: «وإنْ يَزْجَّوْا كَنَّا مِنْ أَصْلَهَا سَافِطًا» الواو: استئنافية و«الكشف»: القطعية من الشيء، أي: وإن يروا قطعة من السياء ساقطة عليهم لتعذيبهم.

يقولوا سحاب مزوم، أي: يقولوا هذا سحاب متراكم بعضه على بعض، أي: أنه شيء عادي؛ لأنهم يرون أهميته على حق، وأنهم غير مستحقين للعذاب، كما قال تعالى عن عاد: «فَلَمْ يَنْزِعُنَّا غَارِصًا مِّنْ أَرْبَعِينَ رَأْسًا قَالُوا هَذَا عَجَّازُ أَغْنِيَاءٍ فَلَوْ هُوَ امْسَعَتْنَاهُ يَدَى رَبِّيْنَ يَخُبُّ الْأَيْمَانِ» (الكافرون: 1). وقائل تعالى: «وَلَوْ فَنَحْنَ هُمْ بَيْنَ اِسْتِحْيَاءٍ فَمَنْ أَسْلَمُ مِنَ الْسَّمَاءِ فَقَطْلُوْهُ فِيهِ» [الحج: 145].

فلكي أنكروا الآيات الشرعية في القرآن الكريم، وزعموا أن النبي ﷺ تقوله من عند نفسه أنكروا أيضًا الآيات والنذر الكوني المحسوس، لإغرائهم في الصلال وتمادىهم في الكفر.

فَذَرُوهُمْ حَتَّى يَبْغَوُوا بُيُومَ أَلِيِّهِمْ ۙ فَيَقُولُوا لَنْ يُنْفِعُنَّكُمْ نُحْلًا وَلَا نُحْلًا بَصَرًا.

في هذه الآية والآيات بعدها وعديد شديد للمكذبين وتهديد لهم بما يتضررهم من العذاب في الدنيا والآخرة، وتسلية للنبي ﷺ.

قوله: «فَذَرُوهُمْ حَتَّى يَبْغَوُوا بُيُومَ أَلِيِّهِمْ ۙ فَيَقُولُوا لَنْ يُنْفِعُنَّكُمْ نُحْلًا وَلَا نُحْلًا بَصَرًا».

الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر، أي: إذا بلغوا هذا الحد من الكفر والعناد فذروهم، أي: اترك هؤلاء المكذبين المعادين.

حَتَّى يَبْغَوُوا بُيُومَ أَلِيِّهِمْ ۙ فَيَقُولُوا لَنْ يُنْفِعُنَّكُمْ نُحْلًا وَلَا نُحْلًا بَصَرًا.

وهو يوم القيامة. قرأ عاصم وابن عامر: يصعقون، بضم الباء، وقرأ الباقون: يصعقون، بفتحها.

أي: يموتون ويبلكون ويعذبون، حينذاك يعرفون أنهم على الباطل وأن محمدًا ﷺ على الحق، ويذمون ولا تعرفهم.

ۙ فَيَقُولُوا لَنْ يُنْفِعُنَّكُمْ نُحْلًا وَلَا نُحْلًا بَصَرًا»، أي: في ذلك اليوم لا يدفع عليهم ولا ينفعهم.
مكرهم في الدنيا شيئاً، أي: أي شيء، حتى ولو كان شيئاً قليلاً، لأن «شيكة»: نكرة في سياق النفي تحم القبل والHOLDER. 
ولاهم يضربون، أي: ولا أحد ينصرهم، فليس عندهم ما يدفع عنهم أو يدفعهم من ذات أنفسهم، ولا من جهة خارجة عنهم، وهذا يتحقق خبرهم وهلاكهم. 
وإذن لِلذين طلَّموا الواو: استنافية وإن: حرف توكيد ونصب، والمрад بالذين ظلموا المشركون. 
والظلم: النقص، قال تعالى: "كِلَا الْجَنِينِينَ أَتْنَ أَنْ تَلَامِسُوا وَلَوْ تَظْلِيمَةً شِيَّاً" [الكهف: 33]
أي: ولم تنقص منه شيئاً. 
وعذاب الدنيا كما أنه نصيب عذاب الآخرة هو أيضًا دون عذاب الآخرة في الشدة؛ لأن عذاب الدنيا مهما كان والآلام التي تتهي ولا يقياس ذلك بعذاب الآخرة والآلام التي تتهي كما قال عز وجل: "وَعَذَابُ الْأَخَرِ الثَّغْرَاءَا" [الرعد: 43] وقال تعالى: "ثُمَّ عَذَابُ الْأَخْرَيْكَانِ" [البقرة: 85] والمراد بالعذاب الدنيوي قتلهم وقتاهم على أيدي المؤمنين، ومن ذلك ما يئيبهم
الله به من المصائب والآلام الحسية، وكذا المعئوية من الحيرة والتبذيب والخوف والقلق وضيق الصدر بسبب فقدان الإنسان، كما قال عز وجل: "ومن يعبد أن يعجل صدراً، يُعجل صدراً فحَماً صدراً." (الأنعام: 165) وقال تعالى: "أَفْلَمْ يَسْأَلُوا عِنْدَ اللَّهِ لِلْإِسْلَامِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَ الْمُتَّقِينَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَفْلَمَا يَكْفَرُوا بِاللَّهِ ؟" (النور: 22).

فإن ما يعانيه فاسق الإنسان من ضيق الصدر أضعاف أضعاف جميع المصائب الحسية لو انصبعت عليه.

وهذا جمع الله للكفار والذين في الآخرة بين العذابين العذاب الحسي والعذاب المعنوي.

ولكن أكثرهم لا يعلمون، أي: لا يعلمون علماً ينفعهم ويدهم على ما في نجاتهم في الدنيا والآخرة، ولا يعلمون حقيقة ما ينتظرهم من العذاب في الدنيا والآخرة، ولا يعلمون أن ما يصيبهم من ذلك هو من العذاب بسبب ذنوبهم.

قال ابن كثير: "أي: تعذيبهم في الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينبإرون، فلا يفهم من ما يرد عليهم، بل إذا جلٍّ عنهم ما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، كا روي في الحديث: "إن المنافق إذا امرض ثم عوفي كان كالبعير عقله أهل، ثم أرسلوه، فلم يدم عقله، ولم يدم لم أرسلوه".

فالله من إذا أصابه مصيبة تذكر وانزعج ورجع وأنباء إلى الله عز وجل وعرف أن ما أصابه بسبب ذنوبه، كما قال عز وجل: "وَمَن أَصَبَّهُ مِن مَّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَّ أَيِّدِكُمْ وَبَعْثْتُمُوهَا عَلَىٰ كُلِّ بَيْتٍ" (الشورى: 130).

أما الكافر والمنافق فإنما إذا أصابه ما أصابه يقول كأ قال قاتلهم: أسفط وأقوم وأنا أبو فلان.

ولما قيل لأحدهم وهو مريض: "طهور إن شاء الله"، رد قائلًا: أقول هذا يا أبا فلان-

(1) في "تفسيره": 413/7.
(2) أخرجه أبو داود في الجزائر 390 من حديث عامر الراز ورضي الله عنه.
يعني - ماذا عملت أنا حتى يكون ما أصابي ظهورًا. نسأل الله الهدى والسلامة.

«يا علّم rendered » الموا: استثنائية، والصير: حسن النفس عيا لا ينبغي فعله، ولا
قوله، أي: واصبر لحكم ربك وقضائه الشرعي بإجابه عليه تبيلغ الرسالة، والقيام
بأمره، واصبر لحكم ربك الكوني بإجابه عليه من أذى قومك وغير ذلك مما يصيبك.
وقد صبر على تبلغ الرسالة، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله
حق جهاده حتى ترك أمه على الملحمة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيد عنها إلا هالك،
وصر على ما لاقى من أذى قومه في سبيل ذلك فقد وضع سلا الجزور على ظهره وهو
ساجد(1)، وأجرى به أهل الطافيف سفاههم يسبونه ويرمونه بالحجارية(2)، وشج وجهه
وكسرت رباعيته يوم أحد(3)، وهو صابر محتسب يقول: "رب أغفر لقومي فإِنهم لا
يعملون"(4).

"كل له ملكتك" الفاء تعليمة، أي: لأنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا وحفظنا، كما
قال عز وجل: «وَلَاتَعْرِثْنَى إِلَى عَمُّوٍ» [المائدة: 77].

وهذا قال لا بكر رضي الله عنه وهما في الغار يوم الهجرة: "لا تَخْشَاهُ إِلَى
أَللَّهِ مَمْكَانًا".

والما قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ وهم في الغار: والله يا رسول الله لو أن أهدهم
نظر تحت قدمه لأبصرنا أجاه يقول: "ما ظللك يا ياء بكر بن بني الله ثالثهم"(5).

(1) أخرج البخاري في الوضوء ۲۴۰، ومسلم في الجهاد ۱۷۹۴، والنسياني في الطهارة ۷۷۳ من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه.
(۲) أخرج البخاري في باب الخلق ۲۳۳۱، ومسلم في الجهاد ۱۷۹۵ من حديث عائشة رضي الله عنها.
وانظر "السيرة النبوية" لابن هشام ۲/۱۱۶، ۱۱۶.
(۳) أخرج مسلم في الجهاد والسير ۱۷۹۱، والترمذي في التفسير ۳۰۰،وابن ماجه في الفتن ۷۷۷ من
حديث آنس رضي الله عنه.
(۴) أخرج البخاري في الأنباء ۷۴۷، ومسلم في الجهاد والسير ۱۷۹۲،وابن ماجه في الفتن ۲۵۴ من
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(۵) أخرج البخاري في المناقب ۳۸۸، ومسلم في فضائل الصحابة ۲۳۸، والترمذي ۳۰۶، وأحمد
۱/۴ من حديث أبي بكر رضي الله عنه.
وإذا كان مأمورًا بالصبر على ما يلاقيه في سبيل تبليغ رسالة ربه، فالصلاة والمصلحين والمرين فيه أعظم الأسوة في وجوب الصبر عليهم في طريق دعوتهم إلى الله كي تؤتي الدعوة ثمارها إذا هو عز وجل، قال تعالى: "وهكذا أنتم يهديكم آية مهذبة بليغة" [السجدة: 24].

و"وسعَ يَعِيدَ يَدَّكَ" أي: اقرأ بين تسبحه عز وجل وحده بقولك: "سبحانك ربك وحمدك".

"يَا يُومَ الْقِتَالِمُ" قال بعض أهل العلم: حين تقوم إلى الصلاة فقول: "سبحانك اللهم وحمدك".

ويحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» (1).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبير ثم يقول: "سبحانك اللهم وحمدتم، وبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك" ثم يقول: "الله أكبر كبيراً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همته ونفخه ونفته" (2).

وهكذا روى الأوزاعي عن عبد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهز بؤلاء الكلمات يقول: "سبحانك اللهم وحمدتم، تبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك» (3).

قال الإمام أحمد رحمه الله: "فأنا أذهب إلى ما زوي عن عمر، ولو أن رجلاً استفتقح.

(1) انظر "جامع البيان" 21/626.
(2) أخرج أبو داود في الصلاة 676، والسني في الفتحات- نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة القراءة 679، والترمذي في الصلاة- ما يقول عند افتتاح الصلاة 423، وابن ماجه في إقامة الصلاة- افتتاح الصلاة 40، وأحد 3/280، والدارقطني 1/423، والخاكم 1/235، والدارقطني 1/111، والداخلي في "شرح معاني الآثارات" 699 من حديث عمر بن ميمون قال: صلى بنا عمر بذي الحليفة فقال: "الله أكبر سبحانه اللهم وحمدتم...").
بعض ما رُوِي عن النبي ﷺ كان حسنًا.

وذكر ابن القيم في ‏"زاد المعاد" ‏(1) عدة أوجه لسبب اختيار الإمام أحمد هذا.

وقال بعض المفسرين ‏"وسُليمُ يَحْتَمِي يَنْقُومُ" ‏أي: حين تقوم من نومك ‏(2) ‏عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. قال: "من تُغْفِرُ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم إغفر لي، أو دعا- استجيب له، فإن توضأ وصلت صلاته" ‏(3).

وفي حديث أنس في قصة الأنصاري الذي بشره الرسول ﷺ بالجنة: أنه إذا تعارَ وانقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبّر حتى يقـى إلى صلاة الفجر. ‏(4) وقال بعض أهل العلم ‏"وَسُليمُ يَحْتَمِي يَنْقُومُ" ‏من مجلسك تقول سبحانه اللهم وبحمدك ‏(5).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من جلس في مجلس فكر فيه لغته فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا إنا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر لم أكن في مجلسه ذلك" ‏(1).

ويجَد لدليل على المراد بالآية فلما ذكر عن لسانه على كل ما ذكر.

(1) أخرجه البخاري في الجماعة 1154، وأبو داود في الأدب 506، والترمذي في الدعوات- ما جاء في الدعاء إذا انتهى من الليل 342، وابن ماجه في الدعاء- ما يدعو به إذا انتهى من الليل 387، وأحمد 313/5.
(2) أخرجه أحمد 166 بسماه وفهصة قصة لعبد الله بن عمر مع الأنصاري المذكور رضي الله عنه.
(3) أخرجه البخاري في الأدب- كتبة المجلس 4858، والترمذي في الدعوات 3432، وقال: "حديث حسن صحيح".
سورة الطور، الآيات: 44-49

مائلة المخلوقين، وبذكره وعبادته والصلاة له كما قال عز وجل: «وَمَنْ أَلِيمَ فَتَحَسَّدَ بِهِ، نَافَقَةً لَّكَ عِنْدَ عِينَناَّ نَحْبٌ مَّعْقَادًا تَحْمُولُهَا» [الإسراء: 79].

وَأَيُّذِرُ الْنُّجُومُ الْوَادِيَةَ عَاطَّفَةً، وَإِدَادَارِ النُّجُومِ جَنُوْحَةَ اللَّمِّيْغِ.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنها أن المراد بقوله: «وَأَيُّذِرُ الْنُّجُومِ»، «الركعتان قبل الفجر».

و وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتي الفجر".

وقد يحمل على السحر آخر الليل لفضله في قول الله ﷺ: «وَأَيُّذِرُ الْنُّجُومِ» من عطف الخاص على العام قال تعالى: «الْمُبَيْنَيْنِ، وَالْمُقَدَّرَيْنِ، وَالْمُفْتَقِرَيْنِ، وَالْمُسْتَفَقِّرِينَ» [الأعلى: 17].

وقال تعالى: في صفات المتقين، "وَالَّذِينَ يَقْسَمُونَ النَّاسَ، وَيَجْعَلُونَ السَّمَاءَ مُسْتَفَقِّرَةً" [النازرات: 18].

وهو الوقت الذي نجى الله فيه آلل لوط عليه السلام، قال تعالى: "إِلَّا آللَّ وَلَوْ بَنَى".

وهو وقت النزول الإلهي في الثالث الأخير من الليل كما في الحديث: "ينزل ربا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر".

ويستحب أن يكون المراد بـ "إدادر النجوم" ما هو أعم من ذلك فيشمل وقت السحر الذي هو آخر وقت النزول الإلهي وهو وقت إجابة الدعاء، وقت الوتر، كما يشمل ذلك ما بعد طلوع الفجر وهي سنة الفجر، وصلاة الفجر.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: "ركعتي الفجر خير من الدنيا".

---

(1) انظر ما سبق في الكلام على قوله تعالى: «وَمَنْ أَلِيمَ فَتَحَسَّدَ بِهِ، نَافَقَةً لَّكَ عِنْدَ عِينَناَّ نَحْبٌ مَّعْقَادًا تَحْمُولُهَا» [ق: 40].
(2) أخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" 3317/10، الأثر 18992.
(3) أخرج أبو البخاري في الجامع 113، ومسلم في صحيح المسافرين 724، وأبو داود في الصلاة 1254.
(4) أخرج البخاري في الجامع 1145، ومسلم في صحيح المسافرين 758، وأبو داود في الصلاة 1315.
(5) والترمذي في الصلاة 446، وابن ماجه في إقامة الصلاة 1366، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
القواعد والأحكام:

1- إرغام المشركين بالكفر حتى إنهم ألقوا الآيات والندير الكونية المحسومة؟

لقوله تعالى: ۚ{وَإِنْ يُؤْتُوهُ مَا أَتَاهُمْ سَافَطًا يَقُولُوا سَعَابُ مَنْ رَزَقَهُ咏}.

2- تسليمة النبي ﷺ موجهة كذيب قومه، لقوله تعالى: ۚ{فَذَرُوهُمْ حَتَّى يَبْنُوا يَوْمَ هُمْ يَدْرُونَ}.

فيما يُصْعَقُونَ ۗ{يَوْمَ لَا يَعْتِنُونَ كُلْهُمْ مِنْهُ وَلا هُمْ يُضَرِّونَ}.

3- الرعى الشديد والتهديد الأكيد للمكذبين بما يتذرؤون من العذاب الآجل يوم القيامة، مما لا يستطيعون له دفعاً، لا بأنفسهم ولا بغيرهم.

4- أن الله عز وجل يفعل ولا يفعل.

5- الرعى للظلماء المكذبين بما يتذرؤون من العذاب العاجل في الدنيا، وفي القيامة قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، لقوله تعالى: ۚ{وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَّنَّا عَلَيْهِمْ دُونَ ذَلِكَ وَلَكَنَّ أَكْثَرَ مِنْهُمْ لَا يَعْمَلُونَ}.

6- جهيل الظلماء المكذبين بما يتذرؤون، بما يتذرؤون من العذاب العاجل والآجل، لقوله تعالى: ۚ{وَلَكَنَّ أَكْثَرَ مِنْهُمْ لَا يَعْمَلُونَ}.

7- تقوع قلب النبي ﷺ بأمره بالصبر لحكم الله الشرعي والكوني، ووعد الله عز وجل -له بحفظه وكلاطمه ورعيته بعينه التي لا تتامى، لقوله تعالى: ۚ{وَأَصْرَّخَ لِمَكُرُّرِيكَ قَلِيلًا يَعْمِينَا}.

8- إثبات العينين لله عز وجل، وجمع يطلق ويراد به المثنى.

9- إثبات ربوية الله عز وجل: الخاصة لنينه وعابيته به، وتشريعه بإضافة اسم الله إلى ضميره: للقول تعالى: ۚ{وَأَصْرَّخَ لِمَكُرُّرِيكَ ، وَتَصَرِّخُ يُخْدِرِينَا}.

10- مشروعية تسبيح الله وحمده عند القيام إلى الصلاة، عند القيام من المجلس،

(1) أخرج مسلم في صلاة المسافرين ۲۲۵، والنسائي في قيم الليل وتطوع النهار ۱۷۵۹، والترمذي في الصلاة ۴۱۲.
وعند القيام من النوم ومشروعة قيام الليل، وتأكيد ركعتي سنة الفجر- حيث أمر الله عز وجل نيه بهذا؛ وهو أمر له ولأمه، وذلك من أعظم العون على الصبر؛ لقوله تعالى: (وَسِيَّطِرْ يَخْلِدْ رَبُّهُ مِنْ بَعْدِهِمْ) ومن آيات سماحة ورادب النجوم (18).
تفسير سورة النجم
المقدمة

أ- اسم السورة:
سميت هذه السورة: "سورة النجم"؛ لقوله تعالى في مطلعها: "وَالنَّجْمُ إِذًا هَوَىٰ!
ويقال لها: "وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ"، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنه رأى على النبي
و"وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ" (1).

ب- مكان نزولها:
مكية.

ج- فضلها:
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "أول سورة أنزلت فيها سجدة: "وَالنَّجْمُ"، قال: "فسجدة رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلًا رأيته أخذ كفًا من
تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف" (2).
و عن ابن عباس رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه
المسلمون والشركون والجن والإنس" (3).

د- موضوعاتها:
1- افتتحت السورة بالقسم بالنجم على هدايته، وأن ما جاء به وحي من عند
الله تعالى وحق: "وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَاضِلًا صَادِقًا وَمَأْوَىٰ ۖ ۖ وَمَا يُمْثِلُ عَنْهُ مَّا ۖ إِنْ
ۚ هُوَ إِلَّا اللَّهُ الْقَهَّارُ" (4).
2- اتصال سند القرآن وأن الله عز وجل أوحاه إلى عبده محمد ﷺ بواسطة جبريل
عليه السلام ذي الصفات العظيمة: "عَلِيمُ ۖ شَدِيدُ الْقُرُوبِ ۖ ذُو مِّرَاءَةٍ عَظِيمَةٍ ۖ وَهُوَ الْأَفْقِي
الأَخْلَصُ ۖ ثُمَّ دَا قُدُّنَّ مَثَلُ يُقَابِيْنَ أَوْلَئِكَ ۖ فَأَُولِجُنَّ إِلَيْهِمْ مَا أَرْحَى ۖ مَا ۖ أَكْبَرُ" (5).

(1) أخرجه البخاري في الصلاة 72، ومسلم في المسجد 572، وأبو داود في الصلاة 1404، والنسائي
في الافتتاح 962، والترمذي في السفر 576.
(2) أخرجه البخاري في تفسير سورة النجم 848، ومسلم في المسجد 576، وأبو داود في الصلاة
1406، والنسائي في الافتتاح 959، وأحمد 1/2388، 437.
(3) أخرجه البخاري في الصلاة 1071، والترمذي في السفر 575.
3- رؤيته صلى الله عليه وسلم في مكة مرة أخرى عند سورة المدثر:  "لقد رأاه نزلة أخرى" عند سورة الضياء: "عندما جاءت الأوقات" إذ كتب النبي صلى الله عليه وسلم ما كتب المبصرون والطغون.

4- الإنكار على المشركين عبادتهم من دون الله آلهة لا دليل ولا برءان ونسبتهم للبنات الله سبحانه وتعالى: "أوْزِيَّتِ الْدَّارَ وَالْعُقُنْ" و"مرتبة الآلهة الأخرى" إلى قوله تعالى: "وما لهم وهم من عزر إلى أن يكون للظلم وأن الظلم لا يغني من الحق شيء".

5- تسليته فلا يأس على من ضل وأساء من قومه فأمر الخلق كلهم إلى الله عز وجل بعمله: "فأظهر من نزل عن ذيكرة ولا يرث إلا الحكمة الدنيا" إلى قوله: "فلا تزكوا أنفسكم وهو أعظم من أنتم".

6- الإنكار على من تولى وأعرض عن الحق وبخلا بما آتى الله وقطع عمل الخير والمعرف: "أقرَّبْتَ الْأَلْدَى تَوَلَّ" وأعطى قيلًا وأكلة إلى قوله: "وَأَنْ لَيْسَ لِلَّهِ إِلَّا مَا سَأَلَ" و"وَأَنْ سَمِعُهُ سَوَّفَ بَيْنَ" ثم عرفت الجرة الأوقات و"أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْأَمْثَلِينَ" إلى قوله: "فَأَيَّ الَّذِينَ نَعْمَأَنَّكُمْ".

7- التهديد بقرب القيامة، والتحذير من العجب والضحك من القرآن، وعدم البكاء والتخشي عند ساعه، ومن الغفلة عنه: "هَذَا نُذُرُ مَنْ النَّذِيرُ الأَوَّل" كيف الأذن: "ليَسَ لَهُ مَنْ دُونِ الْاَلْخَادِمِ" أَفْقِ النَّذِيرُ البُكُور تَقَبَّصُونَ و"فَضِصَّونَ وَلَا بَكُونَ" و"وَأَسْتَمْحُ مَسَّنَدَنَا فَأَعْطَى وَأَعْطَيْنَا".

* * *
سورة النجم، الآيات: ١ - ٤

«وَالْمَدِيرِينَ ۖ وَالْقَبْلَاءَ مَيْلًا وْمَا يَمْتَلَّى عَنْ هَٰذِهِمُ الْحَمْرُ ۖ إِنَّهُ وَإِنَّمَا يُوْقَعُ عَلَيْهِمْ مَثَلًا ۚ ذَٰلِكَ جُنُوبُهُمْ ۚ وَۚ رَوِىٰ إِذَا هَوَىٰ ۚ وَۚ”

روى في سبب نزول هذه الآيات وما بعدها أن المشركون زعموا أن رسول الله ﷺ فيها جاءهم بها من الحق ضال وغافل، مختلق ينطلق عن هواه فأنزل الله هذه الآيات (١).

قوله: «وَالْمَدِيرِينَ ۖ وَالْقَبْلَاءَ مَيْلًا وْمَا يَمْتَلَّى عَنْ هَٰذِهِمُ الْحَمْرُ ۖ إِنَّهُ وَإِنَّمَا يُوْقَعُ عَلَيْهِمْ مَثَلًا ۚ ذَٰلِكَ جُنُوبُهُمْ ۚ وَۚ رَوِىٰ إِذَا هَوَىٰ ۚ وَۚ».

قال ابن كثير (٢): «قال الشافعي وغيره: “الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق”. رواه ابن أبي حاتم».

وَۚ رَوِىٰ إِذَا هَوَىٰ: اسم جنس يراد به جميع النجوم.

إِذَا هَوَىٰ، أي: إذا سقطت وغربت من الفجر وقبله، وعندما ترمى به الشياطين.

وقيل: المراد بـ«وَۚ رَوِىٰ إِذَا هَوَىٰ»، أي: القرآن إذا نزل، وسمي القرآن بـ«النجم» لأنه نزل منجيًا، أي: منفرًا في ثلاث وعشرين سنة.

والأظهر: القول الأول، وهو دال على عظمة القرآن وصدق ما جاء به الرسول ﷺ كأنه في قوله تعالى: في كل شيء مكون (٧) لِيُمَكِّنَكُمْ لَا يُضِلُّنَّ عَظْمَهُ ۖ إِنَّهُ لَآَمِينُ (٨) تَقْرَأْ أَنْبَأْكُمْ (٩) فِي كُتُبِّ ۖ مَكْتُوبٌ (١٠) لَاتَأْمَسِهِ إِلَّآ مَلَائِكَةٌ مُّطَّهِرُونَ (١١) مَنْ رَبِّ يَأْتِي رَبِّهِ (١٢) [الواقعة: ٨٠]».

واختار ابن القيم رحمه الله أن المراد بقوله: «وَۚ رَوِىٰ إِذَا هَوَىٰ»: النجوم التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت عند استراق السمع.

(١) انظر: "بداائع التفسير" ٤/٢٧٣.
(٢) في تفسيره ٧/٤١٧٧.
قال ابن القيم: "وهو أظهر الأقوال، وكون سبحانه قد أقسم بهذى الآية الظاهرة المشاهدة التي تنصها الإله سبحانه آية وحلفًا للملكي من استراق الشياطين، على أن ما أتى به رسول حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه، بل قد أحسر بالنجوم إذا هو رصدًا بين يدي المولى وحسرًا له، وعلى هذا: فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور، وفي المقسم به دليل على المقسم عليه.

"ما أنقل صالحو ومالعوق" هذا هو المقسم عليه، أي: جواب القسم، و(ما) نافية، والضلائل: النية عن الطريق الحق جهلًا وغيب علم، وضده المهدى، فهو لم يصل عن طريق الحق، بل هو هاد مهدي، وهذا دليل على كمال علمه ومعرفته، وله على الحق البين.

وقال عز وجل: "ما أنقل صالحو ومالعوق" كما قال عز وجل: "وما صالحو يملكونة" ولم يقل ما ضل رسول الله، أو ما ضل محمد ونحو ذلك تأكيذا لإقامة الحجة عليهم، وليشهدهم على أنفسهم، فهو صاحبهم وهم أعلم الناس به، وحالة وأقواله وأعماله، ولم يعرفوه بكذب ولا ضلال ولا غي، ومفتوض ذلك أن يصدقوا لا أن يكذبوه لو صدقا من أنفسهم، ولكن الموهوب يعمى ويضيء كما قال عز وجل: "أَرْكَزُ نَزَّالِيْ يُعْرِفُونَ فَهُمْ لَا يُنُكِّرُونَ [المؤمنون: 19].

والغواية: ترك الحق والعدل عنه عمدًا وعادًا عن علم، وضده الشياطين.

قال تعالى: "لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي فِي الْفَيْيَنِ فَتَبْتَسِمُ الْمُسْتَقِيمُ" [ال שנים: 26].


(1) انظر: بدائع التفسير 4/ 275 - 276.
قال ابن القيم: «ولا يشبه الرأس المهدي بالضلالة الغاوي إلا على أجهل خلق الله، وأعماهم قلباً، وأبعدهم عن حقيقة الإنسانية، وله در القائل: وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوحى عنده الأنواع والظلم فالناس أربعة أقسام: ظال في علمه، غار في قصده وعمله، وهؤلاء شرّ الخلق، وهم خالفو الرسل.

الثاني: مهدي في علمه غار في قصده وعمله وهؤلاء هم الأمة الغضبية ومن تشبه بهم، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به.

الثالث: ضال في علمه، ولكن قصده الخير، وهو لا يشعر.

الرابع: مهدي في علمه راشد في قصده، وهؤلاء ورثة الأنبياء، وهم وإن كانوا الأقلين عددًا، فأهم الأكثرون عند الله قدرًا، وهم صفوة الله من عباده وحبيب من خلقه». 

\[\text{وَمَا يَتَّبَع عِنْ أَتْبَعِهِ} \]

أي: وما ينطق فيها أتى به من الشرع عن ثورى نفسه.

قال ابن القيم: «ولم يقل: وما ينطق باللهوى؛ لأن نطقه عن الهوى أبلغ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به، يتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن النطق نفسه، فنطقه بالحق ومصدره الهندى والرشاد، لا الغي والضلالة».

\[\text{إِنَّهُ ﺇِلَآٍ ﺇِلَآٍ} \]

أين حرف نفي، بمعنى «ما»، ومرجع الضمير «هو» إلى مصدر الفعل «ينطق» أي: ما نطقه إلا وحي يوحى، ويشمل هذا نطقه بالقرآن والسنة، وأن كليها وحي يوحى، وقيل: الضمير يعود إلى القرآن.

والأول أولى، قال الله عز وجل: \[\text{وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَى} \]

الكتاب والحكمة: السنة عند جهور المفسرين، فالقرآن والسنة كل منهما من وحي الله عز وجل، وما أنزله على رسوله.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عندها قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول

(1) انظر: "بديع التفسير" 276/476، 298.

(2) انظر: "بديع التفسير" 276/476.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إني لا أقول إلا حقًا».
فقال بعض أصحابه: إنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلا حقًا.»
وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أنه كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
لديني أرى نبي الله ﷺ حين نزل عليه الوحي فلما كان بجهة الجعرانة وعلم النبي ﷺ
ثوب قد أظلم به عليه، ومعه الناس من أصحابه، فهم عمر، إذ جاءه رجل عليه جبة
صف منDispatchToProps بطيب فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد
ما تمضخ بطيب؟ فنظر إليه النبي ﷺ ساعة، ثم سكت، ففاجأ الوحي، فأشعر عمر
بيده إلى يعله عن أمة تعال، فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محرم الوجه يغطى ساعة، ثم
شعرني عنه فقال: «أين السائل أنت؟ فجيء به، فقال: انزع عنك الجبة، واغسل أثر
الطيب، وأصعد في عمرتك ما تصنع في حجك.»
وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما قللا: إن رجلاً من
الأعراب أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أتشدك الله إلا قضيت بينا بكتاب الله،
فقال الحصم الآخر، وهو أفقي منه: نعم فأقض بينا بكتاب الله، وأذن لي، فقال رسول
الله ﷺ: «قل». قال: إنني كان عسقي على هذا فزني بمارته، وإني أخبرت أن عل
ابني الرجم، فافتدته منه بائنة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنها على ابن
جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي»

(1) أخرج أبو داود في العلم - باب في كتاب العلم 346، 342، 163، 192، والدامي في المقدمة 484.
(2) أخرج أحمد 2/440، والترمذي في أبواب البغرة - ما جاء في المزاح 190، ورومز له السيوطي في «الجامع الصغير» بالحسن.
(3) أخرج البخاري في فضائل القرآن 495، ومسلم في الجح - ما يباح له للمحرم بحج أو عمرة
180، وأبو داود في الناسك 1819، والنسائي في مناسك الحج 668، والترمذي في الحج 635،
وأبو سفيان في الدنيا 2656.
تغريب عام واغض يا أنت إلإ إلى أمرة هذا فإن عرفت فارجها فغدا عليها فاعرفت فأمه بالرسول الله ﷺ فرجح (1).

وفي حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "آلا إن أوتت الكتاب ومثله معا، ألا يوشك رجلك شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فإن وجدتم فيه من خلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه" (2).

وجاء بالفعل "يوجي" بالبناء لما لم يسم فاعله لأن الوحي بالمعنى الشرعي إنها هو من عند الله تعالى وحده، فالمولى معلوم، أي: إن هو إلا وحي من عند الله، أو يوجيه الله عز وجل.

والوحي هو الإعلام الخفي السريع، ومنه الحديث: "الوحا الوحا"، أي: الإسراع.

وشرحها: هو كلام الله عز وج ل المنزل على بني من أبنائه عليهم الصلاة والسلام. وطريقه كما قال الله تعالى: "وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَكُونَ لَهُ مُكَلِّمُهُ إِلَّا وَجِيْهًا أَوْ وَجِيْهًا جَالِبًا (3) أو يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَجِيبُهُ مَعْلُومًا ﻋَنِّيهِ ﻣَآ أَيْنَهُ مَا يَعْرِضُ ﻣَا يَعْرِضُ (الشري: 5)"

أي إجمالًا كما قال: "إن روح القدس نفح في روعي الحديث (4). أو من وراء حجاب كيا كلم موسي على السلام قال تعالى: "وَكُلُّ لِلَّهِ مُؤَسِّسُهُ (النساء: 164)". أو يرسل رسولاً من الملائكة كيا أرسل جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ الفوائد والأحكام:

- ١ إقسام الله - عز وجل - بالنجم حال سقوطه على أن النبي ﷺ ما ضل وما غوى

(1) أخرجه البخاري في الحديث - الاعتراف بالسنة ٢٧٢٥ ومسلم في الحدد - حد الزنا ١٥٩ وابو داود في الحدد ٤٤٥، والنسائي في أدب القضاء ٥٤٠، والترمذي في الحدد ٢٥٤٩.

(2) أخرجه أبو داود في السنة - باب زوم السنة ٤٨٤، والترمذي في العلم ١٦٢، وابن ماجه في المقدمة ١٢.

(3) انظر: "بديع التفسير" ٤/ ٢٥٠.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٩ رقم (٣٤٣٣٣)، والحاكم ٢/ ٨٥ (٣١٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
بل هو على الحق والهدى، لثغوره تعالى: »وَأَنَّمَا إِذَا هَوَى مَأْسِرَّ سَاجِدِي وَمَأْسِرَّ عَزِي«.  
ب- أن النبي – عز وجل - أن يقسم بها شاء من خلقه وإظهاراً للإلهام، وكفالة قدرته.  

c- دفاع الله – عز وجل - عن نبيه محمد ﷺ، وإثبات أنه على الحق والهدى، لثغوره تعالى: »مَأْسِرَّ سَاجِدِي وَمَأْسِرَّ عَزِي وَمَأْسِرَّ عَزِي«.  
د- إشاع المكذبين بأنهم في قراءة أنفسهم يعرفون صدق النبي ﷺ، تأكيداً لإقامة الحجة عليهم من أنفسهم لثغوره تعالى: »مَأْسِرَّ سَاجِدِي« ولم يقول محمد ﷺ أو رسول الله ﷺ.  

٥- إثبات وتأكيد رسالته وصدقه، وأنه لا ينطلق فيها جاء به من الكتاب والسنة عن هوئ نفسه، بل كل ذلك وحي من عند الله عز وجل لثغوره تعالى: »وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْمُوَّلَّدِ إِنَّ هُوَ إِلَّا أَحَقُّ وَسُورٌ«.  

* * *
سورة النجم: الآيات: 5 – 18

قل الله تعالى: «كله، سيدنا النبي، وله ما وراء النهر، وله ما بين النهر والبحر، وله ما وراء الغبر، وله ما وراء الأفق إن جعلنا له، فكان قاب قوسين أو أدنى»، ف går إلى سبيل ما أرضاه ما أرضاه أحسن توجه على ما يريز، ولقد رأى الآية أخرى، عبده بن عمر، النبطي، عبده بن سعد بن سفيان، عبده بن حضين، ابنه رضي الله عنه.

يقول الابن: «ما أعظم السرور، ما أعظم السرور»، وقد أورده ابن سيرين، ابنه رضى الله عنه.

ما ذكر عز وجل أن ما جاء به الرسول من الشرع ليس عن هواه وإنها هو وحی بوحی الله عز وجل إليه ذكر عز وجل طريق وصول هذا الوحي إليه وأنه حق وصدق.


ذو مروة، أي: ذو جلالة ومنظور جميل وصورة حسنة، وقوة وشدة.

وفي الحديث: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي» (1)، أي: ولا لذي قوة سوي الخلق والجسم، ذي قدرة على العمل.

قال ابن القيم: 2: «والمرية: المنظر البهي الجميل، فأعطاه كل القوة فيباطنه، وجمال المنظر في ظاهره».

(1) أخرجه أبو داود في الزكاة - من بعض من الصدقة، وحد الغني 134، والترمذي في الزكاة 126، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وأخرجه النسائي في الزكاة - باب إذا لم يكن له دراهم وكان له عددها 2597، وابن ماجه في الزكاة - من سأل عن ظهر غني 1839، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد 4/ 5/ 262 عن رجل من بني هلال.

(2) انظر: «بديع التفسير» 4/ 279. 279.
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته (1) إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسدى الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله: "وهو يلبس اللباس الأعلى" (2).""

وبعد غياب رضي الله عنها قال: "سأل النبي ﷺ جبريل بأن يراه في صورته، فقال: ادع ربك فدعا ربه عز وجل، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع وينشر، فلما رآه النبي ﷺ صعق فأتاه، فنعشه (اي: رنه) ومسح البزاق عن شدقه" (3).

وقد ذكر ابن جرير أن المراد يقوله: "وهو يلبس اللباس الأعلى ووهو يلبس اللباس الأعلى" هو محمد ﷺ: أي: استوى هو وجربيل عليه السلام بالأفق الأعلى، وذلك ليلة الإسراء ووجه ذلك من جهة اللغة (4).

وقد رد ابن كثير هذا القول، فقال (5): "وهذا الذي قاله من جهة العربية متوجه، ولكن لا يساعد المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض، فهب إليه جبريل - عليه السلام - وندب إليه، فاقترب منه، وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستانية جنات، ثم رأه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أواي للابعثة، بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى الله إليه صدر "سورة أقرأ" ثم فطر الوحي فقطر، ذهب النبي - ﷺ فيها مارا ليرتد من رؤوس الجبال، فكلاهما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء: يا محمد أنت رسول الله حقا، وأن جبريل فيسكن لذلك جاشه، وذكر عنيه، وكلا طال عليه الأمر عاد لمثلها، حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ في الأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستانية جنات قد سد عظم خلقه الأفق، (6)"

(1) أما رؤيته على غير صورته فهي التي كان يراه عليها عند جحيم بالوحي على صورة الرجال، ومن ذلك.
(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، 1876-1878 3-18.
(3) ذكره أحمد، 1/322.
(4) انظر: "جامع البيان«، 11/12.
(5) في تفسيره، 4/20.
فأقترب منه وأوحى إليه عن الله - عز وجل - ما أمره به.

{ثُمَّ قَالَ تَعَلَّمُوا نَذِيرًا} {دنَا}: قرب، فنبأ زاد في القرب. والمراد: بذلك جبريل - عليه السلام - قرب من النبي، وازداد في القرب منه.

عن عائشة رضي الله عنها: {ثُمَّ قَالَ تَعَلَّمُوا نَذِيرًا} {فَكَانَ قَابِلًا قَوْسِينِ أَوْ أَرْبَعًا} قالت: إنما ذلك جبريل كان يأتي في صورة الرجل، وأنه آتاه في هذه المرة في صورة التي هي صورته، فسد الأفق (1).

فكان قاب قوسين، أي: فكان جبريل لشدة قربه من النبي على قدر قوسين أورين، أي: أو أرباع من ذلك.

قال في (اللسان): وقاب الرجل إذا قرب، وقاب قوس، أي: قدر قوس، والقاب ما بين القبض والسية، وكل قوس قابان.

(وأو) هنا ليست للشك، وإنها هي لتحقيق قدر المسافة وقربها، وأنها إن لم ننقص عن قدر القوسيين لم تزد عليها، كما قال تعالى: وأرسِلْتِه إِلَى مَآءَةٍ أَلْفٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِئةٍ (الصافات: 147)، والمعنى: أنهم إن لم يزيدوا على مائة ألف لم ينقصوا عنها.

وقيل: أو بمعنى (بل)، أي: بل أدنى، والأول أحسن.


{فَأَوْحَيَ إِلَى عِبَادِهِ}، أي: فأوحى الله عز وجل إلى عبده محمد {مَا أَوْحَى}، {ما} موصولة، تدل على الإبهام؛ لقصد التنظيم والتفضيل، كما في قوله تعالى: {فَفَقَدْنِي مِنْ أَلْيَمٍ مَّالِمِيَّم} {طه: 78}، أي: أمر عظم في فؤد الصفة.

أي: فأوحى عز وجل إلى عبده محمد الذي أوحاه، بواسطة جبريل عليه السلام، أو فأوحى جبريل عليه السلام إلى عبد الله محمد الذي أوحاه.

(1) أخرج البخاري في بده الخلق 2335، ومسلم في الإمام 177، والترمذي في التفسير 308، وأحمد 6 / 241، 242.
(2) مادة قورب.
«ما كَذَبَ الْفُؤَادُ»، قرأ أبو جعفر بتشديد الذال «كَذَبَ»، وقرأ الباقون بخفضها: «كَذَبَ»، و«ما» نافية، والمراد بالفؤاد فؤاد النبي ﷺ وقلبه.

«مَارَقْتُ»، وما مصدرية، أي: ما كَذَبَ فؤاد النبي ﷺ رؤيته، أو موصولة، أي: ما كَذَبَ فؤاد الذي رآه عيناه. فَلَمْ يَكَذَّبْ فُؤَاده وَقَلْبِه مَا رَأَهُ وَأَبْصَرَهُ عَيناه، ولم يُوَهِّم فؤاده أنه رأى ولم ير، بل صَدَقَ فُؤاده ما رآه عيناه، وصدَقَهُ فُؤاده فَلَمْ يُرِ إلا ما رآه حقيقة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل له ستانة جناتا».

وفي رواية: «عليه حلتا رفرف قد ملأا ما بين السيف والأرض».

وقال البخاري (3): عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رفرفاً أخضر قد سدَّ الأفق».

«أَفْتَحَهُ وَالْأَرْضَ»، قرأ حزمة: «أَفْتَحْهُ وَالْأَرْضَ» بضم الناء وألف.

الاستفهام للإنكار والتعجب، والممازفة: المجادلة والمحاجة بالباطل والكابرة; جحداً منهم وعذاباً، ودفعة للحق، كما قال عز وجل: «فَجَبَّاحُونْ فِي أَلْحَقٍ بِذَٰلِكَ مَا طَبَّى».

[الأنفال: 62].

وعُدِي الفعل «أَفْتَحَهُ» بـ «على» دون «فِي»؛ لأنه ضمن معنى المغالبة.

وعبر بالمضارع: «يرى» دون الماضي إشارة إلى استحضار هذا المرء، وأنه حين أخبر به كأنه يراه عياناً.

و«ما» مصدرية، أو موصولة، أي: أُجِدَّلْهُونَ على رؤيته، أو على الذي يراه.

و«لَقَدْ وَلَىَّ الْهَيْثَ»، الواو للاستثناف، واللام للقسم، و«قد» للتحقيق.

---

(1) أخرج البخاري في بعده الخلق 3233، ومسلم في الإيام 174، والترمذي في التفسير 3277.
(2) أخرجها الطبري في «جامع البيان» 22/26.
(3) في تفسير سورة النجم - باب: «لقد آتَانِي كِتابًاeting thekidex»، انظر «فتح الباري» 8/611.
سورة النجم، الآيات: 5-18


والمعنى: والله لقد رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية مرة أخرى.

فقد رآه مرة دون السهاء بالافق الأعلى، كما قال تعالى: 

»لزمَّةً أخرىً«، أي: مرة أخرى.

وهذه الرؤية وهو في الأرض، في مكة، في أجياد، والمرة الثانية فوق السهاء ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية: 

»يَلْدُرُ روُّسَتُهُ أَخْرَىًٰ«.

قال: رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له ستة جناح ينثر من ريشه التهاويل الدور والياقوت»(1).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الطويل في قصة الإسراء: «ثم علما به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله عز وجل، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فندل، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».

وهكذا جاء في رواية البخاري(2) من طريق شريك بن عبد الله عن أنس رضي الله عنه.

وقد أخبره مسلم(3) من طريق ثابت البصري ولم يذكر هذه الزيادة، وأشار إلى رواية شريك بن عبد الله قال مسلم عن شريك: «وقد في شيء وآخر، وزاد ونقص».

وهكذا تعود جمع من أهل العلم هذه الزيادة من شريك بالتضييف منهم البهظي.

(1) أخرجه أحمد بن حنبل، البخاري، مسلم، 4/277.
(2) أخرجه مسلم في الإيمان- إثبات رؤية الله تعالى 175.
(3) في كتاب التوحيد باب قوله (وكلم الله موسى تكلمًا) 75/16.
(4) في الإيمان- الإسراء برسول الله ﷺ 162.
وابن حزم والحطابي وعبد الحق وابن كثير وغيرهم، قال الحطابي: "إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبه التدلي للجبار عز وجل خالف لعامة السلف والعلاء وأهل التفسير من تقدم منهم ومن تأخر.

وقال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: "زاد فيه شريك زيادة مجهولة، وأتأ فيها بألفاظ غير معروفة، وقد روى الإسراء جماعة من الحفاظ فلم يأت أحد منهم بها أتأ بها شريك، وشريك ليس بالحافظ".

وقال ابن حزم: "في ألفاظ معجمة، والآثرة من شريك"(1).

وقال ابن كثير(2): بعد ذكر مقالة مسلم: "وقد في فيه شيئاً وأثر، وزاد ونقص": وهو كما قال مسلم رحمه الله فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمر اضطر فيه هذا الحديث، وساء حفظه، ولم يضبطه. ثم نقل كلام البهذي في ذكر تفرد شريك بهذه الزيادة.

والصحيح أن الذي ذنا فتندل فكان قاب قوسين أو أدنى هو جبريل عليه السلام دنا من النبي، إذ أن قرب الله عز وجل ودنه لا يجوز أن يمثل بشيء. وأيضًا فإنه لم صحت هذه الزيادة وحمل قوله: "ثم دنا فتندل فكان قاب قوسين أو أدنى" على أن المراد به الرب عز وجل قرب من النبي فلا يحتيد في دلالة على إثبات رؤية النبي للرب، كما أنه لا يتزعم عليه تكلف صفاته عز وجل بغيره، وإنها هذا من باب بيان قرب المسافة كأ في قوله عز وجل: "ومن تقرب إلي شبرًا تقربت منه ذراعًا"(3).

وقد ذهب جماعة إلى أن المراد أن محمد رأى عليه، ومنهم من قال رآه بفؤاد، ومنهم من قال: رآه بعيده.

والصحيح أن المراد بالآية أنه رأى جبريل على صورته مرتين كما تبت في تفسير الآية عن جمع من الصحابة؛ منهم عائشة وابن مسعود وأبو هريرة رضي الله عنهم، ولا خالف

---

(1) أنظر "فتح الباري" ١٣/٤٨٤-٤٨٥.
(2) في "تفسيره" ٠/٥-٦ وانظر ٢٣٢.
(3) أخرج البخاري في التوحيد ٥،٧،٩، ومسلم في الذكر والدعاء والتوتية ٢٦٧٥، من حديث أن
رضي الله عنه، وأخرج البخاري أيضاً في التوحيد ٤،٠،٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وانظر: "فتح الباري" الموضع السابق.
هم من الصحابة رضي الله عنهم(1). وقد بين ابن القيم هذا من ستة عشر وجهًا(2).

والصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة أن الرسول ﷺ رأى ربه، وأن رؤيته عز وجل في الدنيا غير ممكنة، كما قال تعالى: «لا تدريصُ الْآثَرِ» [الأنعام: 101].

وَعِنْ مَسْرَوْقٍ قَالَ: دَخَلَتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضيَ اللهُ عَنَّها، فقَالَتْ: «هِلْ رَأَى مُحْمَّدُ رَبِّه؟ فقَالَتْ: لَقَدْ تَكَلَّمَتِ بِشَيْءٍ فَقَدْ لَمْ يُسْتَحْفَى عَنْهُ فَقَالَتْ: رَوَيَتْنَا، ثُمَّ قَرَأْتِ الْقُرْآنَ مِنْ آيَةَ الْكِتَابِ. فقَالَتْ: أَيُّنِّي، يُدْرِسُكَ بِهِ؟ إِنَّهُ هُوَ جَبِيلٌ، مِنْ أَخْبَرْتُ أَنِّي هُوَ مَجِيدُ رَأَى رَبِّهِ، أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مَا أَمَرَ بِهِ، أَوْ يَعْلَمُ الْخَمْسَةَ الَّتِي قَالَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ عَنْدَهُ عَلَمُ السَّاعَةِ وَيُعْلِنُ الْقُرْآنَ. [النافع: 43]. فَقَدْ أَعْظَمَ الْفَرْعَةُ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جَبِيلٌ، مِّنْهُ يَثْوِي فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَتَينَ، مَرَةً عَنْدَ سَرْدَةَ الْمَنْتَهى، وَمَرَةً فِي أَجَيَّادٍ، وَلَهُ سَينَاءَ جَنَّةٌ فَسَدَ الأَفْقٍ(3).

وَعِنْ مَسْرَوْقٍ قَالَ: كَانَ مَتَكَّنُتْ عَنْ عَائِشَةَ رَضيَ اللهُ عَنَّها فقَالَتْ: «أَلَاتِخِذَتْنَا مِنْ كَلَّمَتِنَا مَنْهَانًا فَقَدْ أَعْظَمَتْ عَلَى الْفَرْعَةِ، فقَالَتْ: ما هُنَّ؟ قَالَتْ: مِنْ زَمَانِ أَنْ مُحْمَّدًا رَأَى رَبِّهِ فَقَدْ أَعْظَمَتْ عَلَى الْفَرْعَةِ، قَالَ رَبِّنَا نَفْسِي وَلَا عَلَيْيَ.» [التكوير: 32]. فقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتَ أَُرَاءَتهُ أُخْرَىً؟» فقَالَتْ: أُلُوْدُ رَأَيْتُهُ يَأْتُكِ السَّاعَةَ إِلَى السَّاعَةَ [الأنعام: 102]. فقَالَ: يَكُونُ سَيِّئَتُكَ وَجَدَتْهُ أَبْكَرٌ؟ وَأَخَذَهُ عَلَى عَرَفَتِهَا عَلَى عَرَفَتِهَا. فقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: لاَ تَدْرِي السَّيِّئَ أَبْكَرُ وَرَبِّكَ أَبْكَرُ؟ وَمَا كَانَ لِيَشْكُرُ أَنْ يَكُونَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحِيًا أَوْ مِنْ وُجُوبِيّاتِي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحِيًا أَوْ مِنْ وُجُوبِيّاتِي؟ [الشعرى: 5]؟

(1) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٦.
(2) انظر «بداائع التفسير» ٤٠٠–٤٠٢.
(3) أخرجه الترمذي في تفسير سورة النجم، ٢٣٣٢، وأحمد ٤٠٦/٤٩٤–٤٩٥.
قالت: ومن زعم أن محمدًا كتب شيءًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرقة والله عز وجل يقول:
«{كأتاً لأرسل نبيًا مأذنٍ إنى كتبت من زريب ونذر الفعل فأي مفتى ربك أنت}» [المائدة: 27]. قالن: ومن زعم أنه يخبر بها يكون في غد فقد أعظم على الله الفرقة، والله عز وجل يقول:
«{فهل لا يعلمون في السموات والأرض يقبل إلا لله}» [النمل: 56]. وكلما كان محمد كاذباً شيئًا ما أنزل عليه لكتب هذه الآية: {وإذ تقول ملئة أنتم الله عليه وانصمت عليه أميك على زريب وإني لله وحنيفي في نعمة الله ما الله مبدئ وحنيف الناس والله أحق أن يحكم} [الإحزاب: 27].

وفي بعض الروايات عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها: «هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله لقد قف شعري ما قلت».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: {نور أني أراه} ورواية {رأيت نوراً}.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كليات، فقال: {إن الله لا ينام ولا يناملي له أن ينام، يخفي القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه الليل لكرمه}. لأحرقت سيحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وقال في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: {أن تريد ربك حتى تموت؟}.

قال ابن العقيم: {وقد حكي عثمان بن سعيد الدارمي الإجماع على ما قاله عائشة... قال الدارمي: وأجمع المسلمون على ذلك مع قوله: {لا تدري تصرفك}.}

---

(1) أخرج البخاري في بعده الخلق 234، و Müslيم في الإียน- باب إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى 176، والترمذي في التفسير 528.
(2) أخرج مسلم في الإيان- باب قوله ﷺ: {نور أني أراه} 178، والترمذي في التفسير 2382، وأحمد 147/5.
(3) أخرج البخاري في الوضوء 144، ومسلم في الإيان 176، وابن ماجه في الطهارة 318.
(5) انظر {بدائع التفسير} 88-286.
يعني أبيصار أهل الدنيا.


قال ابن القيم(3): وأما قول ابن عباس: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فعال أن مستند هذه الآية وقين أن المرأفي فيها جبريل، فلا دلالة فيها على ما قال ابن عباس».


(1) أخرجه الترمذي في التفسير 2324، وقال: «حديث حسن غريب»، وأحمد 1/368، وروى من حديث أبي ذر ومعاذ - رضي الله عنهما - وفيه: «أيَتِ رَبِّي البارحة في أحسن صورة وأيَتِ رَبِّي الطَّفْرِي في الكبِّير»، وقال البصري: «فيه عبد الله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه، ولم أر من ترجم له».

(2) أخرجه مسلم في الإيحان - باب قول الله - عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى) 176.

(3) أنظر: بديائع التفسير 4/288-289.
الله أحداً فقط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدِ مَنْ علَى أَعَطْك، قال: يا رب يحييّي، فأقتل فيك ثانيةً، قال: الرب عز وجل: إنه قد سبق مني آنهم إليها لا يرجعون. وقال: أنزلت هذه الآية: "ولَاتَحْضَبْنَ أَعْلَمَنَّنَّ فَيُذْهِبَ إِلَى مَلَكِكَ أَمَّنَ (۱) فهذا - إن صح - إنه هو بعد الموت، وهذا من خصائص والد جابر رضي الله عنها. وأما في القياس فلا يحبج عن رؤيته عز وجل وخطابته إلا من مات على الكفر. 

"عند يَدَرُّ الْمُتَّنَعِينَ" سدرة المنتهى في السياة السابعة، وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها. 

"عندَ جَنَّةِ النَّعْيَمِ" أي: الجنة التي يأوى ويسير إليها الرسل وأتباعهم من الشهداء والصالحين، ويجذبون فيها، كما قال تعالى: "وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَعَ مَلَائِكَةِ رَبِّهِ وَمَنْ تَّنَسَى نَقْصَهُ إِنَّ لِبَيْنَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْخَيْبَانِ الْمَايِضِيَاتِ (۴۰) [التراز: ۴۰، ۴۱] يقال: أي: صار إليه، واستقر فيه." 

"إِذْ يَفْتَقِرُ النَّبِيُّ إِلَى اللَّهِ مَثْلًا" ظرف بمعنى "حين".

"سدرة المنتهى" هي سدرة المنتهى و"ما" موصلة بمعنى الذي تفيد العموم.

"إِذْ يَفْتَقِرُ النَّبِيُّ إِلَى اللَّهِ مَثْلًا" أي: يلفت حولها ويغطيها، أي: حين يلفت حول السدرة ويغطيها الذي يغطيها من الملائكة والنور والألوان وغير ذلك، كما دلت على ذلك الأحاديث.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما أسرى برَسُول الله ﷺ، ينتهي بها إلى سدرة المنتهى، وهي في السياة السابعة، إليها ينتهي ما يخرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يبحث به من فوقها فيقبض منها "إِذْ يَفْتَقِرُ النَّبِيُّ إِلَى اللَّهِ مَثْلًا". قال: فراض من ذهب، قال: وأعطي رسول الله ﷺ: "ثلاثة: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لم لا يشرك بالله شيئاً من أمه المقيمات" (۱).

---

(۱) أخرجه الترمذي في التفسير ۲۰۰۰، وقال ماجه في المقدمة: مسند ﷺ. 

(۲) أخرجه مسلم في الإيضان - ياب ذكر سدرة المنتهى ۱۷۳، والترمذي في التفسير ۲۷۷، وأحمد ۱/۲۴۲.
سورة النجم: الآيات: 5 – 18


قال ابن القيم (1): «وزيع البصر: التفاته جانبين، وطفيانه: مده أمامه إلى حيث ينتهي».

فهذا من كمال أدبه ﷺ، فإن مال بصره يميناً ولا شيلةً، ولا جاوز ما أمر به.

وهذا من كمال الأدب، ومن كمال إقبال الناظر على المنظور أن يقصر بصره عليه، وأن لا يصرفه عنه يميناً ولا يسره، ولا يتجاوزه.

قال ابن كثير (2): «وهذه صفة عظيمة في النبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأول فوق ما أعطي، وما أحسن ما قال الناظم».

رأي جنة المأوى وما فوقها ولو رأي غيره ماقعد رآه لناهماً».

وهذا يدل على كمال أدبه ﷺ مع ربه، مما فاق به سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وبه صار أفضل أولي العزم، فإن من عادة النفسوس إذا تما مقام أن تنطلع إلى ما هو أعلى منه، وهذا نرى موسى عليه السلام لما أقيم مقام تكلم طلبه الرؤية فقال: (وأُولِي الْأَيَاتِ فَأَخْرَجْنَكَ بِالْغِنَيَةِ) [الأعراف: 143].

أما نبينا ﷺ فإنه من كمال أدبه وخلقه لم ينطف بصره، ولا بقلبه إلى غير القام الذي أقيم فيه، وهذا كان سيد الأولين والأخرين.

وهذا جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه: «أن موسى عليه السلام لما مر به النبي ﷺ ليلة الإسراء وجاوزه بكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أيكي أن غلاماً بعثه يدخل الجنة من أمه أكثر من يدخلها من أمتي» (3).

---

(1) انظر: "بداائع التفسير" 4/ 289، 296.
(2) في تفسير 7/ 429.
(3) أخرجه البخاري: في بداية الجهم 720، ومسلم: في الإيان 164، والنسائي في الصلاة 448- وانظر:
جلد رأى من آيات ربيه الكبيرة، كما قال تعالى: (لقد رأى من آيتنا الكبيرة). 
والألام في قوله (لقد) لام القسم لقسم مقدر، أي: والله لقد رأى من آيات ربه الكبيرة.
و(الكبيرة): اسم تفضيل; لأن آيات الله إما كبيرة وإما كبيرة، وليس فيها صغرى.
أي: رأى وشاهد (من آيتنا الكبيرة). أي: من آيات ربه الكبيرة العظيمة، وهي العلامات الدالة على كماله عز وجل، في روبته وألوهيته وأسائه وصفاته، وكمال قدرته وعظمته، والمراد بالآيات هنا الآيات الكونية.
الفوائد والأحكام:
1- وصول القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأقوى إسناد وأصحه وآمه ولقوله تعالى: (علمه سبحانه وتعالى).
2- قصة جبريل عليه السلام، وعظم خلقه، وجمال منظره؛ لقوله تعالى: (أتم مَّوْرَى فَاتَّشْعَلَنَّهُ).
3- إثبات رؤية النبي عليه السلام على هيئة التي خلق عليها وذلك بالأفق الأعلى.
وقربه من النبي صلى الله عليه وسلم إليها التي خلق عليها وذلك بالأفق الأعلى.
4- أن الله - عز وجل - أوحى القرآن إلى عبده محمد pbw بواسطة جبريل عليه السلام، أي: أوحاه إلى جبريل وبلغه جبريل عليه السلام للنبي محمد pbw لقوله تعالى: (أوحى إلى عبدي ما أوحين). (1)

(1) بدائع التفسير 4/ 298- 4/ 297، تفسير ابن كثير 5/ 14.
(2) في (التفسير) 7/ 430.
سورة النجم، الأية: 5 – 18

- 5- تشرينة النبي ﷺ بعبد الله ﷺ لرده لقوله: «أفقح إلى طبيعته ما أوقح».
- 6- تعظيم الله عز وجل لوحية وكتبه الكريم.
- 7- إثبات صدق النبي ﷺ فيها رأى من الآيات العظيمة، ونفي كذبه لقوله تعالى:
  «ما كذب ألفوا ما كأئن».
- 8- الإنكار على المشركين في مجادتهم الرسول ﷺ بالباطل عنادًا منهم وحدًا لما رأى من الآيات لقوله تعالى: «أقنعوني على ما أرى».
- 9- إثبات رؤية النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها مرة أخرى عند سدرة المنتهى في السياة السابعة، لقوله تعالى: «ولقد رأى نزلة أخرى عنده يمرّ بالمنتهى».
- 10- إثبات سدرة المنتهى التي عندها جنة المؤوى والتي ينتهي إليها ما يعرج إلى السياة وما ينزل منها، وعظمة ما يغشاه، لقوله تعالى: «عينه سيمرّ بالمنتهى».
- 11- ثبات بصر النبي ﷺ على رؤية ما أمر برؤيته من غير زيف بعيناً أو شياً، ولا امتداد لرؤية غير ما أمر به لقوله تعالى: «ما زاغ البصر وما ظلم».
- 12- رؤيته ﷺ حين أسرى به من آيات ربه الكبري الدالة على كماله عز وجل، وكمال قدرته لقوله تعالى: « لقد أذكرين ما بين رياض الكبرى».
- 13- إثبات ربوية الله عز وجل الخصبة لنبيه ﷺ وتشريفه بإضافة اسم الرب أو وصفه إلى ضميره ﷺ لقوله تعالى: «لقد أذكرين ما بين رياض الكبرى».
قال الله تعالى: *(أُرِئِي مِّنْ لِقَاءِ الْلَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَنَبِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ الْأَوَّلُ عِندَهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ؟) إنَّهُمْ يَقُولُونَ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ الْمَلَائِكَةُ وَرَأَيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ؟* 

أكد عز وجل في الآيات السابقة صدق الرسول ﷺ فيها جاء به من الوحي، وأنه من عند الله حقًا، وصل إلى النبي ﷺ من أسفل طريق وأمنه وأقره وأصحه.

ثم أتبع ذلك بتوثيق المشركين وتبنيهم في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم الأثبتة عليها وتعظيمها من دون الله، ووفودهم عاجهم من الحق والهدى من عند الله عز وجل على لسان الرسول ﷺ إلى ما لم ينزل الله به من سلطان اتباعاً للظن واهوى.

قوله: *(أُرِئِي مِّنْ لِقَاءِ الْلَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَنَبِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ الْأَوَّلُ عِندَهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ؟)*

أي: أخبروني.

قال ابن كثير (1): *(وَكَانَتْ الْلَّاتِ صَخْرَةٌ بَيْضَاءَ مَنْفُوْشَةً، وَعَلَى مَبَنٍ بَيْنَ الْطَّائِفِ لِلَّاتِ، أَسْتَارَ وَسَدَّةً، وَحَرَّمَهَا فِى مَعْصِمٍ عَنْذَا أَقْلَبُ الْطَّائِفِ، وَهُمْ ثَقِيفٌ لِمَنْ نَارِيْنَ يُفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَى مِنْ عَدَاهِمْ مِنْ أَحَدِهِمْ عَلَى الْعَرَبِ وَبَعْضِهِمْ إِلَى الْرَّسُولِ ﷺ الْمَغْرِبَةِ أَبِنَ شَعْبَةَ أَوْ أَبَا سَفِينَ صَحِيرٌ بِخَبَّة، فَهَذِهِ مَا وَجَدَ مَكَانًا مِسْجِدَ الْطَّائِفِ*).

وقد اشتقوا اسمها *«اللات»* من اسم الله. وقيل: إن *«اللات»* اسم رجل كان يلت السوق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. والعزى: شجرة عليها بناء وأسوار بناها مملكة والطائف، كانت قريش وبو ناقة يعُظُمونها، وقد استُقِبِل اسمها من اسم الله *«العزى»*.

ومن شدة تعظيم قريش لها قول أبي سفيان يوم أحد مفتخرًا: *لنا العزى، ولا*.

(1) في تفسيره ٧/٤٣٠، وانظر سيرة ابن هشام ١/٨٥.
عذر لكم.

فقال النبي ﷺ: "أجيبوه قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانَا ولا مولٌ لكم."

وقد بعث النبي ﷺ إليها خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها.

ومن شدة تعظيمهم لها أنه بعد قطعها وبعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان تقد في تعبيرات بعض الناس وبخاصة العامة كليات يقولونها من غير قصد تناقلها الناس بعضهم عن بعض، كقولهم: "واعزِّوني، كُن"، يقصدون بها التحرر أو التخريف، وقولهم: "واعزي لك"، يقصدون بها التخريف، وقولهم: "واعزِّوني، كُن"، يقصدون بها التحرر والندب والتأوُّه، وقول بعضهم لبعض: "جاكُ أَبُو العزيز"، ينفون بهذا، ونحو ذلك من التعبيرات التي قد توجد في بعض الجهات ما هو في الأصل مشتق من هذه التسمية.

وهذه الألفاظ- وإن كانت لا يقصد بها شيء- والله الحمد؛ لأن الشرك قد اجتث من جذوره في هذه البلاد بفضل الله عز وجل، ثم يفضل دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ومazorة محمد بن سعود له رحمة الله وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجرائم- إلا أن الأولى بعد عن هذه الألفاظ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من حلَف فقال في حلفه: واللات والمملكة، فليليق لا إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعالى أئمك فلا تحصد". قال ابن كثير: "يبدو سياقه هذا الحديث: وهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كأنا أُلْسِنُهم قد اعتادته في زمن الجاهلية.

ثم ساق ابن كثير عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كما نذكر بعض

(1) أخرج البخاري في المغازي ٤٣٣، وأبو داود في الجهاد ٢٦٦٢، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(2) انظر: تفسير ابن كثير ٧/٤٣١.

(3) أخرج البخاري في تفسير سورة النجم ٤٨٦، ومسلم في الألبان ١٦٤٧، وأبو داود في الألبان والندور ٣٦٤٧، والنسائي في الألبان والندور ٣٧٧٥، والترمذي في الألبان والندور ١٥٤٥، وابن ماجه في الكفايات ٢٠٩٦.

(4) في تفسيره ٧/٤٣١.
الأمر، وأنا حديث عهد بالجاهلية، فحلقت باللات والعزي فقال لي أصحاب رسول
الله ﷺ: «بُسِّمَ قَالَتْ، اثْنَى رسول الله ﷺ فإذا لا نرك إلا كفرت فأتيته، فأخبرت
فقال لي: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ
قدير، وأنت من شبابك ثلاثًا، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تعد» (1).
«وَمَنَّا»، أي: «ومناة» التي كانت تعد وتغعم من دون الله، وكانت على ساحل
البحر بالمشعل - عند قَدِيدَتَينِ مكة والمدينة تعظمها خزاعة والأوس والخزرج ومن دان
دينهم من أهل يرب مزَّلَونَ منها للحج إلى الكعبة.
بعث إليها رسول الله ﷺ. أبا سفيان صغير بن حرب رضي الله عنه فهدوها، ويقال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه (2).
«الثَّلَاثَةَ الأَخْرَجَةَ»، أي: بعد الاثنين قبلها، أي: بعد اللات والعزي أي: التي
تعد كأناة تعداد اللات والعزي، وفي قوله: «الأَخْرَجَةِ» إشارة - والله أعلم - إلى تأخرها في
الرتبة عن اللات والعزي عند المشركين. فهذه الأصنام الثلاثة أشهر معابدات العرب
التي كانوا يعظمونها في جاهليةهم؛ وهذا خصها بالذكر.
وهناك معابدات أخرى كثيرة يعظمونها ويرون لها كي يهدون للكعبة، ويظهرون
حوئها وينحورون عنها.
ومعنى قوله: «أَقْرَمُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ» و«مَنَّا» و«الثَّلَاثَةَ الأَخْرَجَةَ»، أي: أخبروني عن
هذه المعابدات والآلهة التي تعدنها من دون الله، ما لا ينفع ولا يضر، وما لا حجة
ولا سلطان لكم في عبادته؟ ولماذا تعدنها من دون الله؟ وكيف تعودون ما لا يملك
لكم نفع ولا ضر، وما تضركم عبادته؟ فأين ديلكم، وأين عقولكم؟
ولست عبادة غير الله مقصورة على هذه المعابدات اللات والعزي ومنأة بل كل ما
عظم من دون الله من الأعيان أو الأشخاص الأحياء أو الأموات، أو المناصب، أو

(1) أخرجه النسائي في الآياء، والذهبي - الحلف باللات والعزي ٣٧٢، وابن ماجه في الكفارات ١٠٩٧.
(2) نظر: «السيرة النبوية» (٨٦ - ٨٧)، «صحيح البخاري» مع الفتح ١٧٦ - ١٧٧، «تفسير
ابن كثير» ٤٣١ - ٤٣٢.
الرياضة، أو الدرهم والدينار وغير ذلك فكل ذلك ما عبد من دون الله قال: «تعس عبد الدهرهم، تعس عبد الدينار»(1) وذلك لأن غاية التعميم والمحبة والطاعة ينبغي أن تكون لله عز وجل وحده.
فمن أشرك مع الله غيره، أو قدم تعظيم غيره عليه فقد عبد غير الله.
فلنجعلهم لعبادنا ويعظموا سوّاه، ولم يجعلهم لحاجته إليهم، فهو الغني عنا سوّاه، كما قال عز وجل: «قد أvezومهم من نعمة ونضارة أءيد أن يطيعون» (الله وهو أرافق ذو الفؤاد: 37).
فليناءه العاقل الليب هذا، وليعلم أن الشرك في آخر هذه الأمة أعظم من شرك الجاهلية الأولى، وأن الشرك أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصياف في الليلة الظلماء.
قال بعض السلف: «ما جاهدت نفسي على شيء مجابته على الإخلاص»(2).
وقد يقع الإنسان في الشرك وهو لا يعلم، فعليه أن يقول كما قال النبي ﷺ: «اللهم إننا نعوذ بكم من أن نشرك بكم شيئاً نعلمه، ونتغفرلما لا نعلم»(3).
ألكم الله وآلهة الأميين الاستفهام للإنكار والتوبيق والتقريع للمشركين على نسبتهم لله وعزم وجده منزه عنه، وتخصيص أنفسهم بالذكور، وزععم أن له الإناث، كما قال تعالى: «أم لم تكن وآلهة ألبونة» (النور: 33)، وقال تعالى: «ألفتم لهم آلهة لأثنا أركبك ولهام بالكنونات» (الله وهو أرفاق ذو الفؤاد: 37). ألا يعلمون من إخفاءهم ليقومون(4)، ولذا الله وهم كذبون(5) أصطفى.

(1) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 2887، والترمذي في الزهد 2375، وابن ماجه في الزهد 4136.
(2) مسند محمد بن الإيمان الواسطي. الامامة والشرف 8/ 1.
(3) أخرجه أحمد 4/ 403، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
وعن الرحمن ﷺ في تفسير القرآن، جـ ٢١

البنات على النبوين ﷺ وَلْتَكُن ضِيْغَةً [الصافات: ١٤٩ - ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿أَيَّما مَيْلٌ ثَبَتَ فَذُوقُوا أَمْيَالَكُمْ وَالْمَيْلَينَ﴾ [الزخرف: ١٦].

وذلك أنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّلَاتَ لِلنَّاسِ إِلَّا عَفُوًّا نَّزْلًاٍ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ آدَٰبَ الْيَلِينَ لَا يَبْعَثُونَ إِلَّا لِيَسْتَبْدِعُونَ السَّلَاتَ شَيْئًا عَظِيمًا﴾ [النجم: ٢٧].

﴿وَسَفَهَا﴾: أي: جائرة باطلة.

قال ابن كثيرٍ: ﴿أَيَّما مَيْلٌ ثَبَتَ فَذُوقُوا أَمْيَالَكُمْ وَالْمَيْلَينَ﴾: أي: إنهم جازوا بذلك الذين تكلمهم عليه لو خلقتم من أنفسكم الذكور، فلما اقتسمتم أدوات جلبتكم هذه القسمة لكان فيما يقيدت آدم نقصًا ضييًا: أي: جوزًا باطلة، فكيف تقاسمون ربيكم هذه القسمة التي لا كانت بين خلقين كانت جوزًا باطلة.

﴿إِنْ هِيْ إِلَّا أَمْسِكَةٌ سَيْمَتُوهَا آتِمُهُ وَمَبَابُوتُهُ﴾: إنها نافهة بمعنى ما في الموضوع، و﴿إِلَا أَدَأَّ حِصَرَهُمْ فِي المَوْضِعِينَ﴾: وإلى أن يحصروا في الموضوعين أيضاً، أي: ما هذه المعبدات، فإنها التي جعلتموها شريكة الله «اللائمة والعزي ومنة الثالثة الأخرى» وغيرها لا إجرد أشياء سميتها أنها المشروكون، أنتم وأباؤكم من قبلكم.

﴿ثُمَّ أَزْلَلْهُمْ بِمَا نَزَّلَهُ إِلَّا نُشْرَىٰ﴾: أي: ما أنزل الله بها من حجة ولا دليل ولا برهان.

﴿إِنْ يِبْعَثُونَ إِلَّا الآثَارَ﴾: أي: ما يتبعون هم وأباؤهم فيها سلكوه من عبادة غير الله إلا الأثر والوهب الذي لا دليل عليه، ولا يقين معه ولا حقيقة له، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يِبْعَثُونَ إِلَّا الآثَارَ وَإِنَّ الْأَثَرَ لَيَغْيِنُ مِنْ آتِمِيَّةٍ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إياكم والله فإنظر أذنب الحديث، ولا تشمسوا ولا تخمسوا ولا ناغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا﴾)٢(.

(١) في تفسيره٣٧/٤٣٢.
(٢) أخرجه البخاري في التباج ١٤٤، ومسلم في التباج ١٤٣ وفي البر والصلة ٢٥٦٣، وأبو داود في
قال ابن كثير: «أَيْنَ يَعْقِبُ إِلَّا أَلْفَانِ» أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا السلك الباطل قبلهم.

وَاَوْىَا لِأَنْفُسِّكَ» الواو: عاطفة، وما موصولة أي: والذي ينهوا وتميل إليه نفسه من الباطل، من الشهوات، وحب الرفاهية، وتعظيم آبائهم الأقدمين وغير ذلك.

واهوى مِّرْدٍ ومِّهِلِّكَ، قال تعالى: «وَمَنْ أَضْلَىٰ مِّنِّمَّنْ أَنْفُسِهِ يُعْقِبُهُ هُوَ يَعْقِبُهُ» [القصص: 50]. وقال تعالى: «أَفْلِحَتْ مَنْ أَنْفُسَهُ إِلَى هَوْهُ وَأَصْلَهُ إِلَى اللَّهِ» [الجاثية: 32].


لكنهم مع هذا ما انقبادوا لما جاءهم من رحيم من الحق والهدى، بل أعبدوا الظن وما تهواه أنفسهم.

قال ابن القيم: "فالظن: الشبهة، وما عهوى النفس: الشهوة، والهدية الذي جاءنا من ربنا خالفة هذا وهذا.

أَمْ أُنْتَ إِلَّا مَنْ تَأْنَىٰ» (أَمْ: هي المقطعة التي بمعنى "بل") وهمة الاستفهام، أي:

النكاية ١٩٨، والنسائي في النكاح ٢٦٣-٢٤١، والترمذي في البر والصلة ١٩٨٨، وابن ماجه في النكاح ١٧٥٦.

(1) في [تفسيره]٨١٧ /٤٣٢.
(2) البيت لأبي داود انظر "ديوانه" ص ١٣٢.
(3) انظر: بدائع التفسير ٤ /٢٩٩.
بلآليسان ما تمنى، ومعناه الإكبار والنفي، و"ما" موصولة، أي: ليس يحصل الإنسان كل ما تمنى، ولا كل من ود شيتا وأحبه حصل له، وليس كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، قال عز وجل: "ليس يا مانينكيم ولا أمانين أهيل المسكنات، من يقسم سوءاً يجر يوغ" [النساء١٢٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب من أمته" (١).

بمعنى: أن عليه أن يتمنى الخبر ويعمل على تحقيقه، ولا يعتمد على التمنى فإن مجرد التمنى لا يحقق شيئا، كما أن عليه أن يجد من تمنى الشر.

وكم من مدع أمرأ لم يحققه، قال الحسن: "ليس الإيابان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في الغلب وصدقه العمل" (٢).

وقد أحسن القائل:

"لولا المشقة ساد الناس كلهم أجد يفقر والإقدام قثال" (٣)

وقال الآخر:

"وكل يدعى وصالاً بلالاً وليلى لا تقرههم بذاكا" (٤)

وقال الآخر:

"إذا تمنيت مالاً بيت مغبطاً إن المنى روس أموال المفاليسي" (٥)

ولهذا قال في المثل: "إن المنى رأس أموال المفاليسي" (٦).

"فلياؤن الأكبر والأولى"، أي: إنها الأمر كله الله، فهو مالك الآخرة والأولى.

والأولى هي الدنيا؛ لأنها قبل الآخرة زمنًا. وقدّم الآخرة؛ لظهور كيان وثام ملكه.

(١) أخرج أحمذ/٣٥٧،٣٨٧.
(٢) انظر: "بديع التفسير" ٤/١٨٤.
(٣) البيت لليمتي. انظر: "ديوانه" ص١٥٣.
(٤) البيت ينسب لمجنون ليل. انظر: "مجمع الفتاوى" ٤/٧١.
(٥) انظر: "الجواهر" ٠/١٣.١٠٦.
(٦) انظر: "مجمع الأمثال" ١/٥٠،الأمثال المولدة" ص٢٠٠٠،١.
فيها أكثر من الدنيا، ومراعاة للفواصل.
فهو عز وجل مالك الدارين وخلقها والتصرف فيها، والذي ما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن، فلا يمكن مع هذا أن يكون للإنسان ما تمى مع أن الملك والخلق والأمر
كنه الله، كما قال عز وجل: {اَلَّذِينَ آمَنُوا} والَاَمْرُ {[الأعراف:45]}، وقال عز وجل: {ذَٰلِكَ
الأَشْرَابُ الَّذِينَ قُبِلَ وَرَأَى بَنَانُهُ} [الروم:4].

ولو عرف الإنسان هذا الأمر حقيقة المعرفة، وقدر الله حق قدره ما خالف أمره ولا
ارتقب نهيه.

{وَكَرَّ مَنْ مَلَكَ فِي الْأَسمَاعِ} الواو: استثنائية، و{كِمْ} هنا خبرية بمعنى:
{كَثِيرٍ}، أي: وكثير من الملائكة في السماوات.

{لَا تَفْنِينَ شَفَاعَتَهُم مَّنْ يَشَاءُ} ذلٌّ، أي: لا تفع شفاعتهم شيئاً، فلا تجلب خيرًا، ولا تدفع
ضرًا. و{شَيٌّاً}، نكرة في سياق النفي، أي: لا تفع شفاعتهم أي شيء.

{إِلَّا أَن يَأْذَنَ الَّذِينَ لَمۡيَنْ يَنۡفِقُونَ} إلا: آداب استثناء، {من بعد} جار ومحروم
متعلق بنعت هو المستنى المقدر، أي: إلا شفاعة من بعد أن يأذن الله.

وقوله: {أَن يَأْذَنَ} أن والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة، أي:
إلا من بعد إذن الله لن يشأ من عباده بالشفاعة، ورضاه عن المشفوع له، وهذا هما
شرطا الشفاعة، كما قال تعالى: {مِن ذَٰلِكَ الَّذِينَ يُشۡفِعُونَ عِنۡدَهُ إِلَّا بِإِذِينَةٍ [البقرة:255]} وقال
تعالى: {مَأَنَّ الْقُلُوبَ إِلَّا بِإِذِينَةٍ} [بيس:73]. وقال تعالى: {يُؤْمِنُونَ لَا يُنْفِقُونَ
لَا إِذِينَةٍ} مطلقًا من {أَذَنَ}، وقال تعالى: {وَلَا تَفۡنِينَ السُّفَهَاءَ عِنۡدَهُ إِلَّا لِمَن أَذَنَكَ} 
{لَهُ} [سبا:32]. وقال تعالى: {وَلَا يُتَقَرَّبُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى} [الأنياب:28].

وإذا كان الملائكة وهم العباد المكرمون عند الله عز وجل، والذين لا يقصون الله ما
أمورهم ويفعلون ما يؤمرون لا تفعًا شفاعتهم شيئاً، لا نفعًا ولا دفعًا إلا بعد إذن الله عز
وجل للشافع ورضاه عن المشفوع له، فكيف يقال أو يظن أن للإنسان ما تمى، أو أن
هذه المعهودات تفع لعبادها من دون الله، إذ لو كان ذلك أحد من الخلق لكان من
أولى الخلق بذلك الملائكة الكرام البررة، وفي هذا تبين للمشركين من أن يحصل لهم ما
تمنوا أو أن تشعوا لهم معبودانهم.
ولا يعني هذا أن المالكية أفضل من الأئمة والرسل، بل ولا أفضل من المؤمنين.
كما هو الصحيح من أقوال أهل العلم ومذهب أهل السنة والجماعة.
الفوائد والأحكام:
1- الإنكار على المشركين وتبنيهم وتقريعتهم في عبادتهم الأصنام والأوثان من دون الله، ونسبتهم الإناث لله- تعالى الله وتعالى: {أَفَرَّبَيْتُمُ اللَّهَ*}
واضحًا: {مَنْ وَيَدَّ أَنفَعُوا أَحَدًا أَن كُنَّا نَذَّرُونَهُمْ}.  
2- عظم جهل المشركين وإغرائهم في الظلال حيث عبدوا ما لا يفع ولا يضر، وعظم افترائهم ووجودهم حيث نسبوا الله الوالد بل خصوه بالإناث واستثروا بالذكور.
 تعالى الله عن قومهم علوا كبيرا.
3- أن اللات والعزى ومنة الثالثة الأخرى من أشهر وأكبر معبودات المشركين.
4- وجبت توعية العدل والمحرر من الجور في القسمة، وفي كل شيء لقوله تعالى: {إِنَّ ذَٰلِكَ إِذَا يَفْتَرَسُونَ}.  
5- التنبيه على المشركين وأتباعهم في تسميتها هذه المعبودات، وجعلها آلهة وما أنزل الله بها من سلطان، وإنما بمجرد اتباع الظليم وهوى الأنس، لقوله تعالى: {إِنِّي إِلَّا أَنْباَرُ مَنْ مَأْتَيْنِي مَأْتَيْنِي}.  
6- أن الله عز وجل قد أقام الحجة على الخلق، وأبان طريق الهدى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فلا عذر لم تنكب الجادة وسلك طريق الردية لقوله تعالى:
{وَلْتُعَفُّوا مِنَ الْقَذَّالِكَ}.  
7- إثبات ربوية الله- عز وجل- العامة لجميع الحقائق لقوله تعالى: {فَيُرِيدُونَ مَا أَنْتَ مَأْسِرٌ}.  
8- ليس الإيان بالتمجي، ولا من زعم أنه مهتد يكون كذلك، ولا من تمنى شيئاً حصل له، لقوله تعالى: {مَا أَلَّامُونَا مَآثِرًا}.  
9- أن الله ملك الآخرة والدنيا، فاخلق خلقه والأمر أمره لقوله تعالى: {فَلِلَّهِ}.
سورة النجم، الآيات: 19 – 22

10- إثبات الدار الآخرة.
11- إثبات وجود الملائكة، وكثرتهم في السموات، وعظم مكانتهم عند الله- عز وجل- وإن لم تبلغ مكانة الرسول، بل ولا مكانة صالح المؤمنين على الصحيح؛ لقوله تعالى: { وَكَرَّنَّ مَّلَكٍ فِي الْأَلْسَمَوْرِ لَا تُنَبَّئُهُمْ شَيْئًا }.
12- لا أحد يشفع عند الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفع له؛ لقوله تعالى: { وَكَرَّنَّ مَّلَكٍ فِي الْأَلْسَمَوْرِ لَا تُنَبَّئُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنُ اللَّهُ لَمَّا يَنَبِّئُهُمْ}.

* * * *
قال الله تعالى: «إنَّ الَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ لَيُؤْمِنُونَ لِلْحَكْمَةِ ثَانِيَةً» (الأنبياء 109).»

أنكر الله عز وجل في الآيات السابقة على المشركين نسبتهم الولد التام عز وجل، وزمتهم أن لمذكور لهم الإثنا، ثم أتبع ذلك بالإنكار عليهم في تسميتهم الملانكة بالإناث، وزمتهم أن الملانكة بنات الله، والرد عليهم- تعالى الله عنا يقول الظلمون علوا كبيرا.

قوله «إنَّ الَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ»، أي: إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة والبعث والحساب والجزاء على الأعمال، وهم الكفار.

وسميت الدار الآخرة بهذا الاسم؛ لأنها متاخرة من حيث الزمان بعد الدار الدنيا، وهي آخر الدور وأخر مراحل الإنسان، وهي الدار التي فيها الحياة الحقيقية كما قال عز وجل: «وَإِيَّاكَ الْأَخَرَ الْآخِرَةُ لَهُمْ أَحَيُّانَ» (الكهف: 44).

«ليَسْتَمَعَ اللَّهُ كَلِمَاتُ الْكِتَابِ» الملانكة: جميع ملك، وهم خلق من خلق الله عز وجل خلقهم الله من نور، «لَيَغْفِرْ اللَّهُ مَا أَعْمَلُوهُ وَيُغْفِرْنَ مَا يَأْتِيَهُمْ» (التحريم: 2)، «يَسْتَغْفِرُ الْهَيْبَةُ الْمُلْكَ» (الأنبياء: 20)، «إِبَاءُ مَكْرُورَة» (بَابُوَاتُوْيَاتُ) لا يُسْتَفْتَقُوهُ بالقول، وهم بأمه، وهم عصيلون (الأنبياء: 26-27).


وَمَا لَهُمْ يَوْهَ» الواو حالية، وَمَا» نافية، وَبَهْ: أي: بالمذكور، وهو تسميهم الملانكة إناثاً.
سوره النجم: الآيات: 37 – 30

(1) في "تفسيره" 7/434.
(2) أخرج البخاري في النكاح 5164، ومسلم في البقرة، والصدقة، والبقرة، والصلاة، والبراءة. وأخرجه البخاري في البقرة، والصدقة، والبقرة، والصلاة، والبراءة.
(3) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخذ البخاري منه في الإبان عن الحسن البصري مراسلاً أنفل: "جاء بالصغير 3431، وأخرجه الطبراني فيها ذكره ابن كثير في تفسيره 7/357 من حديث حانان بن النعيم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث لازمات لأمتي: الطورة والحصن، وسواء الطلن، فقال رجل: ما يذهبن رحمة الله ﷺ من هن فيف؟ قال إذا حسنت فاستغفر الله، وإذا ظنت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض؟".
قوله: "فأطعِعُونَ مَنْ تُؤْمِنُونَ فِي رَبِّكُمْ فَإِنَّنَا نَعْمَلُ عَلَيْهِمْ وَمَا كُنْنَا نَعْمَلُ عَلَيْهِمْ"، قال تعالى: [ الرحمن ٩:٣٦] وَقَالَ رَبِّ لِحَمْرَةَ أَعْمَنَى مَكْيَةَ وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ الْيَمِينُ [طه:١٢٢]}. وقال تعالى: [الزمر:٢٢] وَقَولَهُ: "وَقَدْ تَمَىَّتْ أَلْحَيَا الْدُّنْيَا"، أي: لم يطلب إلا الحياة الدنيا، وسماها بالدنياً لأنها قبل الآخرة زمناً، ولدناءة ريبتها وحقارتها، كما وصفها الله عز وجل في القرآن الكريم فقال تعالى: [وَمَا أَحْيَا الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا إِلَّا لَيْبَ وَلْهُمْ] [الأسماع:٢٣]، وقال تعالى: [وَمَا أَحْيَا الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا إِلَّا لَيْبَ وَلْهُمْ] [المتكبر:٤]، وقال تعالى: [أَمْعَنُوا أَنْمَا أَحْيَا الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا لَيْبَ وَلْهُمْ وَرَبِّيَةُ وَظَافِرُهُمْ] [الحديد:٢٠]}. وقال تعالى: [وَمَا أَحْيَا الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا إِلَّا لَمْ تُعْمَعَ العِمْرُو] [ال عمران:١٨٥، الحديث:٢٠]، وقال تعالى: [وَمَا أَحْيَا الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا إِلَّا لَمْ تُعْمَعَ] [الرعد:٢٧]، وقال تعالى: [وَأَحْيَا الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا] [الأنبياء:٢٨]}.
Susan al-najmi, al-ayat: 30 -

قال تعالى في رواية سهل بن سعد رضي الله عنه: «لو كنت الدنيا تساوي ساعة جناح بعرضة ما سقي منها كافراً شريعة ماء» (1).

وقال: «وموضع سوط أحدهكم من الجنين خير من الدنيا وما فيها» (2).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدنا لكي وطاء، فقال: «مالي ول الدنيا إنها أنت كربك استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» (3).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «إذا أمسقت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصابتك فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (4).

فيا الله ما أعظم بركة عمر من وقته والله ونظر الدنيا هذه النظرة كم وصفها الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أقل بركة عمر من غفل عن هذه النظرة فعالاً ساهياً لاهاياً حتى أناه الموت وهو على غرة ويا الله ما أسعد حياة من عرف حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، فلم يأس على ما فاته من الدنيا، ولم يطهر ما حصل له منها وصدق الله العظيم في كياناتك عليهم ما كانت عليهم (1).

(1) أخرجه الترمذي في الزهد 232، وابن ماجه في الزهد 4110، وقال الترمذي: «حديث صحيح غريب».
(2) أخرجه البخاري في الجهاد - فضل رياض يوم في سبيل الله 2892، والترمذي في فضائل الجهاد 1548 وابن ماجه في الزهد 4330 من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.
(3) أخرجه الترمذي في الزهد 1249، وابن ماجه في الزهد 4110، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».
(4) أخرجه البخاري في الرقائق 1416، والترمذي في الزهد 1233، وابن ماجه في الزهد 4114.
ولَتَعْقِرُواْ أَيْمَاءَ أَتَتْهُمْ [الحديث: 22].

وما أسعد من عرف حقيقة الآخرة فاستعد لها بحزم وعزم وتصميم وقلب مشرق ومعنوية مرتفعة، أداءً لما أوجب الله واتباعًا لما نهى الله عنه وسرته حسنته وسماه سيئته.

ويا الله ما أحسن حال من عرف حقيقة الدارين، ما أحرمه وأسرعه لأداء الواجبات والبعد عن المنهيات وما أسرعه إلى العفو عن عذبه والصالح عن أمائه إليه، والمسارعة في أمثال البر والخير، قال تعالى: "وَهُمُ الْجَذَّابُونَ الْأَكْبَرُ لَا يُهْرَبْ وَلْيَمْبَغَ".[العنكبوت: 42].

ذلك "بَلْ يُحْيِي مَنْ تَشَاءُ وَبَلْ يُمِيتُ وَيُعْلِنُ السَّيِّمَةَ وَيُقِنُّ الْأَحْذِيَّةَ لِيُحْذِي مَنْ يُحِذِّرهُ وَيَخْفِي مَنْ يَخْفَى" [المؤمنون: 62].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولا يجمع من لا عقل له".(1)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غانه في قلبه، وجعل له شمله، وأثته الدنيا، واتهمها، ودمتها همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدره له".(2)

وعن ابن عمر رضي الله عنها قال: "لقاء كان رسول الله ﷺにお mega من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوت لأصحابه: "للهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معايشكم، ومن طاعتك ما تبلغنا به جتنك، ومن البقين ما يعور به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأس ديماً وأبحارنا وقوتنا ناحيتنا ما عاهتنا، وإحكال الوارث منا وواجع ثورنا على من ظلمنا، وأتسرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في دينا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا".(3)
فالمولي عن ذكر الله وإرادة الحياة الدنيا وحدها خروج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعن الهدف الذي خلق الله الخلق من أجله وهو عبادته وحده، كأن قال:

"وَمَا خَلَقْتُ اللَّهَ إِلَّا مَّمْوَلاً لِّيُسْتَفْلَى ۚ مَا أَرْضَى مِن شَيْءٍ مِّن شَيْءٍ أُرْضِيَ أنْ يُظَهَّرِنَّ" ۚ [الداريات: ۵۸-۶۰].

وفي قوله: "ذَلِكَ مَنْ أَنْبَغَ مِنَ الْآبَارِ" إشارة إلى قلة علمهم وضائطته، وإلى نظرهم القاصر الذي لا يتجاوز ما تحت أقدامهم، حيث قدموا العاجل الفاني على الآجل الباقى، ولو كان عندهم علم ويُعدُّ نظر، وحظ من التوفيق، ما أثروا الفاني على الباقى. فليتاء هذا من يلهون وراء جميع المال من أين طريق كان، ولو كان ذلك بالمعاملات الروبية، والشركات المختلطة، والأعمال المشتبهة، حتى صار أكبر همهم متابعة الأسرم ارتفاعاً وانخفاضاً في ليلهم ونهارهم، ويقظاتهم ومنامهم، وانشغلوا بذلك عن أمور دينهم، وعن أهلهم وأولادهم وأعياهم، وأصبب كثير منهم بسبب ذلك بأنواع من الأمراض النفسية وارتفاع ضعف الدم أو انخفاضه، والسكر، وغير ذلك.

وأقول هؤلاء وأمثالهم: تذكرنا قوله: "فوالله ما الفقر أخشى عليك، ولكن أخشى أن تبسط عليك الدنيا كما بسطت على من كان قبلك فتنافسوا كما تنافسوها وتهلككم كأهلكهم". (1)

وعن النبي ﷺ بن بشر - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وينبأ أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعي حول الحمى يوشك أن يرعي فيه ألا وإن حمى الله محارمه". (2)

(1) أخرجه البخاري في المغني، ۴۰۱۵، وعمل في الزهد والرقائق ۲۹۹۷، والترمذي في صفة القيامة ۲۴۶۲، وابن ماجه في الفتن ۳۹۹۷، من حديث عمر بنا عوف رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري في الإيام، ۵۹، وعمل في المسألة ۱۵۹۹، وأبو داود في البيع، ۳۳۲۹، والنسائي في البيع ۴۴۵۳، والترمذي في البيع ۱۲۰۰، وابن ماجه في الفتن ۳۹۸۴.
اللهم اكفرنا بحالك عن حرامك وبدلك عن سواك، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا سلمت علمنا.

إن ربك هو أعلم بما في السر، وهو أعلم بما في الaltıبي، أي: إن ربك يا محمد خالقك ومالكك وموليك ومدير أمرك.

وحَوَّلْتِي أَعْلَمَ، يأْوِل، ذكرات، ألم تختلف عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ألم تعلم السر وأخفى، كما قال تعالى: {وَإِنَّ لَجْهَرَ يْقُولُ إِنَّهُ عَلِيمُ الْأَرْضِ وَالْأَرْحَامِ} (طه:71)، وقال تعالى: {يُعْلِمُ سِرَّ الْأُخْرَى وَيُفْتَنُوْا الصَّدْرُ} (غافر:19)، وقال تعالى: {وَبِالْأَمْوَالِ يَتَعَاذِبُ} [القصص:196]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْضِي مَنْ حَلَقَ وَهُوَ الْطَيِّبُ الْخَيْرُ} (الملك:14).

ومن في الموضعين موصول، أي: إن ربك هو أعلم بالذي ضل وتأه هو سببه سبيل الحق، وتركه، وهو سببه أعلم بالذي اهتمى إلى الحق، وفي هذا كله- كما سبق- تسلية للنبي، وقوية له، ووعيد للضالين، ووعد للمهتدين.

وهكذا ينبغي أن يستلم هذه الدروس الدعاء إلى الله من الآباء والمراد، والموجهين وسائر الدعاء إلى الخير والحق، فلا يملوا، أو يقفوا في وسط الطريق، والفائد والأحكام:

1- الإنكار على المشركين الكذيبين بالآخرة في تسيمهم الملائكة بنات الله بلا علم وإنما ب مجرد الأشياء الباطل؛ لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الأنعام:47] و{وَمَا هُمْ بِيَتَّخِذُونَ}. 

2- إثبات الدار الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء.

3- أن الظن لا يجلي ولا يغني من الحق شيئاً، ولا يثبت أمام الحق؛ لقوله تعالى: {إِنَّ الظَّنَّ لَا يَجْلِي وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ نَيَةً}.

4- لا حرج في الإعراض عن تولى عن ذكر الله، وكان مراده فقط الحياة الدنيا.
سورة النجم، الآيات: 27 – 30

بعد إقامة الحجة عليه؛ لقوله تعالى: «فَأَنْعَمَ عَنْ مَنْ نَوَالَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَنْجَى إِلَى الْحَيَةِ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ».

5- ذم المكذبين المعضين عن ذكر الله بقصر مراهم على الحياة الدنيا، فهي غاية همهم وملغ علمهم، فنظرة دينهم، وحياتهم بحيمة؛ لقوله تعالى: «ذَلِكَ مَنْ مَكَثْنَاهُنَّ مِنَ الْأَلَّامِينَ».

6- إثبات وتأكيد علم الله عز وجل- الواسع بمن ضل عن سبيله، ومن اهتدى إليه، وفي هذا وعد للمهتدين ووعيد للضالين المكذبين؛ لقوله تعالى: "إِنَّ رَبّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ صَلَّى سَبِيلَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ مَنْ أُهْتَدَى".

7- إثبات روبية الله عز وجل- الخاصة لنبيه وتشريفه بإضافة وصف الرب أو اسمه إلى ضميره؛ لقوله تعالى: "إِنَّ رَبّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ صَلَّى سَبِيلَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ مَنْ أُهْتَدَى".

8- تسليه الرسول ووعيد المكذبين، وفي هذا درس للدعوة إلى الله عز وجل- فلا يثني عزائمهم إعراض المعرضين ونعيم الجاهلين.
قال الله تعالى: "وَلَقَدْ مَاتَ الْمَسْتَوْمَ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيْسَ لِلَّذِينَ أَعْمَلُوا مَهِيجًا لِلَّهِ أَحْسَنَ مَثَلًا مِنْهُمْ كَهُذَا الإِنْزَلَهُ وَإِنَّ لَهُ الْجَهَرُ وَإِنَّهُ الْفَالِقُ إِلَّا إِنَّا نَزَعْنَاهُ مُثَكِّلًا فَقَالَ رَبِّ مَنْ أَنْزَلَهُ مُثَكِّلًا فَهُوَ أَلَّا يَزَادَ ".[الحمزة: 39]

قله: "وَلَقَدْ مَاتَ الْمَسْتَوْمَ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَّا إِنَّ لَهُ الْجَهَرُ وَإِنَّهُ الْفَالِقُ إِلَّا إِنَّا نَزَعْنَاهُ مُثَكِّلًا فَقَالَ رَبِّ مَنْ أَنْزَلَهُ مُثَكِّلًا فَهُوَ أَلَّا يَزَادَ ".[الحمزة: 39]

وقال: «وما في السموات وما في الأرض، فيlam: استثنائية، والللم حر جر، ولفظ الجلالة محرم متعلق بمحدود خير مقدم؛ لإزالة التخصيص والحصر، و"ما" موصولة تفيد العموم، أي: كل ما في السماوات وما في الأرض، وحده دون سواء، فهو عز وجل، خالق ذلك كله، والمالكه، والمتصرف فيه، مما يوجب الإباحة به والانقياد لسره والرضي بقضائه وقدره.

أي الذين عملوا الأعمال السبحة، التي تسوء صاحبها في الحال والمال، وقد تسوء غيره؛ لأن المعاصر كتبها لها أثرها السبحة على العباد والبلاد، كأ قال عز وجل: "ظَهَرَ الأَسْبَارُ فِي الْيَوْمَ الْمُحْيَى وَكَسِبَّتْ أَمْرٌ النَّاسِ يُدْيِقُهُمْ بَعْضَ اللَّيْلِ عِبَادَهُ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ".[الروم: 41].

"يَا عُلَّمُوا" (ما) موصولة أو مصدرية، أي: بالذي عملوه أو عملهم.

وفي قوله: "يَا عُلَّمُوا" دون أن يقول: ليجزي الذين أساؤوا بالإساءة، أو بالذابح، أو بالنار - إشارة إلى تمام عده عز وجل، وأن الجزاء من جنس العمل وبقدره؛ أي: بما عملوا من غير زيادة ولا نقصان، كأ قال عز وجل: "فَمَنْ يَعْمَلُ مِنْكُمْ يُحْسَنًا ذَٰلِكَ حُبُّ یُسْرُهُ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِنْكُمْ ذَٰلِكَ ذَٰلِكَ يُوْرَى یُسْرُهُ".[الزلزال: 7-8].

"وَرَجَعَلَ الْأَلْلَهُ أَحْسَنَ وَهُمْ أَحْسَنُوْنَ"، أي: وجزى الذين أحسنوا في عبادة الله تعالى قولاً وعملاً، واعتقاداً، وإخلاصاً، للإنسانية، ومتابعة لسره، وأحسنوا إلى عبد الله بأداء حقوقهم؛ قولًا وعملًا وبدلاً للندى، وكفاً للذئب.

"وَلِلْحَسَنِيْنِ": صيغة تفضيل على وزن "فَعَل". تأتي "أحسن" أي: النبي لا أحسن منها ولا أفضل ولا أكمل.

والمراد ب"الحسنِيْن": الجنة، كأ قال عز وجل: "لَيْلَيْنِ أَحْسَنَا مَثَلًا وَرَبِّيَادًا".
سورة النجم: الآية: 31

(1) سبب تخرجيه.

(2) آخره البيخاري في الصوم 400، ومسلم في الصيام 1151، وأبو داود في الصوم 2363 ونسائي في الصيام 1215، والترمذي في الصوم 764، وابن ماجه في الصيام 1638.
المسلمين، كالزنا واللواء، كما قال تعالى: "ولا تقرر أو رأى إني كنت منفعة وسادة سبئا" [الإسراء: 32]، وقال تعالى: "ولو أذاذ قال لقومه أتآهتم أنفسكم ما سبقكم وما منكم أحلما من أهل السوء بل أشد قوم مشرقون" [الأعراف: 80-81].

ولقد اختالف أهل العلم في تحديد الكبيرة على أقوال عدة، أظهرها: أن الكبيرة ما ترب على حال في الدنيا، أو وعدي في الآخرة، من غضب أو عزة أو نار أو عذاب ونحو ذلك. وهي كثيرة غير محصورة بعدم معين على الصحيح، فهي محدودة لا محدودة).

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: "قال النبي ﷺ: (ألا أنبكم بأكبر الكبائر ثلاثا) قالوا: يا رسول الله قال: "الإمارة والله وعقوب الوالدين، وكان متكنًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور قال: فما زال يكرره حتى فلنا ليته سكت".

وأبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أجبناها السبع الموقات" قالوا يا رسول الله وما هم؟ قال: "الشرك بالله، والسبر، وقتل النفس التي جرح الله إلا بالحق، وأكل الرياء، وأكل مال البيتهم، وال틀وي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغائفلات المؤمنات".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار".

(إلا أظلم) استثناء منقطع؛ لأن اللهم ليست من كبار الذنب والفواحش، بل المراد بالله صغار الذنب التي قد يهم بها الإنسان، ولا يسلم منها غالبًا.

قال ﷺ: "إن تغفر الله تغفر جماً، وأي عبد لك لا ألم".

(1) راجع الكلام على قوله تعالى: "إن تجدنا صبورًا تشهدن مأثرون عنده تكبيرًا عاكسيكم سجىكم" [النساء: 31].
(2) أخرج البخاري في الشهادات 2654، ومسلم في الإبان 678، والترمذي في التفسير 2019.
(3) أخرج البخاري في الوصايا 2767، ومسلم في الإبان 89، وأبو داوود في الوصايا 2874.
(4) أخرج الطبري في جامع البيان 51/6.
(5) أخرج الترمذي في تفسير سورة النجم 3284، من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: "حسن صحيح غريب"
وعن ابن عباس رضي الله عنها قال: ما رأيت شيئا أشبه بالللمم بما قال أبو هريرة
عن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنة، أدرك ذلك لا مالا،
فزن العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تنمي وتشتكي، والفرج يصدق ذلك أو
يكنبه"(1).

قال ابن كثير (2): "الللمم صغار الذنوب ومجرات الأغلال".

وليس المعنى أنهم لا يجبون الللمم ويتعمدون، فقد قال ﷺ فيها رواه عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه: "إياكم وخمرات الذنوب، فإنكم تبتمن على الرجل حتى
يحلن، وإن رسول الله ﷺ ضرب هن مثلاً، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضروا صنع
القوم، فجعل الرجل ينقلق في جميء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواً،
فأجروا نارًا وأضجروا ما قذفوا فيها"(3).

والمعنى: أنهم يجبون كبار الأثم والفواحش، ولكن قد يقع منهم الللمم، وصغار
الذنوب ما لا يسلم منه أحد غالبًا.

ـ(1) أخرجه البخاري في الاستذان - زنآ الجوارج دو الفرج 3642، ومسلم في القدر - باب قدر علي
آدم حظه من الزنا 3607، وأبو داود في النكاف 2152، وأحمد 2/276.
ـ(2) في تفسيره 4359.
ـ(3) أخرجه أحمد 502 في 401، والطبراني في الكبير 261.

وأخرج أحمد أيضًا 531 والطبراني في الكبير من حديث سهيل بن سعد رضي الله عنه، وقال الهيثمي
في "مجمع الزوائد" 190: "رواه أحمد ورواه رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من
طريقين، ورواه أزدهرها رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن الحكم وهو ثقة"، وقال ابن حجر في "فتح
الباري" 11/372: "إسناده حسن".

وأخرج أحمد أيضًا 6/670، 671 من حديث عائشة رضي الله عنها، وكذا ابن ماجه في الزهد - باب ذكر
الذنوب 4242.
إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكثرات لما بينهم، ما لم تغش الكبائر. (1) وقيل المراد بالللم الذي يلم بالذنب مرة واحدة ثم يدعه ويتوب منه. والأظهر القول الأول، وهو قول الجمهور؛ لأن الذنب الكبائر والفواحش وما دونها كلها وإن تكررت تقبل النوبة منها إذا كانت النوبة نصوها حتى الشرك بالله.

قال ابن القيم (2): «والصحيح قول الجمهور: أن اللهم صغرى الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة، ونحو ذلك هذا قول جهور الصحابة ومن بعدهم».

وقد حكي عن أبي إسحاق الأسفريحي قوله: اللهم كلها كبائر وليس فيها صغرى، قال ابن القيم بعد أن ذكر هذا القول (3): «فليس مراده أنها مستوية في الإثم، بحيث يكون إثم النظر المحرم كإثم الوطء من الحرام، وإنما المراد أنها بالنسبة إلى عظمة من عصي بها كلها كبائر، ومع هذا فبعضها أكبر من بعض، ومع هذا فالأمر في ذلك لفظي لا يرجع إلى معنى إلى أن قال: ولكن النصوص وإجماع السلف على انقسام اللوم إلى صغرى وكبائر».

على أنه قد يتناول اللهم الصغرى، ومن قبل الكبيرة، ثم لم يعد إليها فيما يتناول اللهم هذا وهذا؛ لأن من ارتكب الكبيرة مرة واحدة، ولم يصر عليها، ولم يعد إليها فهو حري بالمغفرة، ولهذا اعتبر بعض المفسرين اللهم أن يلم بالذنب مرة ثم لا يعود إليه، وذلك أن الذنوب وفي مقدمتها الكبائر إنها تغلف وتعظم في حق من تكررت منه أو أصر عليها.

قال ابن القيم (4): «فأقول ذناب إن لم يكن هذا اللهم فهو من جنسه ونظيره فالقولان متفقان غير مختلفين».

1.4 ورَبِّ اذْعَرْنَاهُمْ مَّنْ أَهْلَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، 2.4 المغفرة: سُرَّ اللَّهُ عَنِ اللَّذَّينَ هُمْ مَطْقَاقُانَ، 3.4.5 ، 2.33 ، 2.186، 2.300 إلى، 2.301 إلى

(1) أخرج محمد في الطهارة، فضل الوضوء، والصلاة عليه، والترمذي في الصلاة 214، وابن ماجه.

(2) إنظر: بدعات التفسير 2/202.

(3) إنظر: بدعات التفسير 3/200.

(4) إنظر: بدعات التفسير 4/203.
سورة النجم، الآية 31:

كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل يبدئ يوم القيامة المؤمن حتى يضع عليه كفته - أي: ستره ورحمته - ويقرره بذنوبه فقول: يا فلان أندثر ذنب كذا وكذاك؟ فيقول: أرب نعم. فقول الله عز وجل: أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم".

فهو عز وجل واسع المغفرة، أي: أن مغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها.

كما قال عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ الْذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ الْغُفَرَانُ الْأَعْصَمُ إِلَّا ذَاتَ الْقَرَآنِ" [الرعد: 32]، وقال عز وجل: "وَزُوَّدَ الْمُفْتَوَرُ دُوَّارًا مَّجِيِّلًا" [الكهف: 88].

وأما قال رجل: والله لا يغفر لفلان متعاظمًا ذنوبه. قال الله عز وجل: "من ذا الذي يتلَّى على أن لا يغفر لفلان فإني قد غفرت له وأحبَّت عملِه".

بل إنه عز وجل من فضل ووجوده وكرمه يبدي سبئات من تاب إليه حسنات كا قَالِ عِنْدَ الْكَحِيْلِ: "وَلَيَنَاظِرُوا بِغَيْبَاتِ الْجَاهِلِينَ يَمْسَكُونَ الْجَهَلَةَ وَلَا يَنفِقُونَ وَيَقْطَعُونَ الْإِثْمَ وَيَتَّقُونَ" [البقرة: 71].

ومن أدرك القلق، وعهد بالزم وصلة، ودع أمل، فذَٰلِكَ رُسُولُ اللَّهِ ﷺ مَن تَاب وَعَمِلَ صَلِيحًا فَيُصَلِّي إِلَى اللَّهِ مَسَاتَابًا [الفاروق: 67-70].

ومغفرته عز وجل أثر من آثار رحمته فهو عز وجل أكرم الأكرمين وأجود الأجداد وأرحم الرحمين، خير الغافلين، لا يهلك عليه عز وجل إلا هالك. فكيف لا يطمع بفضله وكربمه، بل كيف يعنى أمره، ويفرط في جنبه، وهو عز وجل يغفر الذنوب جميعًا، بل يبديها حسنات.

وإن من ضعف البصرة ومن الحيرة والخفلان أن يغفل الكثيرون عن هذه المعاني في صفاته عز وجل مما يجعلهم لا يقدرون الله حق قدره، ويقعون في معصيته،

(1) سبيط ترجمة.
(2) أخرجه مسلم في البداية واللاحقة، 2/261 من حديث جندب رضي الله عنه.
ونقصون في طاعته، ويحرمون أنفسهم واسع مغرفة. ويلتزا تجانب الحق والصواب، فف أخى الكريم وتأمل عظمة الخالق وفضله ووجوده وكرمه، وانظر كيف يتعامل الخلق الضعاف مع بعضهم.

ترى الكثير من الناس إذا حصل له من أخيه هفوة يعظم عليه العفو عنها، وإن عفا عنها رأيتهم بذل ذلك ويكبر ذكره. فتعال وتقدس الكريم الجواد- سبحانه الذي يغفر الذنوب جميعًا، ويعفو عن السيئات، بل ويبدله حسنات، ولهُ الخلقاء في أيديٍّ الله والأرض. وهو الله المحيط الحكيم.

[الروم: 27].

وبالمقابل ترى من أحسن إليه أحد الخلق بشيء من الإنسان يكرر ذلك ويقول:

يا أبا فلان والله ما أنسى فضلك ومعروفك حتى أواري في قبري.

فيا للعجب أليس الإنسان والفضل والمعروف كله من الله عز وجل، وإنما الخلق قد يكون سببًا في حصول شيء من ذلك، والحسن والمتفضل وصاحب المعروف كله هو الله عز وجل فتأمل أخي هذا المعنى قال تعالى: "وما أقدرُ على الله حقَّ قدرِهِ" [الأنعام: 91].

ولكن ينبغي أن يعلم العبد أن الله عز وجل- وإن كان واسع المغفرة ورحمة تسبق غضبه- إلا أنه شديد العقاب.

ولذلك لترى النصوص من الكتاب والسنة تذود الناس ومحاصرهم بين هذين الأمرين المغفرة والعقاب لكي تستقيم حال المؤمن في طريقه إلى الله بين الخوف والرجاء ولهذا قال: "لو علم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما تعبد بجنته أحد، ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قتم من جنته أحد«(1).

قوله تعالى: "هو أعلم بكُم ما بين الأرض والسماء" يشير إلى أنه يحبب الله آمنًا فيه في ظل أمهاتهم. أي: هو سبحانه وتعالى أعلم بكُم، ويحاولكم جميعًا، وأطوار خلقكم حين أوجدكم وخلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم من التراب، وحين كتم أجتنا في بطن أمهاتكم.

كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق.

(1) أخرجه مسلم في التوبة ٢٧٥٥، والترمذي في الدعوات ٣٥٤٢، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
المصدر، قال: "إن أحدثكم يجعل خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم علقة مثل ذلك
ثم مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إلى الملك فيكتب رزقه وأجله، وشقي أو سعيد" (1).-test
والآجنة: جمع جنين وسمي الطفل في بطن أمه جنينًا; لاستثماره في الظلال
الثالث، كما قال عز وجل: "يَنْعَمُّكُمِ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَهُمُّ بَيْنَ يَدَيْنَ وَبَيْنَ يَدَيْنِ".[النور: 21] ظلمة الريح، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة.
وهذه المادة "جن" معناها: استثمار، ومنه سمي العقل: "جنانًا"; لاستثماره، وسمي
الجن "جنًا"; لاستثماره، ويقال: جن الليل، إذا غطى الكون بظلاله، وسمي "المجن "مجنًا" لأنه يستثمر به من ضرب السهام ونحو ذلك.
والمعنى: أنه عز وجل أعلم بهم وليا قد مكمنه اجتنابه، وليا قد يعلمون به مما لا
يكد يُسلم منه غالبًا; لأنه سباقله العالم بحقيقة أحوالهم وأطوارهم، كما قال عز
وجل: "أَلَا بِيَدَيْنَ مِنْ حَيٍّ وَقُرْنَاءِ الْإِنْرِيْرِ".[الملك: 14]; وهذا قال هنا:
قَالَ "فَلا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ"، أي: فلا تزرعوا أنفسكم بزعم طهارتها، وسلامتها من اللوم،
ومدحها بها ليس فيها، والأن بعملها والمرأة والسمعة في ذلك، وقد قال:
ومن هذا(freq.0) الذي ترضى سجاه كلها كفى المرء نبأ أن تعد معايشه (2)
وأيضاً لا يرك ببعضكم بعضًا ويدعو بعضكم بعضاً بما ليس فيه.
وعلى هذا يكون قوله: "فَلا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ" كقوله تعالى: "فَسَيُعْلَمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ".
فالنتهي في الأمل عن تركية النفس، وعن تركية الغير، لما يترتب على تركية النفس
من بطلان العمل وحبوبه; لأن معنى العبادة، بل لها الخضوع والذل والاقتراب إلى
الله، والانكسار بين يديه; رجاء رحمة، وخوف عقابه، والمزكي لنفسه بمقام المعجب
بعمله، المدلل على الله فيه، والله عز وجل غني عن مثل هذا العمل.

(1) أخرج البخاري في القدر 594، ومسلم في القدر 2644، وأبو داود في السنة 470، والترمذي في
القدر 137، وابن ماجه في المقدمة 76.
(2) البيت ليزيد المهدي. انظر: "التمثيل والمحاضرة" ص 92، "زهر الآداب" 1/55، " نهاية الأدب" 3/94.
ونился أحدًا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغذدني الله برحة منه وهو ضلٌّ.

وتركية النفس إضافة إلى ما سبق صفة مدمومة مmóمه عند الناس ذوي الفطر السليمة، لا يطلبون بل يكرهون صاحبتها، وهذا تجدهم يفروون من المجالس التي يكون فيها من هذه صفة. يتصدر أحدهم المجالس، ويقول: أنا فعلت كذا، وأنا قلت كذا، وأنا، وأنَا.

والناس في هذا بين مستقل ومستكثر، وقل من يسلم من ذلك؛ لأن النفس جبّت على حب الظهور، والانتصار لنفسه، ولو كان ذلك بالباطل، إلا من رحم الله فوقع في معرفة قدر نفسه، ومتهى ضعفه، والاستكانة لربه.

فتش في جوانب نفسه واحذر من غلائها وكبرائها وتعاظمها، وألزمها طريق الاستقامة بالنذور والخضوع والانكسار بين يدي الله عسى أن تسلم من شرها وما إخالك سلامًا.

أما تركية الآخرین فقد نهى الله عنها لما قد يسبب عنها من اغترار المزگ بعمله، فيكون ذلك سبباً لهلاكه وهذا جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عن صاحبك- مرازاً» إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه، لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا- والله حسبه، ولا أزكي على الله أحدًا- أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»(2).

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: «أمرا برسول الله ﷺ أن نحثي في وجه المدائن التراب»(3).

---

(1) أخرج البخاري في المرضي 683، ومسلم في صفة القيامة 2816، والنسائي في الأديان وشراوته 2734، وأبو ماجه في الزهد 442، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرج البخاري في الشهادات 2762، ومسلم في الزهد- النبي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه الفتنة على المدفوع 3000، وأبو داود في الأدب- كراعية النهاد 485، وأبي ماجه في الأدب- باب المدح 3743.

(3) أخرج مسلم في الزهد- النبي عن المدح 3002، وأبو داود في الأدب- كراعية النهاد 484، وأبي ماجه في الأدب 3742، وأحمد 6/5.
وعظم حرمة المدى في الرئة، وفيه مبادلة وخفيفت منه الفتنة على المدى،
ويكون الأمر ويسهل إذا كان من باب الفروض، وبهجة، لأجل شكره، والدعاء له،
وأو تقضي عليه بالخير، وتحكي ذلك، فقد يكون ذلك من عاجل بشري المؤمن كما جاء في
حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من
الخير ويجده الناس عليه، أو يجده الناس عليه؟ قال: ذلك عاجل بشري المؤمن»(1).
وهو أعلم بما أعلم، أي: هو سبحانه ربي أعلم بالذي اتقان من غيره، لأن
التقى ملحا القدم، وهو المقيم يدع الأحداث، فهو عز وجل الذي يزكي من يشاء
ويعلم المتقين من غيره، قال تعالى في سورة النساء: «إِنَّ اللَّهَ وَرَبُّكُمْ أَنَّى أَنْفُسُكُمْ بِهِ يُزَكِّي وَلَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ فِي الْحَقِّ يَضْرِّبُهُ بِالْعَذَابِ الْكَبِيرِ» [الأنبأ: 46]. وقال تعالى: «إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَلْفَ اْعْلَمْ مِنْ يَفْعَلْ عَن
سَبِيلِهِمْ وَهُوَ أَلْفَ أَحْسَنُ مِّلَّةٍ» [التحلي: 12].
وفي حديث زينب بن بني سلمة رضي الله عنها أنها سمعت (براء) فقال رسول الله
الله سواه: لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا به نسبيها، قال: «سموها
زينب»(2).
الفوائد والأحكام:
1- إثبات سعة ملك الله تعالى، وأن له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً
وتديباً؛ لقوله تعالى: «وَلَقَدْ كَانَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ».
2- أن الله عز وجل خلق الخلق ليعبدهو وليجري المحسن بالحسنى والمسيء بما
عمل؛ لقوله تعالى: «لِيَجْرِي الْأَلِيمِينَ أَنْ تَأْتُوا بِمَا عَصَيْتُوا وَيَحْرُرُوْ الْأَلِيمِينَ أَحْسَنْهُمْ إِلَيْهِمْ».
3- أن الجزاء من جنس العمل، وبقدرته، هذا في مقام العدل، أما في مقام الفضل
فإن الله عز وجل - يزيد ويضعف لم يشاء بفضله.
4- الوعد من أصابوا بالعقوبة، والوعد من أحسنوا بالجزاء والمثوبة؛ لقوله تعالى:
(1) أخرجه مسلم في البر والصلة 2142، وابن ماجه في الزهد 4275.
(2) أخرجه مسلم في الأدب - استحبаб تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير برأى زينب وجويرية
2142، وأبو داود في الأدب 4953.
5 - الآية التي يجتنبون كبار الذنوب والفواحش، وأن هذا من الإحسان:
لقوله تعالى: «لا يجتنبون كبار الذنوب والفواحش».

6 - عفو الله عز وجل عن صغار الذنوب ومغفرته لها إذا اجتنب الكبائر والفواحش؛ لقوله تعالى: «لا يجتنبون كبار الذنوب والفواحش إلا الله إن ربك وربكم المغفرة».

7 - التحذير من الإساءة، وارتكاب الكبائر والفواحش، والترف في الإحسان.

8 - إثبات ربوية الله - عز وجل - الخاصة لنبيه ﷺ، وتشرحه بإضافة اسم الله - أو
وصفه إلى ضميره ﷺ؛ لقوله تعالى: «إن ربك وربكم المغفرة».

9 - إثبات وتأكيد سعة مغفرة الله - عز وجل - وعلمه الواسع بأحوال الخلق وأطوارهم وقدراتهم، وأن الإنسان لا يسلم غالباً من الوقوع في بعض الصغائر؛ لقوله تعالى: «إلا الله إن ربك وربكم المغفرة».

10 - النهي عن تركية النفس بإطرائها، ومدحها فإن الله - عز وجل - أعلم بمن
انتهى؛ لقوله تعالى: «فلا تزروا أنفسكم هو أعلم به من أنت».

11 - أن تركية النفس حقيقة إنها تكون بتقوى الله - عز وجل؛ لقوله تعالى: «فلا تزروا أنفسكم هو أعلم به من أنت».

12 - علم الله عز وجل بأعمال العباد، وبمن انتهى، مما يدل على عدم مشروعية
النطق بالنائمة.
قال الله تعالى: {أَفْرَطَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَخْتَمَ ضِيَاقًا وَأَرَكَّبَهَا وَأَنْبِثَتْ عَلَىِّ الْخَيْبَةِ}، زُوِّدُي على مجاهد وابن زيد أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان اتبع رسول الله ﷺ فعَّاره بعض المشركين وقال: لم تركن دين الأسياخ ونزلهم وزعمت أنهم في النار؟ قال إن خشي عذاب الله، فضمن لهم إله هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عذاب الله، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له، ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات (1).

 قوله: {أَفْرَطَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ} الاستفهام للإِنكار المشرب بالتعجب من هذه حاله، والخطاب للنبي ﷺ، ولكن من يصلح له، والمعنى: انتظر إلى من هذا حاله منكرًا عليه ومعجبًا منه حامدًا لربك على ما من به عليك من الهداية.

 فالواجب على من هداه الله ووفقه أن ينكر على العصاة، وأن يناصحهم ويبينهم الحق ويأمرهم بالرجوع إليه، وأن يمحمد الله عز وجل على ما من بع عليه من الهداية، وأن لا يتعاظم أو يتعالى بعمله، فقد له أن يهدوهم الله ويشله.

 عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {من رأى صاحب بلاء، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما أتيلك به، وفضلني على كثير من خلق تفضيلًا، إلا عوفي من ذلك البلاة كأشن ما كان ما عاش} (2).

 ولما قال رجل: {وأي الله لا يغفر الله لفلان}. قال الله عز وجل: {من هذا الذي يتألق عليه}.

 ألا أغرف لفلان، إن قدر فغرفت له وأحبعت عملك (3).

 وقد قيل:

(1) أخرجه منها الطبري في جامع البيان 27/2.

(2) أخرجه الترمذي في الدعوات 1431، وقال حديث غريب: وروى أنه يقول ذلك في نفسه ولا يسمع صاحب البلاة.

(3) أخرجه مسلم في البال والصلة والأداب 761، من حديث جندب رضي الله عنه.
إِحْذِرِ لَسَانَكَ أنْ تَفْتَسِرْ فِي بَلَاءِةَ مِكْكَالٍ بِالْمَنْطَقَةِ ¹

وَمَعْنَى «آَلِيَاتُ ٍ» أَيْ: الْكَيْفُ أَعْرَضَ عَنْ الحَقِّ وَتَرَكَهُ بِقَلْبِهِ وَجَوَارِحُهُ.

وَأَطْلُقُ ْفِيلَانِ» أَيْ: أَطْلُقُ قِيلًا مِنَ الطَّاعَةِ وَالإِنْفَاقِ.

وَأَطْلُقُ ْفِيلَانِ» أَيْ: تَرَكَ وَقَطَعَ وَمَنَعَ الْخَيْرَ، يَقُولُ: أَكْدَى الْرَجُلُ، أَيْ: قَلْلَ خِيرَهُ.

فَقَالَ الْخَيْسِرَ فِي أَخْيَاهُ صَحَرُ:

فَتِئُ الفَتيَّانِ مَا بَلَغَهُمَا مِنْدَا، وَلا يُكَيْدُونَ إِذَا بَلَغْتُ كَذَا كَذَا ².

أَيْ: لَا يَقْطَعُ عَطَاهُ، وَلَا يَمِسَّهُ عِنْهَا إِذَا قَطَعَ غِيْرَهُ وَأَمْسِكَ.

وَالْكِتَابُ دِينُ الْأَرْضِ: الْأَرْضُ الْنَّفْعُ النَّفْعِ الْغَلِيظةِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَطْلُقُ قِيلًا ثُمَّ قَطَعْهُ» ³.

«أَعْنَدُ» الإسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ وَالْنُفْيِ.

وَالْعَلَّمُ: أَعْنَدُ هَذِهِ الْكُبْرَى، أَيْ: عَلَمَ مَا غَابَ عَنْ الحَوَاسِ، مَا لَا يَعْلِمُهُ إِلَّا اللَّهُ سَيِّبَانَهُ وَتَطَالَعُ.

وَالْعَلَّمُ: أَعْنَدُ هَذِهِ الْكُبْرَى، أَيْ: عَلَمَ مَا غَابَ عَنْ الحَوَاسِ، مَا لَا يَعْلِمُهُ إِلَّا اللَّهُ سَيِّبَانَهُ وَتَطَالَعُ.

وَالْإِنْفَاقُ عِنْهَا إِذَا قَطَعَ غِيْرَهُ وَأَمْسِكَ.

وَالْإِنْفَاقُ خَيْرُهُ لِأَلْحَمِيرُ وَأَلْصَحِّ، أَوْ أَنْ سَيِّفُهُ مَا عَنْهَا وَيَفْتَقُرُ لَهُ الْإِنْفَاقُ، أَوْ أَنْ أَحْدَثُ مَنْ اسْتَحْمَلَ عِنْهَا عَذَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ أَنْ سَيَجَازِي بَعْسَيْ غِيْرِهِ، أَيْ: لَيْسَ الأَمْرُ كَذَا كَذَا وَإِنْ يَحْلِي عَلَى التُّوْلُى وَالإِنْفَاقِ الكَبْرِ وَالْعَنَادِ، وَمَنْ يَنْعِهِ عِنْهَا إِذَا قَطَعَ غِيْرَهُ وَأَمْسِكَ.

وَقَالَ عَزُوْجِلٌ: «وَمَا أَفْقَهُ مَنْ تَمَىٰهُ» وَوَقَحُّهُ الْمَرْفَقَةُ [سَب: ٣٩].

وَقَالَ: «مَا نَقَضَتْ صَدْقَةٌ مِنْ مَالٍ» ⁴، وَفِي رَوَايَةٍ «مَا نَقَضَتْ مِنْ مَالٍ»، بَلْ
تذده بل تزدهٔٔ(١). والقول: "أَنْفُغْ يَا بْنُ آدَمْ يَفْقَعَ عَلَيْكَ"(٢).

"اَمْ أَلَمْ يَنْتَهَىٓ بَيْنَا فِي سَحْفِ مُوسى لِلْإِسْتِفْهَامِ لِلإِنْكَارِ، وَالْبَصَرُ: بَلْ أَلَمْ يِنْبَأْ بِهَا فِي سَحْفِ مُوسى، أَيْ: مَثْلُهُ في سَحْفِ مُوسى، وَهِيَ "صُحْفُ مُوسى""(٣) مَوْصِلَةُ، أَيْ: الَّذِي فِي سَحْفِ مُوسى، وَهِيَ التُّوْرَاةُ، وَقِيلَ غَيْرُهَا "صُحْفُ إِبْرَاهِيم"، أَيْ: وَبِمَا فِي سَحْفِ إِبْرَاهِيمِ الحَلِيلِ عَلَى الْسَّلَامِ الَّذِي أَنزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى، كَمَا كَانَ تَعَالَى: "إِنَّ هَذَا لَهُ الصَّحِيفُ الأُولُ"(٤) صُحْفُ إِبْرَاهِيمِ وَمُوسى"(٥) الأَعْلَى:١٨،١٩.

وَإِبْرَاهِيمَ أَفْقَدْ زَمَنًا مِن مُوسى عَلَى هَا الصِّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَفْقَدَ مَنْهُ، فَهُوَ ثَانِيٌ أَوْلِيّ العَزْمِ مِنْ الرَّسُولِ بَعْدَ عِبَادٍ، وَمُوسى ثَالِثِهِمْ، وَإِنَّهُ جَدَّ مُوسى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَاللَّهُ عَلِيمُ، مَرَاعَةُ لِلفَوَاصِلِ، وَلَمَّا نَمَسَّهَا خَمَسَ الدَّيْنَيْنِ بِالشَّيْرِ عَلَى إِبْرَاهِيمٍ بِقُولِهِ: "اللَّهُ وَقُرْآنٌ،" أَيْ: الَّذِي تَمَّ مَرْجُوعُهُ مَا أَمَرَهُ، وَوَفِي وَطَأَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَأَنَّهُ أَلَّمْ يَنْبَأْ بِهَا فِي سَحْفِ مُوسى، وَقِيلَ عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِذْ أَنْبِثَ إِبْرَاهِيمُ رَبُّكَ نَبِيًّا مَفْتَحِمًا"(٦) [الأَلْبَارَةٍ:١٤]. وَوَفِي بَعْضُ الْآيَاتِ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِبَذِيْحِ إِبْنِهِ إِسْعَايٍ عَلَى هَا السَّلَامِ.

وَهُذَا وَصِفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقُولِهِ: "إِنِّي إِبْرَاهِيمُ كُنتُ أَمَرُّكَ أَمَامًا لِلَّهِ حَفِيظًا وَلَنْ يَكُنْ مِنَ النَّكَرَانِ"(٧) سَاحِرًا لِلَّهِ وَفَخَرًا لِلَّهِ وَهُدِيَّةٍ إِلَى بَيْتِ مُسْلِمِينَ(٨) وَمَا تَبْنَىَنَا فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ إِيْلَيْكَ أَنْ أَنْبِثَ مِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيًّا حَيًّا وَمَكَانًا مِنَ النَّزَلِينَ(٩) [الْحَجَّ:١٩٠-١٩٣].

"أَلََّهُ وَرَبُّنَا وَزَادَنَا ذَكْرَيْنَا" هِذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدُهَا مَا أُوحِىَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَحِيفِ إِبْرَاهِيمِ وَمُوسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْزَارُ وَالطَّبِرِيُّ فِي الْمَجِيِّلِ الْكِبَرِيَّ، وَأَبُو يَعْلَمُ اِبْتُرَاءٌ: الْكَثِيرُ الْمُتَحَدِّثُ الْبَيْتِيُّ لِلْيَمِينِ بِنِبَأِ قَدِيدِ حَدِيثٍ ١٣٩٩/٧.  
(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْكَرِيُّ فِي الْبَحْرِ الْكِبَرِيَّ، وَأَبُو يَعْلَمُ اِبْتُرَاءٌ: الْمُلْكِيُّ لِبَيْتِ الْبَيْتِيُّ لِلْيَمِينِ بِنِبَأِ قَدِيدِ حَدِيثٍ ٥٣٥٢، وَالْمُتَحَدِّثُ الْبَيْتِيُّ لِلْيَمِينِ بِنِبَأِ قَدِيدِ حَدِيثٍ ٤٥٠، وَابْنُ مَعَجِّرِيٍّ فِي الْمَجِيِّلِ ١٩٧، مِنْ حَدِيثٍ أَبِي هِرَيْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وعنيَّ {الأَنَّارِ} أي: أَلَا تَحْمِلُ وَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِقُولُهُ: {الأَنَّارِ} من باب المشاكلة لما بعده- وَلله أَعْلَمُ كَيْ فِي قُوَّةٍ تُقَالُ: {وَكُرَّوْاْ سَنَّتَيْنِ سَيَتَّلُاهَا} [الشَّرَابٍ: 44] وقَولُهُ: {وَإِنَّ عَافِينَ فَعَافِيْتُوْ يِنْبِيْتُ مَا عَفُوْتُمُّ مِّن يَوْمٍ} [النَّحل: 126].
وَالعْنَبَيْنِ: أَن لا تُحَمِّلِ نفس وَازِرَةً، أَي: مَذْنِيَّةً.
وَرَمَّتْ أُمَّيَّةً: أَي: ذُبَّت نفس أُخْرَى، كَذَا قَالَ عَزِّ وَجَلَّ: {وَإِنَّ تَغَيَّرَ مَعْلُوْ مُنْ بَإِنْ جَلَّا أَلَّا يَحْمِل مِّنْهُ شَيْءًا} [غَافِرٌ: 18] وقَالَ تَعَالَى: {كُلُّ شَيْءٍ يُنَابِعُ رُحْيَةً} [المُدْرَكِ: 282].
فَمَنْ فَمَنْ وَكْلَامُ عَلِدَة عَزَّ وَجَلَّ أَن لا يَؤْخَذ وَيَعَاقِبُ أَحَدٌ بِجَرِيرَةِ غَيْرِهِ، حَتَّى مَعَ الكَفَّارِ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: {وَلَا يَجُوعُنَّكُمْ سَنَّاتَنَّ أَوْ قُوَّةً أَن صَدَّصْتُمْ عَنِ السَّيْدَجَ} [النَّاسٍ: 26] أَي: أَلَا تُحَمِّلِنَّكُمْ بِغْضَ قُومٍ بِسَبْبِ صَدِيحٍ لَكُمْ عَنِ السَّيْدَجَ الحَرَامَ عَلَى الْاَعْتِدَاءِ عَلَى غَيْرِهِمَا.
وَهَذَا يَدِلَّ عَلَى سَفِهِ قَولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْذِينَ آمَنُوا: {كُفُّواْ سَيَاسَانَا وَلْتَحْمِلَ خَطْلٍ كُنْ} حُكْمَهُمْ، وَهَذَا رَدٌّ رَبِّهِ عَلَيْهِم بِقُولِهِ: {وَمَنَّ هُمْ يَسِيلُونَ مِنَ حَمْلُهُمْ مِنْ تَحْلُّهُمْ إِنَّهُمْ لَكُنَّى} [الْعَكْبَاتِ: 12]
وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}, أَي: أَنْ وَأَنْ جِبَاءٌ فِي صَحِيفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسِى
عَلَى هَالِمِ السَّلَامُ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى,
وۡمَا مَصْدِرِيَةٌ، أَو مَوْصِلَةٌ، أَي: إِلَّا سَعِيْتُ أَو إِلَّا الذِّي سَعَى،
فَلِيسُ يَحْلِلُ لِلْإِنسَانِ إِلَّا ثُابَ سَعِيْهِ وَعَمْلِهِ فِي هَذِهِ الْخَيْرَةِ، كَأَلَّا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ,
{يُؤْمِنُ بِذَلِكَ حَسْتَ نَفْسٍ مَّالِيْمَتٍ مِّنْ حَيَّبٍ خَيْرٍ هُمْ} [آَلِ عُمْرَانٍ: 320].
وَقَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: {يَا عَبْدِي إِنَّهُ هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْنَاهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيَرًا فَلْيَحْمِدَ اللَّهَ وَمِنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلْوَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ}.

(1) خَرَّجَهُ مَسْلِمُ بْنُ الْعَلِيِّ بِالْبَنْجَارِ الْعَلِيِّ بِذِي الْعَلَامَةِ الْبَشِيرِ الْبَشِيرِ الْبَشِيرُ وَأَبِيْنُ مَاجِهَ.، فِي الْزَّهَدِ: 245، مِنْ حَدِيثِ أَبِيْ دَرْضُ اللَّهِ عَنْهُ.
ومن سعي الإنسان وعمله ما كان هو سبحانه فيه، فإن ثوابه يصل إليه وهذا قال صالح يدعو له (1).

فهذه الأعمال الثلاثة كلها من عمل الإنسان وكسبه، وهذا قال في الولد:

«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه» (2).

ومن ذلك الدعوة إلى الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، و نحو ذلك.

قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (3).

وهكذا كل ما كان الإنسان سببًا فيه فهو داخل ضمن سعيه ويتصل ثوابه، فدعاء المؤمنين له يصل إليه ثوابه؛ لأنه بإباءه سعي في هذه الأخوة بينه وبينهم وانتظم في عدادهم فشمله دعاومهم، وكذا دعاء من أحسن إليهم يقوله أو فعله أو ماله أو جاهه أو غير ذلك فإنه يصل إليه ثوابه؛ لأنه بإحسانه إليهم تسبب لنفسه بهذا الدعاء، فصار من سعيه.

ومن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده- رضي الله عنه- أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينهر مائة بنت، وأن هشام بن العاص نحر حسنه بدنة وأن عمرًا سأل النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال: «أما أبوك فلما كان أقر بالتوحيد فصمت و تصدقت عنه نفعه ذلك» (4).

(1) أخرجره مسلم في الصحبة- ما بلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 1631، وأبو داوود في الوصايا 2880,

(2) أخرجره أبو داوود في البيعة 3528، والنسائي في البيعة 3449، والترمذي في الأحكام 1358، وابن ماجه في التجارب 2137، وأحمد 1/ 31، من حديث عائشة- رضي الله عنها- وقال الترمذي: «حسن صحيح».


(4) أخرجره أحمد 2/ 182 وقال في مجموع الروايتين 2/ 192: «رواه أحمد، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو

madins».
فلو أتي بالسبب وهو الإيام والتوحيد لكان قد سعى في عمل يوصل إليه ثواب الصوم والصدقة عنه.

وهكذا كل ما دل الدليل على وصول ثواب للغير كالصدقة والصوم والحج ونحو ذلك، مما هو خصص لعموم الآية.

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي افتلت نفسها(1) فآتت ولم توص، أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم»(2).

وعن ابن عباس رضي الله عنها قال: «كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجأتاه امرأة من خشيّم تستقبه، فجعل الفضل بن عباس ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجهه إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله علٌ عباده بالحج أدركت أبي شيئًا كبيرًا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، فأحج عنه؟ قال: «نعم»، وذلك في حجة الرذاع(3).

وعن ابن عباس رضي الله عنها أن أمرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم»، حجي عنها، أرأت لو كان على أمك دين أكان فاضيت؟ أقضوا الله، فله أجح بالوفاء(4).

وعن ابن عباس رضي الله عنها أن رجلاً قال يا رسول الله إن أمي توفيت وعليها صيام، قال: «فصح عنها»(5).

---

(1) افتلت: ماتت فجأة.
(2) أخرجه البخاري في الجامع: موت الفجأة 8831، ومسلم في الزكاة-وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه 1004. وابن ماجه في العداصية-من مات ولم يوص هل يتصدق عنه 26. وأخبر أبو داود في العداصية-ما جاء فين مات من غير رضية يتصدق عنه 888. بنحو إلا أنه قال: «إن امرأة قالت: يا رسول الله».
(3) أخرجه البخاري في الحديث: وجب الحج وقضله 134، ومسلم في الحج-العاجز لزمامه أو هرم 1354، وأبو داود في الناسك 1889، والنسائي في الناسك 1105، والترمذي في الحج 948، وابن ماجه في الناسك 979.
(4) أخرجه البخاري في الحج 154، والنسائي في الناسك 1104، والبيهقي في النيابة في الحج-الحج عن المعضوب والميت: وفيه: «أن الحج الفرضة 179».
(5) أخرجه البخاري في الصوم 154، ومسلم في الصيام 148.
 وعن ابن عباس - رضي الله عنها - أن سعد بن عبادة استفتي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمس ماتت وعلى بها نذر قال: فاقفه عنها (1).
قال ابن القيم (2): تقوله تعالى: «أم أنتِ وأيما ورديً وأني نارٍ» وقاله: وَأَن لَّيْسَ إِلَّا الْإِسْكَنَى إِلَّا مَا سَعى»: آيات حكمتان يقتضيها عدل الرَّب تعالى وحكمته وكُيّاهه المقدس، والعقل والفطرة شاهدان بها.
فالثالثة: تقتضي أنه لا يعاقب بجرم غيره، والثانية تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله وسعيه، فالأولى تؤمن عبد من أخذه بجرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا، والثانية تقطع طمعه من نجاته بدفاؤه وسلبه ومشاريئه كأهاد أصحاب الطمع الكاذب.
فتأمل حسن إنجاز هذين الآيتين، ونظر إلى قوله تعالى:«مَنْ أَهْدَىٰ لِلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَذِبَ الْمَثْنَىٰ وَمَا كَانَ مُعَلِّمِيًّا لَّهُمْ حَتَّى يُعَلِّمَهُمْ» (15).
[الإسراء: 15].
قال: فحكم مباحاته لأعدائه بأربعة أحكام هي: غياب العدل والحكم:
أحدها: أن حدى العباد بالإياض والعمل الصالح لنفسه لا ليغره.
الثاني: أن ضلاله يوفاته ذلك وتخلفه على نفسه لا على غيره.
الثالث: أن أحدًا لا يؤخذ بجرية غيره.
الرابع: أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه برسالة.
فتأمل ما في ضمن هذه الأحكام الأربعة من حكمه تعالى وعدله وفضله، والرد على أهل الغزور والأطباع الكاذبة، وعلى أهل الجهل بالله وأسائطه وصفاته.
وَأَنْ سَعَيْتُوهُمْ سَعَيْهِمْ آي: سوف يرى في الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل: وَمَا أَعْمَلُوا فَأَتَىٰ أَنَّ اللَّهَ إِلَّا أَن يُعْلَمَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَيَشَفَّكُوٰمَا كَتَمَّ تَصَلُّونَ [التوبة: 50].
وقال عز وجل: يَوْمَ يُصَدَّرُ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ أَعْمَلَهُمْ [الزلزلة: 6].
(1) أخرجه البخاري في الوصايا 7611، ومسلم في النذر 3307.
(2) انظر بديع التفسير 4/7، 308-309.
وقال تعالى: {يرموه صَخْرَةً تشْكِلُ سَيْنَى مَعْيَنَتَينَ مِنْ خَيْرٍ تَعْصَرُ وَمَا عِيَانَتَينَ مَعْيَنَتَينَ مَعْيَنَتَينَ} [آل عمران: 30].

{ثُمْ جَعَلَهَا الْجَزَاءَ الْأَوْقَفُ} {أي: ثم بعد عرض عمله ورؤيته له يجازى عليه الجزاء الأوفي أي: الأوفر والأكمل بحيث لا يزاد فيه ولا ينقص منه، كما قال عز وجل:} {فَقَمْ يَعْمَلُ وَمَتَّعَالِ بَذَلُو غَيْرَ يَتَرَكُ وَمَن يَعْمَلُ وَمَتَّعَالِ بَذَلُو غَيْرَ يَتَرَكُ} [الزلزال: 7]. وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْحَرْقَ} [الطور: 21].

وهذا في مقام العدل، أما في مقام الفضل، فإن الله عز وجل قد يزيد في حسنان العباد ويعفو عن سيئاتهم ما هو دون الشرك، كما قال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُقْفُرُوْ لَهُ شَرَكًا وَيُغْفِرُ مَا مِّنْ ذَلِكَ لِكَانَ يَكُونَ} [النساء: 48، 111]، وقال تعالى: {فَلَيْتَنَا أَحْسَنَ الْمَسْنَى وَرَزِيَّةٌ} [يونس: 26].

وقال تعالى: {وَاللَّهُ يَضُرِّعُ الْمُسَيِّبَةَ} [البقرة: 261]، وقال تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يَضُرِّعُ الْمُسَيِّبَةَ وَيَضُرِّعُهَا مَنْ أَذَّنَ بِالْقُطْعِ} [النساء: 40]، وقال تعالى: {فَلَيْتَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَلَّمَ وَرَزِيَّةٌ} [النور: 28].

القواعد والأحكام:
1- الإنكار على من تولى الحق، وأعطى قليلاً ثم منع والتعجب من حاله والتحذير من مسلكه؛ لقوله تعالى: {أَنْرَوْهَا الَّذِي نُولِّي وَأَعْطُهَا قَليلاً وَأَكْذِبُ}.
2- اختصاص الله - عز وجل - بعلم الغيب دون جميع الخلق؛ لقوله تعالى: {يَعْلَمُهَا مَا عَلِمْتُ وَرَبِّيَّةٌ}.
3- إثبات صحف إبراهيم وموسى عليها السلام، وتوافقها مع القرآن الكريم في هذه الوصايا؛ لقوله تعالى: {إِنَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْنِي} [إصبع موعين] و{وَابْزِرُونَ الْآدَّى وَقَالَ}. 4- ثناء الله - عز وجل - على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بإمامه وإكائه ما أمر به؛ لقوله تعالى: {وَابْزِرُونَ الْآدَّى وَقَالَ}. 5- أن ذنب كل نفس عليها لا يحمله غيرها، وليس للإنسان إلا جزاء سعيه.
لقوله تعالى: "allaahu a’rahu wa Zar’u'ni. 6- وَأَن لَّن يُسَاءَ لِلْإنسانِ إِلَّا مَا سَعى - أن كل إنسان سيُرى عمله ويظهر، ويجزى عليه يوم القيامة الجزاء الأوفي.
لقوله تعالى: "wu’u’su’ ‘u'ru’ru’ru’ru’. 7- وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثم يُجْزَى الْجُزَاءَ الأُوْلِيَّ."

** * * **
قال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (آل عمران: 28).

وقال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (المائدة: 39).

وقال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (الأعراف: 136).

وقال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (البقرة: 282).

وقال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (المؤمنين: 31).

وقال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (الсуور: 34).

وقال تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ وَأَنْبَثَنَّكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً" (آل عمران: 36).

وغلى عز وجل المتناهى والمعاد والمصير والرجع والآب، وهو عز وجل جماع

الجزم بالأصر، وهذا ما يوجب تقوى الله عز وجل، ومرافته في السر والعلن إذ إن

مصهر جميع الخلقين ومرجعهم إليه، وطرقيهم عليه، فيجازيه بأعماهم، وفي هذا وعد

لمحسنين، ووعيد للمسيفين.

قال ابن القيم (1): "قوله تعالى: "وَقَدْ رَسَلْنَا لِرَبِّكَ الْمُنتَبِهِينَ" متضمن لكتن ظليم، وهو

(1) انظر "بديائع التفسير" 4/ 10.
سورة النجم: الآيات: 42-55

كان كل مراد إن لم يرد لأجله ويصل به فهو مضمول منقطع فإنه ليس إليه المتهي، وليس المتهي إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه فهو غاية كل مطلب، وكل حبوب لا يحب لأجله فمحبه عن عنا وعذاب، وكل عمل لا يراد لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محروم عن سعادته وفلاحه، فاجتمع ما يراد منه كله في قوله: (وانم من شئي إلا يغددا مرحليما) [الحجر: 21]. وأجتمع ما يراد له في قوله (وان أنزل ربك السما) [النجم: 42]. فليس وراءه سبحةه غاية تطلب، وليس دونه غاية إليها المتهي.

فكل حركات الإنسان وسكتاته ينبغي أن تكون في ذات الله وله. كي أن الأفكار والعمل تقف عنده - كي قال عز وجل: (لا تدمع عينك الاسصر وهو الراوي)، [الأعدام: 103].

وأي أنهرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبي السيف أنحكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليس تعد بالله وليته) 1).

(وأنسه هو أضحك وأبتكي ضمير الفصل (هو) للتوكيد، وهو كذلك في الجمل الآتية أي: وأنه هو لا غيره خلق المضادات، وأوجد المختلفات، وأضحك وأبتكي، أي: خلق في عباد الضحك وسببه وهو السرور والبكاء وسببه وهو الحزن. وقدم الضحك - والله أعلم - لأنه يدل على السرور وضد البكاء، وهذا آخره. وفي الآية تقرر لجوائز الضحك والبكاء عند وجود سببه، وقد كان النبي ﷺ ضحكه التبس) 2).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ.

1) أخرجه البخاري في بده الخلق- صفة إبليس وجنوده 376، ومسلم في الإياين- بيان الوضوء في الإياين بما يقوله من وجدها 134، وأبو داوود في السنة 472.
2) أخرجه الترمذي في المناقب 349 من حديث عبد الله بن الحارث بن جزيد- رضي الله عنه- قال: "كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تابنا" وقال الترمذي "حديث صحيح غريب".
وقال: يا محمد إننا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرض على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدأ نواجهه تدفقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: 

"وما قدروا الله حقيقة، والأرض جميعًا قضاءه، يوم القيامة، والسمووت مطوية بريفيته، سبحة الله.

وعلى عمقها، فيكونت" (المملوك، 6).  

وفي حديث أسامة بن زيد- رضي الله عنه- أن ابنة للنبي ﷺ أرسلت إليه أن ابنتها قبض فرغ إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقع، ففاضت عيناه صلوات الله وسلامه عليه، فقال له سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: "هذه رحمة جعلها الله في قلب عباده، وإنها يرحم الله من عباده الرحماء" (المملوك، 7).  

وقال ﷺ لما توفي ابنه إبراهيم: "إن العين تدعم، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربي، وإننا بفراغك يا إبراهيم لمحزونون" (المملوك، 8).  

وأنه "هو أمات وطيبة«، أي: أوجد الموت والحياة، كما قال عز وجل: "أنت الويج» (المملوك، 9).  

والموت: عبارة عن خروج الروح من البدن، ومفارقتها له، والحياة سر من أسرار الله- عز وجل- في خلقه، كلهم عاجزون عن معرفة كنهها، لا يعرف منها إلا أن الحي يأكل ويشرب ويتتحرك وينمو، فإذا مات انقطع ذلك كله، وقدم الموت لأنه هو الأصل، فإن الله- عز وجل- أوجد الإنسان من عدم.

قال تعالى: "هل أننا أرسلنا حين مـن الـذـهـب لـم يـكـن سـيـعا مـتـكـرـورًا" (الإنسان: 1)، أي: قد أتين عليه حين من الذهب لا ذكر له.

(1) أخرجه البخاري في التفسير 4811، ومسلم في صحيح البيهقي والجامع 2786، والترمذي في التفسير 3232.  
(2) أخرجه البخاري في الجامع، وابن ماجه في الجامع، وأبو داود في الجامع، والنسائي في الجامع، وابن ماجه 1878.  
(3) أخرجه البخاري في الجامع، ومسلم في الفضائل 3126، وأبو داود في الجامع، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(1) في "تفسير الكريم الرحمن" 7/220.
سورة النجم: الآيات: 42-45

{71}

{42} وكانوا يغتنمون من الغباث بيوتاً مأكولة {43} فأخذتهم الصيحة مصيبين

[الحجر: 80-82]

وقال عز وجل: {44} وأما ممن قصدتمهم فأستحثوا الميع على أهل الذئاب فأخذتهم صيحة

{45} أمزجوا عن أمر ربك فأخذتهم الصيحة وهم ينظرون] {46} [الفصل: 17]; وقال تعالى: {47} وما يؤمن إذ يقيل لهم ما نشأوا حق

{48} وهم نعج بين قلبتهم، أي: وقوم نوح - عليه السلام - أهلكهم الله ولم يبق منهم أحداً من قبل هؤلاء.

{49} إنهم كانوا لم أظلم وأتلقىهم: هم: ضمير الفصل للنوكب، وأظلم وأطيعي: كل

{50} منهما اسم تفضيل، أي: إنهم كانوا هم أشد ظلماً وطغيناً.

{51} والظلم: النقص، قال تعالى: {52} إن الله أعلم ما أظلمونه ولم تظروا نعمته {53} [الكافرون: 133].

{54} أي: ولم ينتقد منه شيئاً، وهو وضع الشيء في غير موضعه على سبيل التعدي، وأظلم

{55} الظلم الشرك بالله، قال تعالى: {56} إنك أليست وظلم عظيم {57} [القاض: 13].

{58} والطغيان: الزياقة وتجاوز الحد، ومنه قوله تعالى: {59} إنما لتقا آمناء حسنات في الجنة

{60} [الخاتمة: 11]; أي: لما علا الماء وارتفع وزاد عن حده.

{61} والمعنى: إنهم كانوا أشد ظلماً وطغيناً من عاد ونحوه، حيث أشركوا مع الله غيره،

{62} وتجاوزوا حدود الله في أمر ونهيه، وعصوا ومروا مع طول المدة التي مكثها نوح عليه

{63} السلام في دعوتهم، وتنويع أساليب الدعوة لهم، وهي ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال

{64} عز وجل: {65} ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، فلقيه في فهم الله سنتهم إلا خمسين عاماً فأخذتهم

{66} الطوفانات وهم طلعتهم {67} [العنكبوت: 14].

{68} وقد عدد لهم ونوع في طرق الدعوة وأساليبها، ورغبهم ورهبهم كما حكي الله

{69} ذلك عنه في سورة نوح، وغيرها، ومع ذلك كله لم ينجح ذلك فيهم: {70} قال إليه دعوت

{71} يوم عاد ونهاة {72} فهكذا نزلت دعوتكم {73} عز وجل {74} إداً وبداً، ونعلم فهمكم إنها {75} ملوك

{76} قلتم أستجيبوا رaghan {77} إنا كنا ورناك {78} {79} يرسل الظلم علّيك {80}
وقيل: إن الضمير في قوله: «إِنَّهُمْ كَأَوْحَانَا أَلَّمُ وَأَطَقُّ » يعود إلى قوم نوح ومن ذكر قبلهم في الأيام وهم عاد وثمود وعليه يكون المعنى: أن هؤلاء الأقوام أظلم وأطغى من قريش، فيكون فيهم تسلية النبي ﷺ.

والمؤمنة» وهي: قرى قوم لوط - عليه السلام -، ومكانها غور الأدن، وهي المسئولة بالبحر الميت، ومعنی «المؤمئة»، أي: المؤجلة؛ لأن الله قلبها، وجعل عاليها سافلها.

(أُمَرُوهُ)، أي: أسفنتها عليهم كما قال تعالى: فلما جَآهَا أَمَّرَنَا جَآهُمَا عَلَيْهَا سَافَطُهَا (٨٦:٤) [الحجر].

وقال تعالى: فَحَتَّى يَفْتَنُونَهُمْ مِنْ أَمْرِ مَا كَانَ عِلِّيَّهُمْ (٨٦:٨) [طه].

فقال سفيان: أي: فغطاه، وما عَتَنَى مَأْوَى مَوْصِلَةً بمَعْنَى «الذي» للتهويل والعظيم، كقوله تعالى: فَغَشَّيْهمْ مِنْ أَمْرِ مَا كَانَ عِلِّيَّهُمْ (٨٦:٨) [طه].

وأي: غشياً وغطاً من العذاب الأليم والعقاب الوخيم ما لا يمكن وصفه من الحجارة التي أرسلها الله - عز وجل - عليهم ومطرهم بها، كما قال عز وجل: وَأَمَامَتُكُمْ مَطَارٌ فَسَأَلَّهُ مَطَارُ الأَمْسِيَاتِ (١٧٢:٤) [الشعراء].

وقال تعالى: وَأَمَامَتُكُمْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ مِّنْ سِجْيِلٍ مَّضْصُورٍ (٨٦:٢) [طه].

وقال تعالى: وَأَمَامَتُكُمْ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِّنْ سِجْيِلٍ مَّضْصُورٍ (٨٦:٤) [الحجر].

فقال سفيان: الفاء: رابطة جواب شرط مقدر، «بأي» اسم استفهام. 

(فَيَأْيَآ إِلهِيِّ رَبِّ نَشَأْتِي) ألفاء: لتوبيخ، و(فَأَذَّكَرْوَا إِلَّا أَلَّهَيْنِ جَمِيعًا) قال ربك، كما قال تعالى: فأذَّكَرْوَا إِلَّا أَلَّهَيْنِ مَلَكُوتَهُمْ [الأعراف: ٧٩]، وقال تعالى: فأذَّكَرْوَا إِلَّا أَلَّهَيْنِ وَلَا تَعْمَنَى فِي الأَرْضِ مَفَاتِيحُكَ [الأعراف: ٧٩].

وقال تعالى: فأذَّكَرْوَا إِلَّا أَلَّهَيْنِ مَلَكُوتَهُمْ. في موضع عادة في سورة الرحمن؛ وهذا كأن الجن تقول كيف سمعت هذه الآية من النبي ﷺ: ولا شيء من نعمك ربي.
نكتذب فلك الحمد

والخطاب في قوله: «فِيَّآ خَلَقَ الْإِنسَانَ،» لعِمَومِ الإنسان، أي: بأي نعم ربك أيا الإنسان وخلقه ومالك أمرك ومدبرك.

«نَشَأَ إِلَى رَبِّ الْكُلِّ،» أي: نشكك. فهو الذي خلق المتضادات كالضحك والبكاء، والموت والحياة، والذكر والأنثى من الإنسان والحيوان، وعلىه عبث الخلق بعد موته وهو الذي أعنه الخلق بالممال والرجز ووفر لهم من ذلك ما يتخذونه قنية يدنرونها، وهو رحب الشرع التي يعبدونها من دون الله، وهو الذي أهلع الكذبين من الأمم السابقة.

الفوائد والأحكام:

1- إبّات روية الله- عز وجل- الخاصة لنبيه عليه السلام، وتشريفه بإضافة اسم الباء أو وصفه إلى ضميره، وأن المرجع والمصير والمتنى إلى الله- عز وجل- فيجازي كلاً بها عمل، لقوله تعالى: «وَأَنَّهُ رَبِّكَ الْأَشْهَبِ.»

2- عظمة قدرة الله- عز وجل- في خلقه، وفي إيجاده المتضادات الضحك والبكاء، والموت والحياة والذكر والأنثى وغير ذلك؛ لقوله تعالى: «وَأَنَّهُ إِلَى رَبِّ الْكُلِّ،» وأنه هو أصحابك وآباؤكم (2) وأنه هو أماتك وآمني (3) وأنه خلق الرُوحَينَ الْذَّكَرِ والنِّسْبِينَ (4) من طُوْفَانِ إِدْخَانٍ (5).

3- جواز الضحك والبكاء عند وجود سببها؛ لقوله تعالى: «وَأَنَّهُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى.»

4- أن أصل خلق الإنسان من نقطة وهي المني؛ لقوله تعالى: «وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الْذَّكَرِ والنِّسْبِينَ (6) من طُوْفَانِ إِدْخَانٍ (7).»

5- قدرة الله- عز وجل- التامة على إعادة الخلق وبعثهم نشأة أخرى؛ لقوله تعالى: «وَأَنَّ بَيِّنَتَاهُ الْشَّاهِدَةُ إِلَى الأَخْرَجِينَ.»

6- أن الله- عز وجل- هو المعطي المغني للخلق بالمال والرجز يتخذونه غنية

(1) سبأني تخرجته في تفسير سورة ال الرحمن.
وقتئن؛ لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَقْرَنَّ وَأَقْرَنُ}.

7- إثبات ربوية الله - عز وجل - العامة جمع الخلق بما في ذلك الشعر، وفي هذا رد على من يعبدوها من دون الرب سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَقْرَنَّ وَأَقْرَنُ}.  

8- الوعيد والتهديد للمكذبين وتخويفهم بذكر إهلاك الله - عز وجل - للمكذبين قبلهم عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط، وما حل بهم من العقوبات العظيمة الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأخذ الشديد للظلمين؛ لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاوِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَمُعَمِّدَاءً آتِيَهُمَا وَأَخْفَفْنَا عَنْهُمَا مَعْذَرَةً}.  

9- إثبات كمال قدرة الله - عز وجل - وتمام نعمه على الخلق - بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك؛ لقوله تعالى: {فَيَايُهَا الَّذَينَ آمَنُوا نَمَّأَيْكُمَا وَمَنْ خَلَقَكُمَا}.  

* * *
سورة النجم، الآيات: 56 - 62

قال الله تعالى: "هذا نّبئٌ من النّبئ الأولٍ، أوّل النّبيّة (6) ليس لها من وصيّةٍ ك وعيفةٍ (7) أو ينفِّذ ما نَزِيلٌ (8) أو يطمنين وصيّةٍ (9) ولكن يوحيهم (10) كأُمِّييرٍ(11)".

قوله: "هذا نبئٌ من النّبئ الأولٍ" الإشارة في قوله: "هذا نبئٌ" إلى النبي محمد ﷺ.

والإنذار: الإعلام بتخويف، والنذير: هو المنذر المذكور ما يعبر عن إلهام من الشر، الذي يخشي وقوعه فيمن أُذن به(1). قال تعالى: "إِن هَوَّا إِلا نُذِيرٌ لَّكُم بِين يَدَّي عَذَابٍ شَدِيدٍ(2)".

وقيل المراد بالنذير القرآن الكريم، ولا منع من حمله على الرسول ﷺ وما جاء به من الوحي من عند الله عز وجل.

 فمن أي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ "مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: رأيت الجيش بعيني، وإن أنا النذير العريان، فانجاء التجار، فأطاعته طائفة، فأدلوا على مهلهم، فنجوا، وكذبه طائفة فصيحهم الجيش فاجتاحهم(3)".

ومعنى "النذير العريان" أي: الذي أعلجه شدة ما يعبأ من الشر، عن أن يلبس على جسده شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك، فذاعهم عرياناً مسراً.

 وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب امرت عيناه وعلا صوته، وأشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صحبح ومساكم، 

(1) كأ قال لفيض الإيادي منذراً ومذداً قومه غزو كسرين من قصيدته بعنوان "صرخة غيور".

(2) أخرج البخاري في الرقاق- الأثناء من المعاصي 1482، ومسلم في الفضائل- شفته على آمه ومبالغته في تخليه مما يضر بهم.
وفيقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه، السبابة والوسطى».

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: "مثلي ومثل الساعة كهاتين" وفرق بين إصبعي الوسطى والتي تل الإبهام».

وفي رواية: "مثلي ومثل الساعة كفري رهان. ومثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق، ألَّه بثوبه: أَتَّبِعُينَ أَتيَمْ، ثم يقول رسول الله ﷺ: "أنا ذلك"».

(1) أخرجه مسلم في الجماعة 837، وأبو داود في الخراج 956، والنسائي في العيدين 1578، وابن ماجه في المقدمة 45.

(2) أخرجه البخاري في التفسير 4936، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة 290.

(3) أخرجه أحمد 5/331، من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه وذكره ابن كثير في تفسيره 7/444 وقال: "وله شواهد من وجه آخر من صحاح وحسنأ".

(4) البيت للشاعر محمد بن عثمان. انظر: "موسوعة الشعر الإسلامي" 148/1، "ديوان الشعر على العصور" 91.

"أين هذا المدقي؟" توجيه الاستفهام للإناكار والتعجب والتقريع والتوضيح للمشركين. في تعجبهم تعجب إنكار واستياع من أن يكون القرآن صحيحاً وتعذيبهم له، وإعراضهم عنه، كم قالوا فيها حكي الله عنهم: "إجهاض أصله إنها جزاء إنها عذاب" [ص: 5]، وقال تعالى عنهم: "هل يجدون أنهم قد قتلنهم مرتين فما لهم فصيدهم هذا شيء جيب" [ط: 2].

ويكي من أن يكون المراد تعجبهم من بلاغته وفضحته كم هو الواقع الحاسير عينهم، ومع ذلك كذبوا وأعرضوا استكباراً وعذباً. و"وشككونهم" أي: وتشكرون منه استهزاء وسخرية منه ومن أتباعه، كم قال عز وجل: "إذا آذبتم أجراوا كانوا من الذين عموا يشكونهم" [المطففين: 29].

"ولا ينكرون": أي: ولا يكون عند سعاهم، وسعا قوارئه ووعده ووعيديه، كم هو حال المؤمنين المؤمنين، كم قال تعالى: "إلى الله أذونا اليوم من قبلنا إذا يشكل عليهم يجوزن لاذقان سجناً، وفقدون مسحونا نعمان إن كان وامددا رينا لمفعولاً مغفران ويجزون بلاذقان يبكون وربى أخره ختاماً" [الإسراء: 109]، وقال تعالى: "إذا ننزل عليهم ما رأوا الروح خروا سجناً وزيكاً" [مريم: 89]، وقال عنهم أيضاً: "وأما الذين إذا ذكروا يتزاجون يرثهم لا يجرون على أصواتهم وعساكما" [القرآن: 73].

ومنى بكاثمهم بعد قوله "وشككونهم" يدل على أنهم قد بلغوا من الضحك من القرآن والسخرية والاستهزاء به، وقسوة القلوب الغاية في ذلك.

وهذا بخلاف من رزقه الله قوة الإيمان واليقين وأنار بصره فإنه إذا سمع آيات الله ووعده ووعيديه، ورحمة، وعذابه لا يملك نفسه عن البكاء.

لكن ينبغي خفض الصوت ما استطاع، وقد كان يسمع لجوعه عند القراءة أزيز كأزيز المرجل.

أما رفع الصوت بالبكاء أو النبكي وافتتاح البكاء فلا يجوز وخاصة في الصلاة كما
يفعله كثير من الناس في القتوب عند ختم القرآن، بينما لا تتحرك مشاعرهم عند ساع القرآن وما فيه من الوعد والوعيد.

وأتممْ سَيْدُوناً، أي: ساهون لاهون غافلون معرضون مستكرون أشرون بطرور، منغمون لا فائدة فيه من الغناء ونحوه. كا قال تعالى: وَقَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَفَّارًا نُعَمِّهِمْ لِيُذْهِبْنَا الْقُرْآنَ وَالْمُفْرِقَ لَهُمْ [فصلت: 26].

وهذه حال كثير من الناس هم في رحم وسع وغفلة إلا من رحم ربك.

قال تعالى: وَذُو الْقُرْآنِ أَخْضَعْتُمْ عِينَيْهِمْ لَيْبًا وَلَيْلًا وَعَرَّفْتُمْ الْحَيْوَةَ الْدُنيَا [الأعلى: 80]. وقال تعالى: آ ذِكُرُوهُ لَيْبًا وَلَيْلًا وَعَرَّفْتُمْ الْحَيْوَةَ الْدُنيَا، فَلَا يُنَسِّهُمُ اللَّهُ وَلَا يُشَاءُ نَجْزِهِمُ الْحَيَوَاتَ الْأَخِرَةَ وَمَا كَا نَوْيُونَا إِلَّا بَيِّنَاتَنَا يُبْحَثُونَ [الأعراف: 51].

وقد أحسن القائل:

والناس في غفالةٍ عنها يراد بهم كأنهم غفُّن في حوضٍ جزار

تأمَّلوا وَأَبْصِرُوا

بعد ما أنكر على المشركين تعجبهم من القرآن تكذيباً له، وضحكم سخرية واستهزاءً به، وما هم عليه من الاستكبار والإعراض والغفالة والآخر والبطر والانشغال بما يضرهم ولا ينفعهم أمرهم بالسجود له وحده وعبادته والخضوع والإخلاص له إعذاراً وإذيراً.

قوله: فَأَفْغِسُوا أَفْغَسُوا الفاء رابطة جواب شرط مقدر، أي: إن أردتم الخصوص من العذاب فاسجدوا الله واعبدوه.

والسجود في اللغة: الخضوع والتذل الله عز وجل - ويطلق على السجود على الأعضاء السبعة، ويطلق على الصلاة كلها لأنه من أهم أركانها وهو المراد هنا والله أعلم لأنه يشمل ما قبله.

وأعمداً الواو عاطفة، أي: واعبدو بأنواع العبادات كلها، وهذا من عطف العام على الخاص; لأن السجود من العبادة، بل من أعظمها؛ وهذا خصه بالذكر من بين أنواع العبادة كلها لزيته وفضله.
وفي الحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء فإنه 
فَبَينَ (١) أن يستجاب لكم" (٢).\\n
والعبادة في اللغة: التذلل والخضوع لله - عز وجل - وفي الشرع: اسم جامع لما يحبه 
الله ويرضاء من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج 
والجهاد وبر الوالدين والدعوة إلى الله والأمر بالمفروض والنهي عن المنكر، والتوكل 
على الله وخوفه ورجائه وتعظيمه والذبح والذرذ والخلاص له في سائر العبادات.\\n
ويشعر سجد رفع الثلاوة عند قراءة هذه الآية "فَأَصْبَحُوا يَنْسِبُوا وَيَنْبِدُوا" وهي من 
السجدات المجمع عليها.\\n
وُسجود الثلاوة يقال فيه ما يقال في سجود الصلاة ومثلها سجود الشكر فيقال فيه: 
"سبحان ربي الأعلى" مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وهو أفضله ويقال: "اللهم لك سجدت ويك 
آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، بارك الله 
أحسن الخلقين" (٣).\\n
وفي الآيات اشارة إلى أن الحياة جد وليست بهزل، فلم يخلق الإنسان لأجل اللهو 
والغفلة ونحو ذلك، ولن يترك سدي، بل خلق لأمر عظيم وهو الخضوع لله عز وجل 
والسجود له، وعبادته، وجازه على ذلك، كما قال عز وجل: "فَأَفْحَصْنِينَا آلَمَا خَلَقْنَا 
عَمَّا وَأَنْثَكُمْ إِنَّا لَا تَحْجَعُونَ" [المؤمنون: ١١٠]، وقال تعالى: "فَيُحِبَّ اللَّهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ 
[القيامة: ٣٦].\\n
وقد أحسن القائل: 
قد رشحوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل (٤)\\

---
(١) أي: حريص.\\(٢) أخرج مسلم في الصلاة ٨٨٢، وأبو داوود في الصلاة ٥٧٥، والنسائي في التطبق ١١٣٧ من حديث أبي 
هريرة رضي الله عنه.\\(٣) أخرج مسلم في صلاة المسئرين ٧٧١، وأبو داوود في الصلاة ٧٦٠، والترمذي في الوداع ٣٣٢١، 
وأبو ماجه في إقامة الصلاة ١٠٠٠ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.\\(٤) البيت للطغرافي. انظر: "العمرة العجم" ص ١٢٤.
وقال الآخر:

الآمر جد وفوش غير مزاح فاعل لنفسك صاحبا يا صاح
الفواتد والأباح.

1- إثبات رسالته، وأنه نذير كغيره من النذير قبله، كأن القرآن نذير كغيره
من الكتب قبله; لقوله تعالى: "هَذَا نَذِيرٌ مَّن أَلَّهُ أَوْلَيْ الْأَوْلَادِ". 

2- التحذير من القيامة وأهوائها، وإثبات قربها ووجود الاستعداد لها، واستثمار
الله بها وبعلامها، فلا أحد يستطيع معرفة متي وقوعها ولا منعه أو رفعه إلا الله- عز
وجل- لقوله تعالى: "إِيَّآ الْرَّقْفَةِ ۖ لَيَكُنْ لَهُ أَنْ يَصْبِحَ لَهُمْ كَانَتْ".

3- الإنكار على المشركين في تعجبهم من القرآن الكريم وضحكهم منه سخريه
واستهزاء وعدم بكائهم عند ساعه، وسهوهم وغفلتهم وانشاغهم بها لا يفع،
وتشكرهم له وإعراضهم عنه; لقوله تعالى: "فَأَفْنِي هُذِهِ الْمُتَّبَعَانِ ۖ فَوَضَحَّكُنَّ وَلا
تَنْكَرُواُۖ وَأَلْمَنْ سُبُعُونَ".

4- الترغيب في البكة عند ساع القرآن خشية الله- عز وجل- دون تكلف أو رفع
صوت.

5- وجب السجود لله- عز وجل- وعبادته والحضور له؛ لقوله تعالى: "فَاحْبَدْنَا
يَهُودَوُ وَإِلَهَيْنَا".

6- مشروعية السجود للتلاوة عند قراءة هذه الآية: "فَاحْبَدْنَا وَأَعْبُدْنَا".

* * *

(1) البيت لنشوان الحميري. انظر: "ملوك حمير وأقبال اليمن" ص 1.
تفسير سورة القمر
المقدمة

أ- اسم السورة:
سميت: "سورة القمر" بهذا الاسم؛ لقوله تعالى في أهله: "وأثنتَ القُمرَ" (1).
وتسمى "سورة اقترابت الساعة" و"سورة اقتربت".

ب- مكان نزولها:
مكية.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أنزل على رسول الله ﷺ بمكة - وإن لجارية ألبب - قوله تعالى: "في الساعة موعدكم والساعة أدهم وأمركم" (1)

ج- فضلها:
عن أبي واقف الليثي رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيد بـ"اقتربت" و"اقتربت" (2)

د- موضوعاتها:

1- افتتحت السورة بالتهديد باقتراب الساعة، وانشقاق القمر علامة على ذلك، والوعد للمكذبين للحق ولفح السماوات، وتسليمه: "اقتراب الساعة وانشقاق القمر" (1) وإرثت ما يَتُوعَوا يُفْلُوْوا سِحْرُ مَسْكِيْرُ" (2) إلى قوله تعالى: "مهطمين إلى اللّدّاب يقول الكفرون هذا يوم عُجِرَ" (3).

2- تهديد المشركين المكذبين له ﷺ، بما حل من العقوبات العاجلة في الكذبين: "قوم نوح وعاد وثموذ وقوم لوط والفرعون: "كذبتم قبلكم قوم نوح فكذبتم" (4) عبّدا وقلاّوا جَنَّةً وَدِيَارًا..." (5) إلى قوله تعالى - بعد أن ذكر تكذيب كل هذه الأمم، وتذكيرهم، خاطبا كفار مكة - "أَفَأَفْتَارُوا مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ لَّهُ سَيْرًا في الْيَوْمِ (6) أم يقولون: "إِنَّ اللَّهَ يَحْيِي مُحْيِيّينَ (7) ويُبْسَرُونَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوَافُونَ مَسْتَرَهُ" (8) ".

3- الامتنان على العباد بتسليم القرآن للذكر وتأكيد ذلك.

(1) أخرجه البخاري في تفسير سورة القمر 487.
(2) سبّب ترجمته.
4- إثبات أنه عز وجل خلق كل شيء بقدر، وسرعة نفوذ أمره، وإحصائه كل شيء: (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ) وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَجَدَةٌ كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ وَلَقَدَ أَهْلَكْنَا أَشْبَاعِكُمْ فَهَلْ يُمَكِّنُكُمْ مَنْ مُعْلِقٍ (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلَوْهُ فِي الْحَيَّةِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطِرُ).}

5- وعد المتقين بعظم الثواب، وعلو المنزلة: (إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَهُمْ فِي مَقَعَدٍ) صَدِيقٌ عِنْدَ مَلِيكِ مَعْدُودِ.}

* * *
سورة القمر، الآيات: 1 - 8

بسم الله الرحمن الرحيم

(6) اقتربوا الساعة وانشق القمر، فإن يرزق ملكاً يخطب وقولوا سحور مسكين.

وحكبتي أنيبها وأنيبها أهدى سجى سجى، وحكمت كأبناءهم في الأبدان ما فيهم مودجور.

وحيت بهما بليغة، فما تكن نذر، قالوا: إنك بين الذنور.

ف Чт على أنفسهم يوم يبسط الأذاع إلى شيءٍ يصف.

وختاماً أصصروها يعفون من الأهداف كأنهم جراد مسير، يغلبون إلى الأذاع يقولون: القدر هذا يوم عيد.

سبب النزل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرمهم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما".

وفي رواية: "فانشق القمر بمكنة، فنزلت "اقتربت الساعة، وانشق القمر" إلى قوله: "يسحور مسكين" يقول: ذهب".

قوله "اقتربت الساعة"، أي: قربت الساعة، قربا شديداً، و"اقتربت" أبلغ من (قربت) لأن زيادة المبني - تدل غالباً على زيادة المعنى.

والساعة هي القيامة قال تعالى: "وأتي بها الآثام آثاؤاً رحباءكم، إنك زراعة الساعة، نوع غصون" [المج: 1].

وسميت القيامة بالساعة - والله أعلم - للقربا وتحقيق وقوعها، وتوقيته وتحديدته، كما سميت بالإفراز، والحافة ونحو ذلك.

والمعنى: اقتربت القيامة، وأزفت وازداد قرباً، والقضاء هذه الحياة الدنيا، وقدوم الخلق على رحم للحساب، كما قال عز وجل: "لي أمر الله فلا تمرجوهم" [النحل: 1]

وقال تعالى: "اقترب للناس حسابهم وهم في عضلهم معرضون" [الأنيس: 1]، وقال تعالى: "أوفى الآية" [النجم: 75]، وقال تعالى: "قل لڭر مبادل يوم لا تستغرونا عن ثكالكم، ولا

(1) أخرجه البخاري في ماتب الأنصار - اشتقاق القمر 673، ومسلم في صفات المناقين - اشتقاق القمر 280، والترمذي في التفسير 388، وأحمد 3/165.
وهكذا توالت نصوص الكتاب والسنة على اقتراب القيامة، وتحديد وقت وقوعها، وقصر عمر الدنيا بالنسبة للآخرة، وتحقق وقوع القيامة، وأنها آية لآلهة، وكل آت قريب.

قال تعالى: "فَهَلْ يَتَخَطَّبُ الْمَيْلَةَ إِلَّا لِثَالَثَانِيَةِ أَشْرَأَتِهَا" (العبد:18).

وعن الأمن رضي الله عنه قال: "أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم، وقد كانت الشمس أن تغرب في بعثتها إلا شف"، فقال ﷺ: "والذي نسب به، ما بقي من الدنيا فيها مصي من هاأ لا كا بقى من يومكم هذا فيها مصي منه"، وما نرى من الشمس إلا يسير.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان جلوكا عند النبي ﷺ، والشمس على قميقان بعد العصر، قال: "أي الناس إنه لا يبق من دنياك فيها مصي إلا كا بقي من يومكم هذا فيها مصي منه".

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهتين، وقرن بين السبابة والوسطى.

وعن وهب السوائي رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ"بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت تسبقها".

وجمع الأعمش- يعني أحد رواة الحديث- بين السبابة والوسطى.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنتم والساعة.

(1) الشف: بقية الشيء، أي لم يبق من الشمس إلا جزء يسير لم يرغب، أي لم يبق من النهار إلا جزء يسير.
(2) أخرجه أبو بكر البزار- فيها ذكره ابن كثير في "تفسيره" 4/45.
(3) فعيقان: جبل يبكة.
(4) أخرجه أحمد 150-116.
(5) أخرجه البخاري في الرقاق- قول النبي ﷺ "بعثت أنا والساعة كهتين"، وأحمد 388/5، وأشراط الساعة- قرب الساعة 2950، وأحمد 388/5.
سورة القمر، الآيات: 1 - 8

لكهانين١.

وعن جبريل بن مطمع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لي خمسة أسئلة: أنا محمد وأحمد، وأنا النحاس، الذي يحمي الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"٢.

وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: "خطبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد فإن الدنيا قد آخذت بصرم، وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباب كصباب الإناء ينصابها٣. صاحبها، وإنك منفتحون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بغير ما بحضركم، فإن قدر ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفري جهنة فيه فيها سبعين عامًا لا يدرك لها قرارًا، والله لتمالى، أففعجتم، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصاعرين من مصارع لبنة مسيرة أربعين سنة وليأتي عليها يوم وهو كظيفة من الزحام.

ولقد رأيتني سابع سمحة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشدقان، فالتقطت بردة فشقتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتصرت بنفسها، واتصر سعد بنفسها، فها أصبهم اليوم منا أحد إلا أصيب أميرًا على مصر من الأمصار، وإنف أحد الله أن يكون في نفسي عظيًا عند الله صغيرًا، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناصحت حتى يكون آخر عاقباتها ملكًا، فستحقرون وتجرون الأمراء بعدنا"٤.

«وأنا الشمر»، أي: انطفأ قطعتين، حتى رأوا جبل حراء بينهما واحدة دون الجبل، والآخر من خلفه؛ فلفقة على جبل أبي سبس، ولفقة على جبل فقيعان، أي: فلفقة على الصفاء، ولفقة على الروة، وذلك آية من آيات الله عز وجل، وعلامة على قرب القيامة، ومعجزة للنبي ﷺ، كما جاء في سبب النزول، وكما دلت عليه الأحاديث المتضافة.

(١) أخرجه أحمد ٣/٢٢٣.
(٢) أخرجه البخاري في المريب: ما جاء في أسئلته ﷺ ٣٥٣، ومسلم في الفضائل ٣٥٤، والترمذي في الأدب ٢٨٤.
(٤) أخرجه مسلم في الزهده ١٩٦٧، والترمذي في سترا جهنة ٢٥٧، وابن ماجه في الزهده ٤١٥٦، وأحمد ٤٢١٠، وابن مرزوق ١٧٤٤، وانظر ٥/٣١.
عون الرحمن في تفسير القرآن ج 21

فعن ابن عباس رضي الله عنها قال: «انشق القمر في زمان رسول الله ﷺ»(1).

و في رواية عن ابن عباس رضي الله عنها: «قوله: أقرأ الله الكعبة وانشق القمر»(2)، وإن يقرأوا مثلاً: يُلمسوْوا يَصْحَبُوهَا بِسَبَرٍ شَهِيرٍ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شقيقه(3).

و عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها في قوله تعالى: «أقرأ الله الكعبة وانشق القمر» قال: «وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين: فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ (اللهم اشهد)»(4).

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقيقتين حتى نظراً إليه فقال رسول الله ﷺ: (اللهم أشهدوا) (5).

وفي رواية: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فسر الجبل فلقة، وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ (اللهم أشهدوا) (6).

وفي رواية قال ابن مسعود رضي الله عنه: (حتى رأيت الجبل من بين فرجي القمر) (7).

وفي رواية عنه: «قالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبيشة»(8). انظروا ما يأتيكم به السُفَرٌ(1) فإن محمدًا لا يستطيع أن يسرح الناس كلهم، قال: فجاء السُفَرُ، فقالوا ذلك(9).

(1) أخرج البخاري في الماتقاب 3638، ومسلم في صفة القيامة 2803.
(2) أخرجها الطلوي في جامع البيان 22/109-110.
(3) أخرج البخاري في الماتقاب 3638، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار - انشقاق القمر 2801، والرمذي في تفسير سورة القمر 2385.
(4) أخرج البخاري في ماتقاب الأنصار - انشقاق القمر 3638، ومسلم في صفة القيامة 2800، والرمذي في التفسير 2385، وأحمد 3776/412.
(5) يعنون لذلك الرسول ﷺ، وقد كان المشركون يسعون النبي ﷺ لأبي كبيشة، وهو رجل من خزاعة خلف قريشاً في عيادة الأثنان وعبد السعري، فلذا خلفهم النبي ﷺ في عيادة الأثنان وعبد الله وحده شهير بأبي كبيشة، وقيل إن أبا كبيشة جد النبي ﷺ لأمه فارادوا أنه نزى في الشبه إليه.
(6) أي: المسافرون.
(7) أخرجها الرمذي في التفسير 9289.

ووعن جبر بن مطمع رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد. فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم»(2).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائين، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجماعة، فحضر أبو وهذت معه، فطلبنا حذيفة فقال: «ألا إن الله يقول: (أقتربوا لِسَاعَةَ وَانْشِقَّ الْقُمْرُ) إلا، وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا إن اليوم مضى وغدا السباح، ألا إن الغاية النار، والساق من سبيق إلى الجنة»(3).


قال ابن كثير(7): «وقوله (وِانْشِقَّ الْقُمْرُ) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء.

(1) أخرجها الطبري في (جامع البيان) 22/100-107.
(2) أخرجه أحمد 4/8-81، والطبري في (جامع البيان) 22/9-10.
(3) أخرج الطبري في (جامع البيان) 22/108-109.
(4) وهي أخذهم وقال صناديقهم يوم بدر قال تعالى: (يَوْمَ يُبْلِقُ الْجَبَّاتَ الْكَبِيرَةَ إِذَا مَنَّىُوهُ) (الدخان:16).
(5) فسر اللزام يوم بدر. انظر «النهائية» مادة «لزام».
(6) أخرج البخاري في (الجمعة) 952، وفي التفسير 4295، ومسلم في صفة القيادة 5008، والترمذي في التفسير 3177.
(7) في (تفسيره) 7/447.
أن انشقاق القدر قد وقع في زمن النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات البارهات.

وإن يَمَرْ نَفْسَكَ، أي: وإن يمر المشركون آية، أي: علامة ودلالة وحجة وبرهانًا.

على صدق الرسول ﷺ، وصدق ما جاء به من عند الله ﺇِلَيْهِ. وآية: نكرة في سياق الشرط فتعم، أي: أي آية.

وآيات الله تنقسم إلى قسمين: آيات شرعية، وهي القرآن الكريم، وآيات كونية، وهي ما بثه الله ﺇِلَيْهِ، وخلقه في هذا الكون من المخلوقات، ومن ذلك انشقاق القدر، ومن ذلك تسييح الحكيم في يده، وحينين الجذع إليه، وغير ذلك.

والمراد بالآية هنا ما يشمل الآيات الشرعية والكونية؛ لأنهم قالوا عن القرآن إنه سحر، وقالوا عن انشقاق القدر إنه سحر أيضًا.

فَمَثَّلُوهُ، أي: يعرضوا عن التأمل فيها، وعن الطاعة والانقياد، أي: يتولوا بقلوبهم وأبدائهم.

وَقَوْلُوا بِأَسْتِهِمْ مَيْخَرُتْهُمْ، أي: هذا الذي جاءه به ميخرُت، سحرنا به، وهو مجرد تخيل لا حقيقة له ميخرُت، أي: ذاهب زائل، باطل مضلل، لا دوام له، وقيل: شديد محكم.

وقبل إنهم لما رأوا القدر فلقين، أخذوا يسألون كل من قدم عليهم، فكانوا يُسْجَرُونَهم بأنهم رأوا ذلك - كيا جاء في الآثار السابقة، فقالوا ميخرُت، أي: إن حمدًا سحننا كنا سحر غيرنا.

وقد يحمل قولهم ميخرُت على أن ما جاءهم به الرسول ﷺ من أنزل عليه الوحي وكل ما جاء به بعد ذلك من الآيات والحفج والبراهين الشرعية والكونية كل ذلك استمرار لما جاء به من السحر أي: إن كل ما جاء به من هذا الباب، أي: من باب السحر.

كما قال الوليد بن المغيرة فيها ذكر الله ﺇِلَيْهِ، وحذاق قال فروع لموسى - عليه السلام: آمَّنْنَا يُحِيِّنَا مِنْ أَرْضَيْنَ يُحَيِّكُنَّ. 

[المذكور: ٢٤]
سورة القمر، الآيات: 1 - 8

[877] وهذا داب المكذبين للرسول، قال تعالى: "فَأَلْهَمَّنَّهُمْ عَلَىً الْكِذَبِ` فَإِنَّمَا آتَىَ الْكِذَبِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ رَسُولٌ إِلَّآ

قال أبو ظهير الأنصاري: [الداريات: 52].

فهَمُ لا يقفون عند التكذيب فقط ويكتفون به، بل إنهم يعملون جاهدين لرد الحق

وبطلان بتلفيق التهم والأكاذيب بالحق وبمن جاءه.

وهكذا كل من رد الحق حتى ولو كان دون الكفر، فإن الغالب في الخلق الظلم

والغش وعدم الإنصاف إلا من رحم الله.

وهذا فإن كثيراً من الناس حتى في الخصومات ومستوى الخلاف لا يرضى أن يكون

الحق مع غيره، وربما جادل بالباطل لا شيء إلا لتكون الغلبة له، وربما نال من خصمه

وغالبه لأجل ذلك.

وَسَكِبَتْهُ، أي: كذبوا بالحق الذي جاءهم من عند الله عز وجل على لسان

رسوله.

وَأَنَّهُواْ أَهْوَاهُمْ، أي: واتبعوا ما تهواه نفوسهم من الأقوال والآراء

المردية الصادرة عن الحق، كما قال تعالى: "فَإِنَّ أَرَادَتُمْ أَنْ تُخْرِجُواْ أَهْوَاهُمْ

وَأَنْفَقْتُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ تُرُكُّواْ إِلَّا نَذَرًا مَّنْذَرًا" [التقصي: 30]، وقال تعالى: "فَوَلَا يَصَدِّقُنَّكُمْ

عَنْهَا مِنْ لَا يَقُولُنَّهَا وَأَتَّبَعَهَا هُوَ الْفَتِّرَانِ" [طه: 12].

وقال تعالى: "وَلَا تُطِعُّ مَنْ أَفْعَلَهُ مَنْ عَلَى سَلَةٍ وَاتَّبَعَ هُوَأَهُهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطَةً " [الكهف: 28]، وقال تعالى: "فَأَفْيَمَتْ مِنْ أَنْفُقَ مِنْهُ وَأَصَلَّى مَـنْ أَنْفَقَ مَـنْهُ وَأَصَلَّى الْأَلْهَةِ عَلَى عِلْمِهِ وَحَمَّلَ عَلَى مَـنْهُ وَقَلِيلٍ.

وَوَحَمَّلَ عَلَى نَجْحَرَ مَـنْ مِنْهُ عَنْهَا مَـنْ أَفْنَى أَثْرَاءً أَفْنَى أَثْرَاءً إِلَّا أَفْنَى أَثْرَاءً آخَرَ إِلَّا أَفْنَى أَثْرَاءً" [الجاثية: 23].

وَكَذَٰلَكْ أَنْتُ مُسْتَفْتِرُ، أي: وكل أمر من الأمور كان وواقع بأهل من خير أو

شر، فكل يجهل نمرة ما زرع، ويجازي بما عمل، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، في الدنيا

والآخرة، وسيئتي الخير بأهله إلى السعادة في الدنيا والآخرة ودخول الجنة، وبينهما

الشر بأهله إلى الشقاء في الدنيا والآخرة ودخول النار.

وأمسى يُكتب بذلك العلماء، فになりました الضرر، (البليد: 8 - 10).

وقال: «كل الناس يغدو فائع نفسه فمعتقتها أو موقتها».

وسيبلغ كل أمر غائه ومنهها، وسيصبر كل ذلك إلى الله والدار الآخرة كما قال عز وجل: «آلا إلَّا أَنْ تَذَرَ النَّاسَ أَمْوَاتًا» (الشعرى: 53).

ولقد جاء عليه من الآيات: <وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مَنْ آمَنَوْا الْوَافِيُّ الْأَمْوَاتِ لِلَّذِينَ أَذْنَبُوا، حَسَبَ الْكَوْفَٰيْنِ> (البقرة: 1 - 2). أي: والله لقد جاءهم في كتاب الله عز وجل وعلى لسان رسوله من الأخبار العظيمة السابقة واللاحقة.

وما فيهم مَرْدَعٌ» (ما: موصولة، أي: الذي فيه أعظم زاجر ووعظ ورادع لهم عن الشرك والتكذيب، وعن التناهي في الاستكبار والعناد، ورد الحق، وذلك مما قصد الله عليهم من أخبار المكذبين للرسل، وما حل بهم من المثلات والعقاوب والنكات والعذاب العاجل في الدنيا، كما قال عز وجل: «فَقَدْ حَلَّتُ يَدَيْنِي مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْمِلَأِ» (آل عمران: 137)، وقال تعالى: «فَقَلْ سُبُرْنَا في الأَرْضِ ثُمَّ أَنْصَرْنَا حَسَبَ عَقِيبَتَهُمْ» (الأنعام: 11)، وقال تعالى: «فَقَلْ سُبُرْنَا في الأرض فَأَنْصَرْنَا حَسَبَ عَقِيبَتَهُمْ» (النمل: 39).

فإذا كانت عاقبة المكذبين كعاد قوم هود، وشومد قوم صالح، وقوم لوط، وقرون وهامان وفرعون وقومه، كانت عاقبتهم الخلق والخمار والبوار ومصيرهم إلى النار.

وينبز القرار، قال تعالى: «فَكَذَّبَ أَخْذًا يَذْهَبُهَا بَيْنَهُمْ مِنْ أَنْسَانِ يُعْلِنُهُ حَاجِسِبًا وَيَنْفَعُهُمْ مِنْ أَخْذَةِ الصَّيْحَةِ وَيَنْفَعُهُمْ مِنْ حَسَنَاتِكَ وَيَنْفَعُهُمْ مِنْ أَفْغَنَّاتِكَ وَمَا أَنْطَقَتْ آلِهَةَ أَلَّا يَلْبَسَهُمْ وَلَا يَرْدُبُوهُمْ بِتَأْلِيقِهِمْ» (العنكبوت: 40).

كما جاءهم من الأخبار في كتب الله عز وجل وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة.

---

(1) أخرجه مسلم في الطهارة 223، والترمذي في الدعوات 351، وابن ماجه في الطهارة وسننها 280.
والسلام بيان ما يتغتبرهم من العذاب الآجل الذي أعدة الله لهم في نار جهنم.

كما قال تعالى: "لا تفرطوا تغلب الذين كفروا في الدين من قليل ممن مأولهم جهنم وويل للملأين" {آل عمران: 172، 197}، وقال تعالى: "قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفعلون" {هود: 74}. منع في الدنيا شفاعة هؤلاء الذين تزعفهم العذاب الشديد الثالثة، وعازتنا، بلغاتنا، وقسطنا، وأمنا، وأمرنا، وأعلمهم، وعهدنا، وأنتم، وعذابك، ولأيديكم، وأمروا، وعهدنا، ونذكرهم، وأمروا، وأمروا. 

وقال تعالى: "قل تمنعوا فإن مصيركم إلى النار" {إبراهيم: 33}، وقال تعالى: "تارى ضرورًا عليها عدداً ومشياً بيوم تقوم الساعة أحياء فرعون وأهله المدان" {غافر: 46}. منع في الدنيا، شفاعة، هؤلاء الذين تزعفهم العذاب الشديد الثالثة، وعازتنا، بلغاتنا، وقسطنا، وأمنا، وأمرنا، وأعلمهم، وعهدنا، وأنتم، وعهدنا، وأمروا، وأمروا، وأميروا، وأمروا، وأميروا، وأميروا، وأميروا. 

« مهمة كبيرة»: أي: أن الله عز وجل الحكمة البالغة النامة الواضحة في هدايته من كان أهلاً للهديا، وإضلاعه من كان أهلاً للضلال. من نواة من وفقه الله، قال تعالى: "أو أن الآيات التي جاءتهم حكمة تامة وواصلة إلى الغرض المقصود من فيها من وفقه الله، قال تعالى: "وأنزل الله على الكتاب والحكمة" {النساء: 123}. منع في الدنيا، شفاعة، هؤلاء الذين تزعفهم العذاب الشديد الثالثة، وعازتنا، بلغاتنا، وقسطنا، وأمنا، وأمرنا، وأعلمهم، وعهدنا، وأنتم، وعهدنا، وأمروا، وأمروا، وأميروا، وأمروا، وأميروا، وأميروا. 

وقد تكون ما: استفهامية للإذكاء، فيكون المعنى: أي شيء تغطي النذر من كتب الله عليهم السلام والشقاء.

ومعنى "تفغ: تفع وتدفع، والنذر: جمع نذر، وهو المختر الدخول من عذاب الله عز وجل، أي: الذكر المخالفة من عذاب الله - عز وجل، من الرسل عليهم السلام، وما جاءوا به من أخبار المكتوبين وما حل بهم من العقوبات في الدنيا، وما يتغتبرهم من الوعيد والعذاب في الآخرة، قال تعالى: "رماة مبخرات ومنذرين" {البرزة: 19}. والنساء: 165، وقال تعالى: "إذا أرسلناك لله لجميع دعراً ونذيراً" {البرزة: 111}. وسواء كانت "ما: نافية أو استفهامية فالمراد أن هؤلاء الكفار لا تفع فيهم النذر وصدق الله العظيم: "ومن يرد أن يبيس، يجلس صدرًا، يضيق حريصًا، ساكناً يصمد في

فتأمل أخي الكريم وفقك الله هذا المعنى، فله عز وجل الحكمة البالغة التامة في هدايته من هدى وإضلاله من ضل، ولا يغب هذا المعنى عن ذهنك فتقطع وتذهب نفسك حسرات، وتصاب بخيبة أمل وتبحث عن ماركتب بسبب ضلال من ضل من تدعوهم وتود هدايتهم. فقد قال الله ﷺ: عز وجل - للهادي البشير والسراج المنير أعظم وأفضل داع إلى الله عز وجل: «لَتَبْنَعْ نَسْكًا لَا يَكُونُ مَثَلُهُ» [(الشعراء: 32)].

وقال تعالى: «فَلا تَذْهَبْ نَسْكًا عَلَيمًا حَسْرًا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ مَا يَصِنُّعُونَ» [فاطر: 88]. وقال تعالى: «وَإِن كَانَ الْمُكْرُوهُ إِخْرَاجَهُمْ» فإنه استسلمت أن تبنيك تعينك في الأثر أو ستلما في السماك، فتألمهم يتألمون وَلَوْ شَأَّلَ اللَّهُ لِجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَايَةِ فَلا تَكُونُ مِنْ الْخَلَقِينَ» [(الأنعام: 149)].


وأمر الله عز وجل آدم بإخراج بعث النار من ذريته من كل ألف تسعة وتسعة.

وتسعين(1).

و قال ﷺ: "الناس كأجل مأوى لا يوجد فيها راحة"(2).

و قد قيل:

والناس ألف منهم كواحد و واحد كالألف إن أمر على
فلله الحكمة البالغة في ذلك كله، وهذا لا يقطع محمد ﷺ أفضل الرسل وسيد
ولد آدم هداية عمه أبي طالب مع الأيادي البيضاء التي قدمها للرسول ﷺ، وحرمه
على هدايته.

ولم يستطع نور عليه السلام هداية ابنه وفطذة كده، ولا هداية زوجته.
ولم يستطع إبراهيم عليه السلام هداية أبيه، ولم يستطع لوط عليه السلام هداية
زوجته.

فلا تعجب بعد هذا أن يكون أكثر الخلق أبغض الناس إليه من يسصح ويدعو إلى
الله عز وجل كي قال نبي الله صالح عليه السلام لقومه فيها حكي الله عنه: "فَرِيَّ
وَهُمْ نَّصَبُّونَ لَهُمْ لَا يُضْغَطُّونَ النَّصْبِيَّةَ" [الأعراف: 79].

وانظر كثرة أعداد الرسل عليهم السلام وقلة أتباعهم فإذاك إلا لأنهم قدموا
لأمهم وأقاريهم خصص النصح، وهكذا كثرة الأعداء الدعاء إلى الله من أتباع الرسل.
ما يجعل كثيرًا من ضعاف الأئمة يتخلل عن دورة ومناصحة من يحتاجون إلى ذلك
حتى من أقاربه وجرائه وإخوته وزملائه ومن يجلسهم أو يلتقى بهم في العمل، أو في
السوق ونحو ذلك؛ خوفًا من عداوتهم.

وقد قال الله عز وجل: "وَوَمَنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فُرُوجٍ مَّعْنَايَةٍ فَإِذَا أُوذِيَ فِي الْقُرْآنِ يَقُولُ فَٱتَّقُوْنَ آلِ يَٰمَّا لا
كمَّ ذَا لِئِلَّةٍ" [العنكبوت: 10].

(1) أخرج البخاري في الأعيان 2348، ومسلم في الأعيان 222، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(2) أخرج البخاري في الواقعة 2498، ومسلم في فضائل الصحابة 2547، والترمذي في الأمثال 2872.
(3) أخرجه البخاري في الطيور 2090، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.
(3) البيت لابن دينار في ديوانه ص 132.
قول عنهم: الفاء: للسببية، والخطأ للنبي، والتقدير: فإن استمروا في
الاعراض، ودعوى أن ما جاءهم من الآيات سحر مستمر، وفي التكذيب وتبادل
أهوائهم فقول عنهم: أي: أعرض عنهم وانتظر عقاب الله عز جلّهم.
يوم يهدع الدعا إلى موى تطمر: يوم متعلق ببخارجون.
ويعتبر أن يكون المعنى: قول عنهم: أي: أعرض عنهم؛ محوقًا لهم بعقاب
الله لهم يوم يهدع الدعا إلى موى تطمر الآية.
وعني قوله يوم يهدع الدعا، أي: يوم ينفخ إسرائيل عليه السلام في الصور
النفح الثانية الرادفة.
إلى موى تطمر، أي: إلى شيء منكر فظيع عظيم يشيب من هوله الولد، وهو
القيام وأهوائها العظام الجسم.
قال تعالى: ونفخ في الصور فصبع من في السمك وتور في الأرض إلا من من شاء الله ثم
نفخ فيه أخر، فإذا هم فيهم ينظرون [الزمر: 18]. وقال تعالى: يوم رجف الزلجة [الواقعة: 7].
وقال تعالى: ويأتيها الناس أنفوا يجذبكم إكر رازلة السكاعة شيم مصيغ [النافع: 1].
نوروها تدخل سحرة متشكوك عما أمعنوا ومضع صلك ذا حمِلها وترى الناس
بصارى وما يشكيك وليκسن عذاب الله شديد [المهد: 12].
وقال تعالى: فإذا جاءت الأمة الكبيرة يوم يذكر لأنم من سمن [وصيرت الظبيخ]
لمرئي [النافع: 3-4].
وبيك أدرك أي نينهم [بديه] سأذى شديد [الزلزلة: 7]. وقال تعالى: المكاتبة
ما القارعة، وما أدريك ما القارعة، يوم يكون الناس سكا فسراش السندوب.
وتنكون الإجلاس سكاءهم المنقوش [القارة: 5].
سورة القمر، الآيات: 8-1

«خُشِّعَا أَصِبْحَارُهُمْ»، أي: خاشعة ذلالة خائفة أبصارهم من شدة الهول والفزع.

«يَمِينًا وَشَمَالًا»، أي: مفرق متكرئ في الأرض هنا وهناك لا ينادي أين وجهه يذهب.

«فَيَوْمَ يَقُومُ الْكُلُّ»، أي: يومًا يكون كل عرش الكرسي مُسلصًّو [القارعة: 4].


وبالمقابل فهذا اليوم يسر على من يسره الله عليهم، وهم المؤمنون، وذلك بقدر إياهم وغايهم، فهم آمنون وغيرهم خائفون، قال تعالى: «لِيَجَابُهُمْ ۛ وَلَوْ تَيَسَّوَّا إِيَّاهُمْ يُطِلُّبُونَ أُولِيَّاهُمْ ۛ مَدَنَّوْنَ» [الإنسان: 82].
الفوائد والأحكام:
1- قريب القيامة وأهوالها وظهور بعض علاماتها؛ لقوله تعالى: 
"ِقَرَىَّ الْكَعَةُ وَأَنْقُلُ الْقُمْرُ".

2- إثبات انشقاق القمر، وذلك آية من آيات الله- عز وجل- الدالة على صدق نبي محمد ﷺ، وعلامة على قرب القيامة؛ لقوله تعالى: 
"ِقَرَىَّ الْكَعَةُ وَأَنْقُلُ الْقُمْرُ".

3- إعراب المشركين عن آيات الله- عز وجل- الكونية والشرعية، واعتبارة من السحر، وتذكيرهم الحق واتباع أهوائهم؛ لقوله تعالى: 
"وَإِنْ يَبْزُرُواْ أَبْيَاهُ يُصْلِبُوْ شُعُورًا وَيَقُولُوْاْ صَحِيْحُ اَنْظَرُواْ أَهْوَآءُ هُمْ".

4- الوعد والتهديد للمشركين؛ لقوله تعالى: 
"وَقَالُوْاْ أَمْرُ مُسَّيَّرُ".

5- أن لكل أمر نهاية وغاية وعاقبة.

6- إقامة الحجة على المشركين بما جاءهم من أخبار المكذبين قبلهم من العقوبات العاجلة، وما يتظرهم من العذاب الآجل، وفي ذلك أعظم زاجر؛ لقوله تعالى:
"وَلَقَدْ جَآَهَمُ مِنْ آَلِ الْإِبْزَآَمِ مُهَدَّرًا".

7- حكمة الله- عز وجل- النهائية في هديته من كان أهلاً للهدية وإضلاله من كان أهلاً للضلالية والغواقع؛ لقوله تعالى: 
"ِجَسََّكَهَا بَيْنَ مَا تَعَظُّمَا النَّارُ".

8- من يضل الله فلا هادي له.

9- تسليه النبي ﷺ والوعيد للمكذبين بما يتظرهم من العذاب يوم القيامة؛ لقوله تعالى: 
"فَنُولِدْ عَنْهُمْ يَتَبَأَّضُ اللِّدَاعُ إِلَى مَعْصِرَهُ".

10- إثبات النفح في الصور والبعث، وشدة أهوال يوم القيامة؛ لقوله تعالى:
"ِجَوَّهُ يَتَبَأَّضُ اللِّدَاعُ إِلَى مَعْصِرَهُ".

11- عظم ذل المشركين والمكذبين يوم القيامة وشدة حيرتهم وذهوهم، وسرعتهم إلى إجابة الداعي، وشدة عسر ذلك اليوم عليهم؛ لقوله تعالى: 
"ِخَيْلَهُمْ أَصْصَرَّهُمْ يُطُورُونَ مِنْ الأَحْوَالِ كَأَنَّهَا جَرَأَةُ مُنْتَزِمُ مَهْيَهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَى الْكَوْمِ هَذَا يَمِّعُرُهُمْ".

* * *
تم تكذيب قبيلهم قوم نوح، أي: كانت قبل قوم موسى يهدى Они mensih كتب أهل الدموع، فليس بجديد. تكذيب قوم نوح لك، وليس ببى، هذا دأب المكذبين ودعهما مع رسولهم من لنذ نوح عليه السلام- ومع جميع الأنبياء.}

قصة: «فأذن بالعذاب، أي: كتبنا عبوداً نوحًا - عليه السلام.

والعبودية هي التذل والخضوع لله بالطاعة، والمراد بها عبودية خاصة الخاصة وهي عبودية الأنباء علىهم الصلاة والسلاس، تليها عبودية الخاصة، وهي عبودية سائر المؤمنين كما في قوله تعالى: «وبسألكم الرحم» [القرآن: 103].

ثم العبودية العامة، وهي عبودية جميع الخلق بمعنى إتقانهم لأمر الله الكوني، كما قال تعالى: «إن من سلمك من السمؤول، والذين أعلم أنك عبدًا» [الز giám: 7].

وذكر ما أعد لهم من العذاب الشديد يوم القيامة، تسليه لهم، ووعيداً وتهديدًا لهم، ثم ذكر الله عز وجل في هذه الآيات وما بعدها تكذيب عدء من الأخوان لأنبيتهم، وما حل بهم من العقوبات العاجلة في الدنيا، وتأييد الله عز وجل لأنبيائهم، وإنجاء لهم ونصرهم على المكذبين من أقوامهم، قوم نوح عليه السلام ومن بعدهم، والغرض من ذلك - أيضاً - تسليته للنبي وتشجيعه تكذيب قومه ووعده بأن العاقبة له، فالعاقبة للمتهمين، وتخويف وتهدئة المكذبين من قومه.

ويتكرر في القرآن الكريم في عدد من السور ذكر قصص الرسل وأقوامهم، وذكر إنجاء الله عز وجل للمؤمنين منهم، وإهلاكهم للمكذبين؛ لأن القرآن العظيم مثاني، عنده القصص والمواعظ والأوامر والنواحي والأحكام، أهل ترسخ منهج الحق وعرة في النفس، فليس القرآن مجرد كتاب أخبار وقصص روائية بل هو كتاب منهج حياة وسلوك أمة.

فقال: «فمغفل بقبلهم قوم نوح»، أي: كتب قبل قوم موسى يهدى Они mensih كتب أهل الدموع، فليس بجديد. تكذيب قوم نوح لك، وليس ببى، هذا دأب المكذبين ودعهما مع رسولهم من لنذ نوح عليه السلام- ومع جميع الأنبياء.

فأذن بالعذاب، أي: كتبنا عبوداً نوحًا - عليه السلام.

والعبودية هي التذل والخضوع لله بالطاعة، والمراد بها عبودية خاصة الخاصة وهي عبودية الأنباء علىهم الصلاة والسلاس، تليها عبودية الخاصة، وهي عبودية سائر المؤمنين كما في قوله تعالى: «وبسألكم الرحم» [القرآن: 103].

ثم العبودية العامة، وهي عبودية جميع الخلق بمعنى إتقانهم لأمر الله الكوني، كما قال تعالى: «إن من سلمك من السمؤول، والذين أعلم أنك عبدًا» [الز giám: 7].
وعندما أعلن على نوح- عليه السلام- وصف العبودية وهو من أفضل رسول الله وأحد أولى العزوم من الرسل؛ لأن العبودية لله أفضل وصف يتصف به البشر، وقد وصف الله بها أفضل الرسل وسيد الخلق نبينا محمدًا ﷺ في أعلى المقامات وأفضلها وأقربها من الله عز وجل، وهو مقام العبادة، قال تعالى: «وَأَنَّهُ لَمَّا آتَاهُ رَبُّهُ نُودِيَ كَأَنْ يَكُونَ مَعَهُ» [الجناح: 19]، وفي مقام الإسراء، قال تعالى: «سَتُحْجَسُ الْحَيْثُ أَسْرَىٰ يَعْصِيَهُ إِلَّا الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنْ عَالِمِ الْاَلْجَهَّالِ» [الإسراء: 1].

وقد يقال: وأنه ما قام رسول الله أو نبيه، أو سبحانه الذي أُسرى برسوله أو بنبيه.

وقالوا: «إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَدْخِلُهُ فَفَقِّيَّتُهُ يُقْصَوْا يَدَّهُ حَتَّى يَيْتَرَ» [المؤمنون: 26].

أي: اتهموه بأنه معشوقة عقل المخلوق، قليلاً للحقائق ووعيًا منهم أن ما هم عليه من الشرك والضلالة هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه السلام جهل وضلال لا يصدر إلا من المجانين. والعكس هو الصحيح.


والمعني: مع كونه مجنوناً- زجر وَطْعَ، فاستطاع جنوناً، والمجنون إذا زجر وُهِر أو ضرب أو اعتدى عليه استطاع جنونه وزاد شره، كما يقال (مجنون وضرب بعض) فالمجنون أحسن حاله أن يترك، وأن يهادي، ولا يستثنا.

ويبدو على هذا القول قول ماجد: «ازجُر» أي: «استطاع جنونًا».

ويحتمل أن المراد بالآية أن قومه زجروه وهروه من تبليغ رسالة ربه، وتوعدوه، وكما قال تعالى: «فَأَلَامَ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ لَنَكُونُوا مِنَ الْمُجَّرَّمِينَ» [الشعراء: 11].

وهكذا دأب المتكذبين للرسول يرمونهم بالمجون، كما ذكر الله عز وجل عن فرعون أنه قال لموسى عليه السلام: «فَأَلَامَ إِنِّي رَسُولُكَ الَّذِي أُرِيَلَ إِلَى مَجِنَّةٍ» [الشعراء: 27].

(1) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٢١/١٢١.
وهكذا قال المشركون لمحمد ﷺ، سيد الرسل وأفضلهم قال تعالى: «إِنَّهُمْ تَوَلُّوا عَنْهُ وَقَالُوا مَعَاهُمْ جَنُونٌ» [الدخان: 14].

كما قال تعالى: «كَذَٰلِكَ مَا أَيَّدُنَا مِن قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَلْفُ أَوْ مَجِينٌ» [الذاريات: 52].

كما هددون ويتعدون رسلهم بالإخراج والرجم ونحو ذلك كنا قال أصحاب الفرقة للرسول: «لا تَمْثَّلُوا لِلَّهِ الْإِخْرَاجَ الْمُجَّرِّمَةَ وَلَا تَأْتِيَّالْجَوَابَةَ أَيْمًا» [يس: 18].

وقال قائد أز إبراهيم- عليه السلام: «قَالَ أَرَأَيْتَ اَنَّ الَّذِي يَأْتِيُهُ بِالْعَذَابِ إِنَّ لَمْ تَنْتَهَى لِلرَّحْمَةِ» [مريم: 42]. وقال قوم لوط لوط عليه السلام: «قَالُوا لَنْ تَنْتَهَى بِلَوْطٍ لَّكَ» [الشعراء: 17].


فماتَرَّعَ اللَّهُ عَلَى الْأَزَىٰ لِلْكَحْفِمِينَ» [نوح: 29].

فلجأ عليه السلام إلى من يجيب المضطر إذا دعا، وإلى من هو نعمه المولى ونعمه النصير، فاستجاب عز وجل دعاء: «فَفَتَحَّاهَا أَبْنَى الْمَسْتَرَّى بِأَيْمَى» قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بتشديد الناء.» ففتحنا» وقرأ الباقون بتخفيفها، أي: ففتحنا أبواب السيا بالملت. ومعنى «فَفَتَحَّاهَا»، أي: منصب ومتنابع بكثرة وزغرة.

قال ابن عباس رضي الله عنها: «وفتحت أبواب السيا بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقي الماءان»[1].

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في »تفسيره« 1/402-400-320-187. لايزال الأثر 186.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
وهكذا سنّ النّبي ﷺ وزوج السّيدة التي لا تغيّر ولا تتبديل ولا تتّحوّل: أنّ العاقبة
للقوّى والمتّقين، وأن العدوان والخسّاران والعقّاب على الكافّرين.

{وَلَقدْ تَرَكَنَا مَيَا}، أي: والله لقد تركنا آية، أي: أبقّيتها آية، وضّرّر الهاء يعود
إلى العقوبة التي عاقب الله بها قوم نوح وهي إزّارهم بالطوفان، وإنّجاز الله عز وجل
نوحًا ونّجدهوه في السّفينة، ففي ذلك آية عظيمة، أي: علامة دالّة على كمال قدرة الله عز
وجل وفيها عزّة وعزة قال تعالى: {وَقَاتِلُوا النَّاسَ غَاصِبَةٍ} [النّور: 37]، أي: دالّة على قدرة الله عز
وجل التامة وعظّمته ووحدانيته
وكما كان في ذاته وسّائه وصفاته واستحقاقه للعبادة دون من سوىه كا أن في ذلك أعظم عزة وعظّة فمن يتعظّ ويعتبر، فبَحّر في تكذيب الرسّال
والكفر بالله؛ لثلا مثله بما حل بالملكّيين والكافّرين من قوم نوح وغيرهم.
وجملن أنّ المراد يقوله: {وَلَقدْ تَرَكَنَا مَيَا} جنس السّفينة، وأنّ كونها تجرى على
ظهر الماء وتمّع عبّاب البحر من أعظم الآيات الدالّة على عظمة الله تعالى.

قال تعالى: {فَأَفْتَسَنَّهَا وَأَسْحَبْنَاهَا مِنْ لَيْلِهَا إِلَى الْعَيْشِ} [العنكبوت: 15]،

وقال تعالى: {وَمَا يَذَّكَّرُ بِرَبِّهِ بِلِدَابِّ نَفْسِهِ} في لفظ السّيّدû[16] وحلفاً لهما مّثّلهم ما يَذَّكَّرُون [بَسْ: 42]، وقال تعالى: {إِنَّا نَعْمَالُ الْحَيَاةِ الْوَعْيَا} لِجَمِيعهَا لِكُلّ نَذِيرٍ وَبَيِّنًا أَذُن
ونبيّة} [الحمد: 11، 12]،

ولا مانع من حمل الآية على الأمورين، فيفّهيملاً قوم نوح وإنّجاز نوح عليه
السلام ومن معه في السّفينة آية، وفي جريان السّفن على ظهر الماء آية.

وعل ذلك كله دل القرآن الكريم، فسَّبهان الخالق البصير العليم الخبير.

وقد قيل: إن المراد يقوله: {وَلَقدْ تَرَكَنَا مَيَا} أن الله عز وجل أبقى سفينة نوح
حتى أدركها أول هذه الأمّة.

وهذا بعد من وجوه: منها عدم الدليل الواضح عليه، ومنها طول المدة، إضافة إلى
أن عموم الآية ومعناها ياباه فإن الله تركها آية لمن جاء بعد نوح وقومه إلى قيم الساعة
هذا ما يدل عليه ظاهر الآية ومومها فكيف يخص ذلك بأول هذه الأمّة؟
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قرأت على النبي ﷺ "فهل من مذكّر" فقال النبي ﷺ "فهل من مذكّر".

الفاء: رابطة لجواب شرط مقدّر، والتقدير: إذا كانت قصة إنجاء نوح عليه السلام ومن معه في السفينة، وإنقاذ نوح عليه السلام ومن معه في السفينة، و"فهل" للاستفهام، وفيه معنى التشويق والحث والأمر، ومذكّر بمعنى متعظّم معتبر مذكّر.

والمعنى: فهل من مذكّر ومعتبر ومتعظّم بهذه الآية العظيمة في إهلاك الكفرة، واللادينيين من قوم نوح بالغرق، وإنقاذ نوح عليه السلام ومن معه في السفينة.

"فّكِفَّـتِـّكَُّ، كَانَ عَذَابَيْنَ" الغاء: استثنافية و"كيف": أداة استفهام للتعظيم والتفخيم والتعجب والتقدير.

ويُنَظِّرُ أي: وإنذاري الذي لا يبقى لأحد علیه بعده حجة.

أي ما أعظم عذاب وعقوبتي لقوم نوح الذين كفروا وكذبوا نوحًا عليه السلام، وغيرهم من اللادينيين في الدنيا والآخرة، مما فيه أعظم راعٍ وزاعٍ عن فعلهم، وما أعظم إنذاري لللادينيين وتحديد بهم على أسس السر والرسول، عن الله حجة بعد الرسل، تعللى: "وَلَكَّ نُزَّلَتْ لِكَ " أي: والله لقد يقرننا القرآن للذكر، أي: سهلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه وتطبيق أحكامه، أي: جعلنا ذلك كله سهلاً هيناً، ميسرًا لنا أراد أن ينذكرواللادينيين، كما قال عزر جل: "وَقَدْ فَضَّلْنَاكَ عَلَى النَّاسِ " (الأنعام: 126)، وقال تعالى: "وَلَقَدْ دَرَسْـا في هَذِهِ النُّورُانِ " (الأنس: 41)، وقال تعالى: "كَتَبْنَا أَنْتَهَـيْناً إِلَـكَ مُبَارِكًا يَتَعَلَّـبُوا عَلَيْكَ، وَيَتَذَكِّرُونَ أَنْ تَذَكِّرْ أَلْبَـيْنَ " (ص: 29)، وقال تعالى: "فَإِنَّمَا يَتَّرَبَّأُ ـّيَلْسَأَلُكَ".

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا منه ما تيسر» (1).

فمن فضل الله على هذه الأمة أن اختار لها أفضل الرسل محمدًا ﷺ وأنزل عليها أفضل الكتب القرآن الكريم، وجعل لفظه ومعناه وأحكامه سهلة مسيرة، ووضع عن هذه الأمة الأصول والأغلال التي كانت على من كان قبلهم فلله الحمد والمثنى، وهذا قال بعد ذلك:

«فهل من مذكّرٍ والكلام فيه كما سبق.»

والمعنى: فهل بعد هذا التسير والتسهيل للقرآن الكريم من متذكر ومتدبر لألفاظه ومعانيه وأحكامه، وما فيه من العلم النافع والحدث على العمل الصالح، وعلى مثيل ما فيه من الأوامر.

وهل من معظ ومعنوج بها في من التدبير والنموذج.

وهذا هو معنى وحقيقة تذكر القرآن وتذكيره، أما حفظ ألفاظه فقط دون تذكير معانيه وأحكامه وتأدبه بآدابه فإنه حجة على من حفظه، وربما كان طريقاً للغور والرياء والسمعة، وهذا قال ﷺ: «إن أكثر منافقين أمتي قرأواها» (2) وزُوُي عن ابن

(1) أخرجه البخاري في المصنف ٢٤١٩، ومسلم في صلاة المسافرين- بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٨١٨، وأبو داود في الصلاة- الودّ- أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٤٧٥، والنسائي في الافتتاح- جامع ما جاء في القرآن ٤٣٦، والترمذي في التهامة ٢٩٤٣.

(2) أخرجه أحمد أيضاً من حديث عبادة بن الصامت- رضي الله عنه ١١٤، وساحلي بن صرد- رضي الله عنه ١٢٤، وأبي ابن كعب- رضي الله عنه ١٤٧- ١٤٨- ١٢٨١- ١٢٨٢.
عون الرحمن في تفسير القرآن 71

عباس- رضي الله عنهما أنه لما كثر القراء في زمنه من أحداث الأسفان لم يعجبه ذلك بل كرهه، وخاف عاقبة ذلك، وقد وقع ما خاف منه رضي الله عنه- حيث خرج جملة من هؤلاء القراء مع الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه، وعلى صحاحة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم.

وهذا مصدق قوله ﷺ: "يقرأ آناس من أمي القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"(1).

الفوائد والأحكام:

1- تسليمة النبي ﷺ وتقربه قلبه، ووعيد وتهديد المكذبين من قومه بذكرب تكذيب قوم نوح ومن بعدهم من الأمم لأسبابهم وما حل بهم من العقوبات، والسعي من وعظ بغيره؛ لقوله تعالى: "مكذب فهل لهم قوم نوح تكذبوا عدناء وقلاط وفازداً وازدَّجَرَ الآيات.

2- أن العبودية لله - عز وجل- أشرف ما يوصف به البشر، وهذا وصف الله ﷺ نبيه "نوها" عليه السلام؛ لقوله تعالى: "فَطُعِنَّ أَعْبَدًا".

3- شدة ما لاقي نوح- عليه السلام- من قومه من التكذيب والرمي بالجنون المستطير، والجزر؛ لقوله تعالى: "قَالُوا نَجُونَ وَازِدَّجِرْ".

4- أن من تحقيق العبودية لله - عز وجل- وأسباب النصر على الأعداء- اللجوء إلى الله - عز وجل- بدعاه وطلب النصر منه، وإقرار الإنسان بضعفه وحاجته إلى الله - عز وجل، كما فعل نوح- عليه السلام؛ لقوله تعالى: "فَعَدَّلَهُ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَمْ بِالصَّلَاةِ وَقَدْرَاهُ وَآمِنُوا بِمَا رَأَيْتُونَا وَأَتَينَا وَأَتَى اسْتُجِبَّ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِينَ مِنْ لَهْوِهِمْ وَإِلَيْهِ يُوْلِيدُونَ وَيُمَّلِيدُونَ وَهُمْ عَلِيمُونَ".

5- إثبات ربوية الله - عز وجل- الخاصة لنوح- عليه السلام؛ لشريفه بإضافة اسم الله إلى ضميره عليه السلام؛ لقوله تعالى: "فَذَكَّرَهُمْ".

6- استجابة الله - عز وجل- لدعاء نوح- عليه السلام- ونصره له وإغراق قومه وإنجازه ومن معه على السفينة؛ لقوله تعالى: "فَذَهَبَ أَوْبَرَ أَسْمَاعُ يَمِينٌ وَفَجَرَ".

= عالم- رضي الله عنه ـ 105/101.

(1) أخرج البخاري في فضائل القرآن 538، ومسلم في الزكاة 104، وأبو داود في السنة 478، والنسائي في الزكاة 478 من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
سورة القمر، الآيات: 9ـ 17

- عظم قدرة الله - عز وجل - وعنايته النامية بأوليائه، وشدة انتقامه ممن كفر به;

- إثبات العينين لله تعالى كلا يلق بجلاله وعظمته؛ لقوله تعالى: "ثَمَّنِي بِأَعْمَيْنِي"،

- والجمع يطلق على المنى، كي يطلق المنى على الجمع.

- في إغراء قوم نوح وإنجائزه ومن معه على السفينة آية عظيمة دالة على قدرة الله - عز وجل - وعظة وعبرة لم يعتربها؛ لقوله تعالى: "وَلَقَدْ رُكِّزَتْ عَلَيْهِ نَارٍ مِّن مَّذْكِرٍ".

- شدة عذاب الله - عز وجل - وعقابه للمكذبين من قوم نوح عليه السلام،

- لقوله تعالى: "فَكَيْفَ قَدْ عَذَبْنَاهُمْ".

- إقامة الحججة على الخلق وإندادهم والإعذار منهم؛ لقوله تعالى: "وَبَشِّرْ".

- امتتان الله - عز وجل - على العباد بتيسير القرآن للذكر وحضه وحثه على التذكير والاعتقاد؛ لقوله تعالى: "وَلَقَدْ يَسْتَرِئُ أَبْرَارُ الْجَاهِلِينَ الْذِّكْرَ فَهُمْ مِن مَّذْكِرِينَ".
قال الله تعالى: "قد كنت عالمين كيف كان عليَّ وندثر (1) إياكُن نسأله علبته وما يحسب في يد يمرين مَسْتَمْتَن، (2) نَسْأَلُكُمُ آلِهَةٍ ونَدْثُرُ (3) لأولئك الذين يفتنون الأشχر بالذَّكْرِ فَهُمْ مَفْلُومُونَ (4)."

أخبر عز وجل عن تكذيب وكفر قوم نوح عليه السلام في الآيات السابقة وما جازهم الله به من إغرائهم بالطوفان وإجاهة نوح عليه السلام ومن كان معه في السفينة، وما في ذلك من الدلاله العظيمة على قدرة الله عز وجل- النامه، والعزة، والعرفة لن يتذكر ويعتبر، ثم أتبع ذلك بالإخبار بها أوقعه عز وجل من العقوبات والنكال بالمكذبين بعد قوم نوح منهم عاد وثود وقوم لوط وآل فرعون تفضيلاً وتخويناً للمكذبين من هذه الأمة وسليل للرسول ﷺ نجاه تكذيب قومه له.

"كنْبُ عَلَهُ (5) عاد: هم قوم نبي الله هود عليه السلام، وهم عاد إرم.

كما قال تعالى: "أَلَمْ تَرَكَ فَلَكْ رَبُّكَ مَيَا (6) إِذْ ذَاتُ الْمَرْكَابِ أَلَّا يُمْلِكَ مَبْلَقًا يَبْلُغُ يَدْهَا فِي أَلْبَانَةَ (7) [النجم: 5]. وهما عاد الأولى، كما قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَاهَا عَلَى الْأَرْضِ (8) ومساكهم، بالأحقاف جنوب الجزيرة في اليمن، كما قال تعالى: "وَذَٰلِكْ رَآئِيًا (9) أنْذِرْ عَلَى دُهْرِ الْرِّجْلِ (10) [الحقائق: 21]، والأحقاف: الجبال من الرمل.

"فَكِفْكَانْ عَلَيْكَ وَنَدْثُرَ، يَا فَكِفْكَانْ عَلَيْكَ وَنَدْثُرَ، يَا كَيْفَ كَانْ عَذَابٌ وَعَقْبَيْتِي لَهُمْ، أي: ما أشد ذلك وما أعظم، وكيف كان إذناري لهم، أي: ما أعظم إذناري وتخذيري لهم على لسان نبيهم هود عليه السلام، مما لا تبقى معه لهم حجة.

وقد كرر هذا هنا وفيها بعد: لتوكيد الوعد والتهديد للمكذبين والكافرين، وتوكيد شدة عذاب الله عز وجل، واتفاقهم من كفر به وكنذب رسله، وتوكيد إقامة الحجة على الخلاق بحيث لا يبقى لأحد منهم حجة ولا عذرة.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ [الزمر: 42، 43]. أي: على عاد بسبب تكذيبهم؛ عقوبته لم لا هللاكم وتعذيبكم.

"يرجى صُرَّةَ، (9) يرجى صُرَّةَ، (9) رجاءً باردة، شديدة البرودة، شديدة الصوت، وهي الريح العقيم التي لا نقع فيها بل هي ضرر محض. قال تعالى: "وَفِي عَلَيْهِمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ أَرْيَجٍ [الزمر: 41، 42]."
سورة القمر، الآيات: 18 – 22

وهي الدبورة. قال (1): "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبورة".
والصبا: الريح الشرقية، والدبورة: الريح الغربية.
في يوم شمع، أي: في يوم شمع وشقاء.
"مستمر"، أي: دائم عليهم نحس وشوق، حيث أستمر عليهم نحس وشوقه من ذلك اليوم، وطيلة الأيام الحسوم، كما قال عز وجل: "قل من أعاد فأهليه، يрей صرماً عزتُهم، سل منه ليلًا ونحناه، أي: أيمر حسوماً ضراًً، القوم فيها صرعي كأنهم أتعبار". (الحالة: 8).
فقبل إبتدأت يوم الأربعاء وانتهت يوم الأربعاء، وذلك مستمر مواصل بعذاب البرزخ، وعذاب الآخرة في النار ابن الآباد.
قال تعالى: "قد أعدنا بأسماءك في الأرض بغير ملحوظ، وقابعل من أشده من فوينة أو فوينة (2) أرك الله الذي خلقه من أشد مثوى ورفقته بجبل وجلودره (3) فأرسلنا عليهم رجاء صرارة في أباثه وجسمان، تدفقهم عذاب الآخرة في الجحيم الدنيا، وعذاب الآخرة أخرى، وهم لا يصرعون.
[فصلت: 16-19].
"فثنى الناس"، أي: تقتلع الناس وترفعهم من أماكنهم، ثم تلقفهم على الأرض.
هلكى هامدين.
"كأنت أعجاب نغلي"، أي: كأنهم أصول وجذوع نخل بلا رؤوس.
"متعي"، منقعل من قعره ومغرسه، كم. قال عز وجل: "فثنت الآلآ وفِيها صرعي، كأنت أعجاب نخل خانوى". (الحالة: 7).
قال ابن كثير (4): "وذلك أن الريح كانت نأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبواب، ثم تنسك على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتلقع رأسه، فيبقى جثة بلا رأس".

(1) أخرج ابن البخاري في الجمعة 1035، ومسلم في الاستماع 900، والسني في الزكاة 2578 من حديث
ابن عاس رضي الله عنه.
(2) في تفسيره 454.
قال تعالى: "قلما رأوا عارضًا تستقبلهم كأنّوا هدايا على محترف بلو هما استعجلهم يبرح فيها عذاب اليم" (الأنفال: 24، 25).

وقال تعالى: "فأجتهد وآلهة معده رحمه وستأولتم فاكرين دار الذين حسبت لما ركبنا وما كانوا مومنين" (الأعراف: 27).

فكيف كان عذاب وندى سبق الكلام عليه.

"ولقد بيناء القرآن للذّكير فهل من ذكرى الكلام فيه كذا سبق، وكرر هنا وفيا بعد للامتنان والتحلى بالذكر والتدبر للقرآن، ألفاظه ومعانيه وأحكامه.

الفوائد والأحكام:
1- تكذيب عاد نبيهم هوداً عليه السلام وعقوبة الله لهم بإهلاكم بالريح الصرصر التي فصلت روؤسهم من أبادهم. وفي هذا تخويف للملتذبين، وتسليمة للرسول؛ لقوله تعالى: "فكبرت عاد فكيف كان عذاب وندى".

2- شدة عقوبة الله - عز وجل - لعاد وإندحارهم ولفتراهم؛ لقوله تعالى: "إنا أرسلنا عليهم يوماً صرنا في يوم تجمع مسمرة، نزع الناس كأنهم أشجار علّق في شجر". فكيف كان عذاب وندى.

3- قدرة الله - عز وجل - التامة حيث أهلك عاداً بألفاظ الأشياء وأخفها وهي الريح، وقد كانوا أقوى الخلق وأعدتهم.

4- أن الله - عز وجل - قد يجعل الشؤم والنحس في بعض الأعيان والأيام.

5- تأكيد الوعيد والتهديد للملتذبين، وإنذارهم والإعداد منهم؛ لقوله تعالى: "فكيف كان عذاب وندى".

6- توكيذ نعمة الله - عز وجل - على العاد بتنبيه القرآن للذكر حثاً وحضراً على التذكر والانتظار به وإيضاحاً للمحجة، وإقامة الحجة؛ لقوله تعالى: "ولقد نذرنا القرآن للذّكير فهل من ذكرى".

* * *
سورة القمر، الآيات: 32-37

قال الله تعالى: «كنبتي تمود بالنذر، مقالاً أبتينا ورحبنا، أي إذا أتيا سكلي وسحراً، لتعمي النذر على بني إسرائيل داراً دار، بتكذيب أينأ سبقكمون من ألف السحرة. وإنما نسوا أن الله فصلى في سبيلكم على سوء نحل، فكان على علمنكم صعبة ودينكم فكانوا كفاهواً كليمياً في الذكر.»

ذكر الله عز وجل قصة تمود وتكتذيبهم بالنذر بعد ذكره قصة تكذيب عاد؛ لأن
تمود بعد عاد في الزمن، وكل منها في جزيرة العرب فعاد في جنوبها، وتمود في
شمالها وبنها والله أعلم ارتباط من وجوه عدة؛ وقد كانت تمود تسمى عادًا الثانية،
أو الأخرى، كما تسمى عاد: (عادًا الأول). والهدف من ذكر هذه القصص كا سبق
التحذير والتحسيف للمكذبين وتسليم الرسول ﷺ.

(كتبت تمود البذور)، أي: كتبت قبيلة تمود بالنذر المرسلة إليههم من الله عز
وجل، فكذبوا رسول الله ﷺ على السلام، وما جاءهم به من النذر والآيات من عند الله
عز وجل. وكانت مسألكهم في العلا شبه الجزيرة، وهي المعروفة الآن بمثافن صالح.

فقالوا: احتقاراً منهم لصالح عليه السلام.

(بنا)، الاستفهام: للتعجب والإبهار والنفي والاحتقار.

وهوذا يزدي الكثيرون من كان منهم ويتكلمون عليه ويتقصونه ولو كان خيرًا،
بل ويعجبون بما ليس منهم، وإن كان دونه على حد قولهم: (من عرفك صغيرًا حفرك
كبيرًا) وقد قال ﷺ: (الكبر بطر الحق وغمط الناس).”

(وأبيًا)، أي: شخصًا واحدًا، ليس معه شخص ثان، أو جماعة تؤديه.

(وأبيًا)، أي: نمسك طريقه ونأخذ به قوله وندصده، أي: إننا لا يمكن أن نتبع بشرا
منا واحدًا، ولا يعقل أن يكون ذلك، وهذا اعتراض منهم - كغيرهم من المكذبين - على الله

(1) أخرجه مسلم في الإيام 91، والترمذي في البر والصلاة 1999، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
عز وجل، ينذرون به دعوة الرسول عليهم السلام، قال تعالى: "قُلوا إِنَّمَا إِنَّمَا تُرْيِدُونَ أَنْ تَصَدُّوا عَنْ مَا كَانَ يَنْزِعُهُمُ الَّذِينَ يَتَّقُونَ مَّعَ اللَّهِ وَيَتَّقُونَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْكُفُّارُ وَيَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْكَرْمُ وَيَتَبَيَّنُ لَهُمُ الْعَزَّةُ وَيَتَبَيَّنُ لَهُمُ الْكَرَّةُ إِنَّمَا يَنْزِعُهُمُ اللَّهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقُونَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَهُمُ الْعَزَّةَ الْعَظِيمَ" [بقرة: 34].

وهكذا قالت فتاة محمد ﷺ: "أَلَا، تُرَى هَذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ" [الزخرف: 31]، وقالوا: "أَهْيَانِ اللَّهَ بِكُلِّ الْهَيْثُ يُحَمِّل وَسَالِبِهَا.[الأنعام: 124].

وصدق الله العظيم "أَلَا أُعْمَلُ مَعْبُودًا إِلَّا مَعَ مَوْلاً يَشْفَعِيَ عَنِيَّ وَيُسَأَلُونَهُ عَنِيَّ" [الأنعام: 98].

وهذا قال تعالى لفتحاء المشركين: "وَكُلُّ ٱلَّذِينَ أَنزَلْنَاهُ عَلَيْهِ مَلَكًا وَلَوَزَنَّاهُ مَلِكًا لَعَلِيَّ وَرَكُنًا لَّهُمْ عَلَى كَفَّارِهِمْ" [الأعمال: 98]. أي: لو أرسلنا ملكاً لجعله عل صورة رجل من البشر يخالطهم ويكلم بلسانهم؛ ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه، وعلى هذا فلايدر من كون الرسول من البشر.

وأيضاً فإنه لو أرسل إليهم أكثر من واحد لم يتجهم ذلك فيهم كما قال تعالى: "وَلَمْ تُحْمَلْ قُرْآنٌ إِلَّآ إِلَى إِلَّهِ مُرْسَلٌ إِلَّآ إِلَى إِلَّهِ مُرْسَلٌ قَالُوا مَا أُنْتِ إِلَّا أَشْرَكُّ ۚ وَمَا أَنْزَلْ ٱللَّهُ مِنْ مُّرْسَلٍ إِلَّآ يُبَيِّنَ" [ليсы: 13-17].

"إِنْ زَادَتُ مَا فَتَرَاهُمْ إِنْ تَفْتَرَنَّ ۖ إِنْ تَفْتَرَنَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ قَوْمًا عَظِيمًا" [بقرة: 2].

والله يحيى بالله يحيى، إبن رسول الله ﷺ: "لا تأتيكم إلا بخير، أينك؟"، وفي نار مسورة مشتعلة متوقدة.

وقيل: "ما يأتيكم إلا بخير، أينك؟"، وفي نار مسورة مشتعلة متوقدة.

فعكسوا ما قاله، لهم صالح من أنهم إن اتبعواهندوا ونجوا من السعير فقالوا: إنما إذا إن اتبعناه لفي ضلال وسعر - وذلك لضدة عناهم ودينهم.

قال ابن كثير (1): "يقولون لقد خينا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا"، الاستفهام أيضًا للتعجب والإنيكار والنفي والاحتقار.

(1) في "تفسيره" 7/454.
سورة القمر، الآيات: 20-21

أي: يقولون أيضاً: تعالجنا منهم وحسدًا وإنكارًا واحتفارًا:

كلمة: "أنقلب الّذين عليهم يدانة"، أي: كيف يخسرون إلقاء الذكر عليه من بيننا، وأي مزية
وأي فضل له علينا حتى يخسرون بذلك من بيننا، وهذا حسد منهم واعتراف على حكم
الله عز وجل واحتفار لصالح عليه السلام.

وأي: "هل هو كذاب أبد"، "قل": للإضراب الانتقال، أي: لم يلق عليه الذكر من دونا
خاصة، لكنه كذاب في دعوته و"كذاب": صيغة مبالغة على ورز "فعلًا"، أي: إنه كثير
الكذب، وليس له صفة إلا الكذب.

"أي": أي: بطر متكرر متعالم متزاوج الحد في الكذب.

ولهذا حملهم الحسد والكبر على أن ردوا دعوة صالح عليه السلام، وكذبوه.
كما حمل الحسد اليهود على إنكار رسالة محمد ﷺ: أغفل الرسول وخاتم النبيين قال
تعالى: "أميون: إن أتاني علنًا من أن ت.TXTI البث، فقد عتني رأكانات إلـتوب
والهموم وتانيتهم ملكًا عليهم" [النساء: 45]، وقال تعالى: "لا تسمح
الكذب له ورزونكم من يبطن إمتنكم: كفأنا حسكًا ونحون الذين أنفسهم من يبطن
لهم الحكمة" [البقرة: 9].

ولأ عجب في هذا فقد كان الحسد والكبر من أسباب إخراج إيليس من الجنة
وعنده وطرده، قال تعالى عنه أنه قال: "أم باب هذالآتي حكرت على لن يذربع إن تويت
القلمة الأليمين ذرّيتين إلا أليمًا" [الإسراء: 26]. وقال تعالى: "قل ما تمنى أن تنهى إذا
أرملتم أن تكون من أن يطرق من نار وظلمت من يومي" [الأنفال: 13].
فحش أي إلـك من الصغيرين] [الأعراف: 12-13].

وقد أحسم القائل:

قـالفهم أعداء له وخصم
كـضاير الحسناء قلـن لوجهها
وحـسم الرجال وعرضه مشتوم
وـترى اللبيب حسداً لم يحرور

حسداً وغيـاً إنـه لـبـدم
قـالفهم أعداء له وخصم
كـضاير الحسناء قلـن لوجهها
وحـسم الرجال وعرضه مشتوم
وكذلك من عظمت عليه نعمة حساده سيف عليه صرّم (١)
فتأمل أخي الكريم كيف حمل الكر والحسد هؤلاء الأقوم على رد الحق وتكذيبه.
ففتح في جوانب نفسك واحذر من أن يحول الكر والحسد بينك وبين قول الحق.
فقبل الحق ممن جاء به أيًا كان وكذ ذا قلب سليم خلص العبادة لله، سليم على
عباد الله، وأعلم أن الناس لو ملكوا الدنيا كلها ما ضررك ذلك، ولو افتقرنا ما نفعل
ذلك، ولو دخلوا بأجمعهم الجنة ما ضررك ذلك، ولو دخلوا النار ما نفعل ذلك. فأحب
لمسلمين ما تحب لنفسك تعش بإذن الله - سعيدًا، ومت حديثًا.

سَيَعْظُمْ عَنْهُ الصَّينُ: للاستقبال والتحقيق والتقريب. والغد: اليوم الذي بعد
يومك، ويحمل على ما يستقبل من الأيام مطلقاً، إشارة إلى تحقيق جمهوره، وأن كل آت
 قريب. كا قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مِثْلُ عَرَايْطٍ لَّا أُمِدُّهُ﴾ (الأعراف: ١٣٤).
قال الشاعر:

فإن يك صدر هذا اليوم ولي فكانا مقدماً لناظره قريب (٢)

والمراد ب«غداً» يوم وقوع العذاب الدنيوي عليهم وإهلاكم بالصيحة والصعقة.

ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ يَدْعُوُنَّهُ الْقَشْرُ﴾ (الشعراء:٢٧٤).

ويحمل أن المراد ب«غداً» يوم القيامة وتعذيبهم بالنار. كا قال تعالى: ﴿وَسَعَلَّهُ﴾

أَلَيْنَ أَلْحَمَأَيْ مَنْ قَلَبَ بَيْنَ قُلوبِهِنَّ﴾ (الشعراء:٢٧٣).

ولا منع من حمل الآية على هذا وهذا.

وَلَفِي الْكَذِّبِ الْأَلْبَدِ أَي: من هو الكذاب الأشهر، هو صالح عليه السلام أو
أنهم هم الكذابون الأفاضلون الأشرون. وفي الآية تهديد لهم شديد ووعيد أكيد.

إِنَّا مُسِلِّمُونَ الْكَافِرُونَ أَي: التي سألوها ﴿فَنَزَّلَ نُعْمَةً﴾ أَي: امتحانًا وابتلاءً لهم.

كما قال عز وجل: ﴿وَتُبْلِكُونَ بِالْقَهْرِ وَالْفَتْرَةِ فَتَحْيَٰئَةً﴾ (الأنبياء:٣٥).

(١) الآيات لأبي الأسود الدؤلي. انظر «ديوانه» ص ٥٤.
(٢) البيت لهديًة بن خشم. انظر: «أمل القاني» ٨٧٢، «خزائن الأدب» ٩ / ٣٣١.
سورة القمر، الآيات: 26 - 27

ومن الفتنه والابتلاء تيسر أسباب المقصود.
قال الطبري (1): "إِنَّا بِأَعْمَالِ النَّافِئِاتِ خَالفُوهَا شَمُودًا صَالِحًا مِنَ الْحَضَبَةِ الَّذِي سَأَلَوْنَهُ بِهَا نَزُوعًا، وَفِي أَنْبَأُكَ أَنَّهَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءً مِنْ صَخْرَةِ صُيَاء، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، لِتَكُونَ نَجَاحًا عَلَيْهِمْ فِي تَسْقُيَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْهَا جَاءَهُمْ بِهِ." 

وقال ابن كثير (2): «أَخْرَجَ اللّهُ مِنْهَا نَافِئَةً عَظِيمَةً عَشَرَاءً مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، لِتَكُونَ نَجَاحًا عَلَيْهِمْ فِي تَسْقُيَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْهَا جَاءَهُمْ بِهِ.»

"فَأَرَاهُمْ أَمَرَهُ مِنْ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ صَالِحًا عَلَى الْسَّلَامِ.
أَيْ: أَنْظَرُوا مَا يَوَلُوُّ إِلَيْهِ أَمَّرَهُمْ، وَمَا يَعْمَلُونَ، وَهُمَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءٌ مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، وَفِي أَنْبَأُكَ أَنَّهَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءٌ مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، لِتَكُونَ نَجَاحًا عَلَيْهِمْ فِي تَسْقُيَةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْهَا جَاءَهُمْ بِهِ.»

"وَأَصَابَتْهُ أَيَّةُ مَا أَصَابَهُ أَيَّةٌ مَا أَصَابَهُ إِمَامًا مَا أَصَابَهُ إِمَامًا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ، أَلَّا يَأْخُذُوهُمْ إِمَامًا مَا أَصَابَهُمْ إِمَامًا."

أي: أَنْظَرُوا مَا يَوَلُوُّ إِلَيْهِ أَمَّرَهُمْ، وَمَا يَعْمَلُونَ، وَهُمَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءٌ مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، وَفِي أَنْبَأُكَ أَنَّهَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءٌ مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، لِتَكُونَ نَجَاحًا عَلَيْهِمْ فِي تَسْقُيَةِ صَالِحٍ عَلَى الْسَّلَامِ فِيْهَا جَاءَهُمْ بِهِ,

أَيْ: أَنْظَرُوا مَا يَوَلُوُّ إِلَيْهِ أَمَّرَهُمْ، وَمَا يَعْمَلُونَ، وَهُمَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءٌ مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، وَفِي أَنْبَأُكَ أَنَّهَا نَكَّهَةٌ عَظِيمَةٌ عَشَرَاءٌ مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، لِتَكُونَ نَجَاحًا عَلَيْهِمْ فِي تَسْقُيَةِ صَالِحٍ عَلَى الْسَّلَامِ فِيْهَا جَاءَهُمْ بِهِ."

وُهِيَّنُوهُمْ أَنَّ اللّهَ فِضُلَّهُمْ بِنَبِيِّهِ، الأمر لصالح عليه السلام، أي: أَخْرَجَهُمْ إِنَّهُ نَكَّهَهُ عَظِيمَةً عَشَرَاءً مِنْ صَخْرَةِ صُيَاءَ، طَبِقَ مَا سَأَلَوْا، لِتَكُونَ نَجَاحًا عَلَيْهِمْ فِي تَسْقُيَةِ صَالِحٍ عَلَى الْسَّلَامِ فِيْهَا جَاءَهُمْ بِهِ."

وَأَصَابَتْهُ أَيَّةُ مَا أَصَابَهُ أَيَّةٌ مَا أَصَابَهُ إِمَامًا مَا أَصَابَهُ إِمَامًا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ، أَلَّا يَأْخُذُوهُمْ إِمَامًا مَا أَصَابَهُمْ إِمَامًا."

وَأَصَابَتْهُ أَيَّةُ مَا أَصَابَهُ أَيَّةٌ مَا أَصَابَهُ إِمَامًا مَا أَصَابَهُ إِمَامًا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ، أَلَّا يَأْخُذُوهُمْ إِمَامًا مَا أَصَابَهُمْ إِمَامًا.

وَأَصَابَتْهُ أَيَّةُ مَا أَصَابَهُ أَيَّةٌ مَا أَصَابَهُ إِمَامًا مَا أَصَابَهُ إِمَامًا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ، أَلَّا يَأْخُذُوهُمْ إِمَامًا مَا أَصَابَهُمْ إِمَامًا.
وقال ماجد: "أذا غابت يعني الناقة حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن".(1)

فعل هذا فهم في يوم وردها لا يشربون من الماء، وإنما يشربون من لبنها.

فَذَارَوْا صَاحِبُهُمۡ فَمَفَّتَحُهُمۡ الْفَاءٌ: عَاطِفَةٌ أَيْ: فَنَادَى الْقُومَ صَاحِبُهُمۡ وَاسْمَهُ قُدْرٌ ابن سالف، كأ ذكر المفسرون، وكان أشقى ثمود، كما قال تعالى: "إِذَا أُعَبِّثَ أُشْقِينَهَا".[الشمس:12]

لَفَّعَاطَنَ مَفْتَحٍ الْفَاءَ فِي الْمَوْضِعِينِ: عَاطِفَةٌ، وَالْمَعْنِي: بذل نفسه ووافق بسرعة

وتناول السيف وانقاد لما أمروه به وتقدم فعقر الناقة.

فَكَيَّنَ كَذَكَرَهُمْ وَنَدَرَهُ: أي: فعايثتهم، فإ أعظم عذابهم وعقوبتهم لهم على كفرهم، وتكلينهم لرسولهم، ما فيه أعظم رادعهم وزجر وخوف لغيرهم، وكيف كان

إِنْذَارِي فِي هُمْ أَيْ: ما أشده وأوضحه وأبينه بما لا حجة له مبعده.

إِنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجَدَةً: أي: إذا أرسلنا عليهم جميعاً لا مالؤا على عقر الناقة

فعقوروا صيحة واحدة قطعت قلوبهم في أجوافهم. فهنا من آخرهم في اليوم الرابع من عقرها. وهي الرجفة والصاعقة.

فَكَأَنَّهَا: أي: فكانوا بعد هذه الصيحة.

كَهْيَمُ السَّلْصِيِّبِرِ: الهشيم: هو اليابس الهامد المتفتت من الزروع والنباتات، وشجر

الحظيرة، تنسف الريح، وتفرقه يميناً وشمالاً، وهنا وقال تعالى: "أَرَّبَتْهُم مَّكَّانَ الْخُيَّةِ أَمَّنَاءَكُمْ وَتَبَيَّنَتْ لَهُمْ الْخُطَايَا".[الكهف:45]

و "المحتور": صائغ الحظيرة لواشيء من الشجر.

والمعنى: أنهم هلكوا وما توا وباطوا عن آخرهم فلم يبق منهم باقياً، وخدوا

وهموا، كما يحمد وماهم يابس الزروع والنباتات والشجر.

قال تعالى: "فَعَفُّواَ أَلَاتِهَا وَعُصْبَةٍ عَنْ أَمْرٍ رَّبِّهِمْ وَقَالُواَ نِصْبِيْبُ أَمْيَةً يُمَّا تُذَدَّنَّا إِنَّا كُنْنَا مِنَ النَّفَسِينَۚ«[الأعراف:۷۸]»، وقال تعالى: "فَلَمّا جَأَكُهُمْ أَمَيِّنًا جِنَّٰتُكُمْ وَلَدَيْهِ".

(1) أخرجه الطبري 28/231.
سورة القمر، الآيات: 33 – 36

أمنعوا معيَّنةً وهم يجتمعون ممّا عنهم خُذوا يُوفونهُ إِنَّ ذُبُحَ هوُ الْقُوّةُ الْصَّمِيرُ ۖ وَأَنْذَرُ ۙ ۖ مَا لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ \(^{61}\) ۙ لِيُكَبِّرُوا الْكُبْرَىَّةَ ۚ (هود: 67).

وقال تعالى: ۗ فَأَخْطَأُهُمُ الصِّدِّيقُ الْمُؤْمِنُ ۗ (الحجر: 43)، وقال تعالى: ۗ وَأَنَا نَعْلَمُ
فَهَدَيْنِـهِمْ فَأَعْسَحَـوا الْمَيْـنَ ۗ فَأُخْرِجَـوا مِنْ أَخْرَجَـتْهُمُ السَّيِّـمُ هُمْ ۗ (يونس: 17).

[فصلت: 178، 179.]

وقال تعالى: ۗ كَذَّبَتْ هُمْ يُطْعِمُونَهُ ۗ إِذْ أَنَبَأَهُمْ أَنَّهُمْ ۗ (النمل: 14)، فقال: ۖ فَقَدْ لَمْ يَعْلَمُوا نَغْوَـيْـهُ ۗ (الأَزْىَ: ۲۵۰) ۗ فَكَذَّبَـوَهُ فَعَفَوْـهُ فَكَفَّارَـتُهُمْ أَمَّا مَوْتُهُمْ لَيْوْنَـهُمْ ۗ (الأنبياء: ۳۴).

وَهَـيْكَ كَانَ طَـلبٌ ثَـمَودٌ وَسُؤَلَـهُمْ النَّاـقَةُ فَنَتَتَّـبُّهُمْ ۗ كَانَ طَـلبٌ ۗ
وَسُؤَلَـهُمْ الْمَائِدَةُ فَنَتَتَّـبُّهُمْ ۗ.


وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَـنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ۗ إِنَّ مِنْ أَعْظَمَ
المسلمين جرَّاءً مَّن سَأَلَ ۗ وَقَالَ: ۗ إِنَّ اللَّهَ فِرُضَ فَرَاضٍ ۗ فَإِنَّ الْحَـجُّ وَفِرْضٌ ۗ (النحل: ۱۷۷).
1- تكذيب ثومود نبيهم صالح عليه السلام وما جاءهم به من النذر من عذاب الله عز وجل؛ لقوله تعالى: "كُذِبْتُمْ مَعْبُودَيْنِيَّ".

2- احترار ثومود نبيهم صالح عليه السلام وازدراؤهم له لا شيء إلا لأنه يشر واحد منهم، ولذلك لم يتبعوه؛ لقوله تعالى: "فَقَالُوا أَبْشَرَنَا وَجَنًّا نَّعْمَهُمَا إِذَا أَقِفْتُمْ وَسُجِّدُ".

3- حسد ثومود لنبيهم صالح عليه السلام حيث خص بالرسالة دونهم وتكذيبهم له بسبب ذلك؛ لقولهم: "أَلَئِفُ الْأَمْرَ أَنْ تَلْبَسَنَّ الْجَلَّابِيرَ".

4- وجوهر الخذرف من الكبر والحسد فإنهما من أعظم أسباب رد الحق.

5- الوعد والتهديد لثومود بالعذاب العاجل والآجل؛ لقوله تعالى: "سَيَعْمَدُونَ عَدَا مِنَ النَّكَذَابِينَ الآخِرَانَ".

6- إرسال الله عز وجل- الناقة لثومود إجابة لسوأهم إياها وتصديقاً لصالح عليه السلام وفترة هم؛ لقوله تعالى: "إِنَّا مَرَضِيْلَا أَنْتَهَا فَأَنْتَهُمَا".

7- أمر الله عز وجل- نبيه صالح عليه السلام بالانتظار بقمه والصبر على أذاهم، وإمهاهم؛ لقوله تعالى: "فَأَرْشَقُوهُمْ وَأُصْطَبِرُوهُمْ".

8- أن ما أبى الله عز وجل- ثومود حين أرسل الناقة فتنئة لهم أن جعل الماء قسمة بينهم وبينها لها شرب وهم شرب يوم معلوم؛ لقوله تعالى: "فَأَرْشَقُوهُمْ أَنْ أَلْتَمَسُوهُمْ بِنَارَ حَقِيقَةً".

9- جرأة ثومود وإقدامهم على عقر الناقة ومخالفة أمر الله وارتكاب نهى؛ لقوله تعالى: "فَأَرْسَالُوهُمْ نَفَقَرُ".

10- شدة عذاب الله عز وجل- لثومود حيث أرسل عليهم صحة قطعت قلوبهم في أجواءهم بعد إقامة الحجة عليهم والإعذار منهم؛ لقوله تعالى: "فَيَا أَرْسَالُهَا..."
11 - تأكيد نعمة الله - عز وجل - على العباد بتيسير القرآن للذكر حضاً على تذكره والانعاظ به؛ لقوله تعالى: 

وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلْذِّكْرِ ۖ فَهَلْ يُتَذَكَّرُونَ
قال الله تعالى: "كُتِبَ لَعْبَةُ اللَّهِ عِنْدَ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَيَكُونَ عَذَابُهُ فِي النَّارِ مَّعَ لَا سُنُودًا لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا يَعْبُدُونَهُ" (الإسراء: 21).

بعد ما أخبر الله عز وجل عن تكذيب قوم نوح، وعاد وثدود وتعذيبهم وإنجابه الله عز وجل لأنبياته ونصره لهم أخير عن تكذيب قوم لوط وعقابه لهم وإنجابه لوطاً عليه السلام، ومن آمن معه من أهله وقومه،

"كُتِبَ لَعْبَةُ اللَّهِ عِنْدَ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَيَكُونَ عَذَابُهُ فِي النَّارِ مَّعَ لَا سُنُودًا لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا يَعْبُدُونَهُ" (الإسراء: 21)، وقال تعالى: "كُتِبَ لَعْبَةُ اللَّهِ عِنْدَ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَيَكُونَ عَذَابُهُ فِي النَّارِ مَّعَ لَا سُنُودًا لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا يَعْبُدُونَهُ" (الإسراء: 21).

فلما قبضهم أحد إلى فعل هذه الفاحشة التي هي أعظم الفواحش، وهذا ذكرها الله عز وجل معرفة بـ«الله» (اللفاحية) بينا ذكر النزأ بأنه فاحشة، قال تعالى: "ولَا تَقْرِيبُ أَلْيَامَ الْخَيْرِ" (الإسراء: 22).

وإذا كان اللواتي أشد فحشة وأجدرًا من الزنا، لأن إتيان الذكر لللواتي لا يجل بحال من الأحوال، بخلاف إتيان الذكر للأنثى فهو يجل بطريق الزوجات الشرعية وطريق الملك، كما قال عز وجل: "وَأَلَّهُمْ مَّنْ اقْتَرَحَهُمْ حِيْثُ أُدْخِلُوهُمْ إِلَى أَمْرِهِمْ وَإِنْ أَنزَلَهُمْ رَبُّهُمْ فَفَعَّلَهُمْ قُوَّةً مَّعَ نَفْسِهِمْ" (الإسراء: 22-23).

وأيضاً: فإن اللواتي قد يصعب التحرز منهم، لأن وجود الذكر مع الذكورة لا يستنكر،

بخلاف ما إذا وجد رجل وأمرأة، فإن ذلك يستنكر لما لم تكون من مخارجه.

وقد روي أن عبد الملك بن مروان رحمه الله قال: "لولا أن الله ذكر اللوات في
القرآن ما صدقته أن ذكرًا يعلم ذكرًا.

وقدماً كله جعل الله عز وجل عقوبة اللواط: القتل، سواء كان الفاعل والمفعول به
حصين أم لا، قال ﷺ فيها رواه ابن عباس رضي الله عنها: «من وجد مره يعمل عمل
قوم لوط فألقتا الفاعل والمفعول به».(1)

وعاقب الله عز وجل قوم لوط على هذه الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من
العالمين بعقوبة لم يعاقب بها أحدًا من العالرين، وهي أشد العقوبات فجعل علالي قريتهم
سافلها وأمر بها بحجاره من سجل منضود.

(2) ﷺ: (إِنَّ رَبِّي عَلَيْهِ حَمَّادَةٌ،) أي: أمطر الله عليهم حجاره من سجل، فجعل علالي
قريتهم سافلها، كما قال تعالى: «قلماً جاءه: أمرنا جعلنا علية ساقفتها وأمطرنا على
جارحة من سجلي مصبوغ» [لوي: 82)، وقال تعالى: (فجعلنا علية ساقفتها وأمطرنا عليه
جارحة من سجلي] [الحج: 72].

قال ابن كثير (3): (إِنَّ رَبِّي عَلَيْهِ حَمَّادَةٌ،) وهي الحجاره.

(4) ﷺ: (إِلاَّ أَلَّا مَلَأ لَّوْ سَيَصْبُحُوا سَيَسْرُوُّهُ،) إلا أداة استثناء، و(أل لوط) هم لوط وبناته.

وقال ابن القيم (4): (الرود به أتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيرهم).

(5) ﷺ: (يَجِينُوهُمْ) من العذاب والعقاب، (يسرح) أي: وقت السحر آخر الليل، وقيل
إصعد الفجر، وهو أفضل أوقات الدعاء، وقت النزول الإلهي إلى السماوات الدنيا في
الثالث الأخير من الليل، كما صح الحديث بذلك.(4)

(1) أخرج أبو داود في الخردود 4462، والرزمي في الحدود 1456، وقال: (حديث حسن) وأبو ماجه
في الخردود 2561، والعاسم في المستدرك 340-350 وصححه ووافقه الذهبي. وقال ابن القيم في [زادة
المعارف] 414، (3) انظر (تفسيره) 455.

(2) (3) تفسير: 7/415。

(4) كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربي بارك وتعالى كل ليلة إلى
السماء الدنيا، حين يبقى ثلاث الليل الآخر، فقولون: من يدعون فأجرب له، من يسأل فأعطيه من
نسكطوري فأغفر له). أخرجه البخاري في التوحيده 7494، ومسلم في صلاة المساافرين 758، وأبو
قال ابن كثير: "أي: خرجوا من آخر الليل، فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يكونوا بلوط من قومه أحد، ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبناته له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء.

"ير비용 من عينيناً"، أي: نعمة من عند الله عز وجل ومنه على لوط وأهله في إنجابهم من العذاب، وإهلاك عدوهم.

"كذللك نجري من نكر"، أي: مثل ذلك الإنجاء والنعمه نجى من شكر نعمة الله بطاعته عز وجل، وطاعة رسله فتجه من العذاب ونصره ونجعل العاقبة له، ونحل عدوه.

وفي قوله: "كذللك نجري من نكر" دون أن يقول: لشكرهم تنبى على أن هذه سنة الله عز وجل مع أوليائه الشاكرين أن ينجيه ويسعدهم ويسعونهم وينصروه ويخفف عقوبته عز وجل.

قال تعالى: "فأصاب إن الفظية للظلمين" [هود:49]، وقال سبحانه: "والظلمين للقوى" [طه:132].


وقال تعالى: "فصل أخذنا وذبتنا فينهم من أرسلنا عليه حاضباً ومن بهم من أخذنا الصبية ومن بهم من أخذهم وشمت هم من الأرض ومن بهم وأنفساً وما صخبت الله ليظلمهم

ولكن سكننا أنفسهم بظلمهم" [العنكبوت:40].

"فصدروا بالندى" الإطاء: عاطفة أي: فكذبوا وشكونا فيها أنذرهم به، ولم يضغوا إليه ولم يصدقوه.

"ولقد زودوه عن ضيوعهم"، أي: والله لقد رادوه عن ضيوعهم: حاولوا معه.

---

(1) في التفسيره 455، 455. 1366، والترمذي في الصلاة 439، وابن ماجه في إقامة الصلاة 1315.
وطبوا منه أن يمكنهم من فعل الفاحشة بأضيافه من الملائكة.

قال ابن كثير: «وهم جبريل وميخائيل وإسرائيل عليهم السلام، جاؤوا إليه في صورة شباب مكرمة من الله بيهم، فأضافهم لوط، وبعثت أمرته العجز السوء إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يعبرون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دوهم الباب، فجعلوه يحاولون كسر الباب، وذلك عتابة، ولوط، عليه السلام يدفعهم ويمنعهم دون أضيافه، ويقول لهم: (هؤلاء بناء) يعني نساءهم (إن كنْتُمْ قائلين) [الحجر: 61]، فألقوا قد علَّمتُمُ وإنكم في العلم من حيث، أي: ليس لنا فيهم إرب (وأنا لنعلم ما يعدي) [هود: 79]. فلما استشهد الحال، وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب غزونهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم، يقال: إنها غارت من وجوههم، وقيل: إنه لم بق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أدابهم يتحضرون بالحيتان، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلى الصباح».

(قطَّسَتْنَا أعينهم) أعينهم.

(فنجوعاً عذابًا ودُحر،) أمر إهانة، أي: فتجرعوا وأحسوا، وقاسوا شدة عذابي للمكذبين، وعقوبة تذكيرهم لنذري.

(وَقَدْ صَبَّحُوهُم) أي: والله لقد صبحهم (بكرة)، أي: أول النهار.

(عذاب مُستسقَر،) أي: مستقر وواقع بهم لا محيد لهم عنه ولا انفاذ لهم منه، لا يرحل عليهم مشاكل فحسبا الدنيا بعدب الآخرة، وهو ما ذكره الله عز وجل من جعل عذابهم أسره واعتباه بالحجاره، كما تقدم، قال تعالى: (أفتحوا لاهله وألماتروه،) كانت يرتقي الدينان (وأطروا غلبيهم) فنظر حكيم كاتب عينين المجرمين، [الأعراف: 33]، [الحجر: 64].

وقال تعالى: (فِمَّاءٍ عَلَى صُفُّهُمْ وَأَمْطَرَةٌ عَلَى عُنُقِّهِمْ حَجَاةٌ مِّنْ سِجْلٍ) [الحجر: 7].

(فُذِّبْوا عَذابًا ودُحرًا) الكلام فيه كscopy، وكرر: لتلقي التهديد والوعيد.

(وَلَقَدْ يَنْبِرُ الْقُرْآنَ لِلْمّيْتِينَ فَيُقَلُّ لَمَّا كَرَرَ كررً لِلْامْتِنَانِ وَالْحَتَّةِ عَلَى تَذَكِّرِ الْقُرْآنَ (1) في تفسيره 37/406 -406.
عَنِ الرَّحْمَنِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ج 21

وتذبره- كأ تقدم بيانه.


و«فردون» علم على كل من ملك مصر من الكفراء.

والمعنى: والله لقد جاء فرعون وقى من عند الله وجل فأرسل الله إليهم نبيه موسى عليه السلام كليم الرحمن، وأخاه هارون، وأيديهما بالنذر ومعجزات الآيات العظيمة الشرعية والكونية.

كَذَٰلِكَ بَيَابَانًا كَلَهَا، أي: كذبوا وكفرنا بآيات الله كلها الشرعية والكونية، الدالة على صدق رسالة موسى عليه السلام، وروموه بالسحر والجنون.


أَنْذِرْ أَيْنَ تَقَبَّلُوا بِهِ فَلَا يُجَابُهُ نَسِيًا، أي: أخذ قول قاهر غالب له العزة بأقسامها الثلاثة: عزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة، وعزة القوة.

فَنَفَقَّدْ أَيْنَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، كأ قال عز وجل: «فَبَشَرَ أَلِيمًا أَسْتَنْفَرَ» [المائدة: 120].

الفوائد والأحكام:

1- إثبات رسالة لوط- عليه السلام-، وتكذيب قومه له، وما جاءهم به من النذر من عند الله- عز وجل-؛ لقوله تعالى: «كَذَّبَاهُ فِي مَثَلِ الْغَمْرِ».

2- إهلاك الله- عز وجل-؛ لقوم لوط بإرسال الخاصب والحجارة عليهم وجعل عالي قريتهم سافلها، بعد إنهاء لوط وألله وإخراجهم منها؛ لقوله تعالى: «وَيَا أَرْسَلْنَا عَلَىٰكَ».
سورة القمر، الآيات: 23-24

- الإشارة لفصل وقت السحر؛ لأنه وقت النزول الإلهي.
- نعمة الله - عز وجل - على لوط وآله في إنجائتهم من العذاب مجازاة لهم على شكرهم الله - عز وجل - لقوله تعالى: »يَعْمَمُ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ فَذَٰلِكَ جَهَرٌ مِّنْ شَكْرٍ.
- وعد الله - عز وجل - لجميع الشاكرين بالإنعام عليهم وإنجازاتهم من العذاب.

لقوله تعالى: »كَذَٰلِكَ جَهَرٌ مِّنْ شَكْرٍ.

- إنذار لوط على السلام لقومه وتحذيرهم من أخذ الله لهم وعقابه وتشكيكهم في ذلك.

- قول له تعالى: »وَلَقدْ أُذْهَبْنِي بَصِيرَةً يَسْتَنْتَجِهَا بَنِي إِسْرَئِيلَ.
- طمس أعين قوم لوط عن ضيوفه لما راودوه عنهم; دفاعًا عنه عليه السلام وحفظا له وضيوفه، وعقوبة لقومهم المجرمين.
- لقوله تعالى: »فَقَمْتَ عِنْيَهُمْ فَذَٰلِكَ أَنْفَعْتَ عِبَادًا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالنَّبِينَ.

- وقوع العذاب بالمكذبين من قوم لوط أول التهار واتصاله بعذاب البرزخ.

- عذاب الآخرين.

- شدد عذاب الله - عز وجل - للمكذبين من قوم لوط وإنذاره لهم ولغيرهم.

- تأكيد الوعيد والتهديد للمكذبين.

- تأكيد تمسك القرآن للذكر امتتانًا على العباد، وحضًا على التذكرة والاعتزاز.

- إقامة الحجة على فرعون وقومه بإرسال الرسل والتنذر إليهم;

- قال لهم تعالى: »وَلَقدْ أُذْهَبْنِي بَصِيرَةً يَسْتَنْتَجِهَا بَنِي إِسْرَئِيلَ.

- تكذيب آل فرعون بآيات الله كلها الكونية والشرعية، وأخذهم وإهلاكم بالغرق.

- عزة الله - عز وجل - النامه وقدرته العظيمة في الانتقام من المكذبين;

- تعالى: »فَأُخْفِيَ مَا تَحْيَى مُقَدَّرًا.

- التحذير من التكذيب بآيات الله تعالى.
قال الله تعالى: {أَكَفَّارُ مِنْ أُولِي الْأَمْرِ أَنْ لَوْ كَبَّارَةً فِي النَّارِ} {أَرَمَيْنَ الْكَافِرِينَ}. في الناقة موفقهم والدناءة أعقانهم وآمرهم.

بعدما أخبر الله - عز وجل - عن عذابهم وعقوباتهم للمكذبين من الأمم السابقة، قوم نوح وعاد وثورود وقوم لوط وآل فرعون، وإنجائه عز وجل لرسله ونبيه، وأتباعهم وجه الخطايا للمشركين والكلفار من هذه الأمة من أهل مكة وغيرهم؛ تخديرًا وتخويفًا لهم ووعيدًا وتهديدًا بأنه سيحل بهم مثل ما حل بالمكذبين والكافرين قبلهم.

قوله {أَكَفَّارُ} الاستفهام في المواضع الثلاثة: للإناكار والتفني، والخطاب لكفار مكة وغيرهم من كفار هذه الأمة.

{مُنْتَصِرُونَ}، أي: خير من أولئك الأقوام الذين عذبهم الله لما كذبوا رسوله.

وكفر بها: قوم نوح وعاد وثورود وقوم لوط وآل فرعون.

والجواب: ليس كفاركم خيراً من أولئك الأقوام، بل أنتم وإياكم سواء في الكفر والكذب لرسول الله بل قد تكونون شرًا منهم؛ لأنكم كذبتين أفضل الرسل وسيد الخلق محمدًا ﷺ، والذي جاء بأفضل الكتاب وأعظم المعجزات القرآن الكريم.

{أَلَمْ لَكَ سَبِيْلٌ فِي النَّارِ} {أم} في الموضعين هي المقطعة، بمعنى {بل} التي هي للإضراب الانتقالي وهمزة الاستفهام، أي: بل ألكم براءة في الزبير من عذاب الله.

وعقابه، والزبير: هي كتب الله عز وجل التي أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام.

والجواب: ليس لكم براءة في كتب الله المنزلة على رسول أن لا ينالكم عذاب الله.

وعقابه.

{أَرَمَيْنَ الْكَافِرِينَ}، أي: بل أرئون نحن جمع منتصر.

فهم يعلمون أنهم ليسوا خيرًا من كان قبلهم من المكذبين، وأنه ليس لهم براءة من العذاب في كتب الله، بل حقيقة أمرهم واعتقادهم ونسان حاكمهم ومقامهم أنهم يقولون: {مُنْتَصِرُونَ}، أي: نحن جمع جمع أمرنا {منتصر} ممنع لا غلب.

أي: أننا بجمعنا الكثير ممنعون، لا غلب، وسيئتنا بعضنا لبعض ويدفع بعضنا عن بعض من أرادنا وسوء، وهذا افترار منهم بكررهم وقد قال الله عز وجل للمؤمنين
سورة القمر، الأيات: 43-46

وَيَوْمَ هَلَكُونَ إِذَا أَصْحَبْتُكُم مِّنْ قَرْنٍ مَا تُعْمَنَ عَنْهُمْ مَكَابَةً وَيَطَّافُ عَلَيْهِمْ
الْأَرْضُ بِمَا رَبَّتُوهُمْ وَمَا كَسَّاهُمْنَ مُدْمِرًّا (التوبة: 20).

سَيِّرُونَ الْمَلَائِكُ، أي: سيغلب هذا الجمع الذي يفخرون به، ويعتقدون أنهم
سيصرون به.

وَيُولِّونَ الْدُّنْيَا، أي: ويولون موقع المعركة أدارهم فارين هاربين من هزيمتهم.
علي أعقابهم بعد قتل صناديقهم وكبارهم، وهذا عذابهم الدنيوي، وقد وقع ذلك في يوم
بدر، وفياً بعدم معارك الإسلام الفاصلة.

عن عكرمة قال في نزلة: سَيِّرُونَ الْمَلَائِكُ وَيُولِّونَ الْدُّنْيَا قال عمر: أي جمع يهم؟
أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدروع، وهو
يقول: سَيِّرُونَ الْمَلَائِكُ وَيُولِّونَ الْدُّنْيَا فَفَعَّلَتْ تَأوِيلَها يوْمَتِ (١).

فِي الْمَكَابَةِ مُؤَدْعٍمًا، للإضراب الانتقال، والساعة: القيادة; لأنها آتية لا
محلة، ومعدلة الوقوع في ساعة من الزمن لا تتأخر عنها ولا تنقذه، أي: بل القيادة
موعدهم للعذاب.

وَالْمَكَابَةِ مُؤَدْعٍمًا، أي: والقيادة أعظم داهية، وأمرٍ، أي: أشد مرارة.
أي: أن عذاب الآخرة أشد وأعظم من عذاب الدنيا. عن ابن عباس رضي الله عنها
أن النبي ﷺ قال وهو في نزلة له يوم بدر: أنشدوك عدهك ووعده، اللهم إن شئت لم تمعد
بعد اليوم أبدا، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه يبده، وقال حسبك يا رسول الله فقد
لَحَتْ عَلَى رَبِّكَ الْمَكَابَةُ، وهو في الدروع، فخرج وهو يقول: سَيِّرُونَ الْمَلَائِكُ وَيُولِّونَ الْدُّنْيَا.
(٢) في
الْمَكَابَةِ مُؤَدْعٍمًا، والساعة: أدْعٍمًا وأمْرٍ (٣).

فَعَذَابُ الْدُنْيَا مِهَا كَانَ لا يُقَارَن بِعَذَابِ الآخِرَةِ، كَأَلَّا قَالَ عَزُوْلِجَ: (٤).

(١) أَخْرِجَهُ أَبِي حَاتِمُ عِنْ تَقْسِيْرِهِ ١٠١١/ ٣٣٢ - الأَلْف ١٨٧١. وَلَسْتُ فِي ذَكْرِ عُمَّرٍ وَانتَظِرْ تَقْسِيْرِ اِبْن
كَيْثَرٍ ٧٦١٧٠٥.
(٢) أَخْرِجَهُ الْبِخَارِيُّ عِنْ تَقْسِيْرِ سُورَةَ اِقتَرَبَتُ السَّاعَةِ ١٧٧٧. ٤٨٧٧.
وعاذب الدنيا مهما عظم، ومها طال ينتهي بالموت، أما عذاب الآخرة فهو أعظم
وأشد وأكبر ولا نهاية له، بل هو عذاب أبيدي سردي، كم قرأ تعالى: {وَعَلَىٰ ذٰلٰكَ} (النجم: 27)، أي: دائم، وقال
 تعالى: {وَمَا هُمْ إِلَّا كَذٰلٰكَ} (البراءة: 17)، وقال تعالى: {لَا يَرَاهُمْ مِنْ فَتْرَةِ يَرَاهُمْ} (الزخرف: 20)، أي: لا يقطع عنهم فترة يرتحلون فيها، وهم فيه آبوسن من الخروج منه.
وإذا كان عذاب الدنيا وأذاؤها لا يقارن بعذاب الآخرة بحال من الأحوال، فيجب أن يحذر مرء القلوب وضعاف الأرواح، فمن يؤثرون السلاماً، بل السلبياً، فتتخلون عن القيام بأمر الله والدعاء إليه والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر حتى مع أخص الناس بهم وأرقهم إليه من أهل وأولاد وأقارب وحيران وأخوان، وقد قال الله عز وجل: {وَمِنْ آلِ الْاَّبِنَاتِ يَقُولُونَ لَآ أَرْضَى فَإِذَا أُرْزَى فِي الْأَرْضِ} {فَآتَيْنَاهُمَا كَعُدَّادٍ} (العنكبوت: 10).
الفوائد والأحكام
1- التحذير والتخويف والوعيد والتهديد للمكلفين من هذه الأمة أن يحذروا بما
حل بالمكلفين من الأمم السابقة، لقوله تعالى: {أَكْتَفَرْنَ بِأَوَّلِينَ أَوْثِينِى}.  
2- أن المكلفين من هذه الأمة ليسوا خيراً من المكلفين من قبلهم، بل هم في الكفر والتضطهيد سواء، بل قد يكونون شراً ممن قبلهم، لأهم كذبنا أفضل رسول الله محمدًا.
خبير كتبه القرآن الكريم، لقوله تعالى: {أَكْتَفَرْنَ بِأَوَّلِينَ أَوْثِينِى} (النور).
سورة القمر، الآيات: 32 - 46

3- ليس لدى المكذبين للرسول ﷺ براءة أن لا ينامهم عذاب الله وعاقبته؛ لقوله تعالى: "أَوَلَّاهُ الْقُرْآنَ فِي الْزِّمْرِ".

4- اغتار المكذبين بكثيرهم وجمعهم وانتصار بعضهم لبعض، فلم يغنهم ذلك؛ بل هزموا شر هزيمة في بدر، وولوا الأدبار؛ لقوله تعالى: "أَمَّمُونَۛ مَنْ جَعَلْنَّهُ مُنَصِّرِينَ سَيَهْرُمُ بَيْنَاهُمْ وَيُولِّونَ الْقَبْرَ".

5- الوعيد والتهديد للمكذبين بالعذاب الآجل يوم القيامة والذي هو أشد وأعظم؛ لقوله تعالى: "قُلِ الْبَيَانَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالْكَعِبَةُ أَدْخَلْنَاهُمْ وَأَمَّرْنَهُمْ".

* * *
قال الله تعالى: «إِنَّ الْمُعَجِّمِينَ فِي سَمَّى وَسَعَرُ ۛ يُذْهَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُو فَ يَا مَلِکُ ۛ إِنَّا أَمَرْنَاكَ لَا تَرَجِحْ بِالْبَصْرِ ۛ وَلْيَلْعَبْنَا أَشْيَاءَكُمْ ۛ فَ هُمْ يُعَدُّونَ ۛ وَئِلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ فَلْيُقَدِّرُوا ۛ وَلَوْ سَمَّيْتُكَ مِنْ شَيْءٍ ثَّانِيًا ۛ فَأَكِئِلُوا مِنْ ذُي سَمَّيْنِ ۛ فِي مَأْذَنِكُمْ عَنْدَيْنَ لَكُمْ ۛ وَلَقَدْ أَحْلَكَنَا أَشْيَاءَكُمْ ۛ فَ قُلُوا مَا لَنَا مِنْ ذُي سَمََ» (سُمَرُ ۸، ۹، ۱۰).

توعد الله عز وجل في الآيات السابقة المشركين بالهزيمة في الدنيا والذنوب في الآخرة، ثم أتبع ذلك بشيء من التفصيل في عذابهم، ثم أتبع ذلك بيان عظم ثواب المتقيين ورفعة مقدمهم عند الله، على طريقة القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب. قوله: «إِنَّ الْمُعَجِّمِينَ» (المجرمين) الذين ارتكبوا ال грائم، من الكفر بالله وما دون ذلك من المعايض والذنوب.

في سِمَّي: الضلال: التيه والبعد عن قصد السبيل وطريق الحق، والضال: من لم يعرف الطريق الموصل إلى الغاية والنهاية، حسبًا كان هذا الطريق أو معنويًا.

فهذا حال المجرمين في الدنيا، فهم تآهون ضائعون عن طريق الحق يختبئون في ظلائر الجهل والكفر.

وِسَعَرُ: جمع سعير، وهي النار المستعمرة المشتلة المحضودة وهذا مآل المجرمين في الآخرة أنهم يزجُون في النار المستعمرة. فكأنه تأهوا عن طريق الحق في الدنيا تأهوا عن طريق الحياة في الآخرة فصار مصيرهم إلى النار المستعمرة، إذا ليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، كا قال:

"يا ليت شعري بعد الموت ما الدار" 
"أليس الاله وإن فرطت فالتناجر" 
"هناك من الناس غيرهم فاختر لنفسك ماذا أنت تخطار" (1)

وقيل: "وِسَعَرُ"، أي: وجنون ونصب وعذاب.

(1) الأبيات لأبي العثحية، انظر: "ديوانه" ص 142.
قال الطربي (1): "وَسَيْقَرُ يَقولُ في احترام من شدة العنان والنصب في الباطل".

وقال ابن كثير (2): "وَسَيْقَرُ" مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء،

وهذا يشمل كل من أتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق.

"يَأْتِيُوهُمْ عَلَى مَلَايَكَةٍ رَكَابُهُمْ"، أي: ذلك اليوم يوم القيامة الذي يسحبون فيه في النار، أي: تسحبهم الملاكاة على وجههم؛ إهانة لهم ومتشدداً في عذابهم؛ لأن أشد شيء في الإهانة أن تقع على موضع الكرامة من الإنسان وهو الوجه، وهو أشد شيء في العذاب، وهذا قال تعالى: "فَأَفَضْنَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ سُوَّاهُمَا الْعَذَابُ فَمَا أَلَّهُمَا" [النور: 242].

"ذَوَّارًا"، أي: يقال له مفعولاً من ضعيباً وتبكيتاً وعنيفاً: "ذَوَّارًا"، أي: ذوقوا وتجربوا "مَسْلِفًا"، أي: مس النار وإصابتها وألمها و"سَرَرًا" اسم من أسماء النار أعادنا الله منها.

وعلى هذه الآية كقوله تعالى: "وَذِكَّرْتَ الَّذِينَ قَامُوا بِالْغُدُوْنِ الْمُلَكُ وَالْعُقُودِ" [الدخان: 48].

وهذا من الاعذاب العلوي المنصب على القلوب، التي هي أصل موافع الكفر والفساد منهم، فيجمع هم بين الاعذاب الحسي، وهو عذاب النار، وسحبهم على وجههم فيها ونحو ذلك، وبين الاعذاب المعنوي بالتوبيخ والتقرع وهم والتبكيت والعنيف والإهانة والتحقي، ونحو ذلك.

والاعذاب المعنوي لا يقل عن الاعذاب الحسي إن لم يكن أشد- كا يقول أهل العلم؛ وهذا لو أن شخصين ارتكبا جرماً فأخذوا السر، فأدّى أحمد خمسين جلدة وأطلق سراحه، ثم أجلس الثاني عليه وأخذ يعتبه ويرده، ونحوه في ستة أفرار، ويقول له: أنت أخطأت، وأنت أسأت، وأنت فعلت كذا وكذا ؟ ما الذي أخطأت في نفسه؟ لاشك أنه يتمنى أن لو ضرب مائة جلدة وأطلق سراحه مع صاحبه.

وهذا استحب الفقهاء أن يختم الطفل في الشهر الأول من ولادته، لأن الطفل في

(1) في "جامع البيان" 22/159.
(2) في "تفسيره" 7/457.
هذه المرحلة إنها يشعر فقط بالألم الحسي، فإذا سكن الألم نام; وهذا يشفى سريعاً إذن
الله عز وجل. بخلاف الكبير فإن عندنا مع الألم الحسي الأمل المعنوي، وهو الخوف من
بطء الشفاء، بأي سبب من الأسباب، والتفكير في ذلك، وهذا يتakhir شفاوي غالبًا.

(1) إن أباكُمْ وَحَقَّتْهُ بِقُدْرَتِكُمْ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء مشرك قريش إلى النبي ﷺ يفاصمونه في
القدر، فنزلت: "يَوْمَ يُصْحِبُونَ فِي آنآيَ عَلَىٰ وَجُوهِهِم مَّذْوَارًا مَّسْ سَلَرٍ (٨٦) إن أباكُمْ وَحَقَّتْهُ بِقُدْرَتِكُمْ.

(2) إن أباكُمْ وَحَقَّتْهُ بِقُدْرَتِكُمْ.

قوله "إن أباكُمْ وَحَقَّتْهُ بِقُدْرَتِكُمْ" يتكلم عز وجل عن نفسه بضمير العظمة، وهو
العظيم سبحانه وتعالى مبينًا عز وجل أن كل شيء خلقه سبحانه وتعالى وأوجده
بقدرته. أي: بتقدير سابق في الأزل، وحال كونه مقدرًا.
فكل شيء في هذا الكون العظيم هو من خلق عز وجل وإيجاده، و تقديره الأزلي،
وهو مقدر مقتن من عند الله عز وجل، كأنه قال سبحانه وتعالى: "مَقَدَّرُكُمْ مَّسْ سَلَرٍ (٨٦) وتُرْسَلُوا مَّسْ سَلَرٍ (٨٦) وتُرْسَلُوا مَّسْ سَلَرٍ (٨٦) وتُرْسَلُوا مَّسْ سَلَرٍ (٨٦)

(3) لفظ: "لَيْتَنْفِهَا وَلَيْتَ قُدْرَتهَا فِي النَّارِ (٢٣) فَلْيُصْلِبْنَهُ، وَلَيْتَ قُدْرَتهَا فِي النَّارِ (٢٣) فَلْيُصْلِبْنَهُ، وَلَيْتَ قُدْرَتهَا فِي النَّارِ (٢٣) فَلْيُصْلِبْنَهُ، وَلَيْتَ قُدْرَتهَا فِي النَّارِ (٢٣)

أي: الذي خلق كل خلقه وسوى خلقته على أحسن حال، والذي قدر مقدار كل
شيء، وهدى كل خلقه لما قدر له.

عن زرارة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نزلت هذه الآية: "مَّذْوَارًا مَّسْ سَلَرٍ (٨٦) إن أباكُمْ وَحَقَّتْهُ بِقُدْرَتِكُمْ (٨٦) قال: "نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون
بقدر الله" (١).

وهذا إن صح لا ينافي ما سبق أنها نزلت بسبب إنكار المشركين للقدر، فتكون الآية
نزلت في هؤلاء وهؤلاء.

وعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: "أتيت ابن عباس، وهو يتعز من زمزم، وقد

(1) أخرجره مسلم في القدر-باب كل شيء بقدر يرتد في تفسير سورة القدر ٢١٥، وأبو
ماجح في المقدمة-باب في القدر، وأحمد ٢٤٤، ٤٤٤، ٢٤٧، ٣٤٨، ٢٥٨، ٦٠، ١٨٧٤.
(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره-١٠/٣٣٢١-الأثر ١٨٧٤.
ابتلع أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكَلِّمَ في القدر. فقال: أوفعلوها؟ قلت: نعم قال:
فقولاً ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: "دُوَّاراً مَّسَّرَ ٤٨٨٨٠٨ ٧١٠٨ أَنْ تُدْنِىَْ مَلَائِكَةُ يَدَّخَلُونَْ(١)". ولذلك شارح هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاءهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقامت عينيه بأصبعي هتين(١).

وفي رواية: "قيل لابن عباس: إن رجلاً قدم علينا يكتب بالقدر، فقال: دولني عليه- وهو يومئذ قد عمِّى - قالوا: وما تصنع به يا ابن عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعذب أنفه حتى أقطعه، ولكن وقعت رقبته في بدي لأدفنتها، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كأنى بنشأ بني فهر يطفن بالخراج، تصطع لكِنْ باتِن مشركين مشركات؛ هذا أول شريك هذه الأمة، والذي نفسي بيده ليهينهم بهم سوء رأيهم حتى يخرجو الله من أن يكون قدر خيرًا، كي أخرجهم من أن يكون قدر شرًا"(٢).

قال ابن كثير (٣) في كلامه على هذه الآية "إنَّا كُلُّ مَا خُلِّقَ فَيْدَرَ(٤)": وهذا يستدلون بهذا الآية الكريمة أثمة السنة على إثبات قدر الله السابق خلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية، وبيها شاكلة من الآيات، وبا ورد في معناها من الأحاديث الثابتة على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عهد الصحابة.

والأحاديث في إثبات القدر، وذم نفاتها كثيرة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "كل أم محسوس، وجوس هذه الأمة، الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال"(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"(٥).

(١) أخرججه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣٢١١- الأثر ١٨٧١٥.
(٢) أخرججه أحمد ١/٣٣٠.
(٣) في تفسيره ٤٨٧.
(٤) أخرججه أحمد ٢/٤٨٦، وأبو داود في السنة ٤٦٩٦.
(٥) أخرججه مسلم في القدر - حجاج آدم وموسي عليه السلام، ٢٦٥٣، والرمذي في القدر ٢١٥٦.
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل: لو أتيت فكر كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»(2).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت رجيف النبي ﷺ فقال لي: «الآ أعلمك كليات ينفعك الله بن؟ قلت: بل يا رسول الله. قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك شيء لم يكتب الله لك لينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتب الله عليك لينفعوك، جفت الألفام وطويت الصحف»(3).


وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت،

(1) أخرجه مسلم في القدر- كل شيء بقدر ٢٦٥٥، وأحمد ٢/١١٠.
(2) أخرجه مسلم في القدر- الأمر بالقوة وتراك العجز ٢٦٦٤، ابن ماجه في المقدمة- باب في القدر ٧٩.
(3) أخرجه أحمد ١/٢٩٣ و٣٠٦ و٣٠٧ و٣٠٨.
(4) أخرجه أحمد ٥/٣١٧٩، والتبردي في أوراب القدر ٢١٥٥، وفي التفسير ٣٣١٩ وقال: حديث حسن صحيح غريب.
ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خبره وشره»(1).


والطائفتان خصاء الله قالت عوف: "من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام، وإن الله تبارك وتعالى قد أقدر»، وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البقاء بقدر، وقسم العافية بقدر، وأمر ونهي».

وقال الإمام أحمد: "القدر قدرة الله".

قال ابن القيم: فإن إنكار القدر إنكار لقدر الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها، وسلف القدرية ينكرون علماً به وهم الذين اتقن السلف على تفكيرهم.


فالقدر سر الله في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسول، فلا يمكن أن يحصل في الكون حركة ولا سكون إلا بتقدير الله - عز وجل - لذلك أبلاً كذا دلت على ذلك هذه الآيات والأحاديث ومن نصوص الكتب والسنن.

فعن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئًا، فجعل يكبت به الأرض فقال: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقصده من النار، ومقعده من الجنة" فقالوا: يا رسول الله، أفلأ تتكلم على كتبنا وندع العمل؟ قال: "أعملوا فلك ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فيسير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيسير لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: "فامضي من أضل وأمسى، وصَدِّى إِلَّا أَحْسَنَ" (6).

---

(1) أخرجه الترمذي في أبوب القدر 214، والبيهقي في السناميس - القدوة باب في القدر.
(2) انظر: "بدائع التفسير" 316/4.
(3) وهم لههم الجرية.
(4) وهم لههم القدرية.
(5) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 213/12 - وفيه "الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير".
وقد حكي الشاعر هذا المعنى بقوله:

ولو كانت الآراء لا تتشعب
لأصبح كل الناس قد ضمهم هو
ما هو خلق له ومقرح

فمن طلب الخبر وبحث عنه وفق إليه، قال تعالى: "فَأَمَّامَ مِنْ أَمْنِرٍ وَلَمْ يَفْتَنَّ [الليل: 77]" وقَالَ تَعَالَى: "فَلَيْن أَنْ كَرَسَتْ لَهُمْ آنِهَتُهُمْ يُحَيِّبُهُمُ اللهُ وَيَفْطِرُ لَهُمْ ذُكُورُهُمْ" [آل عمران: 32].

فاتبع الرسول الله ﷺ، وكان من المتقين المحسنين المسلمين الصابرين المتوكلين.
قال عز وجل في الحديث القدسي: "وما يزال عبيدي يقترب إلي بالنوافل حتى أحبه".

ومن أحبه الله عز وجل وفقه وهداه إلى كل خير، وحفظه ووقاه من كل شر فادخل أخي الكريم على ربك بكليتك وسلم أمرك له وأعده وتوكل عليه بكفلك كل شيء. ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المصية، كأن تترك الإنسان فعل الواجب، أو يرتكب المنهي ثم يحس البقدر.

وقد روى أن سارقًا سرق في خلافة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه، فأمر عمر رضي الله عنه بقطع يده فقال السارق: أنا سرقت بقضاء الله وقدره، فقال عمر رضي الله عن

---

(1) أخرجه البخاري في التفسير 949، ومسلم في القدر 267، وأبو داود في السنة 4694، والترمذي في القدر 334، وابن ماجه في المقدمة 78.
(2) الآيات للقلبي منصور الذهبي، انظر: "غنية الإيضاح لتعليق المنتقات"، 1992، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ص 283.
(3) أخرجه البخاري في الرقائق 650، من الحديث أبي هريرة رضي الله عنه.
عنده: "وانا اقطع يدك بقضاء الله وقدره"(1).
وأما ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "احتاج آدم وموسى فقال له موسى: أنتم آدم الذي أخرجتك خطيتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي أصطفاك برسلانه وبكلافه، ثم تلمني على أمر قدر علي قبלי أن أخلق. فقال رسول الله ﷺ: "فحج آدم موسى مرتين"(2).
قال ابن تيمية: "فأدخلنا حج موسى؟ لأن موسى لامه على ما فعل; لأجل ما حصل له من المصيبة بسبب أكله من الشجرة، لم يكن لومه له; لأجل حتى الله في الذنب، فإن آدم كان قد تاب، كما قال تعالى: "فكلن آدم من شرفه كأنه قتال عنيه" [البقرة: 27]; وقال تعالى: "فبُعثه رضي الله عنه عليه وسلم" [الله: 122]. إلى أن قال: إنها كان القدر حجة آدم على موسى; لأنهم لم غربه لأجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك، تلك المصيبة كانت مكتوبة عليه"(3).
وقال ابن القيم: "إن الاحتجاج بالقدر بعد فعل الذنب والنوبة منه سائح لا إشكال فيه. أما الاحتجاج بالقدر حال فعل الذنب وقبل النوبة منه فلا يجوز"(4).

(1) انظر: "منهاج السنة النبوية" 3/234 "ميزان الاعتدال" 1/222.
(2) أخرجه البخاري في الأدبء 945، ومسلم في القدر 2652، وأبو داود في السنة 470، والترمذي في القدر 2134، وابن ماجه في القدمة 80.
(3) انظر: "مجموع الفتاوى" 8/108.
(4) انظر: "شفاء العليل" ص 13-19.
قولكم بالبصر، أي: أن سرعة أمرنا ونفوذه كلمحة بصر، كما قال عز وجل في سورة النحل: "وما أمر الصلاة إلا كنف البصر أو هو أقرب" إكره الله علّك يا شيطان قائل.

قال ابن كثير: 1 في كلامه على الآية: "وما أمرنا إلا وجدة كنف البصر". وهذا إخبار عن نفوذ مشيته في خلقه، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: "وما أمرنا إلا وجدة"، أي: إننا أمرنا بالشيء مرة واحدة، لا تحتاج إلى تأكيد ثانٍ، فتكون ذلك الذي نأمر به حاساً موجداً كلمحة البصر لا تتأخر طفيفة عين.

وفي الآية إشارة إلى قدرة الله عز وجل النشأة على البعد وقرب ذلك.

"ولقد أهللكم أشياعكم"، أي: والله لقد أهللكم أشياعكم، أي: أهللكم بالعذاب وأنواع العقوبات، أمثالكم وأشباحكم في الكفر، وأسلافكم من المكذبين للرسول.

"فهل من مدحك"، أي: فهل من متذكر ومتعظ ومعتبر بما حصل لأولئك الأقواض من العذاب والعقاب، والاستفهام بمعنى الأمر، أي: اFileTypeوا واعتبروا بما حصل لهم واحذروا أن يصيبكم ما أصابهم، قال تعالى: "وجئ لي بنيهم وذين ما يشمون كما فعل يا أشياعهم من قبل" (سبأ: 45).

"وكل شيء فعلوه"، أي: كل شيء فعلوه، وكذا كل قول قالوه هم ومن بعدهم أيا كان مكتوب عليهم.

"في الوحي"، أي: في اللوح المحفوظ قبل أن يعملوه، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة بعد أن عملوه للجزاء عليه.

"وكل شيء وكبير مُستَنَبِر"، أي: كل شيء وكبير من الأفعال والأقوال وغير ذلك مسطور مكتوب في تلك الصحف قال تعالى: "ويقولون يوليئنا مال هذا الهيكل بيا نفاذة وأهلها إلا أحسنها" (الكهف: 94).
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة إياك ومعقرات
الذنوب فإن لها من الله طالبًا» (1).
وعن ابن عباس رضي الله عنها قال: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع
إصرار» (2).
قال الشاعر:
خلال الذنوب صغيرة
وكبرهما فهما النمثيق
إن الشوك يعذر ما يرى
لا تحقق من صغرى
(3)
وقال الآخر:
إن الصغير غذاء يعود كبيرا
إن الصغير ولعو قادم عهد
إلى النبي في جنتي ونهر
في مفعم صديق الهميل قليل نفتي
(4)
بعدما ذكر الله عز وجل ما أعدد للمكذبين الضالين من العذاب الحسي والمعنوي
في السعير والنار ذكر ما أعده للمنتقين في الجنة من النعيم الحسي والمعنوي.
وقوله "إن النفيقين في جنتي ونهر" إخبار من الله عز وجل ووعد منه لا يتخلف أن
المتوقين الذين اتقوا ربهم بفعل أوامره واجتنبوا نواهيه في جنات، أي: في جنات عدن
التي أعدها عز وجل لأولئك، وسميت جنات لكثره ما فيها من الأشجار، وأنواع
الثمار، فهي تجني، أي: تستبر من بداخلها، لكثره أشجارها وثمارها الملتهبة.
وتهب، أي: أنعه؛ لأن أنعه الجنة متعددة ومنوعة، قال تعالى: "مُدْنَسَةً أَلَّي
وعيدة المنقوق فيها أعمدة من عجوب عجب، ونبر ينبر، يتعانف، وعلم يعلم، يتعانف،
وتهب" (5)
(1) أخرجه أحمد بن محمد بن الحنبل، ذكر الذنوب 4243.
(2) أخرجه الطبري في جامع البيان 6/2651، وأبو حاتم في تفسيره 3/934، الأثر 5216.
(3) الأبيات لابن المعتز. انظر ديوانه 2/376- حقيق محمد بديع شريف- دار المعارف بمصر.
(4) انظر: تاريخ دمشق 2/560، تفسير ابن كثير 7/684.

المdefer له المقدر على إعطاء أهل الجنة كل ما يريدون، وتحقيق كل ما يطلبون وعلى كل شيء سباحته و تعالى، كما قال عز وجل: "وَأَطْلَبْنَا مَنِيًّا وَقَدْرًا " في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

وفي الآية ما بدل على أن المتقين ضيوف عند عز وجل، وهو الملك العظيم ملك الملك، الخالق المقدر، المقدر على كل شيء، الكريم الجواد، من له خزائن السموات والأرض، فأكرم بها من ضيافة. نسأل الله تعالى أن يعذرنا في زمرة عبادة المتقين والديناء والذين أزواجا وجميع المسلمين، إنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: المقصون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلما يليه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا(1).

فجميع هم بين العليم الحسي من مأكر ومشرب ومليس ومسكن وأزواج وغير ذلك، وبين العليم المعنوي، نعيم القلب وأعظم ذلك كله النور إلى وجه الكريم كما قال عز وجل: "لَيْثَّبُنَا وَلَيْسُنَا عَسِيَّنَآ إِلَّا مَزَائِدَةً " [يوسف: 26] وفرس النبي ﷺ "الحسنى" بالجنة، الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم(2) - نسأل الله تعالى من فضله.

الشواهد والأحكام:

1- ذم المجرمين ووعودهم في ضلال وتهي من الحق في دنياهما وما مألهما إلى النار في أخراهم يسبعون فيها على وجههم، ويجمع هم فيها بين العذاب الحسي والعذاب المعنوي؛ لقوله تعالى: "إِنَّ الْمُجَرِّمِينَ فِي صَنَّالِي وَسُعُرُ " [النور: 68] ثم يُعْتَدِسُونَ في النار على وجههم دومًا مستمرًا(3).

2- إثبات قدر الله السابق، وأن الله - عز وجل - قدر مقادير كل شيء وهدي كل خلقه لما قدر له، لقوله تعالى: "إِنَّا كُنْنَا مَخْلُوقَانِ يَدُوْرًا".

---

(1) أخرج مسلم في الإمارة - فضل الإمام العدل 187، والنسائي في أداب القضاة - فضل الحاكم العادل في حكمه 379، وأحمد 160.
(2) أخرج الطبري في «جامع البيان» 123/368، 161، 162، من حديث أبي موسى، ومن حديث كعب بن عرفة، ومن حديث أبي بن كعب رضي الله عنهما. ونظير [تفسير ابن كثير] 199/4.
3- كمال قدرة الله - عز وجل - وإرادته، فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون؛ لقوله تعالى: «وَمَا أَمَرْتُكُمْ إِلَّا رَحْمَةً كَلِمَتَانِ بَيْنَ يَدَيْنِي أَبْصَرٍ».

4- الإشارة إلى قدرة الله - عز وجل - على البعث وقرب ذلك.

5- التهديد والوعيد للمكذبين بتأديبهم بإهلاك أمثالهم من المكذبين قبلهم ليتعظوا ولكن هيهات؛ لقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْدَاءَكُمْ فَهُمْ مُنْدَخُجِرٌ».

6- أن كل شيء من أعمال وأقوال الخلق وغير ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن يعملوه، ومكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة بعد أن عملوه للجزاء عليه؛ لقوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الْزَّمَرِ وَكُلُّ صَيْغَةٍ وَكُلُّ مُسْتَطَرُّ».

7- التحذير من الذنوب كثيرة وصغيرة.

8- جمع القرآن بين الترغيب والترهيب.

9- الإشارة إلى عظم ما أعد الله - عز وجل - للمتقين من النعيم الحسي والعنوي في الجنتين والأيام، ومقصص الصداق جوار الملك المقدّر؛ لقوله تعالى: «إِنَّ الْمَلَكَ يُقِينُ فِي جَنَّتِي وَشَهِرٍ فِي مَقَاعِدِ صَدِيقٍ عِندَ ملِكٍ مُقْدَرٍ».

10- الترغيب في تقوى الله - عز وجل.

11- إثبات عظمة الله - عز وجل - وملوكه المتام، وقدره العظيمة؛ لقوله تعالى:

«عَنْدَ مِلَّةِ مُقْدَرٍ».

* * *
تفسير سورة الرحمن
سورة الرحمن: المقدمة

المقدمة

أ- اسم السورة:
 سميت هذه السورة: "سورة الرحمن"; لافتتاحها بهذا الاسم العظيم "الرحمن" الذي هو ثاني أسماء الله تعالى، كما قال تعالى: "قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ إِنَّمَا تَدْعُوْاْ لِيَدْعُوْمُكُمُ اللَّهُ وَأَبِيُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبِيُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ الَّذَيْنَ لَا يَنفِقُونَ إِلَّاً رَكَبًا" (الإسراء: 111)، وقال تعالى: "إِنَّ أُحَبَّ أُسْبِئِكُمْ إِلَى اللَّهِ وَعِبَادِهِ "الرحمن".(1)

ويقال لها: "عروس القرآن".

ب- مكان نزولها:
 مكة.

ج- فضلها:
 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أواها إلى آخرها..."(2).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصعد بيا بومر، والمشكرون يستمعون: "فِيَّانِ نَزِيِّقُ وَنَزِيدُ".(3)

د- مواضيعها:

1- افتتحت السورة بالنواحي على الله تعالى، وبيان سبب نعمة على العباد، ومظاهر قدرته: "الرحمن الإله الثلاثة، خالق الإنسان، علم النفس، علم النفس، علم النفس"، إلى قوله تعالى: "وَلَوْ شَيَاءٌ مَّضَارِعٌ فِي الْأَرْضِ ۚ فِيَّانِ نَزِيِّقُ وَنَزِيدُ...".

2- فناء الخلق كلههم، وتفرده عز وجل بالبقاء، وتبدو أمور الكون: "كل من علَّم"، وتبنيَّ ركَّةُ الْجَنِّ وَالْإِنس إِلَّاَّ رَبُّكَ وَرَحْمَتُكَ تَكُونُ بِهِنَّ بَيْنَا هُمْ فِي النَّارِ...".

3- تهديد المكذبين من التكفين والمجرمين: "سنَفَعَّلُ لَكُمْ أَيْنَ إِلَّاَّ رَبُّكَ وَرَحْمَتُكَ..."

__________________________
(1) سبأنيкажي فيه قريبًا.
(2) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الرحمن ٢٩١.
(3) أخرجه أحمد ٢٤٩/٨.
ريعما تَطْهِبَانِ (٣٣) إلى قوله تعالى: {هَذِهِ الْجَهَّالِ الَّتِي يُكْثِبُونَ الْمَحْجُورُونَ} بِطُفُوفٍ بَيْنَهَا وَبِيْنَ جِسَارَانِ (٣٤) فَأَيَّاءٌ عَلَى رَبِّكَ خَلَقْ (٣٥).

٤٤- عظم ما أعد الله لمن خاف القيام بين يدي ربه من الجنان، وألوان النعيم:

وَلِنَحْنَ خَافٌ مَقَامُ رَبِّي، جَنَّانٌ (٤٥) فَأَيَّاءٌ عَلَى رَبِّكَ خَلَقْ (٣٦) ذَوَا أَقِنَانٍ (٤٦) فَأَيَّاءٌ عَلَى رَبِّكَ خَلَقْ (٣٧) إلى قوله تعالى: {نَبْرَكَ الَّذِي أَرِيكَ الزَّيْتَهُ وَالإِكْرَامَ} (٥٨).

* * *
سورة الرحمن، الآيات: 1-3

الحمد لله الحليم الحكيم

الرحمن 1 علم القرآن 2 علماً أبدان 3 علماً الشموع
والنصرة 4 المفسرون 5 وذات الفيل 6 ربي 7 من أهل الفیلا 8 الشبان 9 في جيبه وضمائره 10 تطوعا في البقرة 11 أيها الزين 12 المضي 13 تحييها النور 14 الأضواء 15 ومضمها بالأضواء 16 فيها فتحة ت Hữu ثابتها 17 فصها والصفاء والريحان 18 فبأي ظلم
فيما كتبناه وردناه 19}

قوله: {الرحمن 1 علم القرآن} الرحمن: اسم من أساء الله عز وجل، بل هو ثاني اسم من أساء الله عز وجل وأفضله قال عز وجل: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن} أيما تدعوا له تدعوا له لأن اسمه المسنَّى. {الإسراء: 110}. 

وعن ابن عمر رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: "إِن أَحَبَّ أَسْبَاتِكُم إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَن"(1).

و"الرحمن" على عز "فعلان" يدل على سعة رحمته عز وجل، وهو أبلغ من "الرحيم"; وهذا قدَّم عليه في البسملة وفي الفاتحة، وفي قوله: {هو الرحمن الرحيم} [بقرة: 132، الحشر: 22].

و"الرحمن" و"الرحيم" عموم وخصوص فأصن من جهة إطلاقه فلا يطلق إلا على الله عز وجل، و"الرحيم" يطلق على غير الله، كما قال عز وجل في صفة الرسول ﷺ: {أَلَدْ جَاهِلَةَ يُحْزَمُ رَوْنَأً يُؤْذَىُ فَأَنْصِمْ عَلَيْهِ مَا عَيَّسْهُ} [النور: 128].

و"الرحمن" و"الرحيم" إذا انفرد كل منها عن الآخر دل كل منها على إثبات صفة الرحمة الله عز وجل صفة ذاتية ثابتة له سبحانه، وعلى إثبات صفة الرحمة الفعلية التي يوصلها عز وجل إلى من شاء من خلقه، كما قال سبحانه وتعالى: {يَعْدُبُّ عَن يَدَّهَا وَيَنَعُّهَا} (1)

(1) أخرجبه مسلم في البقرة والصلى والآداب 232، وأبو داود في الأدب 4949، والترمذي في الأدب 2834، 2833، 2832، 2828، وابن ماجه في الأدب 2728.
عون الرحمن في تفسير القرآن

من يُبَكي؟ {العنكبوت: 21}.

كما يدل كل منها في حال ابتداء عن إثبات صفة الرحمة العامة نزل وجل لجميع
الخلق؛ مؤمنهم وكافرهم، ناطقهم وبهمهم، في الدنيا والآخرة.
وعلى إثبات صفة الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.
فرحة الله لغير المؤمنين من الكفار والبهائم في الدنيا ما هو فيه من النعم، وفي
الآخرة العدل في حسابهم حتى إنه يقتضى لنشائ الجناة من الشاة الفقراء.

ورحة الله الخاصة بالمؤمنين في الدنيا هدايتهم للطريق المستقيم، وفي الآخرة
إدخالهم الجنة دار النعيم قال تعالى: {لَهُ أَنَّهُ إِلَى رَبِّهِ نُزُولًا [آل عمران: 142]}
والخبر: {أَوْ رَكَابًا} {الأحزاب: 43}
أما إذا اجتمع الرحمن ورحيم كن في البسملة والفاتحة وغير ذلك فإن
الرحيم» يدل على إثبات صفة الرحمة الذاتية ثابتة الله عز وجل، و«الرحيم» يدل على
إثبات صفة الرحمة الفعلية الله عز وجل.

كما يدل الرحمان في حال اجتيازها عن إثبات صفة الرحمة العامة لجميع الخلق
المؤمن والكافر، والناطق والبهيم في الدنيا والآخرة، ويدل: «الرحيم» على إثبات صفة
الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة كما قال عز وجل: {وَصَّانَا إِلَّامَوْمِينَ}
{الأحزاب: 43}

وقد افتتح الله عز وجل هذه السورة باسمه الرحمان؛ لأن كل ما ذكره الله عز
وجل فيها هو من نعم الله عز وجل، التي هي من آثار رحماته سبحانه وتعالى، بل كل ما
خلق الله من النعم؛ وكل ما دفع من التفرم هو من آثار رحمة عز وجل.

{أَلْقِيَ الْفَرَاغَ} أي: ألقى سبحانه العبادات القرآن، ألفاظه ومعانيه، وأحكامه،
وكيفية العمل به، كما قال عز وجل للرسول {الله يُحْفِرُهُ وَلَيُعْدِلُهُ} {الأنبياء: 35}.

{1} كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله قال: {الله تؤمن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة،
حتى يقدد للشاة الجلحا من الشاة القرنة،} {أخرجه مسلم في البخاري والصلاة والآداب، وقال: 582، والترمذي في
صفة القيامة} 2420.
سورة الرحمن، الآيات: 1-12

49

جَعَلَهُمُ الْخَلْقَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَضْعَفَهُمُ اللَّهُ بِأَيْمَانِهِ وَأَتَى هُمْ بِالْأَيَّامِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَلَّا يُعْرِضُونَ الْأَيَامَ الْمُقَدَّسَةِ وَأَلَّا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ مَا كَانَ سَيْ يُقْبَلُ إِلَّا الْحَسَنَةَ وَلَّا يَجُدُّونَ لِلَّهِ وِلِيًّا فَرَداً

وَلَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَرَاءَةً لَا يَسْكُرُونَهَا وَمَرَاءَةً لَا يَسْقُطُونَ النَّظَرُ عَلَيْهَا (الدخان: 8).

وتصدر عز وجل نعمة على الخلق بقوله: "علم الله المستحق"؛ لأن تعليم القرآن أعظم نعمة أنعم الله بها على الخلق، إذ بسبب ذلك يعرف الإنسان الحق ويتبعه بإذن الله عز وجل فيكون من أنعم الله عليهم النعمة الكبرى، وهي أعظم رحمة رحم الله عز وجل بها الخلق، قال تعالى: "وَمَا أُرْسِلْنَا لَإِلَى النَّاسِ إِلَّا بِالْعَلِيْمِ" (النساء: 171).

فليعلم كتاب الله عز وجل هو أصل العلوم وأعظمها وأشملها، بل هو أصل العلوم كلها، ويه سعادة الإنسان في دينه ودنياه وأخريه.

ومع أن نعمة الخلق سابقة على نعمة تعليم القرآن، فإن نعمة تعليم القرآن لا يعادلها نعمة، بل هي أعظم وأكبر النعم، وهي النعمة الحقيقة، قال تعالى: "وَمَن يُطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ النَّجِيرُ الْخَيْرَانَ" (الأنعام: 33) وقال تعالى: "آَهَداً الْيَوْمَ الْيَوْمَ الْخَيْرَانَ" (النساء: 21).

فالنماء الكبرى والمنة العظمى على العبد أن يوفق لمعرفة الحق والعمل به للعلم النافع والعمل الصالح للهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسوله، فلا يضيره ما فقد من النعم سوى ذلك، ومن فقد هذه النعمة فلتأسف فسواهما من النعم ولو حزت له الدنيا بحذافيرها فاتبه هذا، وفقه الله.

"خلقه الإنسان" أي: أوجد الإنسان وأنشأه من العدم، كما قال عز وجل: "هل أنت على الإنسان جمَّ مِنَ الْقُرْءَانِ لَمْ يَكُن شَيْئَةً مَّذْكُورَةً" (النساء: 1). أي: قد أتي عليه جمَّ مِنَ الْقُرْءَانِ لَمْ يَكُن شَيْئَةً مَّذْكُورَةً، بل كان عدماً، وقال تعالى: "ولا يَكُونُ إِلَّا مَّثَلُ الْمَطَرِ أَقْبَلَهُ مِنْ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يُشْهَدْ أَقْبَلَهُ مِنْ فِي الْأَرْضِ" (الخصائص: 7).

وأما الخلق التقدير، ثم الإيجاد والإنشاء والمراد بـ (الإنسان): جنس الإنسان، وذلك بخلق آدم وإيجاده من التراب والطين قال تعالى: "وَمَنْ كَانَ يَقْبَلْ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْشَأَ بَيْنَ تَيْرِيدَتٍ" (الروم: 22)، وقال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن
سماعه طينة [المؤمن:21].
فمن أكبر نعم الله على الإنسان أن الله خلقه وأوجده من العدم، وجعل صورته
على أحسن صورة كما قال عز وجل: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن شكل» [النين:4]. وقال
تعالى: «أتأمها الإنسان ما عادل يريك الحكيم 7 الذي خلق فسوناً فعدلك 8 في أي صوراً»
شأة ركبتك [الانفرار:6-8].

وقد عز وجل ذكر الإنسان، وخصه بالذكر هنا مع أنه عز وجل خلق جميع
المخلوقات تذكيراً له بنعم الله عز وجل عليه؛ لأنه هو المكلّف.

علمه أليبيان، أي: علمه الإفساح والإبانة عا في نفسه وقبله بواسطة النطق
باللسان، أو الكتابة باليد والبلاط، وأيضاً علمه تبّين وفهم ما يقال له بإعطاء الله من
سماح وعقل وفهم، بمختلف سائر الحيوانات فإنها لا تتفاح ولا تبّين عنا في نفسها؛

هذا سميت هيئة كا قيل:

بهيمنة مسماًكن تشاكر ولا تبّين
لسانها مفترع ولا جمّادموع
(1)

ولا شك بأن نعمة النطق من أعظم نعمة الله عز وجل على الإنسان، وعرف ذلك
حقيقة المعرفة الأبدى الذي فقد هذه النعمة، فتراه يعمل كل وسيلة للتعبير عا في نفسه
وما بقيه، وكما قال: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى» فلله
الحمد والمنة على هذه النعمة وعلى سائر النعم.

وقيل المراد بـ (البيان) في الآية: بيان الحديث والشر، أي: بيان طريق الخير والشر، كما
قال تعالى: «واعطينه التفسير» [البلد:101]. وقال تعالى: «إِنَّا هَدِينهِمْ الْكِتَابَ إِنَّا مَتَّعْنَا
ويُبِينَ كُلُّ شَيْءٍ» [الإنسان:3].

وقد حسّن ابن كثير (2) القول الأول وقى، وقال: «أن السياق في تعليمه تعالي
القرآن وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج

(1) الأبيات لأحمد شوقي. انظر: «ديوانه» ص 77.
(2) في «تفسيره» 4/144.
الحروف من مواضعها من الحلقة واللسان والشفتين، على اختلاف خارجها وأنواعها،
وأيضاً فإنه لا تتناهي بين القولين؛ لأن تعليم القرآن والإبادة بنطقه في بياض الفجر
والشر.
قال ابن القيم: في كلام له على قوله تعالى: "الرحمٌ عِلَّمَ الآية 351
إليُّرسدان" قال: "دلت هذه الكلمات على إعطائه سبحانه مراتب الوجود بأسرها،
فقوله: "حَلَّتُ إِلَى الآية 351 إخبار عن الإيجاد الخارجي العيني، قوله: "عِلَّمَ الآية 351 إخبار عن إعطاء الوجود العلوي الذهبي، فإنه تعلم الإنسان القرآن بتعليمه، كما أنه صار
إنساناً يخلقه، فهو الذي خلقه وعلمه، ثم قال: "عَلَّمَهَا الآية 351 والبيان هنا يتولى
مراتب ثلاثاً كل منها يسمى بياناً، أحدها: البيان العلوي الذي يميز فيه بياض المعلومات.
الثاني: البيان اللفظي الذي يعبر عن تلك المعلومات، وترجم عنها في لغته. الثالث:
البيان الرسمي الخليتي، الذي يرسم به تلك الألفاظ، فبينا للاقترح منهما، كما يتبين
للسماح معاني الألفاظ. فهذا بيان للعين، وذلك بيان للسمع، والأول بيان للقلب، وكثيراً
ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة، قوله: "إِنَّ السُّمَّّمَ وَالْبَصَّرَ وَلَغْوَادُ كُلُّ أَوْلَٰدٍ كَانُ عِنْهُ
مستوِّاً الآية 352، وقوله: "وَلَوْلَا أَنْهَارُ جَهَنَّمُ” من بَيْنَ آمِنِتِيَّ بِكُلِّ آخِرِيِّ النَّزُولِ الآية 352. [الحل: 78]. ويبدو من عدم الاتفاق
بها في اكتساب الحدوى والمعلم النافع، قوله: "مَثَّلَ فِي غَيْبٖ الآية 351، وقوله: "خَلَصَ
اللَّهُ عَلَى غَلُوبيْهِمْ وَعَلَى سَمَعِيْهِمْ وَعَلَى أَصْرَهِيمْ غَيْبَةً الآية 352.
"الْبَصَّرَ وَالْقُرْنِيْسِيُّانِ" أي: أن من نعم الله عز وجل على الخلقت أن خلق
سبحانه الشمس والقمر وجعلها جريان متعاقبين "بَصَّرَتِيْنِ" أي: بحساب دقيق
متكن مقدر مقتن ولا يختلف ولا يضطر، كما قال عز وجل: "قَالَ الْبَصَّرُ وَجَعَلَ آيَةً
سَكْنَا وَالْقُرْنِيْسِيُّانِ" [الأنعام: 96]، وقال عز وجل: "لَا إِلَّهَ مَعَ اللَّهِ مَرْحَبَةً وَأَيْنُ سَبَدُ اللَّهِ وَأَيْنُ فِيَّ نَجْحُوكَ" [بيس: 40].
(1) انظر: "بدائع التفسير" 4/ 322 - 324.
وإن التأمل في بروح الشمس والقمر، وفي مطالعهما وفي مغاربها وما هي عليه من الدقة العجيبة المتناهية التي تحفر العقول والألباب يرجع من ذلك بالاعتراف والإقرار بعظمة الخالق سبحانه وتعالى وعظمى فضله ونعمه على العباد؛ لما في ذلك من قيام مصالحهم، في أبدانهم ومواصفهم، وزروعهم وحروثهم، ومعرفتهم عدد السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع التي لا تُحصى.

واقع الله تعالى: «وَالْقُطْرِيَّةُ وَالْشَّجَرُ»(1) الواو: عاطفة، و«النجم»: جنس النجوم التي في السماوات. «والشجر»: ما قام على ساق من النباتات كالنخيل وغيرها، وقد يشمل سائر النباتات، قال تعالى: "فَأَنتُمْ أُولُو الْيَتَمَّ وَلَدْتُمْ مِن فِي الْأَرْضِ وَالْشَّجَرِ وَالْقُطْرِيَّةِ وَالْحَمَّالِ وَالْمُّقَّرِينَ وَالْمُخْتَلِفِينَ مِنْ آبَائِكُمْ" (الحج: 18).

ذكر النجوم التي هي الكوكب، وعطف عليها الشجر وهذا يقوى أن المراد بالنجم في قوله: "والنجم الذي في السماء.

وقد روى علي بن أبي طالحة عن ابن عباس رضي الله عنها أن المراد بالنجم: "ما ينسب إلى وجه الأرض من النبات"(2)، فيكون على هذا المراد بالنجم: ما ينسب على وجه الأرض من النبات بما ليس له ساق، والمراد بالشجر: ما له ساق وله ساق جمع من الفسرين.

والمراد بسجود النجم والشجر: ما يشمل القياده لله عز وجل فيها خلقًا له من مصالح عباده وغير ذلك، ولدالتها على وجوده وقدرته التامة، وكما في ذاته وربويته وألوهية وأسرائه وصفاته، وسجودها سجودًا حقيقية، وتسبيحها بحده وإن كنا لا نعقل كيف ذلك، كما قال عز وجل: "فَنَّبِيَّكُمْ أَنتُوْنَا السَّنجَّامَ وَالْأَرْضَ وَمَن فِيهِ وَإِنْ يُعَيِّنُ هُوَ" (الإسراء: 44).

وقال تعالى: "وَأَتْبَعَ أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ لَهُ إِنْ كَانَ خَلَيْمًا غَفُورًا" (النور: 44). فكل المخلوقات تسجد لله عز وجل - وتسبيحه وتعبده - إنها وجنها، ناطقة وبهمها، حتى الجدادات عدا كثير من الناس، كما قال عز وجل:

(1) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 328/467.
سورة الرجم، الآيات: 1-13

لَهُ شاهد من نفسه غير عائل
ومعنى قوله: "ووضع على الميزان"، أي: أقام العدل وأوجه بين العباد في الأقوال والآداب وضبط وأنزله، كما قال عز وجل: "لقد أرسلنا رسلنا بأيتينك وآنزلنا معهم الكتب والميزان" [الحديد: 25].

(1) في قصيدته اللامية المشهورة والتي أخرج فيها أشراف قومه وغيرهم أنه غیر مسلم رسول الله ﷺ، ولا تأرك لشيء أبداً، حتى بكل دوته والتي مطلعها:

وما ردت القول لا ورد فيهم وقد تقطعوا كل العروى والوسائل
أنظر: "ديوانه" ص 188، "جامع البيان" 6/ 378-379، "السيرة النبوية" لابن هشام 291-299.
وعن الرحمن ﷺ تفسير القرآن، ج 21

(...)

وَأَقَيِّمُوا الْوَزْنَ بِالْفَصْطَ) أي: أقيموا الوزن بالعدل، أي: أجعلوا الوزن بينكم قانونًا بالعدل بلا اعوجاج في ذلك حسب مقدرتم وإمكانكم في الأمور الحسية والمعنوية، في الأقوال والأفعال فيها لكم وفيها عليكم.

فهُم عز وجل وضع العدل وأنزله، وبه خلق السماوات والأرض، وأقام عليه أمر الدنيا والآخرة، وأمر به وأوجب على الناس القيام به، فأمر ذلك، وأصله النزول:

قال تعالى: فَلُقِّدَ أَرْسَالًا رَسُولًا إِبْنِ بَتِيْسَةَ وَأَرْسَالًا مَهْمَهُ مَكْتُوبًا وَلِيَقُولُ الْمُتَّقِينَ (الأنعام:162)، وسائر الآيات.

وقال تعالى: وَأَرْسَلْنَا عِبَادَنَا مَكْتُوبًا وَلِيَقُولُ الْمُتَّقِينَ (الفقه:231)، وفي الآيات:


قال تعالى: وَلَا يُجِرُّ وَلَا يُجِرْ مَنْ فِی الْأَرْضِ الْمَسْتَهْلِکُونَ (الحجر:40). وسائر الآيات.

وَلَا يُهْجَرُونَ (الأنعام:8). وسائر الآيات.

قال تعالى: وَعِدْنَا الْأَقْدَارَ مَعَهُمْ فَلْيُلْقَّ أَلْبَسَةَ الْحَقَّ وَعِبَادَتَ اللَّهِ (النساء:151). وسائر الآيات.

قال تعالى: وَلَا تُقَرَّبُوا الْمِيزَانَ (المائدة:8). وسائر الآيات.

وَلَا تَسْرِحُوا الْمِيزَانَ (المائدة:8). وسائر الآيات.

وقال تعالى: لا تنصروا الوزن وتبخروا الميزان، فتجروا وتظلموا، بل زنوا بالحق والعدالة وعدل، كما قال تعالى: وَلَا تَبِخَّشُوا أَلْقَاسَ أَنْشَهُمْ وَلَا تَمْعَنْ فِی الأَرْضِ مُفْخَتِينَ (المائدة:85).

وكم أصعب العدل والإنصاف من النفس إلا على وقع الله وجل

وكم في حقوق ضاعت؛ بسبب الظلم والخروج عن العدل، وبسبب المداهنة في قول الحق والشهادت به، وكم من مدعّ للدين وإجتهاد وحُروف من فهمهم بقوله بلسانه: يا الله التوبة، ولكن لا ينصف الناس من نفسه، ولا برضي بالعدل ولا يقبله على نفسه، ولا على أقاربه وذويه ومن تربطهم بهم علاقات مادية أو غيرها.

وليس الدين بالتحلي، ولا بالتمثيل، ولا بالمهمة، ولكنه ما وُقِو في القلوب وصدقته

الأعيان

كما قال الحسن البصري - رحمه الله -: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمثيل ولكن ما.
وقد وصل الحال بالكثيرين أن يعتبروا التحالف على الحقوق وترك العدل والإنصاف مهارة وحكمة ودهاء، فإذا ما رأوا إنسانا يقول الحق وينصف الناس من نفسه انتقدوه وروميه بالمسكرة وخففة العقل.


وهذا من أعظم نعم الله عز وجل على الخلق أن جعل الأرض بهذه المثابة موطأة سهولة للملوك والبنان والسير عليها وحرثها وزراعتها واستخراج خيراتها ومعادنها.

وفي الكعبة، أي: في الأرض فاكهة، أي: جنس الفاكهة على اختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها وطعومها وروائحها من العنب والتين والبرتقال والتفاح وغير ذلك.

والفاكهة: هي كل ما يفخه به الناس. والتفخ: الإعجاب بالشيء والسرور والتليذ به، وطيب النفس والبال، وما ينشأ عنه من المرح ونعيم القلب.

«وَالْأَخْلِقُ»، أي: وفيها شجر النخل التي ثمرها من أطيب وأنفع الثمار، وخصه بالذكر مع أنه ما يفخه به؛ لكنه فوازده ونفعه، رطبًا ويباسًا.

وقد قال ﷺ: «إن من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن النخلة»(2).

ذات الظهر»: الائتلاف: جميع «كم»، والمراد بها: أوعية الطعل، وهو ما يسمى بـ«الكفر»: يخرج الطعل أول ما يخرج بداخل هذا الوعاء، ثم ينشق هذا الوعاء عن الطعل.

(1) انظر: «بداوات التفسير» 4/184.
(2) سبق تخرج.
ونحن الرحمن يُفسِّر القرآن، ج ٢١


١٩٦٧، ﷺ، ومسلم في الزهد والرقائق ٢٩٧٢، من حديث عائشة رضي
الله عنها.

٢٠٤٦، وأبو داود في الأطعمة ٣٨٣، والترمذي في الأطعمة ١٨١٥، وأبان
ماج في الأطعمة ٢٣٢٧.
الرذق والطعام.
والذي يظهر من السياق- والله أعلم - أن المراد ب (الريحان): هو النبت ذو الرائحة الطيبة، كما قال الحسن: «وهو ريحانكم هدا».(1)

ولما ذكر عز وجل جملة من نعمة التي تشاهده بالأبرص والبيض، وكان الخطاب للملفين الجنس والإنس فقررها تعالى بعنه تعالى:

فِي أَيِّ مَآآنِ ۖ زَيَّنَّاهُ ۖ نَكِذِبُونَ

الفاء: رابطة جواب شرط مقدر، «بأي»: استفهام معناه التحدي، «آلاء»: أي: نعم تعالى: «فَهُمُ كَرَوُّوا قَلْبًا إِلَّا لَّهُ مُكَلَّفًا فُلُحُونَ»

[الأعراف: 24]، وقال تعالى: «فَأَذَكَّرْنَاهُمْ أَيَّامَنَّهُمْ وَلَا تَنْمَعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»

[الأعراف: 74]، وقال تعالى: «فَأَذَكَّرْنَاهُمْ كُلَّمَا نَعْمَانَ مُسْتَمِرُّونَ» [النجم: 55].

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الجن مكلفون كالإنس، كقول الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ لَيْلًا وَلَا عَيْلًا إِلَّا لِيُبْلِيَانِ» [التكारم: 56]، وعلى هذا أجمع أهل العلم(1)، لكن قال بعض أهل العلم: لا يلزم أن يكون الجن مكلفين بكل ما كلف به الإنسان بالنسبة لفرع الشريعة.

تَكِذِّبُونَ: التكذيب: اعتقاد أن الشيء المذكور أو المقول خلاف الواقع، والتكذيب بالنظر به عن كفره وعدم شكره، ونسبته إلى غير مسدده.

المعنى: فبأي نعمة من نعم ربك أيا التقلان تكذبان، أي: لا تستطيعان التكذيب بعمة من نعمة عز وجل عليكم، ففي كونه من عده سبحانه وتعالى

أي: أن نعمة عز وجل ظاهرة عليكم وأنتم مغمرون بها، ولا تستطيعون إنكارها ولا جبحوها وصدق الله العظيم: «وَمَا يَكُونُ مِنْ يَعْمَهَا فِينَ آلِهَةٍ» [التحل: 53].

وإن تُنْعُمَ النَّعَمَةُ أَنْ تَلْبَسْهَا» [إبراهيم: 34، التحل: 18].

وعن عروة بن عامر- رضي الله عنه- قال: «ذكرت الطيرة عند النبي ﷺ، فقال:

187/187.

(1) أخرجه الطبري في «جامع البيان» 22/26.

أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السينات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك(1).


قال ابن كثير(3): «فنحن نقول كما قالت الجنة المؤمنون: اللهم ولا شيء من آلامك ربنا تكذب ذلك الحمد.

وقال السعدい(4): «وهكذا ينبغي للعباد إذا تلئت عليه نعم الله وآلياؤه أن يقر بها ويشكر ويعبد الله عليها».

ويذكر عز وجل في هذه السورة العظيمة بعديد من نعمه الخاصة والعامة على الثقلين في الدنيا والآخرة، مرفقاً ذلك بالتحدي بعدم إمكانية التكذيب بشيء من هذه النعم بقوله: قل: إني آللاء ربيكم تكذباؤاً.

وذلك تذكير للجنة والإنس بنعمة عز وجل وامتتان بها عليها، وتحت لها على شكره - عز وجل - على هذه النعم بنستها إليه وحده واستعينها في طاعته، والاستعانة بها على فعل أوامر وترك نواهيه، وتكريمها وعدم إهانتها.

وفي هذا التذكير من الله عز وجل للثقلين بنعمة ووجب شكرها أعظم الفائدة لمن

---

(1) أخرج أبو داود في الطبق 3919.
(2) أخرج الترمذي في تفسير سورة الرحمن 3291، وقال: "حديث غريب"، وأخرج الطبري نحوه في جامع البيان 22/190 من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
(3) أخرج الطبري في جامع البيان 22/189-191.
(4) في تفسيره 7/466.
(5) في تيسير الكريم الرحمن 7/248.
سورة الرحمن، الآيات: 1-12

أتار الله بصيرته ووقظه في دينه وهدى قلبه فعظام ربه، وقَدَّر نعمة، فرجع بالإكبار والتعظيم لربه - عز وجل - ونعمه مرداً عند كل آية من هذه الآيات قولة: ولا شيء من نعمك ريبنا نكذب ذلك الحمد.

وقد قال ﷺ: "إنه الله ليرضى عن العبد يأكل الآكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها"(1).

القواعد والأحكام:

1- إثبات اسم الله عز وجل «الرحمن» وما تضمنه من إثبات صفة الرحمة الذاتية والفعالية لله عز وجل والرحمة العامة والرحمة الخاصة; لقوله تعالى: يُرِيُّوهُنَّ. 1

2- أن كل ما يتمتع به الخلق من النعم هو من أنور رحمة الله عز وجل.

3- أن أعظم نعمة أنعم الله بها على الخلق، وأجَل رحمة رحمهم بها: إنزال القرآن وتعليمه، لقوله تعالى: عَلَمَ الْقُرْآنَ.

4- أن من أعظم نعمة الله على الإنسان خلقه وتعليمه البيان والصحة شعبان في نفسه، وبيان طريق الحق له; لقوله تعالى: خُلِّقَ الْإِنسَانُ عِلْمَهُ أَلْبِيَانَ. 2

5- تمام قدرة الله عز وجل - عز وجل - وعظيم نعمة على عباده في إيجاد الشمس والقمر، وجريانها بحسب دقيق، وخلق النجوم والأشجار، ورفع السماوات، وانقباد هذه المخلوقات لأمر الله عز وجل - وما فيها من مصالح العباد; لقوله تعالى: أَلْقَى الْقَمَّاسَ وَالْقَمَّاسَ وَالْمَضْرَعَ السَّبْطِيَّانَ وَالْمَضْرَعَ الرَّمْذَانِ. 3

6- وجب توحيد الله تعالى، والعدل في جميع الأقوال والأعمال، والوزن بالقسط، وتحريم الزائدة في ذلك والنقصان; لأن الله عز وجل أمر به وأقام عليه أمر السماوات والأرض وأمّر الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: رَوْضُ الْمَيْرَاتِ أَلَّا تَطْعَوْا فِيهَا وَأَلْبِيَانَ وَأَلْبِيَانَ أَمْرَيْكَنَا بِهِ، فَلَاتَّبِعُوا الْمَيْرَاتِ. 4

7- نعمة الله عز وجل - على الخلق بнстة الأرض لهم وإخراج خيراتها لهم، التي من أفضلها الفواكه والخنجر والحبوب والرحيق وغير ذلك; لقوله تعالى: وأَلْبِيَانَ. 5

(1) أخرج جزم في الذكر 2734، والترمذي في الأئمة 1816 من حديث أنس رضي الله عنه.
8- تقرر الثقلين الإنسان والجن بنعم الله - عز وجل - العظيمة عليها التي لا يستطيع عدها ولا إخصاؤها، ولا يستطيعان تكذيبها وإنكارها؛ لقوله تعالى: "فَآيَّ خَلَقَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ".

9- أن الجن مخطوبون بالقرآن، وواجب عليهم شكر نعم الله تعالى كالإنس؛ لقوله تعالى: "فَآيَّ خَلَقَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ".

10- إثبات ربوبية الله العامة للثقلين؛ لقوله تعالى: "فَآيَّ خَلَقَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ".

* * *
سورة الرحمن، الآيات: 14 - 25

قال الله تعالى: "خلق الإنسان من صلصلي كالمحارف 16 وخلق الجماع من مارج
من نار 17 فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ 18 رَبّ التمتيق وَرَبّ النُّطفيّات 19 فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ
بَيْنَ الْحُرْمِ وَالْمَيْتِ 20 فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ 21 يَتِمُّهَا النُّطْفَاتُ وَالْمَيْتِ 22 فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ
بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَيْتِ 23 فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ 24 فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ 25 .

قوله تعالى: "خلق الإنسان من صلصلي كالمحارف 16 وخلق الجماع من مارج
من نار 17.

أي: أن من نعمة عز وجل على الثقليين إيجادهما وإنشاؤهما من العدم.

قوله: "خلق الإنسان من صلصلي"، أي: من طين مبلول قد أحكم به ونفلت
حتى جف فصار له صلصلة وصوت.

كما قال عز وجل: (إنما خلقتم من طين لا داخ فيه) (الصافات: 11).

ولخلق الجماع من مارج من نار 17، أي: من فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ
بين عنصر الأدمي المخلوق من الطين والتراب الذي هو محل الرزاحة والثقل والمنافع،
وبين عنصر الجم، وهو النار التي هي محل الخفة والطويل والشر والفساد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "خلقت الملائكة من نور،
ومعه الخلق من أفضل وأعظم النعم، وهذا قال مقرراً لها. (فيَّا مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُم
بَيْنَ الْحُرْمِ وَالْمَيْتِ) (فيَّا مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ بَيْنَ الْحُرْمِ وَالْمَيْتِ) (فيَّا مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُمْ
بَيْنَ الْحُرْمِ وَالْمَيْتِ)، أي: فَأَيُّ مَالِكَّةٍ مَّكَّتْكُم

وإنما خلق السماوات ومنجوم من ماء شبيب، (على ماء خلقه) (الطور: 35).

ولبُّ الشَّرِّيَّة وَبُّ الشَّرِّيَّة، أي: خلق ومالك ومدبر المشرقيين والمغربين.

وهما مشرق الشمس ومغربها في الشتاء والصيف، ففي الشتاء تشرق الشمس من

(1) أخرجه مسلم في الزهد- باب في أحاديث مفرقة 1396، وأحمد 6/ 168.
économ de l'est et de l'ouest à l'ouest des populations arabes. 
Il a également fait référence à la comptabilité et à l'esclavage. 

قال ابن القيم (1): "وحيث شيا كان المراة مشرقي صعودها وبوبزها أو مغربها، 
إلا بتدئة صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها، 
وينشأ منه فضلا الخريف والشتاء. فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقاً واحداً 
وشرق بنيتئها بجملته مشرقاً واحداً ويقابلته مغراباً.

وجمع المشارق في قوله تعالى: "فَلَأُقِيمُ رَبِّي الْكِتَابِ وَلَلْقُوْرَىَّ" (المعرف: 40) باعتبار اختلاف مشارق الشمس ومغرابها وتنقلها كل يوم في هذه البروج وهي متعددة لأنها تشترق كل يوم وتغرب من غير المكان الذي أشقرت وغريت منه بالأمس.

وقال تعالى: "وَكَتَبْنَا الْقُوْرَىَّ وَلَلْقُوْرَىَّ" (القرة: 15) والراد هنا: جهة وأفق المشارق والمغرب.

وجاء في هذه السورة- سورة الرحمن- بالثنية: "رَبِّ الْقُوْرَىَّ وَرَبِّ الْقُوْرَىَّ" لأن سياق هذه السورة سياق الثاني المزدوج في كثير من آياتها كما في قوله: "أَلْحَمَّرِيْبَانَ وَالْقُمْرُيْبَانَ وَالْمَطْخُوْمُ وَالْمَطْخُوْمُ يَسْجُنُانَ" والثاني رفعها ووضع النحرات (1) لجعلها في الميزان (2) و أقسموا النصر بالقصص في الميزان (2) وأقسموا النصر بالقصص في الميزان (2) فأيالة الآية 

(1) أنظر "بداائع التفسير" 4/244.
سورة الرحمن، الآيات: 25-32

٣٦٣

مَّكَذَّبَانِ.

مَّعَ الْبَحْرِينِ، أي: أجرؤهما وأرسلهما في مجاريهما، وهما العذاب الخالق كمياء الآبار والأنهار والعيون. والملح البحري كمياة البحر والمحيطات، قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الْهَيْبَاءِ مَعَ الْبَحْرِينِ هَذَا عَذْبٌ قَرَّتْ وَهَذَا مِلْحٌ أَجْحَّمٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرَزْعًا وَجَجرًا مَتْحَجَّرَانَ﴾ [القرآن: 42]. وقال تعالى: ﴿وَمَائِسِسَيْنِ الْبَحْرِينِ هَذَا عَذْبٌ قَرَّتْ سَاطِعًا شَراًّ. وَهَذَا مِلْحٌ أَجْحَمٌ﴾ [فاطر: 12]. 

وَلَبَنْيَانِ، أي: ينتقي أحدهما بالآخر، وقيل يتجاوران.

وَلَبَنْيَانِ، كقوله في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرَزْعًا وَجَجرًا مَتْحَجَّرَانَ﴾ [الآية: 32].

والبرزخ: الحاجز، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرِينِ حَاجِزًا﴾ [النمل: 61]. وهو ما يفصل بين الشمرين، ومنه البرزخ بين الدنيا والأخرى.

والمعنى: بين هذين البحرين العذاب والملح حاجز من اليابسة من الأرض، أو حاجز من قدرة الله عز وجل غير مرئي للبشر، كما يوجد في بعض المواضع اختلفت العذاب والملح في مجرى واحد، ولا ينتزح أحدهما بالآخر.

وقد ذكر الشفيعي رحمه الله أن هذا محظوظ الوقوع في بعض البلاد، ومن المواضع التي هو واقع فيها مجال اختلاط نهر السنغال بالمهبط الأطلسي بجانب مدينة سانلويس.

فقد ذكر الشفيعي أنه زار هذه المدينة سنة 1366 هـ وأن أحد المرافقين اللحظات أنه جاء إلى مجال اختلاطهم، وأنه جلس يغرف بإحدى بديه عذباً فرانتوا، وبالآخر ملحًا أجاجاً، والجميع في مجرى واحد، لا يختلف أحدهما بالآخر.

لا بنيان، أي: لا ينغي أحدهما على الآخر، ولا ينغي عليه، فبلى صفته المقصودة منه مع الثقافتها، بل يبقى كل منها على صفته وخصائصه ومنافعه.

والعذاب منه يشرب الناس ويسقون أشجارهم وزروعهم وحوشهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسمك، واللؤلؤ والمرجان، ويتكون مستقراً مسخراً.

(1) انظر “أضواء البيان” 6/328-329.
لسفن والمرائب.
فِمَّعْكُورَةِ الْمَاءِ فِي الْأَرْضِ، وَكُونِ نَسْبَةِ الْيَابِسَ إِلَى الْمَاءِ أَقْلَ مِن الْرَّيْبِ، وَمَعْ كَثْرَةِ الْمِيَاءِ المَالَحَةِ، وَهِيِّ مَيَاءُ الْبِحَارِ وَالْمُحْيَاتِ لَا يَطْغَى مَيَاءُ الْيَابِسِ عَلَى الْيَابِسِ، وَلَا يَطْغَى الْمَلَحُ عَلَى الْعَذْبِ، وَلَا يُخَلِّطُ الْعَذْبُ بِالْمَلَحِ بِيَا جُعْلِهِ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيْنَهَا مِن هَذَا الْحَاجِرُ، سَوَاءٌ كَانَ مِن الْيَابِسِ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ مِنْ قَدْرَةِ الْلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالكُلِّ مِنْ قَدْرَةِ الْلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَهَذَا فَإِنَّا نُشَاهِدُ اخْتِلاَفَ مِيَاءِ الْآبَارِ مَعَ إِسْتَوَائِهَا فِي الْعَمَّ وَتَقَارِبِهَا بِحْيَةٍ لَا يَبْعَدُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ إِلَّا بَضَعَةٌ أَمْتَارٌ وَبَعْضُهَا عَذْبٌ، وَبَعْضُهَا مَلَحٌ، فَبِسْبَحَانِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ.
وَفِي إِخْتِلاَفِ هَذِهِ الْبَحِرَينِ الْعَذْبَ وَالْمَلَحِ، وَتَسْخِيرُهُمَا لِجَرَانِ الْفَلَقِ، وَمَا يُسْتَخْرِجُ مِنْهُ مِنَ الْمَيَاءِ وَالْحَيْوَانِ وَالْحَلْيَةِ وَالْمَعَادِنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَعَدْمُ اخْتِلاَفُ أَحَدُهُمَا بَالْأَخَرِ، قَبْلَيْنَ مِنْهُ مِلْلَةٌ عَلَى خَاصِيَتِهَا وَمَنْافِعِهَا، قَبْلَ ذَلِكَ فِي دَلَّةٍ عَلَى عَظْمِ قَدْرَةِ الْلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ أَعْظَمِ نَعْمَهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْبَلَاغِ وَهَذَا قَالَ بَعْضُهُمَا: "فَإِيَّ مَالِكِ الْأَرْضِ".
وَفَتَحَ الْرَّاءُ، وَقَرَأَ الْبَاقِونَ بِفَتَحِ الْيَاءِ وَضَمَّ الْرَّاءِ "يَجْرَحُ" بِضمِ الْيَاءِ
وَفَتَحَ الْرَّاءُ، وَقَرَأَ الْبَاقِونَ بِفَتَحِ الْيَاءِ وَضَمَّ الْرَّاءِ، "يَجْرَحُ".
"يَجْرَحُ"، أَيْ: مِنَ الْبَحِرَينِ، كَأَيْ قَالَ تَعَالَى: "وَمَا يَسْتَخْرِجُ الْبَحِرُ هَذَا عَذْبُ قَرَاءٌ سَالِبَ شَرَابٌ وَهَذَا يَجْرَحُ أَبْوَاهُ وَمِنْ كُلِّ تَأْسِكُونَ لَحْمًا طَرْيَانًا وَتَسْخِيرُونَ جَلْيَةً تُتْبَسُّوْنَهَا" [فَاطِرٌ:١٢].
وَظَاهِرُ قَوْلُهُ "يَجْرَحُ" بِالْعَلِيضَةِ، وَقَوْلُهُ فِي آيَةِ سُورَةِ فَاطِرٍ: "وَمِنْ كُلِّ تَأْسِكُونَ لَحْمًا طَرْيَانًا وَتَسْخِيرُونَ جَلْيَةً تُتْبَسُّوْنَهَا" يَدُلُّ عَلَى الْلَّؤْلُؤِ وَالْمَرَجانِ وَالْحَلْيَةِ تَسْخِرُهُمْ مِنَ الْبَحِرَينِ الْعَذْبِ وَالْمَلَحِ.
وَقَدْ ذَهِبَ جَهْرُ الْمَفَسَرِينَ إِلَى أَنَّ الْحَلْيَةَ إِنَا تَسْخِرُهَا مِنَ الْمَلَحِ دُونَ الْعَذْبِ.
قَالَ بِنُوْعَتُرُ (١): "وَقَوْلُهُ "يَجْرَحُ" مِنْ كُلِّ تَأْسِكُونَ لَحْمًا طَرْيَانًا وَتَسْخِيرُونَ جَلْيَةً تُتْبَسُّوْنَهَا" أيَّ مِنْ مَجْمُوعِهَا، فَإِذَا

١٠٧٨١
وأود ذلك لأحدكم كنفي، كما قال تعالى: «يَمْعَدُّكُمْ اللَّهُ وَيَهْدِيَكُمُ الرَّسُولُ يَنصُرْكُمْ» [الأنعام: 130]، والرسول ﷺ إذا كانوا في الإنسان خاصة دون الجن، وقد صبح هذا الإطلاق.

وهذا التعبير - وإن كان موجودًا في القرآن الكريم وفي لغة العرب فبأن الأولي حمل الشنيعة في الآتيين على ظاهرها وبخصوص إذا حقيق استخراج الحالية من العذب كما ذكر بعض أهل العلم.

قال الشنقيطي(١): "أعلم أن جامعًا من أهل العلم قالوا: إن المراد بقوله في هذه الآية: {يَحْرُجُ يَنْبَمَا}، أي: من مجموعها الصاعد بالبحر الملح، وأن الآية من إطلاق المجمع وإرادته بعضه، وأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كرمهن وجلالهم لا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل، وكذلك في قوله: {وَمَا يَسْتَخْرِجُ الْبَحْرُ مِنْهَا عَذَّبَ فَرَاتُ سَلِّمْ شَرَابًا وَهَذَئَا يَلَحُّ بِجَاهٍ وَيَنْبَمُّ} [الآية: ١٢] فالتونين في قوله: {وَمَا يَسْتَخْرِجُ الْبَحْرُ مِنْهَا عَذَّبَ فَرَاتُ سَلِّمْ} و{يَنْبَمُّ} تونين عوض، أي: من كل من العذب والملح {يَسْتَخْرِجُ الْبَحْرُ مِنْهَا عَذَّبَ فَرَاتُ سَلِّمْ} و{يَنْبَمُّ} وهي اللؤلؤ والمرجان وهذا ما لا نزع فيه(٢).

وهذا نعلم أن الجمهور رحمهم الله حملوا الآية على المعنى الذي اختروه، لا ثبت عندهم واشتهر وعرف من أن الحلية إنها تستخرج من الملح دون العذب، فقالوا بها علموا، وحملوا الآية على تقدير وارد في القرآن وفي لغة العرب، لكن إن ثبت استخراج

(١) في «أضواء البيان» ٧٨٤٨/ ٧، وانظر ٣/ ٢١١.

(٢) وقد علق ابن الشنقيطي على كلام والده هذا بما يؤيده بما نقله عن دائرة المعارف المصرية في عددها ٣٣ صفحة ما نصه: {وأتباع المحار كلها قد تتنتج اللؤلؤ، ولكنه يوجد غالبًا في أنواع معينة منها، فلقد عثر ملأً على آلاف رائعة البال في مجرى المياه العذبة الذي يعيش في بريطانيا، وخاصة أنهار ونهرن والسترند، وأشهر لؤلؤ منها عثر عليها في نهر كونوي، في القرن السابع عشر، أهداء أحد نبلاء الإنجليز إلى الملكة كاترين زوجة شارل الثاني. وما زالت محفوظة ضمن مجموعات التاج البريطاني في برج لندن، ولا يزال الالهالي يقتلون المحار عند مصب هذا النهر.«. انظر «أضواء البيان» ٧٨٤٨/ ٧- ٧٤٩ ٧٩- ٧٦٩ الحاشية.
الخليفة من العذاب فإن الأولى حمل النشيمة في الآثين على ظاهرها.
وقد قيل: إن «من» في قوله: {يخرج بنيمًا} للسببية، أي: يخرج بسبه اللؤلؤ والمرجان، وذلك أن الماء العذب كالللقاح للهاء الملح في إخراج اللؤلؤ، كما يتولد الولد من الذكر والأم، وهكذا يوجد اللؤلؤ حيث مصبات الأنهار في البحر.
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: {إذا أمطرت السيا، فتحت الأصداف في البحر أقواها، فاً وثق فيها من قطر فهو اللؤلؤ} (1).
قال ابن كثير (2): {ولما كان اتخذ هذه الخليفة نعمة على أهل الأرض امتن الله بها عليهم فقال: {فأقى وإلودكما نكدبان}}.

{ولده أنوره}، أي: وله عز وجل وحدة السفن الجارية.
{والمشات في البحر} قرأ حمزة {المشات} بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها.
المشتات: جمع مشاة، وهي المرفوعات الشرع، التي أنشأها صانعوها وأصحابها لركوب البحر، والتي تنشأ وتتبرج في البحر وتتبرج عبابه مقبلة ومدبرة، متفقة في البحر من جانب إلى آخر ومن ساحل إلى آخر.

{والمشات} الأعلام: جمع علم، وهو الجبل، فأعلام الجبال، قالت الحنفاء في رواية:
أخيها صخر: {وإن صخرًا آتائنا الهداة به كأنه علم في رأسه نار} (3)
والمعنى: أن هذه السفن في كبرها وعظمتها كالجبال، وقيل كالقصور.
وهذا أمر يشاهده الناظر من بعد إلى هذه السفن الكبيرة، وهي تجري في البحر.

---
(1) أخرج جرب الطبري في {جامع البيان} 22/ 2008-2009، وابن أبي حاتم في {تفسيره} 10/ 3324 الأثران.
(2) 1873، 473، 1873، وابن كثير في {تفسيره} 6/ 469، {إنسانه صحيح}.
(3) 469، 469، 469. 
(4) أنظر {ديوان الخنساء} ص 80.
сура ар-рхман, аят: 14-25

مقبلة أو محردة، أو راسية.
وفي جرابة هذه السفن على ظهر البحر مع عظمها وكربها، وما تحمله من الناس والحيوان والبرائين، مما فيه صلاح أحوال الناس ومعاشهم من النعم العظيمة ما لا ينفيه، كنا قال تعالى: {وَأَلْقِ الْقُلُوبَ الَّتِيْ جُهِّرَ الْبَيْنَ أَنَّكَ تَنْبَيْحُ الْقَآئِمَةَ} [البقرة: 114]، وقال تعالى: {وَسَخَّرْنَاهُمْ إِلَيْهِ الْفَلَكَ إِلَيْهِ التَّحْزِيرَ} [إسحاق: 32]، وقال تعالى: {أَتَأْتَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجَرَى} [الشعر: 31].
وقد قال هنا: {قُوِّمْ، أَلَوْ رَكَبْتَ الْجَبَّارَانَ}.

الفوائد والأخلاق:

1- تمام قدرة الله- عز وجل- في خلق الإنسان والجِن مع اختلاف عنصريهما، وتقريرهما بنعمة الله عليها في ذلك؛ لقوله تعالى: {خَلِقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ النَّارِ} [الشعر: 16]، و{فَأَيَّامَ الَّذِينَ نُذُبحُ}.

2- إكرام الله- عز وجل- للإنس بجعل عنصر خلقهم وأصوله من الطين والتراب الذي يفضله مارج النار الذي خلق منه الجن؛ لقوله تعالى: {خَلِقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ النَّارِ}.

3- إثبات ربوية الله- عز وجل- للمشرقيين والمغربين والإشارة لقدرة الله- عز وجل- ونعمه فيها لما في اختلافهم من المنافع، وتقرير الثقليين بذلك؛ لقوله تعالى: {وَرَبُّ النَّاسِ وَرَبُّ الْمُلْبِينِ} [الشعر: 14]، و{فَأَيَّامَ الَّذِينَ نُذُبحُ}.

4- قدرة الله- عز وجل- العظيمة في إيجاد البحرين العذب والملح وتسخيرهما ومنع اختلاطهما، وما فيها من المنافع وتقرير الثقليين بذلك؛ لقوله تعالى: {خَلِقَ الْبَحْرِينَ}.

5- نعمة الله- عز وجل- في إخراج اللؤلؤ والمرجان من البحر حليمة للناس يلبسوها؛ لقوله تعالى: {يَجْعَلُ مَنْ هُمْ مَعَ اللُّؤلؤَ الْمُسْتَمْتِرَاتِ}.

6- عظم قدرة الله- عز وجل- وتمام نعمته في جعل السفن الكبيرة تجري على ظهر الماء وما في ذلك من المنافع التي لا تحقق، وتقرير الثقليين بذلك؛ لقوله تعالى:
ولِلْحَيْوَانِ الْمُشْهَدِ فيَّ الْبَخْرَ كَالْأَعْلَمِ قَلِيلٌ أَلَّا يَبْقَ إِلَّا رَيْكُوكُمُ بَيْنَاهُنَّ.

7. إِبْتِ يَا رَبُّ ابْتِ وَعُزْ وَجِلْهَا - العَاءِلَة لِلنَّقَلِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَّا رَيِّكُمُ}.
قال الله تعالى: «كل من علِمها قال: وَمَيْتُوا وَسُىّنُوا مَعَ الْمَطْرِ وَالْإِكْرَارِ ۗ فَلَيَأْيُوَّا الْآخِرَةُ ۚ}.

وقوله: «كل من علِمها» من اسم موصول، والضمير في «عليها» يعود إلى الأرض، وقد سبق ذكرها في قوله: وَأَلْأَرْضُ وَصَعَّيْنَاهَا إِلَىُّ نَارٍ.

قال ابن القيم (1): ولم يقل فيها لأن عند الفناء ليس الحال حال الترار والتمكين.

والمعنى: كل الذي على الأرض وعلى وجه هذه البسيطة.

فإن، أي: ها هؤلاء ميت ذاهب زائل من الإنسان والجن، وسائر الدواب والمخلوقات، حتى السماوات والأرض والجبال، كما قال تعالى: يَمْتَدُّ الأَرْضُ مِنْ فَوْقِهَا ۖ} [الإسراء: 118]، وقال تعالى: ومَسْتَلْقِي عَلَى الْجَبَالِ فَقُلْ بِيَتِكَنَّهَا رَبِّي نَسْفًا} [الله: 105-107]]

قال ابن كثير (2): يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله.

وكان تعالى: وَنُبِيهَ في السَّمَوَاتِ فِي نَصْرِهَا وَمِنْ في الأَرْضِ إِلَىُّ نَارٍ} [الزمر: 108]، وقال تعالى مخاطباً الرسول: إنَّكَ مِنَ الْيَتِيمِ وَلَاتَ بَيْنَكَ نَيْمُ} [النور: 30].

وفي الحديث: «أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقة» (3). قال لبيد:

لَا كَلِّ شَيءٍ مَا خَلَّلَ اللَّهُ بَاطِلًا وَكُلْ نَيْبُهُ لَعَلَّةَ زَائِلٍ

---

(1) انظر «بداائع التفسير» 3/ 224.
(2) في «تفسيره» 7/ 469.
(3) أخرجه من حديث سهيل بن سعد رضي الله عنه الطبراني في «المعجم الأوسط» 5/ 242، وحاكم في «المستدرك» 2/ 192 وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الطلسي في «مسنده» عن جابر رضي الله عنه 8/ 187، واحتفظ به في «الجواب الصغير» 89.
(4) انظر «ديوانه» ص 156.
وقال الآخر:
لا شيء ماقتري بيقى باشانه
وينقى الإله وينقى المال والولد
(1)
وقال الآخر:
تعز فلا شيء على الأرض باقياً
ولا وزر ما قضى الله واقياً
(2)
وينقى وجه ربيك، أي: يبقى وجه ربك يا محمد ورب جميع المخطبين ورب جميع المخلوقات سببانه وتعلل، وهو الحي الذي لا يموت، كما قال عز وجل:
وفي الدعاء: "يا إبن الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم" (3).
ووفي الآية دليل على إثبات الوجه الله عز وجل كي يلقي بجلاله وكباهه، وعلى أن البقاء له عز وجل وحده، فلما ركوب وجهه عز وجل بقاو سببانه بذاته وجميع صفاته، وإنها يعبر بالوجه لشرفه.
قال الشاعر: "إذا قرأت: "كل من علبها تأكل فلا تسكت حتى تقرأ: وينقى وجه ربيك"، ذو الجلال والإكرام (4).
وقال ابن عباس رضي الله عندها: "ذو الجلال والإكرام "، ذو العظمة والكبرياء (5).
وقد قال عز وجل في الحديث القدسي: "العظمة إناري والكبرياء رئاه" (6).

(1) البند ينسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: "الإمتاع والمؤاسة" ص 314.
(2) البند بلا نية في "أوبي وانقلت" 1/ 9، "تراث الأشموري" 1/ 247.
(3) أخرج أبو داود في الصلاة 1495، والنسائي في السنة 1300، والترمذي في الدعوات 2544، وفي ابن ماجة في الدعاء 3858 من حديث أنس رضي الله عنه.
(4) "تفسير ابن كثير" 4/ 469.
(5) أخرج حديث الطبري في "جامع البيان" 7/ 278.
(6) أخرج حديث مسلم في "البر والصلة والأدب" 1226، وأبو داود في البحاس 314، وفي ابن ماجة في الزهد 174.
قال ابن تيمية: "فجعل الكبريان بمنزلة الرداء، وهو أعلى من الزارع." 
والأركان: الفضل التام، والجود الواسع، والعطاء الجزيل، الخاص بأولائه، والعلم جميع الحقائق، كما قال عز وجل: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَنَا الْأَقْصَرُ" [الحج:13]. 
وقال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِينَ مِبَالِغِهِمْ فِي الْبَيْتِ وَالْبَيْحِرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنْ أَطْلَبِهِمْ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُّنْ خَلْقِهِ" [الإسراء:79]. 
وقال تعالى: "كَلَّا نُعْلَمُ مِتْنَهُمْ وَكَلَّامَةُ يَنْخُذُونَهَا" [المورى:57]. أي: أهل أن يتقية والله أن يغفر. 
قال ابن كثير: "وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريماً بأنه "اللَّهُ الْمُجَلَّدُ الْكَرِيِّمُ"، أي: هو أهل أن يجيء فلا يعصي، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: "وَأَشْرَىُ فَتَشَكَّلَ مَعَ الْقَيَّمِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ يَلِدُونَ وَيَتَبَيَّنُونَ وَجَهَّاهُمْ" [الكهف:28]. 
وكقوله إخيراً عن المتصدقيين: "فَإِنَّ اللَّهَ مَكْرُوхُ الْأَمْرِ" [الإنسان:9]. 
وفي تساوي أهل الأرض وغيرهم من المخلوقات بالفرقة واختصاصه عز وجل بالبقاء والعظمة والكبريان والجود وواسع العطاء يعم من وجهة عدة، منها: المساواة بين الخلق بحيث لا يلفت أحد منهم من هذا الفناء، ولا يتميز أحد عن أحد في هذا، وهذا غاية العدل. 
ومنها أن موت الكبيرة وفناءهم راحة لهم من شقاء الحياة وما فيها من المظلم 
وبخاصة المؤمنين وفي الآث: "الذين سجن المؤمن وصحة الكافر". (2) 
ومنها: أن في فناء أهل الأرض ومصيرهم إلى الله والدار الآخرة نعمة عظيمة.

---

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(1) في "مجمع الفتاوى" ۶/۵۶.
(2) في "تفسيره" ۷/۴۶۹.
(3) أخرج مسلم في الزهد والرقائق في سنة ۱۹۵۶، والترمذي في الزهد ۲۳۴، وابن ماجه في الزهد ۱۱۱۳ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ليحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل ويجزي كلاً بما عمل كـى قال عز وجل:

{فَمَنْ يَعْمَلُ مَغْفِرَةً سَأُوْلَىٰ بَيْنَ يْوُدٍّ وَيَتَّلِمُّ وَمَنْ يَعْمَلُ مَغْفِرَةً ذَٰلِكَ شَيْءًا}

[البقرة: 74] حتى إنه في ذلك اليوم ليقتص لنشاة الجياء من الشأة

القرناء (1).

ومن أعظم الوعم أن ترد الحقوق إلى أصحابها، ويقتضى للمظلومين من الظلماء، ويجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وهذا قال هنا: {فَأَيَاً أَلَّهُ رَيْبَكَ َيَكُونُ بِأَنْفُسِكُمْ}.

{يَنْتَهِكُونَ مِنْهُنَّ وَالآخِرَينَ}، أي: يسأل الله عز وجل من في السماوات والأرض.

{وَسَكَّلُوا أَنَّهُ مِنْ قَبْلِهِمْ}، [ النساء: 32]

وعن من في السماوات والأرض: {وَمَنْ يَنْتَهِكُهُنَّ وَالآخِرَينَ}، أي: يسأل الله عز وجل كل الذي في السماوات والأرض من الملائكة، كما قال تعالى عنهم:

{اللَّهُ يَسْتَخْرِجُ الْأَعْرَاضَ وَمِنْهُمْ وَيُسْتَخْرِجُ الْمُذَانِيْنَ وَيُسْتَخْرِجُ الْأَشْهَرَ وَيُسْتَخْرِجُ الْمَلَائِكَةَ وَيُسْتَخْرِجُ الْعَلَاصِمَينَ}.

[التوبة: 78]

ومن الإنسان والجن حتى الكفار، كما قال تعالى: {وَإِذَا أَغْفَرُوهُمْ فَأَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الالћين: 32]، وقال تعالى: {إِذَا رَسِبَ بُني إِسْرَائِيلَ فِي الْبَيْتِ دَعُوا اللَّهَ عَلِيمَ الْغُرُورِ}.

[العنكبوت: 65]

ومن الحيوانات وسائر الخلق، بلسان الحال، أو بلسان المقال، أو بها جميعاً، كل حسب حاله وحسب ما أعطاه الله عز وجل من القدرة على السؤال وألهمه.

كـى قال عز وجل: {اللَّهُ أَعَلَى مِثْلَهُ مُتْقُونَ} [طه: 105]، وقال عز وجل في التبليغ:

{وَإِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيَا يُجِبُّ بِهَا شَيْءًا وَلَكِنِّ الْآخِرَةَ لَهُمْ فَتْقٌ} [الإسراء: 44]

(1) سبب تحريره.
سورة الرحمان، الآيات: ۲۶ - ۲۰۰

(۱) أخرجنا ابن ماجه في المقدمة باب فيها أنكرت الجهمية ۲۰۲.

وأخرجنا ابن أبي حاتم في تفسيره ۱۰/۸۲۲۵ الأثر ۲۷۷۲، والطبري في جامع البيان ۲۲/۱۱۴ من حديث عبد الله بن منيب الأزرق عن أبيه. وذكره ابن كثير في تفسيره ۴/۸۲۰ من رواية ابن جرير.

وأخرجنا ابن أبي حاتم، ونسب حديث أبي الوداد لابن عساكر من طريق معتمدة. وقد ذكره البخاري في تفسير سورة الرحمن مفصلًا بصيغة الجزم عن أبي الوداد ورواه البزار خصوصًا من حديث ابن عمر. انظر «تفسير ابن كثير» ۷/۴۷۱، «فتح الباري» ۸/۶۲۰.

(۲) انظر «بديع التفسير» ۴/۳۲۴-۳۲۷.
به علمه، فهو المنصرف في الملائكة كلها وحده، تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك، لا يناظره في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائرة بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك.

وقال أيضاً: «يغفر ذنباً ويفرج هماً، ويكشف كرى، ويخرج كسرى، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويرشد حيران، ويجعل هفناً، وينعث عابناً، ويشيع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل مذنبًا، ويجزي محسناً» ، ويصر مظلماً، ويقسم جباراً، ويقبل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، لا ينام ولا ينفغى له أن ينام يخضع القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كنت له أحرقت سيحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويبنيه ملأى، لا تغيبها نفقه، صحاء الليل والنهار، لأيهم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغضا ما في كيماه.

وتكفله: عز وجل - بحاجة جميع المخلوقات وإجابة أسئلته وقيامه على شؤونهم من أعظم النعم التي يستحق عليها الشكر والحمد، وهذا قال بعده: «فأين ألا أزكَّانكَ».

الفوائد والأحكام:
1. فناء كل من على وجه الأرض والبسيطة وجميع المخلوقات وبقاء الرنب - عز وجل؛ لقوله تعالى: "كلُّ من علَّمَهُ أَنَّ الْحَقَّ وَجَعَلَهُ مُفْلِحًا".
2. إثبات الوجه والذات لله - عز وجل - على ما يليق بجلاله وعظمته، وإثبات ربوته الخاصة لنبيه، وتشريفه بإضافة وصف الرنب أو اسمه إلى ضميره؛ لقوله تعالى: "بِعَلِیْهِ رَبَّكَ الَّذِی نُزِّلَتْ الْآیَاتُ الْقَرْنِیَّاتُ وَالْآیَاتُ الْأُمُورِیَّاتُ".
3. اتصاب الله - عز وجل - بالعظمة والكبرياء والإكرام والجود الواسع والفضل الثامن؛ لقوله تعالى: "ذَوْ الْقُرْآنِ وَالْإِلْهَامِ".
4. في المساواة بين الخلقين بالنفاذ وتفرده عز وجل بالبقاء والعظمة والكبرياء والإكرام والجود وواسع العطاء نعمة على الثقفين لهذا قررهما فيها، فقال: "فَأَنَا الَّذِی یَزْدَقَّ مَعَنَّا".
سورة الرحمن، الآيات: ۵-۶

۵- توجه جميع الخلق بالسؤال إلى الله - عز وجل- وتكفله بحوائجهم لا يشغله شأن عن شأن، وتحرير الثقليين بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَبِالْقُرْآنِ الْبَلْدِينِ﴾ ﴿۵۵﴾ (۵۵). ﴿۱۰۴﴾ فَأَيُّ الْأَلَّهَ مَا رَكَّزْتُ لَهُمْ}.

۶- إثبات ربوبية الله - عز وجل- العامة للثقليين؛ لقوله تعالى: ﴿۸۶﴾ (۸۶).

* * *
قال الله تعالى: "سنفغ لكم أيها الثقلاين ١٠٥ فناعي ألا إلزامكم نذبكم ١٣ يثبت على زمك ١٣ يثبت على عاطفي ١١ فناعي ألا إلزامكم نذبكم ١٣ يثبت على ١٣".

وقله: "سنفغ لكم أيها الثقلاين" قرأ حزء والكسائي وخلف بالباء "سيفرع لكم".

وقرأ الباقون بالنون: "سنفغ".

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: "سنفغ لكم أيها الثقلاين" قال: "وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ".(1)

وقال البخاري (2): "سنحاسكم، لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقول: "لإنفغر لك" وما به شغل، يقول: "لإنفغر على غرتك".

"أي الثقلاين": أي: يا أيها الثقلاين.

و"الثقلاين": هما الجن والأنس، كما صرح بهما في قوله بعد ذلك: "يتعصر أيمن".

وعن أسس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في عذاب القبر "فتصبح صبحة يسمعها من يلبها إلإ الثقلاين" وفي رواية: "إلا الإنس والجن".(3)

وهما المخاطبان في قوله: "فناعي ألا إلزامكم نذبكم ١٣".

والمعنى: سقصد حسابكم أيها الثقلاين، أي: أن حسابكم قد اقترب وسيجازى كل منكما بما عمل.

وهذا من أكبر النعم أن يجزى كل يا عمل، ويتصرف للمظلمون منظلم، وتلد

(1) أخرجه الطبري في "جامع البيان" ٢١٦، وابن أبي حاتم في "تفسير" ١٠/٥ ٣٣٥- الأثر ١٨٧٣٨.
(2) في صحيحه في تفسير سورة الرحمن انظر "فتح الباري" ٨/١٢١.
(3) أخرجه البخاري في الجامع - المبت يسمع خفق النعال، وفي ما جاء في عذاب القبر ١٣٨، ومسلم في صفة الجنة ٢٨٧، وأبو داود في الجامع ٣٢٣١، والنسائي في الجئاز ٢٠٥، وأحمد ٣/٤. 
الحقوق إلى أهلها.

وهذا قال بعده: "فَأِيَّاءُ أَلَّاَمَّا رَيَّخُتُمُ النَّجَاتُ".

ويعود من الآية أن الجن مأمورون مهبوسون محاسبون على أفعالهم.

"يَتَّمَّنُّ النَّجَاتُ وَالْإِلَيْسَ النَّجَاتُ "يَا": حرف نداء، و"المعشر": الجماعة والقوم والرهر.

و"الجن": هم نسل إيليس لعنة الله، والإنس: هم نسل آدم عليه السلام.

"إِنَّ إِسْتَطَعْتُمْ": أي: إن كان باستطاعتكم وتصرّكم إمكانيكم.

"أَنْ تَتَّقُدُّوا مِنَ أَقْطَارِ الْأَرْضَ وَالْجَهَنَّمَ": النفوذ من شيء بمعنى اختراقه والخروج منه، و"أَقْطَارْ أَلْفَيْنَ "جوانبها.

والمعنى: يا معشر الجن والإنس إن كان باستطاعتكم الخروج من أقطار السماوات والأرض فارأوه وهرؤباً من عذاب الله تعالى يوم القيامة فتعجزوه فلا يقدر على عذابكم "فاشذروا": أي: فافعلوا، وهيهات لكم ذلك.

"لَا تَفَادُوا إِلَّا يُسْلَطْنَ": وألي لكم ذلك فاوف سلطان الله سلطان.

وسياق الآيات وحاقها يؤيد هذا القول وهو تذكيرهم أن يهرعوا أو يفرعوا من عذاب الله في الآخرة، فقاله قبله: "سَفَرَ لَكُمُ الْأَنْفُسُ مَعَ أَيْهَا الْقَلَّانِ "، أي: سنفرغ للسماوات في الآخرة.

وقوله بعده: "إِنَّا أَنْفَضَّ بِتَ ثُمَّة فَكَانَ وَرَدَّةً كَأَلْبِكَانِ "، فهذا في الآخرة.

وقوله الخطب في قوله "يَتَّمَّنُّ النَّجَاتُ وَالْإِلَيْسَ النَّجَاتُ "إِنِّي إِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُدُّوا مِنَ أَقْطَارِ الْجَهَنَّمَ" يدل على أن هذا إنما يكون إذا جمعهم الله بصعيد واحد يسمعهم الداعي وينفدهم البصر.

ويحتمل المعنى: إن استطعتم أن تخرجوا عن قهر الله وحلف حكمه وسلطانه وملكته يعني في الدنيا فافعلوا وهيهات لكم ذلك فافعلخ خلقه وملكه والأمر أمره.

أو أن المعنى: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فافعلوا وهيهات لكم ذلك فهو

مدركم كما قال تعالى: "فَأَيْمَانَ كُوِّنُوا بِذَٰلِكَ أَمْوَتًا وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتٍ مُثْبَتُونَ "[النساء:88].

أو أن المعنى: إن استطعتم أن تذكروا بعلمكم أقطار السماوات والأرض فتعلموا.
ما فيها فاعلها وهيهات لكم ذلك.
والمعنى الأول أظهر وعليه يدل سياق الآيات وعليه أكثر المفسرين.
لكن من المعلوم أن المعاني الأخرى كلها ليست باستطاعتهم فهم لا يستطيعون
الخروج والهروب عن ملك الله وسلطاناه وحكمه الكوني والجزائي في الدنيا والآخرة،
ومن ذلك الموت.

كما لا يستطيعون الإطلاع على ما في السماوات والأرض لقصور علمهم.
قال ابن كثير (1): "أي: لا يستطيعون هرية من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم، لا
تقدرون على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، إنها ذهبتم أحيط بكم،
وهذا في مقام الخسر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صوف من كل جانب، فلقد
حدثه النذراء (الشيطن) إلا بأمر الله.
وقال السعدي (2): "أي: لا تخرجون من إلا بقوة، وتسلط منكم، وكما قدرة، وأنى
هم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا.
والمعنى: أنه لا منفر لهم ولا خلاص من عذاب الله تعالى، قال تعالى: "إذا نصر
وانتصاف القمر وتم استغفر وصلاة (النور) (١٦)، وقال تعالى: "وأينما خلقنا (السيان) جزاء سينتيم بثيئة وترههم ديله ما
هم من الله من عاصرين" (يونس: ٧٦)، وقال تعالى: "لا عاصم للهوم من أمر الله إلا من رحمه
(مرض: ٤٩)، وقال تعالى: "إن ربك ليأْتِكَ مِصَادُ" (النجم: ٤٤)، وقال تعالى: "لا آت به إلى الله تيَم
الأمم" (الشعرى: ٥٣)، وقال تعالى: "وانتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله (البقرة: ٢٨١)، وقال

(1) في "تفسير الرحمين" ٧/٩٧٢.
(2) في "تفسير الكريم الرحمن" ٧/٢٥٧.
تعالى: «إِنَّكُمْ أُهْلُ الْكَلِیْلِ فَلِلَّهِ مِنْ قَرَارٍ هُمْ أُمَّةٌ مُّسَأَّةٌ بَلْ أُظْهَرُونَ فِي الْيَوْمِ الْأَخِرِ» [ص: 3].
فالنفي ولا مجد ولا حضى من قدر الله وحكمه وجزاءه، ولا ملجة ولا منجي من الله إلا إليه، فخلقت خلقه، والملك ملكه، والتدبير كل بيده، ومرد الخلق كلهم إليه. وكما قال:

"أَيْنَ الْمَفْرَكَ وَالْإِلَهِ الطَّالِبُ وَالْأَشْرِمُ المَغْلُوبُ" (1)

وفي انقيد جميع الخلق لقدره عز وجل وحكمه الكوني والجزائي وهو سبحانه الحكم العدل نعمة من الله عز وجل على الخلق وهذا قال يعده: "فَأَيْنَ الْأَهْلُ أَتَّكِهَا رَبُّكُمَا" [ص: 22].

"يُسَرَّعُ الْعَلْيَانُ" أُبي الثقلان، الإنس والجن.

"سُوَّاهُ مِنْ تَأْيِّرِينَ" قرأ ابن كثير "شهواط" بكسر الشين، وقرأ الباقون بضمها:

"شِهَواطُ". والشاواط: هب النار الذي يقطع منها لا دخان فيه.

"وَقَالَ الْبَاقِينَ" قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر السين ونحاس، عطفا على "تَأْيِّرِينَ".

وقرأ الباقون بضمها "وَقَالَ الْبَاقِينَ" عطفا على "شِهَواطُ".

والنحاس: الصفر المذاب، أو الدخان الذي لا له فيه. قال النابغة الجعدي (2):

"يُضِيُّ الْأَذْمَابَ السَّلِيمَ تَمَّ مَّيْلِ اللَّهِ فِيهِ نَحَاسٌ أَيْ: لَمْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِيهِ دُخَانًا" (3).

"فَلاَ تَتَشَبَّرَ إِنَّ"، أي: فلا تستطيعان الانتصار بأنفسكما، ولا بغيركما.

(1) البصائر عن ابن كثير 8/506.
(2) انظر: "ديوان" ص 8، "جهينة أشعار العرب" ص 28، "سرور النفس بمدارك الحواس" الخمس، ص 235 "خزانة الأدب" 5/237.
(3) انظر: "مجاز القرآن" 2/244، "لسان العرب" مادة "نحاس".
(4) في "تفسير" 7/473.
وفي هذا الوعيد بإرسال شواط من نار ونجاسة على من هو أهل لذلك من الثقلين، وهم المكذبون الظالمون إحقاق للحق وإبطال للباطل وانتصار للمظلومين من الظالمين. كما أن في ذلك ما يحمل على سلوك الطريق المستقيم من وفقة الله والله بعد عن طريق أهل الجحيم، وفي هذا وذلك نعمة من الله عز وجل على الثقلين، وهذا قال بعده: «فَإِيَّاهُ مَا لَّهُ مَثَلَ».

الفوائد والأحكام:

1- الوعيد والتحذير للإنس والجن من قرب حسابها ومجازة كل منها بها عمل وتقريرهما بذلك; لقوله تعالى: «سَنَفْعَلُ لَكُمْ أَيْدِيَانِ وَرِجَالًا نَّكْزِيْبَانِ».

2- أن الجن مأمورون منهبون محاسبون على أفعالهم كالأنس; لقوله تعالى: «أَيْهَا الْجَنُّ».

3- تحدي الثقلين الجن والإنس أن يهرروا من عذاب الله وقضائه وحكمه الكوني، وضعفهم، وانقياد جميع الخلق لحكمه، وهو الحكم العدل; لقوله تعالى: «يَتَمَعَّنُ آلِيَّةُ وَإِلَّا أَنْ يُسَبِّبِنَّاهُمْ أَمَّاَهُمْ فَأَنْتُمْ لَا تُعْلَمُونَ إِلَّا وَيْسَطُّ».

4- الوعيد والتهديد للمكذبين من الثقلين، بإرسال لهم النار والوسر الصادم عليهم بما لا يستطعان له دفعاً لبأنيها ولا يثيرها، وفي ذلك إحقاق للحق، وحمل على سلوك الطريق المستقيم، وهذا من نعمة الله على الخلق هذا قررها فيهما; لقوله تعالى: «يَرْسَلُ عَلَيْهِمْ سَوْاتِيَةً مِّن نَّارٍ وَيُنزِحُونَ فَإِنْ تَرَاهُمْ فَإِنَّمَا هُمْ مَّن يَأْتِيَ الْجِنَّ تَجَأَرْنَ».

5- إثبات ربوبية الله - عز وجل - العامة للثقلين; لقوله تعالى: «فَإِيَّاهُ مَا لَّهُ مَثَلُ».

* * *
سورة الرحمن، الآيات: 37 - 45

قال الله تعالى: «إِذَا أَنفَقْتُمْ السَّماةَ فَكَانَ تَرَدُّدُ عَلَى جَهَّالٍ كَالْهُكَانِ (٤) فَأَيُّ مَالَةٍ رَيْيَانَكَ (٥) تَزِيدْهُمْ وَيْلًا يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يَكُونُ (٦) فَأَيُّ مَالَةٍ رَيْيَانَكَ تَزِيدْهُمْ وَيْلًا يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يَكُونُ (٧) تَعْمَرُ الْجَهَّالُ يَسِيمُهُمْ وَيَرْجُونَ الْمَغْرَةَ وَالْأَقْلَامَ (٨) فَأَيُّ مَالَةٍ رَيْيَانَكَ تَزِيدْهُمْ وَيْلًا يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يَكُونُ (٩) يَا الْمَتَّىَّٰمُ بَينَيتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جَهَّالٍ (١٠) فَأَيُّ مَالَةٍ رَيْيَانَكَ تَزِيدْهُمْ وَيْلًا يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يَكُونُ (١١).»

قوله: «إِذَا أَنفَقْتُمْ السَّماةَ» إلغاء استثنائية، و«إِذَا» ظرفية بمعنى «حين».

والمراج بالسماة سقف هذا الكون الأرضي الذي كان محفوظاً من ذي قبل كما قال تعالى: «وَحَصَّلْنَا السَّماةَ سَقْفًا مَّخْفُوطًا» [الأنيس:22].


وَرَدَّةُ كَالْهُكَانِ (الْعَبَّاَسِ) الألف عاطفة. أي: فكانت تشبه الوردة في الحمرة.

كَالْهُكَانِ (الْعَبَّاَسِ) كدهن الزيت في الدوبيان، كما قال تعالى: «يُوْمَ تُكْنُونَ السَّماةَ كَالْهُكَانِ» [المالم:8]. والهلب: دردي الزيت أو الفضة المذابة.

قال ابن كثير (١): «أَيُّ تذوب كأَذْوَب الدَّرْدِيَّة والفِضَّة في السَّبَك، وَتَتَلَوْن كا تَتَلَوْن الأَصْبَاغِ الَّتِي يَدُهُنَّ بِهَا فَتَأَرَّى حَمَّاءً وصُفَّرْاء وَخَضْرَاء، وَذَلِكَ مِنْ شَدَةِ الأَمْرِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْثِر النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) في تفسيره٣٧٣، ٤٧٤، ٤٧٤.
القيام والسياء تطش عليهم(1).
وإذا كانت السياء وهي من أعظم المخلوقات يعتر بها ما يعتري بها من أحوال القيامة كغيرها من سائر المخلوقات فإن في هذا ظهور نعمة الله عز وجل - من وجوه منها تساوي جميع المخلوقات أمام قرية الله عز وجل وعدم بقاء شيء منها على حال، وأن دوام الحال من المجال، لأي مخلوق كان. كما أن في تذكر الله عز وجل للثقلين بهذا نعمة من الله عز وجل عليهم، وهذا قال بعده (قَيَّمُواَ مَآ أَلَّهُمَّ رَبّيَّنَا نُكْلِفِّيَانِلَّهَ). الفاء: عاطفة، أي: في يوم وقوع تلك العلامات والأهوال وهو يوم القيامة.

لا تيَتَوَلَّ عَن ذُنُوبِيْنَ إِنّي كَلاَ كَانَتُوْا مُلْكُكُمَا كَالْإِنسَ، أي: لا يسأل عن ذنوبه، فالمراد به جنس الذنوب، وفي إضافة الذنب إلى الإنسان والجن دليل على أن الجنس مكلفون كالإنس.

ومعنى: ففي ذلك اليوم، وهو يوم القيامة لا يسأل أحد من الخلق من الإنسان أو الجن سؤال استخار واستعلام عن ذنوبه، وما ارتكبه من الأثم؛ لعدم الحاجة إلى ذلك؛ لأن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية من أعباء العباد، وكل ذلك عندنا مسأط مكتوب، كما قال عز وجل: (وَزَوَّجْنَاهُمَا هَذَا اللَّهُمْ بِسُبْحَانَهُ وَلاِ كَرَبَةَ إِنَّهَا أَحْصَهَا وَوَجَدَاهَا مَعَ مَعْلُوْمٍ وَلَا يَضُرُّ لَهُمَا أَحَدٌ) (الكهف:49).

وكما قال تعالى: (وَصَبَّ إِلَّا أَلْسِنَةَ طَولِيْهَا فِي عِبْدِهِ وَتَحَرَّجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِكْنَةً يَقْدِرُهُ) (الإسراء:14).

مَنْشُورًا (أَقْرَأْ كِتَابَكِنِّي كَنِيْنِي بَيْنِيَّ عَلَيْكُمَا حَسَبًا) (المرسلات:3) - وَلَا يَطَّلَّعُونَ لَهُمْ وَلَا يَبْدُوُنَّ مَثَالَهُمْ وَلَا يُحَشَدُّ أَرْجَعُهُمْ يَا كَانُوا يَكْبِرُونَ (بُسْ:35)، وقال.

---

(1) أخرججه أحمد 266/267.
سورة الرحمن، الآيات: 37-45

 تعالى: "ولا تَرْجِعُونَ عَنِّيُّهُمَا مَعْمَالَةً أَخْبَرُونَ" [القصص: 78].
لكنهم يسألون في حال أخرين، ومعنى آخر، وهو تقريرهم بذنوبهم، كـ قال عز.
وجل: "قَوْيِّيْكَ لَنْ تَضَلُّنَّهُمَا جَهَرًا" [حديث: 963].
وقال تعالى: "فَلْسَتَنَا لَا نَزُولَ أَرْيَبٌ إِلَيْهِمْ وَلَسَتَنَا الْمُنَضِّفُونَ" [الأعراف: 61].
وقال تعالى: "كَأَنَّى لَنْسِتْنَا عَنْهَا كُرْسَٰيْنَ" [النحل: 56]. وقال تعالى: "وَلَسْتُنَّ يُؤْفُكُهُمْ النِّفْقَةَ عَمَّا كَسَبَّبْتُونَ" [العنكبوت: 13].
فَالسَّؤَلُ المُنْفِي سَوَاء الاستفهام والاستشارة، وسِؤَلُ المُثْبِت هو سؤال التقرير.
والتبكير، فهذا في حال وذلك في حال، كـ قال أن المجرمين هم علامات تعرفهم بها.
ملائكة العذاب فلا تحتاج إلى السؤال عنهم، كـ قال بعد هذا "يَعْرُفُ الْمُخَرِّجُونَ يَسِيحُونَ"
نَؤْفُكُهُمْ النِّفْقَةَ عَمَّا كَسَبَّبْتُونَ! [العنكبوت: 13].
وفي إحاطة عالم الله عز وجل بأعمال الخلق وكتابتها وتسيرها و وعدم الحاجة إلى
سواهم عن أعمالهم تمهيد ل.Drawable الحق والعدل بينهم وإعطاء كل ذي حق حقة ومجازاة.
كل منهم به عمل، إذ لو وكل ذلك إلى سواهم وما يجيبون به لكانوا بين مكذبين أو ناصرين أو مناصرين، كـ قال تعالى: "أَخْصَصْنَا اِلْحَقَّ وَالْقَسَّمَةَ" [المجادلة: 28].
ولكن هذا من نوعة الله عز وجل أتبعه بقوله: "فَأَيَاكُمْ أَيْدِيْكُمَا تَكَبِّيْنَ".
يَعْرُفُ الْمُخَرِّجُونَ يَسِيحُونَ، أي: علاماتهم القبيحة السبأ كاسودا الوجه.
وظلمتها وزرقة العيون.
وذلك أن للمعاصي والذنوب والجرائم آثارها وعلامات السبأ على الوجه.
الأبدان، كـ قال لللطاعس ائنتها وهو بياض الأبدان والوجه. قال تعالى: "يَوْمَ يُقِيمُ
وَجْهُهُ وَشَفَيِّهَا" [الآسر: 10].
مَيْتُونَ بِالْقُرُوبِ وَالْأَفْقَامِ، أي: يخهد منهم بالنواحي والأقدام.
والناصري: جمع ناصية، وهي شعر مقدمة الرأس، أي: يجمع للواحد منهم بين
ناصيته وقدميه، وربط ناصيته بقدميه، ويلقي في النار.
وأخذ المجرم ومحزاته بما عمل من إحقاق الحق والعدل، والتنذير بذلك للمخلوق.
من نعم الله عز وسلام، فهذا جملة بالله تعالى:

«هَذَا مَثَلٌ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ»

أظهر في مقدم الإيضاح فقال: «أَلَاتَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ».

لم يقل: «أَلَاتَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» لما لصفهم بوصف الإجرام، وبيان أنه سبب دخولهم جهنم، وليشمل هذا الوعيد كل جرم.

أي: يقال للمجرمين حين يؤخذ بنواحيهم وأقدامهم ويلقون في النار تقريعاً وتوريداً لهم، وتكيينًا وتصغيرًا وتحقيعاً: «هَذَا مَثَلٌ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ»، أي: يكذبون موجوداً، هو أتم التصطلح بناءها، أو تشاهدها عياناً، كما قال تعالى:

» مَثَلَّ مُثَلَّكُمْ عَلَى الْيَهُودِ [النكاثر: 7]. وفي الحديث: «ليس الخير كالمعاينة» (1).


وقوله: «جَهَنَّمَ»، أي: ماء حار، «كَانَ»، أي: قد بلغ الغاية في الحرارة، فلا يستطيع، ولا يطاقة من شدة حرارته، كما قال تعالى: «عَذَابٌ مِّنَ الْعَذَابِ الْكَبِيرِ» [الغاشية: 5].

أي: شديدة الحرارة، وهو شراب كالنحاس المذاب يقطع الأمء والأحشاء.

قال ابن كثير: (2): «ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتعيم المتقين من فضله ورحمة وهو عذابه ولطفه بخلقه وكان إنذاره لهم عذابه ويدلهما مما يزجرهم عناهم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال مثناً بذلك على بريته: فيُؤْمِنُواَ وَيَكْفُرُواَ الْكَٰفِرُونَ».

القول والأحكام:

1- أن من أحوال القيامة انشقاق الساءة وذوبانها وتبذهما وتغير حالتها، وفي هذه دلالة على تساوي جميع المخلوقات أمام قدرة الله عز وجل - في تبذهما وتغيرها، وفي هذا وفي التذكير به نعمة من الله على الثقلين لهذا قررنا فيها، لقوله تعالى: "فَإِذَا أَتَنَفَّتْ".

(1) آخر جزء أحمد، 215 من حديث ابن عباس رضي الله عنها.
(2) في التفسير، 7/ 475-476.
السماء، فكانت وردة كالذكراه٤٣ في أيَّ الآبِ رَبِّكَ أَنتَ نَزِيِّمٌ٤٤.

2- علم الله- عز وجل- الواسع وخبرته النافعة بأعمال الثقليين، فلا أحد منهم يسأل عن ذنبه لأن كل ذلك معلوم لله مسطر مكتوب، وفي هذا تمهد لتحقيق الحق والعدل، وإعطاء كل حق حقه، وهذه نعمة من الله تستوجب الشكر؛ لقوله تعالى: (فَيُؤْمِنُونَ بِهِ لَا يُبِينُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَا يُجَاسِكُونَ)٤٥ فَإِيَّآ إِلَّا أَنتَ رَبِّي لَتَكُونَ الْأَمِينُ).

3- أن للمجرمين علامات سيئة وهي سواد الوجه وظلمتها ورقة العيون، بها تعرفهم الملائكة فتأخذ بنواصيهم وأقدامهم وتلقفهم في النار؛ لقوله تعالى: (يُرِيدُ الْمُجَرَّمُونَ فِي نَفْسِهِمْ فَوْهَاءَ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْجَالِ)٤٦.

4- العيد والتهديد للمجرمين بجهنم التي كانوا يكذبون بها يدورون بين حر لظاها وبين حيم آن. وفي هذا وما قبله إحقاق للحق وتحذير للخلق فهو من نعم الله لهذا قرأهم به؛ لقوله تعالى: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يَكُونُ يَا أَلْلَهُمْ يَا لَهَمْ لَيْنَ بَيْنَ بَيْنَ الْحَيَّ وَالْمَمْلُوكَ)٤٧ (فَأَيِّآ إِلَّا أَنتَ رَبِّي لَتَكُونَ الْأَمِينُ).

5- إثبات ربوية الله- عز وجل- العامة للثقليين؛ لقوله تعالى: (بَلِ الْرِّيْبُ)٤٨.

* * *
قال الله تعالى: "كل من خاف من رئي الميقات نحن نذبحه إذا ذهب..." 

ولم يقم في مقام اللة لبه جنان، لوالد خاف من الإنسان والجنة بين يدي ربه جنان، أي: لكل واحد منهم جنان، وليس معناه لمجموع الخائفين جنان.

قال ابن الخليل (1): "فإن إحدى الجنيين جزاء أداء الأوامر والثانية جزاء اجتناب المحارم.

وعليه: وللذي خاف القيام بين يدي ربه، خالقه وماليك، ومصير أمره، فاتقاه ففع أوامر وأجتنبنا نواه، واستقيم على أمره وطاعته حتى لقيا ربه، وهم المقربون، ومنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي قبل إن الآية نزلت فيه (2).

وهذه الآية كذلك: "والآية من حاف مقام ربي..." 

وقد قاله: "والآية ربي الذي يضفر على أهل الفوضى هم الذين يتمطلبهم..." 

والآية (3): "النافذ: 41 

وبدل على هذا المعنى قوله تعالى: "وأترووا الله وأعلموا أن لكم ممنوحة..." 

وقد قائل: "مقام ربي..." معناه: خاف مقام الله واطلاعه عليه، ولا منع من حمل الآية على المعنى.

(1) انظر "بدايات التفسير" 4/ 339.
(2) انظر "جامع البيان" 23/ 249-250.
سورة الرحمان، الآيات: 64-67

"جَنَّةٌ" مَثْنَى "جَنَّةٌ"، والجَنَّةُ: مأخوذة من الجَنَّةَ، وهو الستر؛ لأنها تجني أي:

تَسْتَرُّ من بِداخِلِها بِأَفْيَاها مِنَ الْشَّجَارِ المَلِفَتْةِ المَخْتَلِفَةِ، والقُصُورِ وَغَيْرِ ذَلِكْ.

قَالَ تَعَالَى: "أَرْضِي لَهُم مَّكَانَ زَمَانِهِمْ لِأَحْيَاهُمْ جَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَخَفْصَاتٍ يَحْلُّ وَجَعَالُونَ بِيْنَهُمْ رَهْبًا".[الكهف: 22].

وَعَنِ أُمِّي مُوسِىَ الْأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَ ﷺ قَالَ: "جَنَّةٌ مِّنْ فِضُّهَا، أَنَبِيَتهَا وَمَا فِيهَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذِهْبٍ آنِبِيَتهَا وَمَا فِيهَا، وَمَا بَينَ الْقُومِ وَبَينَ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزُو وَجَلِّ إِلَى رَبِّ الْكَبِيرِ إِلَى وَجَهَهُ فِي جَنَّةٍ عَدنِ«[1].

وَرَوَى حَاتِبُ بْنُ سَلْمَةَ عِنْ بَنِي الْبَنَانِ عِنْ أُبُو بُكْرِ بْنِ أُمِّي مُوسِىَ الْأَشْعَرِي عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه - قال حاذد - ولا أعلمه إلا قد رفعه - في قوله تعالى: "وَلَمْ يَأْخُذُهُ مَّاَمٌ رَيْقٍ جَنَّاتٍ"، وفي قوله: "وَسَمِيتَهَا جَنَّاثٌ«[2]، قال: "جَنَّاتٌ مِّنْ ذِهْبٍ لِّلنَّاسِ، وَجَنَّتَانِ مِنْ وَرَقٍ لِّأَصَابُ الْيَمِينِ"[3].

وَعَنِ أُبَيْ شَرْبَاءِ يَضِرِّعُ الْأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَ ﷺ قَالَ: "رَأَيْتُ الْحَيَّاءَ مَثْنَايَ مَثْنَايَ جَنَّاتٍ".[4]

وَقَالَ تَعَالَى: "وَلَمْ يَأْخُذَهُ مَّاَمٌ رَيْقٌ جَنَّاتٍ"، فَقَالَتْ: "وَلَمْ يَأْخُذَهُ مَّاَمٌ رَيْقٌ جَنَّاتٍ".[5]

فَقَالَتْ: "إِنَّ زَنِيَّ وَإِنْ سَرِقَ، فَقَالَ: "وَلَمْ يَأْخُذَهُ مَّاَمٌ رَيْقٌ جَنَّاتٍ".[6]

فَقَالَتْ: "إِنَّ زَنِيَّ وَإِنْ سَرِقَ، فَقَالَ: "وَلَمْ يَأْخُذَهُ مَّاَمٌ رَيْقٌ جَنَّاتٍ".[7]

وَقَالَ تَعَالَى: "إِنْ رَغَّبَ أَنْفُكَ أَيْنَ ذَرِّ«[8].

وَعَنِ أُبِيْ هُبْرِيَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: "مِنْ خَافِ أَدْلَجَ وَمِنْ أَدْلَجَ، بَلْ غَلَّ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سَلَةَ اللهِ غَالِبَةَ، أَلَا إِنَّ سَلَةَ اللهِ الجَنَّةَ"[9].

---


[4] أخرج الترمذي في صفة القيامة 245، وقال "حديث حسن غريب".
قال ابن كثير (1): «وهذه الآية عامة في الإنسان والجنة، فهي من أدل دليل على أن
الجنة يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا».
وفي مجازاة الله عز وجل لمن خاف مقام ربه بالجنتين تفضل من الله عز وجل وإنعام
على عباده، إذ أن عمل العبد ليس عوضاً لدخول الجنة، وإنما هو مجرد سبب فقط،
ودخولها إنما هو برحة أرحم الرحمن وفضله، كما قال ﷺ: « لن يدخل أحدكم عملة
الجنة. قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه
وفضله» (2) وهذا قال بعد هذه الآية: ﴿فَلَا يَأْتَىُ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْلُدُ فِيٓ الْقَبْرِ﴾،
ذُوّات آفة. نعت ووصف للجنتين، فضمير النثيفة في قوله ﴿ذُوّات آفة﴾ يعود
إلى الجنتين، أي: صاحبًا أفئان.
والأفئان: هي الأعصاب ذات الألوان النضرة الجميلة الحسنة، وذات البهارة المتنوعة
المختلفة اللذيذة، وذات الأوصاف الجميلة والمزايا الحسنة والسعة وغير ذلك؛ وهذا
قال بعد هذه الآية ﴿فَلَا يَأْتَىُ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْلُدُ فِيٓ الْقَبْرِ﴾.
قال السعدى (3): ﴿ذُوّات آفة﴾، أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة، نعيم
الظاهر والباطن، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أي: فيهما
الأشجار الكثيرة الزاهرة ذوات الفصول الناعمة، التي فيها الشبا البانعة الكثيرة
اللذيذة.
هيما، أي: في هاتين الجنتين ﴿يَتَابِعُانْ يَدَيْنَا﴾، أي: سارحتان يشربون منها
ويعمرون برؤيتها، وتسقيمان ما في هاتين الجنتين من الأشجار والأعشاب فتغمر من
جميع الألوان والشرا قال تعالى: ﴿يَكُونُ بَيْنَ كُلٍّ مِّنْهُمَا نَارٍ تَسَيْرُونَ فِيهَا﴾ (الإنسان: 6) وهاتان
العينان: إحداهما يقال لها: «تسيم»، والأخرى: «سلسل».

(1) في ﴿تفسيره﴾ 477/7.
(2) أخرجه البخاري في المحض 567، ومسلم في صفة القيامة 2816، والنسائي في الإيان وشرائبه
450، وفي ماجه في الزهد 4201 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(3) في ﴿تفسير الكريم الرحمن﴾ 255/7.
قال تعالى: «ومَرَّاهُمْ مِنْ قَبْلِٓ أَن يَشَّرُّهُمْ بِيَّ النَّارِ» [المطففين: 28].
وقال تعالى: «وَيَقُولُنَّ هُمْ: هَلْ نُقُولُ إِلَى اللَّهِ مَا لَّنَا مَعَهُ مِنْ وَقِيَّةٍۚ ذَٰلِكَ لِيُجَادِلُوا عِنْدَ اللَّهِ حَكَمَهُ» [الإنسان: 18].
وهذا من فضل الله عز وجل ونعمه؛ وهذا قال بعده: «فَإِنَّ اللَّهَ رَيْفُكُمْ وَرَكِيزُكُمْ».
فَإِنَّماْ، أي: في هاتين الجنتين مِنْ شَرْكٍ فَيْكُمْ الفَاكِهَةَا: ما يتفكه به ويستطاب
أكْلُه وَيَبِعْثُ عَلَى السَّرْرِ وَالإِنْبِسَاطِ.
وَكُلُّ مَا فِي الْجَنَّةِ يُؤُكِّلُ عَلَى صَفْةِ الْتُّفَكِّيَّةِ لَا بِسَببِالجَوْعِ.
فَرْجُواً، أي: صنفًا، والمعنى فيها من كل نوع من أنواع الفاكهة صنفان من
حُلْوِ وَحَامِضٍ وَأَبْيضٍ وَأَحْمرٍ وَأَخْرَجٍ.
وَقِيلُ: مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ، كَلْ صِنفٍ لَهُ لَذَةٌ وَلَوْنٌ لَنَلِمث نُصُورُ الْأَخَرِ.
وَقِيلُ: عَنْ بِنِن عُيَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: «مَا فِي الدُّنْيَا ثُمَّرَةٌ حَلْوَةٌ وَلَا مَرَةٌ إِلَّا وَهَيْنَ في
الجَنَّةِ حَتَّىِ الحُنْظَلَةِ»(1)
وَعَشَّنَاهُ هَذِينَ الْجَنَّتَيْنِ عَلَى صَنْفٍ مِنْ جَعَلِ أنواع الفِوَاكِهَا نَعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ عَلَى
سَأْقَيْهَا، وَهَذِهِ قَالَ بَعْدَهُ: «فَإِنَّ اللَّهَ رَيْفُكُمْ وَرَكِيزُكُمْ».
مَكِينٍ، مَكِينٍ: حَالٌ، وَالْمَرَادُ: أَهْلُ الجَنَّتِينِ، وَالْأَتْكَاءِ: الْاِضْطِجَاعِ، وَأُوْلِي
الْجَلْوِسِ عَلَى صَفْهَةِ التَّرْبِيعِ، وَجَلْوَسُ التَّمْكِينِ وَالْأَسْتِقْرارِ وَالْرَّاحَةِ.
لْقَرْفَهُ: الْفِرَاشُ، جَعِلَقَرْفًا، وَهُوَ مَا يُقُرَفُ لِلْجَلْوِسِ أَوْ الْإِضْطِجَاعِ عَلَىٰهِ.
ِبِطَانَتِهِ مِنْ إِسْـتِخْبَاطٌٍ الْبَطَائِنُ: جَعِلَ بَطَانَةً، وَهِيَ دَاخِلُ الفِرَاشِ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ
سُمِيَّتْ بَيْنَهَا مِلَّالِهَا لِلْفِرَاشِ وَعَدَمْ ظُهْرَهَا، وَمَنْهُ سُمِيَّتْ بَطَانَةُ الْحَاكِمُ مِلَّالِهَا لِلْفِرَاشِ,
لَهُ فِي بِلَانِسِهِ، وَتُفِرِّدُهُ بِالْأَمْرِ ظَاهِرًا دَوْهُمُ. قَالَ تَعَالَى: «فَيَكُونُوا أَلْقَىٰ اللَّهُ إِذَا ذَهَبْتُمُ النَّارَ لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَتَاهَا مِنْ دُونِهَا إِلَّا مَا أَنْتُمُ عِنْدَ مَا يَبْلُغُهُمُ الْعَزْوُ وَمَا يَتَخَفَّفُ
صُوْدُورُهُمْ أَكْثَرًا» [آل عمران: 118].

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره 378، وذكره السيوطي في الدر المثوج 67، ونسبه لعبد بن حيدر
وأبو المتنى وابن أبي حاتم.
أي: لا تتخذوا المنافقين خاصية لكم تفضون إليهم بأساركم.
والإمبراطور: هو غليظ الدياب، وهذا من باب التنبية بالأذى على الأعلى، أي: إذا كانت بطريرق هذه الفرس ودواخلها من إمبراطور فكيف بظهائرها، أو فما بالك بظهائرها التي يباشرون؟ فهي أفضل بكثير وأعلى وأحسن من بطنائها- كي هي العادة لأن بطنائها للأسأر وظهائرها للجاهل والزينة وال المباشرة والجلوس عليها.
وفي هذا دلالة على نعومة هذه الفرس وحسنها وجمالها وعظمتها، وعلى علوها، وأن لها سماكًا وحشواً بين البطانة والظهارة، وأنه لا يعلم وصفها وحسنها وظهائرها على وجه الحقيقة إلا الله عز وجل.

«يَغْلِبُ الْجَنَّةَ» الجنى: ما يبنى من الأشجار من الشجر.


قال ابن كثير (1): أي: لا تمنع من تناولها، بل تنحذ إليه من أغصانها.

وهذا ما فضلت به هناث الجنتان على اللتين بعدهما، إذ لم يذكر هذا فيها.
وفي كون أهل هناث الجنين متكنين على هذه الفرس الوئية الناعمة مع قرب ثار الجنة إليهم فضل الله عز وجل عليهم ونعمهم ولهذا قال بعده: «فَقَامَ أَلَّاهُ رَيْكَمَا تُكْبَرُ».

فهين: أي: في تلك الجنين وما حوتاه من القصور والغرف والحيام، أو في تلك الفرس المذكورة في قوله: «مَتْكَجِبِينَ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ مَنْ إِسْتَجِبَ».

قهريت الأطراف: أي: نساء قاصرات الطرف، قصرن طرفهن على أزواجهن، (1) في تفسيره 7/69.
وجَعَضْنَا الْعِرْضَ عَنْهُمْ، وَالْعِرْضُ: الْبَصِيرَةُ وَالْبَصْرَةُ، فَهَيْنَ لَكُمْ مَيْتَهُمْ لِأَزْوَاجِهِنَّ، وَإِعْجَابُهُمْ لَا يَرِنُّمَا أَحْسَنَ لَا أَجْلُ مِنْهُمْ فَلا يَنْظُرُونَ لَغَيرِهِمْ وَلَا يَبْغُونَ بِهِمْ بَدِيْلًا وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقُولُهُ عَالِيٌّ: "وَجِنَّتَاهُمْ قَيِّمَاتُ الْأَخْرَى عِينٍ" [الصافات: 68]، وْقُولُهُ:

(2) وَجِنَّتَاهُمْ قَيِّمَاتُ الْأَخْرَى عِينٍ (ص: 68).

قال ابن كثير (1): «وَقَدْ وَرَدَّ أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُمْ تَقُولُ لِبَعْلِهَا: وَلَحَمْدُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي وَجْعَلَنِي لَكَ».

وبِالقَدِيمِ إِنَّ أَزْوَاجَهُمْ قَضَرَوا طَرفَهُمْ عَلَيْهِنَّ، لِكُلَّ مَيْتَهُمْ هُنَّ وَإِعْجَابُهُمْ بِهِنَّ لَا يَرُونَ أَحْسَنَ لَا أَجْلُ مِنْهُمْ وَلَا يَبْغُونَ بِهِمْ بَدِيْلًا.

(3) وَجِنَّتَاهُمْ قَيِّمَاتُ الْأَخْرَى عِينٍ (ص: 68).

قَالَ عِبْدُوُّ عَبْدُ ذَيْنَكَ: "وَهُدَايُ وَلَا أَعْلَمُ مَعَهُ، طَلَّى لِي عَالِيّٗ مَعَهُ عَلَى تَرْجُهُ مَا بَيْنَ مَا أَرَاى فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا أَحْبَابُ إِلَّا مِنْهُ، فَلَهُمْ مَا جَعَلَهُ الَّذِي حَمَدَ.»

قَالَ ابنِ الْقَيْسِ: «وَهُدَايُ وَلَا أَعْلَمُ مَعَهُ: طَلَّى لِي عَالِيّٗ مَعَهُ عَلَى تَرْجُهُ مَا بَيْنَ مَا أَرَاى فِي الْجَنَّةِ.»

قَالَ عِبْدُوُّ عَبْدُ ذَيْنَكَ: "وَهُدَايُ وَلَا أَعْلَمُ مَعَهُ، طَلَّى لِي عَالِيّٗ مَعَهُ عَلَى تَرْجُهُ مَا بَيْنَ مَا أَرَاى فِي الْجَنَّةِ.»

وَجِنَّتَاهُمْ قَيِّمَاتُ الْأَخْرَى عِينٍ (ص: 68).

(4) في "تفسيره" 4/ 479.

(5) في "تفسيره" 4/ 479.

(6) في "تفسيره" 4/ 479.

(7) في "تفسيره" 4/ 479.
قال أرطأة بن المنذر: َسُئل حَزَّة بن حِبيب: هل يدخل الجن الجن؟ قال: نعم، ويكبرون للجن الجنات وليغرس الأنبياء، وذلك قوله: "أَرْطَأْهُمْ إِنَّمَا يَمُتْ وَكَيْلَ" (ج: 77).
وفي كون أزواج أهل الجن الجنات قاصرات طرفهن على أزواجهن، لا ينظرن ولا يطممن لغيرهم، وكونهن أكبرن نعمة من الله عليهم، وهذا قال بعده: "يَمِيتُهُمْ إِلَّا عَرَفَهُمُ وَهُدِيَهُمْ وَيَمُتْ وَكَيْلَ" (ج: 78).

"تأهَّنَ" أي: كأن هذه النساء قاصرات الطرف في حسنها وضاءهم وجماهير.
"كَيْبُونَ" و"أنَّمَا يَمُتْ وَكَيْلَ"، وهو من أفضل أنواع الجهاء أي: كأنهم في صفاء ألوانهن الياقوت في صفاته. وكأنهم في بض أحسامهن المرجان في بياضه، فهن في غاية الجمال، بيض مشميات بالحمرة مع صفاء ثام وهذا ما فضل الله به هتنا الجنات علي اللتين.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن المرأة من نساء أهل الجن لبرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى عليه، وذلك بأن الله تعالى يقول: "كَيْبُونَ وَأَنَّمَا يَمُتْ وَكَيْلَ". فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً، ثم استقصيته لرأيتها من ورائها(1).

وروي هذا موقفًا على ابن مسعود رضي الله عنه قال الترمذي: "وهو أصح ".
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن أول زمرة تدخل الجننة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تلبها على أضواء كوكب ذريٍّ في السماء، لكل أمراء منهم زوجتان اثنتان، يرى من سوقها من وراء اللحم، وما في الجننة أعزب.
وفي رواية: "للرجل من أهل الجننة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة، يرى من ساقها من وراء الثيراب"(2).

---

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان 228/2. 488.
(2) أخرجه الترمذي في أبوب صفة الجننة - ما جاء في صفية نساء أهل الجننة 2532.
(3) أخرجه البخاري في بعده الخلق - ما جاء في صفية الجننة، وأنها مخلوقة 4526، ومسلم في الجننة، وصفة
وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لعدوة في سبيل الله أو رواحة خير من الدنيا وما فيها، ولقب قوس أحدكم، أو موضع قبده- يعني: سوطه- من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أطعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمأت ما بينها رجاء، ولطلب ما بينها، وتسميتها(1) على رأسها خير من الدنيا وما فيها(2).”
وفي كون أزواج أهل هتن الجنان على هذا الوصف من الحسن والبياض والجمال نعمة من الله عليهم؛ وهذا قال بعده: "فَأَيُّهُ الْأَرْضُ رَيْكَانُكُمْ ۚ مَا جَزَاءُ مِنْ أَحْسَنِ مِنْ أَحْسَنِ".
هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ؟ هَلْ: حرف استفهام، فإنه معنى النفي، أي: ما جزء من أحسن في الدنيا العمل، بالإحسان في عبادة الله عز وجل، إخلاصًا لله ومتابعة للرسول ﷺ، والإحسان إلى عباد الله بأداء حقوقهم.
لا إِحْسَانٌ إِلَّا إِلَّا إِحْسَانٌ، أي: إلا الإحسان إليه بالثواب الجزيل والأجر العظيم، ورؤية الربي الجليل في الجنة، كما قال تعالى: "ۚ إِنَّ الْقَلْبَ الْأُخْشَىَ الْيَدَاءَ وَالْجَلْبَةَ" [يونس: 26].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِلَّا إِلَّا إِحْسَانٌ؟" ثم قال: "هل تدرون ما قال ربيكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.
قال: يقول: هل جزء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة(3)。
ذكر "الإحسان" في الموضعين بالتعريف بدل على أنهم من أهل الإحسان المطلق الكامل، وأن جزاءهم بالإحسان الكامل، وهذا مما فضلت به هتان الجنان على اللتين بعدهما.
وفرق ما بين الإحسانين أن الإحسان من جهة العبد واجب، أما الإحسان من الله

(1) أي: خارها.
(2) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 7792، ومسلم في الإمارة 1890، والترمذي في فضائل الجهاد 1651، وأبو ماجه في الجهاد 7557، وأحمد 3/141.
(3) أخرجه البغوي في "حالات التزيل" 4/2167.
عز وجل على العباد، فهو تفضل منه سبحانه وتعالى أوجبه سبحانه على نفسه، كما قال تعالى: «كتب رشكد على نفسه الرحمن» [الأسوار: 45] والإحسان أثر من آثار رحمة عز وجل، وقال تعالى: «ولا تمسح أرضكم وس苄ت كل شأ أَسْأَلُوهُ فَإِذَا قُلْتُمُ يَقُولُونَ وَيَوْمَئِنَّهُمْ الْرَّسُولُ وَأُولَّي الْأَوْلَى مِنْهُمْ وَالْأَرْمَامَاتُ وَأُولِي الْأَوْلَى مِنْهُمْ» [الأعراف: 156].

قال ابن كثير: «ولما كان في الذي يذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل، بل مجرد تفضل وامتان قال بعد ذلك: فإياً أيها الَّذِينَ رَعَاهُ الْجَنَّاتَ».

القواعد والأحكام:

١- إثبات القيام بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، ورقبته عز وجل على العباد والموت على الخوف منه عز وجل، ومن القيام بين يديه، وعلى مراقبته بذكر ما أعده للخائفين من الشروخ العظيم؟ لقوله تعالى: «وَلَيْمَّا خَافَ مَقَامُ رَبِّهِ الْجَنَّاتِ».

٢- إثبات روية الله عز وجل الخاصة لم خاف مقاته؛ لقوله تعالى: «مَقَامُ رَبِّهِ الْجَنَّاتِ».

٣- أن الله عز وجل - أعد لكل من خاف مقام ربه جنتين فيها من ألوان وأنواع النعيم أفضلها وأكملها فضلاً منه عز وجل وامتانًا؛ لقوله تعالى: «وَلَيْمَّا خَافَ مَقَامُ رَبِّهِ الْجَنَّاتِ».

٤- عظيم ما أعدته الله عز وجل لمن خاف مقاته؛ فأحنان نذرة وثائر يانية، وعيون جارية، وفواكه مختلفة متنوعة، وفرش للمجوس وثمرة ناعمة جيدة، وثائر دائنة، ونساء قصرن طرهن عليهم لم تمض بكارتهن، كانهن اليقوق صفاء، والمرجان بيضاءً، مع الثنا عليهم وتكريهم منعوناً بوصفهم بالإحسان - وهذا وذاك من أعظم نعم الله عليهم وهذا قرب الثقلين بذلك؛ لقوله تعالى: «ذَرُّتَ أَنْفَاوًا فَيَأْيُوَّلَآ إِلَّا رَبُّكَ الْجَنَّاتِ» [النور: 50] فيما سماح به خليجان، ويتى مأله ركماً كثبان، وهم من كل نفحة وعُجُوم، ما أَيَّهَا الَّذِينَ كُتِبَ لَكُمُ يَدُونَ عَلَى رُقَيْحٍ مَّفْتَنِينَ مِنْ يَسْتَبِينُ وَحْيَ الْجَنَّاتِ» [النور: 50] فيأي مأله ركماً كثبان، غير ظن رجئ الطرف لم يقفهم - إنَّ فتائهم ولا جان [النور: 50] فيأي مأله ركماً.
سورة الرحمن، الآيات: 46-47

5- العدل في حساب الخلاقي ومحازاتهم، وأن الجزاء من جنس العمل؛ فليس لمن أحسن إلا الإحسان؛ لقوله تعالى: "هل جزأت الإحسان إلا الإحسان".
6- ووجب الإحسان في عبادة الله بإخلاص العمل ومتابعة الرسول، والإحسان إلى عباد الله بأداء حقوقهم.
7- إثبات ربوبية الله - عز وجل - العامة للثقلين؛ لقوله تعالى: "والآية ريبكما".

* * * *
قال الله تعالى: "وَمَنْ دُوِّنَهُمْ جَنَّاتٌ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ مَدْهِعَاتُنَا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا عَسَانَ صَعَانًا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا نَفْحَاءٍ وَقَرْطَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا سَرْقَةً عَلَى رَقْرَقٍ حَصَرٍ وَشِرْقِيٍّ ۖ جَسَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ نَبَارَةٌ أَمْرُ رَبِّي زَيْتُينَاتِي يَلَاءُ".

قوله: "وَمَنْ دُوِّنَهُمْ جَنَّاتٌ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ مَدْهِعَاتُنَا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا عَسَانَ صَعَانًا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا نَفْحَاءٍ وَقَرْطَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا سَرْقَةً عَلَى رَقْرَقٍ حَصَرٍ وَشِرْقِيٍّ ۖ جَسَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ نَبَارَةٌ أَمْرُ رَبِّي زَيْتُينَاتِي يَلَاءُ".

خِفَّ مَقَامَ رَبِّي جَنَّاتٌ وَالآيات بعدها في وصف نعيمها.

ومعنى: "وَمَنْ دُوِّنَهُمْ ۖ أَيَّ: أقل منها في المرتبة والفضيلة والمزينة والدرجة ونوع النعيم، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "جَنَّاتٌ مِّن فَضْلٍ آتِيهَا وَمَا فِيهَا، وَجَنَّاتٌ مِّن ذَهِبٍ آتِيهَا وَمَا فِيهَا، وَمَا بِيْنَ الْقُوْمِ وَبَيْنَ الْمَيْتِينَ إِذْ يُلْتَوْهَا لَيْلاً وَطِيْبَيْنِ إِذْ يُعْبَرُوا عَلَى رَقْرَقٍ حَصَرٍ وَشِرْقِيٍّ جَسَانٍ ۖ قَالَ".

وفي رواية عن حازم بنت سلمة، عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه- قال حازم: ولا أعلمهم إلا قد رفعه- في قوله تعالى: "وَلَمَّا خَافَّ مَقَامَ رَبِّي جَنَّاتٌ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ مَدْهِعَاتُنَا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا عَسَانَ صَعَانًا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا نَفْحَاءٍ وَقَرْطَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا سَرْقَةً عَلَى رَقْرَقٍ حَصَرٍ وَشِرْقِيٍّ جَسَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ نَبَارَةٌ أَمْرُ رَبِّي زَيْتُينَاتِي يَلَاءُ".

قال ابن القيم: "وَلَمَّا كَانَ الحَافِظُونَ عَلَى نُوعٍ مَّقْرِينَ وَأُصَابِحَ بِمَيْمَ ذِكْرٍ جَنَّتِي المُقَرِّينَ لَمْ تَذَكَّرَ جَنَّتِي أُصَابِحَ الْيَمِينِ".

وفي جعل هَلَى هذِهِ الجَنَّانَ وَنَعْيَمَهُمْ عَلَى ذُرُّتِينَ وَدُرْجَتِينَ فِي النَّفْسِ وَالمَزِينَةَ وَنَعْهَلَ النَّعْيَمَ فَضْلَ مِن اللَّهِ وَنَعْمَةَ حَيْثُ لَمْ يَسَىَ الأَعْلَى بِمَنْ هُوَ دَوَيْنَ، وَلَمْ يَخَرَّ الأَدْنَىً;

وهَذَا قَالَ بعْدَهُ: "فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ مَدْهِعَاتُنَا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا عَسَانَ صَعَانًا ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا نَفْحَاءٍ وَقَرْطَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ فَهَبْنَا سَرْقَةً عَلَى رَقْرَقٍ حَصَرٍ وَشِرْقِيٍّ جَسَانٍ ۖ فَلَأَيُّ الَّذِينَ رَيْكَانُ تَكْفَيْنَا ۗ نَبَارَةٌ أَمْرُ رَبِّي زَيْتُينَاتِي يَلَاءُ".

---
(1) سبق تفسيره.
(2) انظر: "بداائع التفسير" 4/399.
«مُهْكَمَاتٌ»، أي: سوداوان من شدة الخضرة والري.
وفي كون هذين اللتين على هذا الوصف من شدة الخضرة نعمة من الله على أهل هذين اللتين؛ لذا قال تعالى: «إِنَّكَ لَآلهَ رَبُّكَ تَكوَّنَانَ».
لكن يظهر الفرق واضحًا بينهما وبين اللتين السابقتين اللتين وصفهما بقوله:
«ذَوَانَانَ أَفْتَانٌ»، وهي الأغصان النضرة والثمار اللذيذة والسعة والحسن والجمال.
فِيْسَا عِيْشٌ وَسَحْرٌ، أي: في هذين اللتين عيان فوارتان فيضتان بالماء لا تنقطعان، لمن لا تخبران كالأوليين قال ابن عباس: «فيضتان».
والجري أقوى من النضخ، ووجود هذين العيينين الفياضتين بالماء بلا انقطاع في هذين اللتين نعمة من الله؛ وهذا قال تعالى: «إِنَّكَ لَآلهَ رَبُّكَ تَكوَّنَانَ».

فِيْما»، أي: في هذين اللتين «فِيْكَهَا وَخَلَقَ».
قال ابن كثير (٢): «فِيْما»: نكرة في سياق الإثبات لا تعم، وهذا فُسّر قوله: «وَخَلَقَ» من باب عطف النفس على العام، كا قرره البخاري وغيره، وإنها أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفها على غيرهما.
وقال السعدي (٣): «فِيْما»: من جميع أصناف الفاكهة، وأخصها النخل والرمان اللذان فيها من المنافع ما فيها.
وشتان ما بين فاكهة الجنة ونخلها ورمانها ما لا يعلم حقيقة صفته إلا الله عز وجل.
وبلحظ فرق ما بين اللتين بمقارنة هذا يقوله: «فِيْما فِيْكَهَا وَخَلَقَ»، فهذا يعم جميع أنواع الفاكهة وأن فيها من كل نوع منها على كثرتها وتنوعها صنفان بخلاف

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان١٢٥٩، وابن أبي حاتم في تفسيره١٠٠، الآثار، ١٨٧٥.
(٢) في تفسيره٣٨٩، وابن كثير في تفسيره٢٢٥٠، ٢٦١٠.
(٣) في تفسيره٣٨٩.
(٤) أخرجه أبو نعيم في صف各界١٢٤، وابن كثير في تفسيره٣٨٩، ٢٦١٠، ٤٨٢.
قوله: "فيهم فاكهة" فإن هذا وإن حمل على جميع أنواع الفواكه، كا قال السعدي - وليس بعيدًا - لكنه لا يدل على أن من كل نوع صنفين كا دل على ذلك قوله: "فيهم فاكهة جميلة ورومان."


وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "نخل اللينة سعفها كسوة لأهل اللينة، منها مقطعتهم ومنها حللهم، وتزهب ذهب أعمى، وجذوعها زمرد أخضر، وثمرة أهل من العسل، وأثني من الزبد، وليس له عجم"(2).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "نظرت إلى اللينة فإذا الرمانة من رمانها كمثل البعير المقلب"(3).

وجود الفاكهة والنخل والرمان بهتن الجنسين من نعم الله عز وجل على أهلها؛

وفها قال بعدها: "فيهم آلهة مكَّينًا تكَّبَّان".

فيهين؟ أي: في الجنسين، وعلى بضمير الجمع وهما اثنان؛ لأن أقل الجمع اثنان، كما في قوله تعالى عن داود وسليمان: "وسَيَكُونُمُ الْجَهَّالُ شَهِيَّينَ" [الأنبياء:87]، وقوله: "إن تُنَبِّئُوني إلى الله فقد صاغت فلوكَّنا" [التحريم:4].

وأيضًا فإن هتن الجنسين بها فيها من ألوان الأشجار والثمار والغرف والمنازل المختلفة بمثابة جنان.

خيبرة: جمع خبرة، مخففة من خبرة بالتشديد أي: نساء خيارات الصفات والأخلاق والشيام.

(1) أخرج به عن حبدأ فيها ذكر ابن كثير في "تفسيره" 12/ 482.
(2) أخرج به عن أبي حاتم في "تفسيره" 10/ 1870، الأثر 187058.
(3) ذكره ابن كثير في "تفسيره" 7/ 482.
سورة الرمءان، الآيات: 64-66

إنجعلوا مثابة من خيراتكم حسناءً، والملبس من مفروضاتكم فولاً.

وقيل: المراد بـ«خيرات» أي: خيارات كثيرة حسان في الجنة، أي: فيها من أنواع الخير الشيء الكثير الحسن، كما قال تعالى: «فَلَا تَضَلَّ قَلْبُ مَنْ أَخَفَّى مِنْ قُرْءَةِ أَعْنَاهُ».

[السجدة: 17].

وقال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «قال الله تعالى: أعددت لعباد الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشير».

ومع أن هذا المعنى صحيح، وهو أيضًا أعم من الأول، لكن الأظهر والذي يدل عليه السياق وبخاصة ما بعد هذا وهو قوله: «وَعَرَضْتُمْ فِي الْيَمِينِ» يرجع أن المراد بقوله: «فَهُمْ خَيرُ جَاهَزَتُهُمْ»: النساء الصالحات حسان الأخلاق والوجه والأبدان، وذلك من نعم الله عز وجل على أهل هذه الجنات؛ وهذا قال بعده: «فِيَّاءٌ مَّالاً، رَيْكَمَا مَدْنَانِ».

«حُرُومَ قُصُورُتٍ فِي الْيَمِينِ»: حور: جمع حوراء، والحوور: سعة العين مع شدة بياضها وسودتها، وهو غاية جمالها، أي: نساء بيض واسعات الأعين.

«مَعْطَرَةٌ»، أي: مخدرات مخمرات في اليمين: جمع خيامة، والخيمة في الأصل بيت من بيوت العرب مستدير بيني من عيدان الشجر.

والمراد بالخيمات، في الآية خيام اللؤلؤ، فهن مصنوعات مكونات في هذه الخيمات، كما قال تعالى: «وَعَيْدُونَ قَصُورُ الْأَطْرَفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [الصافات: 48، 49].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤا مجوقة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوفون

(1) «تفسير ابن كثير» 7/483.
(2) أخرج البخاري في بداء الخلق، 3444، ومسلم في الجنة 824، والترمذي في التفسير 197، وابن ماجه في الزهد 4328.
علىهم المؤمنون، جنتان من فضة آتينها وما فيها، وجنتان من ذهب آتينها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربه إلا رداء الكريء على وجهه في جنة عدن\(^1\).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قوله: «حُرَّ مَقَصُّرَتُهُ في أَنْبَيَّةٍ» قال: خイヤاً للولؤة، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة، أربعة فراش في أربعة فراش، عليها أربعة آلاف مصراع من الذهب\(^2\).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إِنَّ لَكِن مَسْلِمَةً خَيْرَةً وَلْكِن خُيْرَةً خَيْرَةً، وَلْكِن خِيْرَةً أَرْبَعَةً أَبْوَابٍ يَدْخِلُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ شَجَّةً وَهُدْيَةً وَكَرَامَةً لَّمْ تَكُنْ قَبْلُ ذَلِكَ، لَا مَرَاحَاتِ وَلَا طَيَّاَحَاتِ، وَلَا بَخَرَاتٍ، وَلَا ذِفْرَاتٍ، حَوْرٍ عِينٍ كَأَنَّهُ بِيْضٌ مَكْنُونٌ»\(^3\).

وَوَزَوْيَ عَنْ أَبِي الْدَّرَاءِ رَضِي الله عَنّهُ قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابًا من در»\(^4\).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَدْنِى أَهْلَ الجَنَّةِ مَنْ زَالُوْتُ مِنْهُمْ أَفْلَهُ خَادِمًا وَلَمْ يَسْبُعُونَ زَوْجَةً وَلَا نَحْيَةً»، وتنصبه على قبة من لؤلؤة، ويزيد وياقوت، كما بين الجافية وصنعاء\(^5\).

ويظهر فرق ما بين الجنتين الأولين وهتيم الجنتين في هذا، فهكذا قال: «فَيَرْجِعُ مَقَصُّرُهُ في أَنْبَيَّةَ خَيْرَةٌ»، بينما قال هنا: «فَيَرْجِعُ مَقَصُّرُهُ جَسَانٌ»، فَيَرْجِعُ مَقَصُّرُهُ في أَنْبَيَّةٍ خَيْرَةٌ، فمن قصر طرفه على أزواجهم باختيارهم لا يتطرف عليهم ولا يتبغضهم، ولا يهديهم أحب الناسين، وإن كان جميعًا فاضلون.

وعن نعم الله عز وجل على أهل هذين الجنتين ما لهم فيها من هذه النساء الجميلات.

\(^1\) سبب تحريره.
\(^2\) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره٨/٣٣٢٨٨/١٠٠، الآثار ١٨٧٥٩، مختصرًا.
\(^3\) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره٨/٣٣٢٨٨/١٠٠، الآثار ١٨٧٦٣، والطبري مختصرًا، في جامع البيان ٢٦٢/٢٢، ٢٦٢/٢٢٨.
\(^4\) ذكره ابن كثير في تفسيره٨/٤٨٣.
\(^5\) أخرجه الترمذي في أبوب صفقة الجنة - ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة ٢٥٦٢.
المصونات المخدرات؛ وهذا قال بعده: "فأيها آلآة رَيْكَمَا تَكُنَّيْتُنَّ".

"أَلَا تَتَبَيَّنُونَ إِنَّ قَبْلَهُمْ كَلَّاجِنَّ" الطمث: الجماع أي: لم يجاهمن ولم يطأهن قبلهم

أحد من الإنس أو الجين فيزيقبل بكارتهن.

قال الطبري(1): "لم يمسهن إنس قبلهم بنكاح فيديمهن ولا جان.

وهذا الوصف يشترك فيه نساء أهل هناء الجنينين، مع نساء أهل الجنينين قبلها لكنه زاد في وصف نساء الجنينين الأولين بقوله: "كُتُبُ آلِهاَوُوْثُ وَالْمَرْجَانُ" وما كان من نعم الله على أهل هناء الجنينين أن أزواجهم أبكار قال بعده: "فَيَأْيَأَآهُ آآء رَيْكَمَا تَكُنَّيْتُنَّ".

"مُتْكَبِيْنَ" حال، أي: مضطجعين، أو جالسين على هيئة النزيف والانكشاف.

"عَلَّى رَقْبِيْنِ" قال ابن عباس رضي الله عنها: "الرفج: المحاييس"(2).

وهي جميع محبوب وهو ما يضبط على وجه الفرش العالية للاضطجاع والجلوس عليه براحة، أو غير ذلك من الوسائد والمساند وغيرها مما ينخذ للجلس والاضطجاع.

"خَسِرَ" أي: لونها أحمر، وهو أنسب ما يكون من الألوان للنظر، وأيها لقلب.

"وَعَبْقَرَيْ جَسَانَ" العقري في الأصل: الجيد القوي من كل شيء حتى من الناس، كما في قوله: "أَرْبَتُ كَأَنَّي أَنْزَعَ بَدُوَّ بَكَرَةٍ عَلَى قَلِيبِيْنَ، فَجَاءَ أَبُو بِكَرَ فَنَزَعَ ذَنوَباً أَو ذَنَوِينَ، فَنَزَعَ نَزْعاً ضَعِيفَةً، وَاللَّهُ تَابَرَكَ وَتَعَالَى يُغَفِّرُ لهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرٌ فَاشْتَقَّ، فَاستَحْلَتْ غَرَبَاً، فَلَمْ أُرْفَعَ شَيْءاً مِنَ النَّاسِ يُفْرِي فُرُهْ، حَتَّى رَوَى النَّاس، وَضَرَبَوا العَطْنَ"(3).

ومعنى "يفري فيه" أي: ينزع مثل نزعه من قوته برضي الله عنه.

والمراد بقوله: "وعَبْقَرَيْ جَسَانَ" البسط والزرايا الجيد المخملي، والديباج الرقيق، وغير ذلك مما يرتفع به ويتكلأ عليه.

(1) في "جامع البيان" 22/272.
(2) أخرج الطبري في "جامع البيان" 22/274.
(3) أخرج البخاري في "النسُب رقم 2673"، ومسلم في "فضائل الصحابة" - فضائل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه 1393، والترمذي في الرؤيا 2289، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها.
وقال السعدي (1): «العبقيرة نسبة لكل منسوج نسجًا فاخرًا؛ وهذا وصفها بالحسن الشامل؛ حسن الصفة والنظر، ونعومة الملمس».

قال ابن كثير (2): «على كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنين الأولين أرفع وأعل من هذه الصفة فإن قيل هناك: "متلكيعين علَّ مُرْفَعٍ بثرون من إِسْتِثْرَيق" فنعت بطائر فرشهم وسكت عن ظهائرها، اكتفاء بما دُمج به البطائين بطريقة الأولى والأخرى».

وقد استنبط ابن القيم من الآيات تفضيل الجنين الأولين على الجنين الآخرين من عشرة أوجه (3) قال في التاسع منها: "أُنادى بوصف الجنين الأولين وجعلها جزاء من خاف مقامه، وهذا يدل على أنها أعال جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سبب، ولم كان الخائفون على نوعين: مقربين وأصحاب بيمين، ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين".

وقال ابن كثير (4): بعد كلامه المقدم: "ومثل الخائفة أنه قال بعد الصفات المتقدمة: "هل جَزَاءُ أَلْهَمُهُمْ إِلاَّ أَلْهَمْنَى فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهبوات هذه وجوه عدة في تفضيل الجنين الأولين على هتين الأخرىين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأولين".

أقول: اللهم اجعل ابن كثير منهم واجزه عن الإسلام والمسلمين وعن خدمة كتابك خير الجزاء، وأجعلنا منهم ووالدينا ووالديهم وأقاربينا وجيراننا وعلياءنا وجميع إخواننا المسلمين. اللهم آمين.

(5) بِنَزْرٍ أَمْرِ مَرْفَعٍ ذِي الْمَلِكَةِ والْإِكْرَامِ، "بَنَرَكَ" أَي: تعالى وتعظم، وكثر خبره وإحسانه

وإنعماه.

قال ابن كثير: "أي: هو أهل أن يجعل فلا يعصي، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى".

---

(1) في "تيسير الكريم الرحمن"، ١٧٩/٤٥٩.
(2) في "تفسيره"، ٤٨٥/٤٨٥.
(3) في "تفسيره"، ٤٠٣/٣٣٦–٣٣٧.
(4) في "تفسيره"، ٤٨٥/٤٨٥.
سورة الرحمن، الآيات: 67-68

"ذئب النليل والإكرام" قرأ ابن عامر: "ذو الجلال" بالواو بعد الذال، وقرأ الباقون بالباء: "ذئب النليل".

و"ذئب" بمعنى صاحب، والجلال: العظمة والكبراء، والإكرام: الفضل التام.

أي: الذي يجب أن يجل ويظلم ويكرم، والذي يكره، عبادة.

"عن ربيعة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ألذوا (1) ب"يا ذا الجلال والإكرام" (2)."

و"عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يعقب إلا مقدار.

ما يقول: "الله در السلم ومنك السلام تبارك با ذا الجلال والإكرام" (3).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالب فيه والجاف عن، وإكرام ذي السلطان المقطس" (4).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أجلوا الله يغفر لكم" (5).

الفوائد والأحكام:

1- أن من دون الجنتين المصوفيتين في الآيات السابقة جنتان أعدهما الله لمن كان دون أصحاب تلك الجنتين الأوليان للصالحين المقربين وهتان لأصحاب اليمين: تقوله تعالى: "ومن دونهما جنتان".

2- أن الحائزين ينقسمون إلى قسمين سابقين مقربون وأصحاب يمين.

(1) ألقوا: أي الزموا، يقال: ألق بلال، أي: لزمه.
(2) أخرجته أحمد 4/172، والحاكم في مسندته 498-499 وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ في الدعاء 374، وقال: "هذا حديث غريب، وقد روى هذا الحديث عن أنس من غير هذا الوجه".
(4) أخرجه أبو داود في الأدب في تنزيل الناس منازهم: 4843.
(5) أخرجه أحمد 5/199.
3- فضل الله - عز وجل - وعدله حيث لم يساو الأعلى بمن هو دونه ولم يحرم الأدنى وهذا من نعم الله - عز وجل - وهنا قرر بها التقلين.

4- عظم ما أعد الله - عز وجل - لأصحاب هتين الجنين - وإن كانت دون الأولين - فخضرة شديدة، وعينان فياضتان بالماء، وفاكة ونخل ورمان، وخبرات حسان، وحور مقصورات في الحيام لم يفتض بكارمهم قبلهم إنس ولا جان، وبسط للجلوس والانكفاء رقاق حسان. وهذا من أعظم النعم والنعم، وهنا قرر التقلين به:
لقوله تعالى: "فأيّاه مالكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟ فَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟\nفَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟ فَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟\nفَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟ فَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟".

5- ثناء الله - عز وجل - على نفسه بالعلو والعظمة وكثرة الخير والإحسان والإنعام، وإثبات ربوتيه الخاصة لنبيه ﷺ وتشريفه بإضافة وصفه أو اسمه إلى ضميره ﷺ:
لقوله تعالى: "قَدْ تَرَكْتُكَ يَدًا مِّنْ الفَتْحِ وَالْإِكْرَامِ".

6- امتنان الله عز وجل على التقلين بروبيته العامة هم، ونعمته الكثيرة عليهم وفضلة العظيم وتذكرهم بذلك في ثانيا ذكر هذه النعم في آيات هذه السورة بقوله:
"فَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ؟"
وهذا يشترع أن يقال بعد هذه الآية: "ولا شيء من نعمك ربما نكذب فلك الحمد".

وصدق الله العظيم "وَمَا يَمْكِنْ مِنْ عَمَّا صَبَّرْتُمُّ فِيهِ [النحل: 53]، وَإِنَّا نَصُدُّكُمُّ مِنْ عَمَّا كَانَ تُؤْمِنُونَ" [الله لا تستغفروه] [إبراهيم: 43، النحل: 18].
وقد كررت هذه الآية: "فَيَايَّاهُ مَالِكَ؟ رَبَّكَ؟ نَذِيَّكَ؟ مُهَاذُبْكَانِ" في هذه السورة إحدى وثلاثين

(1) سبيت تأريخه.
مرة، ثمانية ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله ومظالم نعمة وبدائع صنعه.
ثم سبع عقب آيات فيها الوعد للمكلفين والتحذي هم وتخويفهم بالأهوال والمذاب.
ثم ثانى آيات في وصف الجنائم الأولين، وثاني أخرى في وصف الجنائم دون الأولين.

7- تفاوت درجات نعيم أهل الجنة وصفات ما هم فيه من الجنائن فكل واحد من المقربين جنتان وصفهما وما فيها من ألوان النعيم في غاية التاج والكفاءات والحسن والجمال والفضل والإحسان؛ لقوله تعالى: "ولمن خاف جَنَّاتَ الْمُرْفَقَاتِ".
ولكل واحد من أصحاب اليمين جنتان فيها من ألوان النعيم كذلك لكنها دون الأولين في ذلك كله؛ لقوله تعالى: "وَمَنْ دُوَّنَ مِنَ الْجَنَّاتِ".
ومن أعظم النعيم أن أهل الجنة على تفاوت منازلهم واختلاف درجاتهم كل منهم في غاية الرضا والراحة والسحر والطمأنينة، لا يرى أن أحداً أحسن حالاً منه، ولا أعلى نعيماً مما هو فيه، وذلك أن الله عز وجل بفضله وكرمه أذهب عن أهلها الحزن.
كما قال عز وجل: "وَقَالَ ابْنُ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْعَادِ اذْهَبْ مَا أَذْهَبْتَ إِلَّا مَا أَضْحَى" [الهود: 24]، وقال تعالى: "أَسْتَوْىَ الْجَنَّةَ لَاهْوُ ﺑَعْلِيُّكَ وَلَا أُشْرِبُ مَرَاحِبَ" [الأعراف: 94]، وقال تعالى: "أَلاِ إِيَّكَ أَوْلِيْاهُ أَلَا يَتَحَفَّرُ عَلَيْكَ وَلَا يَحْرَقَكَ" [يوسف: 82].
وهذا جاء الامتنان على أهل الجنائم الأولين، والثاني دونها جميعاً بتكرار قوله:
"فَيَأْيَّا أَيْلَاءَ رَبِّيَّةَا نَفْكَبْدَانَ" مع كل منها ثمانية مرات توكيداً وتذكيراً.
تفسير سورة الواقعة
سورة الواقعة: المقدمة

المقدمة

أ- اسم السورة:
سميت هذه السورة: "سورة الواقعة"؛ لقوله تعالى في مطلعها: "إذًا وقَعَتِ الواقعة".

عن ابن عباس رضي الله عنها قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شبت! قال:
"شبيئي هود، والواقعة، المرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت".

ب- مكان نزولها:
مكة.

ج- فضلها:
عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ في الفجر الواقعة، ونحوها من السورة".

د- موضوعاتها:

1- افتتحت السورة بتحقق وقوع القيامة، وشدة أهوائها: "إذًا وقَعَتِ الواقعة لينَ لوقَعَتِها كآبةٌ حقيقَة رافعةٌ إذا راحَتِ الأرضِ راجَةٌ وفرَّتَ أهلِها بسَناءٍ فكَانَتْ هُماً شابَتْا".

2- ذكر انقسام الناس في ذلك اليوم إلى ثلاثة أقسام: الساقون المقربون وأصحاب اليمين، وذكر ما أعد لكل منها من أنواع التعبيم، وأصحاب الشهال وذكر ما أعد لهم من أصناف العذاب الأليم: "وَكَانَ أَزْوَاجُ الْيَمِينٍ تُحَبَّبُونَ الْمَيْتَةَ وَيُحَبَّبُونَ الْمَيْتَةِ أَصْحَبُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الْقُلُوبِ لأَصْحَابُ الْقُلُوبِ مَا أَصْحَبُ الْمَيْتَةِ وَأَصْحَابُ الْقُلُوبِ لأَصْحَابُ الْقُلُوبِ يُرَكَّبُونَ السَّبِيرَينَ".

3- إلى قوله تعالى: "وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْبَيْتِ فِي سَيْلِ وَحَجَرٍ" إلى قوله تعالى: "فَمَثَلُ آبَيْنَ هُمَا الْمَيْثَارُ الْمَكْرُونِ الْمُكْرُونُ الْمُكْرُونُ الْمُكْرُونُ إِنَّهُمْ يَتَحَذُّرُونَ بِالْمَيْلاَمِ وَيَتَضَرُّونَ بِالْمَيْلاَمِ حَيْثُ يُؤْمِنُونَ بِالْمَيْلاَمِ وَيَنْظُرُونَ بِالْمَيْلاَمِ هَذَا نَزْلَتْ مَثَلُ يَوْمِ الْمَيْلِ".

(1) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الواقعة 327- وقال: "حديث حسن غريب".

(2) أخرجه أحمد 24/104.
3- بيان عظمة الله تعالى ومظاهر تمام قدرته في خلق بني آدم من العدم وتقدر الموت بينهم، وفي إخراج الزروع وإنزال الماء من السماء، وفي إيجاد النار التي يحرون:

فقالوا لشهرائهم: فلولا صيدونكم ortionم ما نحثون 88 مائه عظمة عظمة، أم نحن للملكون 89 إلى قوله تعالى: أفرئيم السائر التي يحرون 87 وأبشر أنت وأشتهر Богنا أهلا من المنافقين 87 تعم جملتها ذكرى وسماها للعقول 87 فسيح باسرى رقك الفطير 87.

4- تعظيم القرآن الكريم: فقل أقسم بما ووجدت النجوم 85 وإن الله لسرع أو تعلم عظيمة 86 فإن الله كريم 87 في كتاب مكتوب 88 لا يمسه إلا المطهرون 89 تنزل عن رب العالمين 88 إن هذا الذي يثبت أنتم صدود 88 ويعملون رفعكم أنتم تكذبون 88.

5- ثم ختمت السورة بإيجاز ما أعد لكل صنيف من الأصناف المذكورة أول السورة من النزل: فقولا إذا بلغت اللقم 82 وأسرع جهيد نظرت 90 وقعت أقرب إليه ميمك ولكن لا تبصرون 82 قولوا إن كنتم غبر مدينين 82 ترجعوها إن كنتم صددين 82 قلنا إن كان من المقربين 83 فرح وزهادة وحنة تبهر 83 وأنا إن كان من أصحاب أبيين 83 سندر ك من أحب البيت 83 وأنا إن كان من المكذبين الظالمين 83 فنزل من جبريل 83 وفضيلة جبريل 83 إن هذا فسح أليقين 83 فسيح باسرى رقك الفطير 87.

* * *

* * *
{سورة الواقعة، الآيات: 107-108}

{إنما خلقني الله لحجة اليهود و내اكذب الأرث ويؤشر إلى أرض يابا ويستthyالجبل بنى فكانت هيئة تنبأ ونَكَّمُ أزروها لنفسه وأصحب الميمنة ما أصحب الميمنة وأصحب الميمنة ما أصحب الميمنة...}

{قوله: {إنما خلقني الله لحجة اليهود ونىاكذب الأرث} إذا ظرف متعلق بقوله: {إنما خلقني الله لحجة اليهود ونىاكذب الأرث} وقيل: يعبر ذلك.

{والواقعة: اسم من أسما القيامة، كالحافة والقارة ونحو ذلك، أي: إذا قامت القيامة، كما قال تعالى: {فقومذ وقعت الواقعة} [الحافة: 10].} قامت القيامة، وقال تعالى: {الحافة: 10}.

{وحض جواب الشرط لببش الدهن في تقديره كل مذهب، أي: إذا قامت القيامة يحصل من الأهوال العظيمة والأحوال الفظيعة ما لا يخطر على البال، وانقسم الناس إلى أصناف ثلاثة حسب أفعالهم ووجائهم.

{وسميت الواقعة بالواقعة لتحقيق كونها ووقيوعها ومجيئها.} لست لوقعتها كاذبة، أي ليس لوقعتها كاذب، بل لابد أن تكون وأن تقع لا محالة.

{إذا أراد الله كونها، كما قال عز وجل: {فقوم على جمهورهم إذا إنكية قدير}} [الشري: 29].

{وعند وقوعها لا صرف يصرفها، ولا دافع يدفعها، ولا منع يمنعها، كما قال عز وجل: {أستحثتمو إن يريد من قبل أن يأتي يوم لا شرك لله سماً لهما ملكاً ملهم قبض،} [الشري: 46]. وقال تعالى: {أسأله بثنا عينا وافتي على الكدين ليست له ذائف} [المعرف: 12]. وقال تعالى: {وقوم يقذفون فصى يحكون قوة الله الحق وله الملل} [الأباد: 73].

{وليس لها نفس تكذب في وقوعها آنذاك؛ لأن ليس الخير كالعيان كما قال عز وجل: {ثم لتروا مأمونة} [التكاثر: 7]. وقال تعالى: {ليس الخير بالمعاينة}} [1].}
عون الرحمن في تفسير القرآن ج 21


وفي الحديث: «يحشر المنكرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاؤهم الذل يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(1).


ففي وقوع القيامة خفض لأعداء الله حسبًا ومن يعني، ورفعة لأولياء الله عز وجل حسبًا ومن يعني، وذلك أن النعيم حسياً ومنعوي، كما أن العذاب حسياً ومنعوي: "إذا رجعت الأرض بجانا، وحضرت الجبال بجانا"[الأنفال:5].

هذه الآيات في ذكر بعض ما يحدث في القيامة من الأهوال.


(1) أخرجه الترمذي في صفة القيامة 2492، وأحمد 2/179، من حديث عمر بن شبيب عن أبيه عن جده- رضي الله عنه وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".
سورة الواقعة، الآيات: 1-10

الآرض وَرَأْتُمُ [النزلة:1]، أي: حركت تحريرها الشديد.

وَفَشَّيْتَ الْجَبَالَ مَنْبِئًا، أي: فشلت الجبال تنبئًا، بأن صارت وتحولت إلى أكوام من الرمل بعد أن كانت صخرًا صلدًا، كما قال عز وجل: (وَفَشَّيْتَ الْجَبَالَ مَنْبِئًا).

المزمّر: [14].

فَكَانَت هَيَّة مَيْسِبًا الهباء: ما لا يمسك منه شيء ما يتطاير في الجو وتذروه الرياح من الغبار والأثرة وشرير النار ويبسّر الشجر، وغير ذلك، ومنه ما يرى في شعاع الشمس عندما يدخل في الكوة.

(منبتا) أي: متفرقًا متسراً، بسبب خفته وضائته وضحائه، كما قال عز وجل:

وَكَانَ الْجَبَالُ سَكَّاً فِي النَّفَوشِ [القارعة:5]، وقال تعالى: (وَكَانَ الْجَبَالُ كَلَمْدُلَّ)، وقال عز وجل: (وَكَانَ الْجَبَالُ تَحْسَبُهَا نَفَسًا فَيَنْصَبُ الْمَلَأَّ في النَّجَاتِ).

[النحل:88].، وقال تعالى: (وَكَانَ الْجَبَالُ).

[الطور:9].، وقال تعالى: (وَإِذَا الْجَبَالُ يُقْعَى)

[المرسلات:10].

وَقَالَ تَعَالَى: (وَسَيَرُتِ الْجَبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) [المبأ:20]، وقال تعالى: (وَإِذَا الْجَبَالُ).

[التكبر:3].، وقال تعالى: (وَتَحْلَفُهَا مِنَ النَّفَسِ مِن لِبَالِيْنِ) [طه:10-7].، وقال تعالى: (وَإِذَا الْلَّهُ يُكَسِّبُ).

إذا كانت الجبال وهي هذه الخيوت العظيمة يعتريها ما يعتريها من التغيير والتدل والخفة والحركة والسير والسحق والتشتت فكيف بابن آدم المخلوق الضعيف الذي يريد دوام الحال، ودوام الحال من المحال.

وَكَتَمْ آوْلَاهَا لَبَنَةً، أي: وكتتم عندما تقع الواقعة وتقوم القيامة أصنافًا ثلاثة:

فَأَصْبَحَ الْيَمِينُ، أي: أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمن، ويكونون على ميمنة العرش أي: عن يمين العرش، ويفخذون كتبهم بأيديهم، كما قال عز وجل: (فَأَصْبَحَ الْيَمِينُ).

[البقرة:19].، وقال عز
وعلى كل من أوقت كن فيه، فسوف جسابة زميراً [الانشقاق: 487].

(۶۷) أو أصلب ألقام النشاط تعميم للضريح وشأنهم، أي: ما أعظم حال وشأن أصحاب الميمنة.

(۶۸) وأصلب للنشاط: أي: أصحاب الشؤون الذين يؤخذ بهم ذات الشغل، ويكونون عن يسار العرش، ويأخذون كتبهم بشقائهم، كما قال عز وجل: "وأنا من أوقت كن فيه، فيأتيقرون اللادين أن ألتزموها المكاسية [الخاتمة: 26].

وقال تعالى: "وأنا من أوقت كن فيه، وراره ظهوراً، فسوف يدغدو نوراً، و يصل سبيباً [الانشقاق: 110–111].

(۶۹) ما أصلب النشاط: تحير للضريح وشأنهم، وتهيول لعقابهم وعذابهم.

(۷۰) واللذين: أي: المسارعون المباشرون إلى فعل الواجبات وترك المهن، وفعل أنواع الخبرات وإلى مرضاعة الله عز وجل ومغفرته وجوته.

(۷۱) الذين: تأكيده، أي: والسابقون السابقون حقاً، أو والسابقون هم السابقون حقاً، أو وهم هم من عداهم.

وفي هذا التعبير ما لا يخفى من السناء عليهم، والإشارة والتبنيه لاتصاصهم بأفضل الصفات، وما لهم عند الله من عظيم المنازل وأعلى الدرجات.

وأيضاً السابقون في الدنيا بالأعمال الصالحات والخبرات هم السابقون في الآخرة إلى المعرفة والمجانى، كما قال عز وجل: "فأصبروا العجزة [البقرة: 148]

وقال عز وجل: "مكروا إلى مكروا من تذكروا وجئوا عرضكم كفرير السماوات والأرض أبدت الله دعاؤكم [البقرة: 21]

وقال عز وجل: "وسلموا إلى مصائرهم من يرضيك وجعلكم عرشكم السماوات والأرض أبدت [اللهم أبدى الله البديعة]

(۷۲) الذين: أي: الذين يضيعون في الآخرة والجحيم والحتيمين الفيحى والمعابين عن الناس، والله يجعوهم [اللهم أبدى الله البديعة]

واللهم إذا قصلوا جحيمه أو ظلموا أنت لهم دكروا الله فاستغفروا الدخول وإلا الله ولي عفو لكل مسلم وليك عفو كل مسلم [أولئك جزاؤم مميتة من زينهم وجعلت تجري من فضيلها الآخر خليبيك فيها ويعم أجر]
وقال تعالى: "وفي ذلك قَيْلًا من النَّبِيِّينَ" [المطففين: 27].

وقد ذكر الله عز وجل في آخر هذه السورة حالة هؤلاء الأصناف الثلاثة، عند احتضارهم، كما ذكرهم في قوله تعالى: "عِمَّمٌ، أَوْرَةً، أَلْبِينَ، أَصْطَقَفَىٰ، مِنْ عِبَادَنَا، فِي نَّهَارٍ لَّقَيْنِ" [فاطر: 32].

قال ابن عباس رضي الله عنها في قوله: "وَكُنتُ أَرْذُحَ فَنَّذَكَرْتُ" قال: "هي التي في سورة فاطر: "عِمَّمٌ، أَوْرَةً، أَلْبِينَ، أَصْطَقَفَىٰ، مِنْ عِبَادَنَا، فِي نَّهَارٍ لَّقَيْنِ" [الآية: 2].

ووعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "أَتَدْرُونَ مِنِ السَّابِقِينَ إِلَى ظلِّ اللَّهِ عز وجل يوم القيامة؟ قالوا: الله ﷺ ورسوله أعلم قال: الذين إذا أعطوا الحق قبله، وإذا سئلوا بهذته وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم".

قال ابن كثير: "في كلامه على الآية: "وَكُنتُ أَرْذُحَ فَنَّذَكَرْتُ" قال: "أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن بعين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويتولون كتبهم بأيديهم، ويوخذ بهم ذات اليمنين. قال السدي: وهم جهور أهل الجنة وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويتولون كتبهم بشيائلهم، ويوخذ بهم ذات الشهال، وهم عامة أهل النار- عبادًا بالله من صنيعهم، وطائفة سابقون فن يديه وهم أخوين وأحذى وأقرب من أصحاب اليمن الذين هم سادتهم فيهم الرسل والأئمة والصديقون والشهداء، وهم أقل عدداً من أصحاب اليمن.

الفوائد والأحكام:

1- إثبات القيامة وحقوقها وشوذها أهوارها؛ لقوله تعالى: "إِذَا فَقَطَتُ الْوَلَائِقُ".

---

(1) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره 7/3329-3330 - الآية 27.
(2) أخرج جدوي 7/167 - الآية 27.
(3) في تفسيره 7/489 - الآية 27.
2- لا أحد يكذب بالقيامة بعد وقوعها لأنه ليس الخير كالميَّان؛ لقوله تعالى:

"لنَّ أُقَدِّمُهَا كَأُمُّيَّةٍ".

3- انخفاض منازل أقوام في ذلك اليوم إلى دركات الجحيم وهم الكفيرة والمكذبون، وارتفاع منازل أقوام إلى أعلاهن وهم المؤمنون المتقون؛ لقوله تعالى:

"خَافَضَةً رَافِعَةً".

4- اضطراب الأرض وارتتجاجها وتفتت الجبال وكونها هباء متفرقًا يطأب في الهواء لشدة أهوال القيامة؛ لقوله تعالى: "إِذَا رَتَّبَ اللَّهُ الْأَرَّاضَ رِجَابًا وَبَسَّتَ الْجَبَالُ إِلَى هَذَا فَكَتَبَهَا سُبُبًا".

5- انقسام الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون: "وَكُنُّوا أُولُوا الْيَوْمَيْنَ مُؤْتِيمَةٌ، وَأَصْحَابُ النَّبَاتِ، وَالْبَيْمُونَ، وَالْبَيْمُونَ الْفَتِّيَّنَ".

6- عظم شأن أصحاب اليمين، وعظم حقارة أصحاب الشمال.

7- علو مكانة السابقين والثاني عليهم، وأنهم هم السابقون حقاً.

8- الـحـث على المسابقة والمسارعة في طاعة الله تعالى، وأن أهل السبق في الدنيا هم أهل السبق في الآخرة.

قوله: (أولئك المقربون)، الإشارة للسابقين، وأشار إليهم بإشارة البعيد تنبئاً عن فضلهم وعلو مكانتهم، أي: المقربون من الله عز وجل، منهم الرسول، والأنبياء والصديقون والشهداء. وذكر منزلتهم قبل ذكر منزلهم، لأن قريهم من الله عز وجل أفضل من كل شيء، ولذا قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون: رحمها الله: (رب)

أين لي عندك بيتا في الجنة؟ (الhirood: 11) فاختارت الجار قبل الدار.

في جنت القيامة متعلق بقوله: (المؤمنون) أي: المقربون عند الله ويبين يديه، (البقرة: 12).


الخمل: لأخيرها جَنَّاتٌ من أَعْنَابٍ وحِفْضَتَهَا يَنْزِلُ وَحُكْمَتَهَا زِرعةٌ. (الكهف: 23).

والمراد بآيات اليمين تلك المنازل الرفيعة، والدور العالية ذات الأشجار الملتفة الكثيرة والشجر البائعة القريبة ما لا يقدر قدر صحته إلا الله عز وجل، كما قال عز وجل:

(فَلا تَعْمَلْ نفسٌ مَّأْمُومَةٌ هُمْ مِّن فَرْعَٰنِ عُلَمَانَ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: 17).

وقول: (فِيها ما لا عين رأته، ولا أذن سمعت، ولا حفرة على قلب بشير) (البقرة: 11).

ومن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: (فِيها ما لا عين رأته، ولا أذن سمعت، ولا حفرة على قلب بشير، ثم اقترا هذا الآية: )، (البقرة: 11).
وعن الرحمن تفسير القرآن ج 21

"يدعونَ رُؤْمَنِ حَبَّاءً وَبَدْعًا وَيَمِّعُونَ رَقْعَتَهُمْ مَيْوَانً(١)".
و"التعيم" ما فيها من ألوان التنعيم، والنعم الحسية والمعنوية، ونعيم البدن والقلب، وهذا أضافها إليه فقال: "في جَنَّتِ الْيَمِين".
فهوؤلاء الساقبون في الدنيا إلى الخيرات الساقبون في الآخرة لدخول الجنان المقربون عند رب الأرض والسموات.

"ثَلَاثًا" أي: جائعة كثيرة "فَينَ أَلْبَأْنَ"، أي: من صدر هذه الأمة، كما قال: "خير الناس قريًّا، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوم تسبق شهادة أحدهم يصون ويصون شهادته" (٢).

"وَقَلِيلُ مِنَ الْأَخْرَى"، أي: من آخر هذه الأمة.
فالمعنى على هذا: أن الساقبون المقربون كثير منهم من أول هذه الأمة وقليل منهم من آخرها.

وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة على متأخرها، كما قال: "لا تسبوا أصحاب فإن أحمد لَو أنفِق مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصبه" (٣).
وعن الزبير بن عبيدة قال: شكونا إلى أن نست ما نملك ما نلقين من الحجاج، فقال: "اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ريط عز وجل سمعته من نبيكم" (٤).

(١) أخرج جمعاء مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٢ـ.
(٢) أخرج البخاري في الشهادات ٢٦٥٣، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٥٣٣، والترمذي في المناقب ١٣٨٠، من حديث ابن معمر رضي الله عنه.
(٣) أخرج البخاري في فضل الصحابة، قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذا خليلاً" ٣٦٧٣، ومسلم في فضائل الصحابة - تخرج من سب الصحابة رضي الله عنهم ٢٥٤١، وأبو داود في السنة - النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ٤٦٥٨، والترمذي في المناقب - من سب أصحاب النبي ﷺ ٣٨٦١، وأحمد ٣/١١، ٥٤ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.
(٤) أخرج البخاري في الفتن ٧٠٧٧، والترمذي في الفتن ٢٠٠٢.
وقيل: المراد بالأولين الأمم الماضية، والمراد بالآخرين هذه الأمة، فيكون المعنى
على هذا أن السابقين المقربين كثير منهم من الأمم الماضية، وقليل منهم من هذه الأمة
وذلك باعتبار جميع المقربين من الأمم السابقة إلى المقربين من هذه الأمة، وليس المعنى
أن المقربين من كل أمة من الأمم السابقة أكثر من المقربين من هذه الأمة.

ووهذا المعنى خلاف ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

قال تعالى: "كُنتم خِيرًا مَّن أُخْرِجَتْ لِلْكَابِسَ" [آل عمران: 110]، وقال تعالى: "وَذَلِكَ
جَعَلْتُكُمْ أُمَّةً وَسُلُوْكًا لِّيَكُونَ عَلَيْنَا عَلَيْكُمْ شَهَيدًا".[البقرة: 143]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «هُنَّ الآخرون
السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلياً، ثم هذا يومهم الذي فرض
 عليهم اختلافاً فيه، فهداناً الله فيه، فلناس لنا فيتبع، اليهود غداً والنصارى بعد
غد».(1)

وفي حديث الإسراء: «أن موسى عليه السلام بكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: أبكي
لأن غلاباً يبعث بعدي، يدخل الجنة من أمه أكثر من يدخلها من أبي».(2)
فالظاهر الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة هو القول الأول وهو أن المعنى:

جماعة كثيرة من المقربين من صدر هذه الأمة وقليل منهم من آخرين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما نزلت: "ثُلُّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (3) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (4)" شق ذلك على المسلمين فنزلت "ثُلُّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (3) وَثُلُّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (4)" فقال النبي ﷺ: "إِنِّي لَأَرَجُو أن تكونوا ربع أهل الجنة، نهت أهل الجنة،
بل أنت نصف أنل الجنة، أو شطر أهل الجنة، وتقاسمهم النصف الثاني".(3)

(1) أخرج البخاري في الجامع 687، ومسلم في الجامع 855، والنسياني في الجامع 1367.
(2) أخرج البخاري في بعده الحكيم 1239، ومسلم في الأبو lar 164، والنسائي في الصلاة 448، من حديث
أكس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنها.
(3) أخرج أحمد 2/391، وابن أبي حاتم في تفسيره: 180-372 1875-372. ونظر تفسير ابن
كبر 7/492.
وفي حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: «إنى أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا». (1)

وفي حديث بريدة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم» (2).

قال ابن كثير: بعدما ذكر اختيار ابن جرير للقول بأن المراد بالأولين الأمم الماضية والآخرين هذه الأمة: «وهذا الذي اختياره ابن جرير هنالك في نظر، بل هو قول ضعيف. لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن فيـ، لأن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، الله يدنا إلا أن يقبل جميع الأمم بهذه الآمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، فيكون المراد بقوله: «فَلَهُمَا نَزْلَتَا الذُّلِيدَينَ»، أي: من صدر هذه الأمة.» (3)

وقال ابن كثير أيضا: «ولا شك أن أول كل آمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل آمة بحسبها.» (4)

ثم ذكر ابن كثير: رحمه الله حديث عُبَـر بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أو آخر.» (5)

ثم قال: «فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده حجوت على أن الدين كـا هو خاتم إلى أول الأمة في إبلاعه إلى من بعدهم، كذلك هو خاتم إلى القائمين به في أواخرها، وثبتت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم، ولهذا قال عليه السلام: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلن ولا من».

(1) أخرج البخاري في التفسير 741، ومسلم في الابن 722.
(2) أخرج الترمذي في صفة الجلدة 125، وأبو حنيفة في الزهلي 4289، وقال الترمذي: «حديث حسن».
(3) في التفسير 7/492.
(4) في التفسير 7/493.
(5) أخرج أحمد 4/319، وأخرج البخاري في الأمثلة 2869، من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخر.» وقال الترمذي: «حسن غريب من هذا الوجه.»
سورة الواقعة، الآيات: 11-26

خالفهم إلى قيام الساعة وغيبه وفنج: «حتى يأتي أمر الله وهو كذلك». 
والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها.
وأعلى منزلة، لشرف دينها وعظيم قدر نبئها، وهذا ثبت بالتوارث عن رسول الله ﷺ، أنه
أخبر: «أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب.»

۱۰۰ - على سبيل المثال: جمع سيرير، وهو موضوع الاتهام والجلوس والاضطجاع
۱۰۱ - مصوفة: أي: مسيرة، والذهب مصوف بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها
خلف بعض ولا بعيدًا من بعض.
۱۰۲ - هبب على يديهم: أي: جالسين عليها معتمدين على يديهم وظهورهم، جلوس
المتكى المريح المبتسم المطمئن المستقر.
۱۰۳ - متقبلة: أي: يقبل بعضهم بعضًا بقبولهم ووجوههم، لسعة المكان
وسلامة قلوبهم وصفاء مودتهم وحسن أدبهم، ليس أحد منهم وراء الآخر، ولا أحد
منهم يدير قفاه إلى الآخر، بل يقبل بعضهم على بعض بوجبه وكلبه والاستغاثة إلى
كلامه، وهذا مما يزيد في الأنس والسرور والمحبة نسال الله عز وجل من فضله؛ لأن الله
عز وجل أذهب عن أجل الجنة الغل. قال تعالى: {وفيرًا ما في صدورهم ونفعًا إخرين}
على سبيل المثال. [الحجر: 47].
وهكذا ينبغي أن يتآدب بهذا الأدب المؤمنون بعضهم مع بعض ماداموا في دار
العمل.
ولك أخieri الكريم أن تصور مدى كراهية من يدير قفاه إلى إخوانه غير مكرث
بالأداب الشرعية والأحكام المرعية، مما يولد الكراهية والغل والحقد والضغينة في
نفس الآخرين.

(1) أخرجه البخاري في الاعتصام، قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أني، 7311، ومسلم في الإمرة
1921 من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.
(2) أخرجه البخاري في الطب 7552، ومسلم في الإبة 220، والترمذي في صفة القيامة 2446، من
حديث ابن عباس - رضي الله عنه.
وعن الرحمن بن تفسير القرآن ج 21

وهذا نهى عن التدابير فقال: "لا يباغضوا ولا يحاسدا ولا تدبروا وكونوا عباد الله إن خواينا" (1).

"يَطْلُبُ عَلَيْهِمْ" أي: يدور عليهم لقضاء حوائجهم.

والد़ن: جمع وله، أو جمع وليد، وهم صغار الأشنان، قال تعالى: أَلَيْكُمْ مَعِيْنٌ مِنَ الْبَكَارَةِ وَالْأَصَافِ وَالْبَيْتَىَ [النساء: 75] وهم في غاية الحسن والبهاء، كما قال عز وجل: "يَطْلُبُ عَلَيْهِمْ عَلَّامَاتٌ لِّهُمْ كَأَمَاتٌ ولَّوْ كَأَمَاتٍ" [الطور: 44].

"مَخْلَدُونَ" أي: يأبون على همهم لا يبكون ولا يشبون ولا يتعيرون.

"يَكُونُوا وَأَيْضًا وَيَأْبَى مَنْ مُّتَقَرِّبٌ" متعلق بقوله: "يَطْلُبُ عَلَيْهِمْ" أي: يطوف عليهم هؤلاء الودان "يَكُونُوا": جمع كوب، وهي: الكيزان والأقداح التي لا عرى لها ولا خراعط.

"وَأَيْضًا": جمع إبريق، وهي ما لها عرى وخراعط.

"وَقَسَّمَهُ الكَأس: هو القذح والمراد به كأس الحمر.

"مِنْ مَكَيْنَ" أي: من خمر معين، والمعنى: هو الذي لا ينضب، كما قال عز وجل:

"فَمَنْ يَتَّبِعْ يَتَّبِعَ الْمُرْسَلِينَ" [الم sentinel: 26].

والمعنى: وكأس من خمر جارية من خمر لا تنضب أبدًا، في غاية اللذة والنشوة والتراب، كما قال عز وجل: "وَأَمَنُّ اللَّهُ مِنْ حَمْرِيَّةٍ مَّرْسَلٗيَّ" [حمد: 15].

لا يصادعون عنب ولا يزرعون قرأ حمزة والكسائي وخلاف وعاصم: "ولا يزرعون" بكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتحها: "يزرعون"، أي: لا يحصل لهم صداع في رؤوسهم عند شربها، ولا نزيف في بطنهم، ولا في عقولهم يجعلهم يذرون يا لا يدرون، ويقولون ويفعلون ما لا يعقلون، كما هو الحال بالنسبة لحمري الدنيا.

قال ابن عباس رضي الله عنها: "في الخمر أربع حصان: السكر، والصداع، والترمذي في البر والصلاة 1935، من حداث أنس رضي الله عنه.

(1) أخرج البخاري في الأدب 1065، ومسلم في البر والصلة 2559، وأبو داود في الأدب 4910.
والقيء، والبول، فذكر الله عز وجل خمر الجنة، ونذره عن هذه الخصالٌ
(1)
وَفَطَقَهُ وَمَا يَنْتَصِبُونَ: معطوف على ما قبله أي: وطبع عليهم الولدان بفاكهة
ما يخرون من أنواع الفواكه والثمار; للذين وطبت طعمها ومذاقها، وزكاء رائحتها
وحسن منظروها وغير ذلك.

قال ابن كثيرٌ: «وهذِه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها».
ثم استدل بحديث عكراش بن ذياب، وفيه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، قال:
فانطلقتنا إلى منزل أم سلمة، فقال: هل من طعام؟ قال: أتينا بجفنة كثيرة الثريد
بُوْذْرُ (2)، فجعل يأكل منها، فأقبلت بيدى في جوانبها، فقبض رسول الله ﷺ بيد
اليسرى على يدي اليمنى، فقال: يا عكراش كل من موضوع واحد، فإنه طعام واحد، ثم
أتينا بطبق فيه ثمر - أو رطب، فجعلت أكل من بين يدي، وجالت بيد رسول الله ﷺ في
الطقب، وقال: يا عكراش، كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد».

إذا كان الطعام متتنوعًا وختلفًا فلنفسان أن يندى إلى ما شاء منته، أما إذا كان
الطعام واحدًا فينفعه أن يأكل لما يليه كما جاء في حديث عمر بن أبي سلمة رضي
عنه قال: كنت غلامًا في حجر النبي ﷺ، وكانت يدي تطبل في الصحفة، فقال لي
رسول الله ﷺ: يا غلام، أنت أولى بعنة الله، وكل يمينك، وكل ما يليك».

علي أن الآية: «وَفَطَقَهُ وَمَا يَنْتَصِبُونَ» قد تحمل أيضًا على أن المراد بها ما يخرون
من أنواع الأشجار وصنوف الثمار فيقطنونها من شجرها.

وَقَذَرَ طَرِيقًا يَنْتَصِبُونَ: معطوف على قوله: «وَفَطَقَهُ وَمَا يَنْتَصِبُونَ» مما يدل على

(1) ذكره ابن كثير في تفسيره: 495-6.
(2) في تفسيره: 496.
(3) الوذر: قطع من اللحم لا عموم فيها، واحدها وذرة. انظر "لسان العرب" مادة "وذر".
(4) أخرجه الترمذي في الأطبعة - ما جاء في التسمية على الطعام: 1848ء، وأبان ماجه في الأطبعة: 377، وقال الترمذي "ألفريد".
(5) أخرجه البخاري في الأطبعة: 5276، ومسلم في الأشهر: 2026، وأبان داوود في الأطبعة: 2777، وأبان ماجه في الأطبعة: 3277.
أن الحلم يؤكل بعد الفاكهة - خلاف ما عليه حال كثير من الناس اليوم.
وقد قال العلم على أن تقديم الفاكهة أفضل وأنفع للجسم. وقد قيل:

وَقَدْ دَمَنَ فَاكِهَةٍ فِي الأَكْسَلِ قَبِلَ الطُّعَامِ لِحَصُولِ النَّفْعِ

والمعنى: وحلم طير من الذي تشهيه نفوسهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن طير الجنة كمثال البخت
يرعى في شجر الجنة" فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة. فقال: "أكلتْهاج
نعم منها قالت له: وإذا لآرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر".1)

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ذكرت عند النبي ﷺ طويباً، فقال رسول الله ﷺ:
"هَلُ بْلَغْتِ مَا طوْبُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: طْوِيْبُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، ما
يعلَمُ طَوْبُهَا إلا اللَّهُ، يَسِيرُ الْرَّاكِبُ تَحْتَ غَصُّ مِن أَغْصَانِهَا سَبَعِينَ خَرْفَأً، وَرَقْحَهَا الْحَلَل
يَقِعُ عَلَيْهَا الطِّيرُ كَمَثَلَ البَخت. فَقَالَ أَبُو بَكْرَ: يَا رَسُولُ اللَّهِ، إِن هَذَا لِطِيرًا نَاعُوَّةً؟ قَالَ:
"أَكْلُتْهَا مِنْهَا مِنْهَا، وَأَنَّتِ مِنْهُمْ إِن شَاءَ اللَّهُ".2)

وعن ابن بكر رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ما الكوثر؟ قال: "ذَاك
نَهْرُ أَعْطَانِي اللَّهُ" يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ: أَشْدُ بِيَاضَا مِنْ الْلِّبْنِ، وَأَحْلٌ مِنِ الدِّيْنِ فِيهِ طِيرُ آثَانِهَا
كَأَعْنَاقُ الْجُزْرَ قَالَ عُمْرٌ: إِنَّ هَذِهِ لَنَعْمَةٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْلَتْهَا أَكْلَتْهَا مِنْهَاً.3)

"خُحَرَ عِينٍ" قَرَأَ أَبُو جُعَفرُ وَحَمِيزُ وَالْكَسَائِيُّ: بَالْجَرْ، (وُحُورُ عِينٍ) وَقَرَّ الْبَاقِوُن
بَالْرِفَعِ، (وُحُورُ عِينٍ).

فَمِنْ قَرَأَ بَالْجَرْ عَطَفَهُ عَلَى مَا قَبْلِهِ، أَيِّ: "يُطْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنْ نَمَذَّدُونَ١٧٠ِ يَأْكُلُونَ وَأَبْيَرَقُونَ
وَكَبَّائِسٌ مِّنْ مِّيْبَازٍ١٧١ لَا يُصْدَعُونُ عَنْهَا وَلَا يُؤْقُونُ١٧٢ وَفَلْكَهُمْ مَّا يَتَحْرَكُونَ١٧٣ وَلَقَدْ طَيَّبَ مَنْ يُشَهِّدُونَ١٧٤ يُشَهِّدُونَ (وُحُورُ عِينٍ١٧٥)، أَيِّ: وَيُطْوِفُونَ عَلَيْهِمْ بِحُورَ عِينٍ.

---
1) أخرجته أحمد ٢١٣.
2) أخرجه الحافظ الموصلي في كتابه "صفة الجنة" فيها ذكره ابن كثير في "تفسيره" ٤٩٧.
3) اخرجه الترمذي في صفة الجنة - ما جاء في صفة طير الجنة ٢٥٤٣، وقال الترمذي "حديث حسن غريب".
سورة الواقعة، الآيات: 11

ويحتمل أن يكون "وحور" على قراءة الجر محروراً على المجاورا والإنبعا لما قبله،
كما في قوله: "وَأَمْسَكُوا نُورُهُمْ وَأَرْجِلَكُمْ" (المائدة: 7) على قراءة جر "أرجلكم".
وكان في قوله: "عليكمْ بِكِتَابِ خَرْجٍ" (الإنسان: 21) على قراءة جر "خضر".
والأظهر القول الأول إذ لا إشكال في عطفها على ما قبلها، وكون الحور العين ما يطوف به عليهم خدمهم في الجنة، ولا حاجة للإعراب على الإتباع والمجاورة.
وعلى قراءة الرفع يكون قوله: "وحور" مرفوع على الانتداء، أو على أنه خبر والتقدير: وحورين لهم، أو وهم حور عين.
ومعنى "وحور عين"، أي: ونساء جميلات واسعات الأعين مع شدة سواد العين.
وشدة بياضها وحسنها.
"كَأَمْثِلُ اللَّهُ"، أي: كأشهاب اللؤلؤ، أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب الذي هو من أحسن الجواهر وأطيبها وأنفسها.
"الْنَّكْرُونَ"، أي: المصون، في أصدافه في بياضه وصفاته، الذي لم تمسه الأيدي، كما قال تعالى: "كَأَنَّهَا بِبَيْضِ النَّكْرُونَ" (الصافات: 49)، وقال تعالى: "كَأَنَّهَا آبَانُوْرُ الْمُرْسَانُ" (ال الرحمن: 80)، وقال تعالى: "خَزَّانَ مُصْرَّنَاتٍ فِي الْيَمِّيْرِ" (ال الرحمن: 72).
"جَزَاؤُهَا"، أي: جزاءاً لهم "بما كانوا يعسَلون" (ما) موصولة، أو مصدرية: أي: جزاءة.
هم بالذي كانوا يعملونه، أو يعملون.
أي: هذا الجزء العظيم والثواب الحزيل الذي أعده الله للسابقين المقربين جزاءهم لهم بسبب عملهم الذي كانوا فيه من السابقين المبادرين المشاركين إلى الخير والمنتفعين فيه.
"لَا يُسْمَونَ بِهِ بَأْسًا"، أي: لا يسمعون في تلك الجحات جنات التعميم لغووا من القول، أي: لا يسمعون كلاماً لاغياً ساقطاً غلباً خالياً من المعنى، عديم الفائدة، حقياً.
وضياعاً كما قال عز وجل: "لَا يُسْمَونَ بِهِ لَغْوًا، وَلَا كَبَابًا" (البقرة: 330).
وقال عز وجل: "لَا تَسْمَعُ بَيْنَ لَيْنَ بَيْنَ لُبِّكَ" (الغاشية: 11) أي: لا تسمع فيها كلمة
"لا تأتيكم"، أي: ولا يسمعون فيها كلاماً قبيبه محرماً، يوجب الإثم على قائله.
وعن الرحمن ۴۲۶

وسامعه، من كلاات الشرك والكفر والزندة، والغيبة والنميمة والباطل والكذب وغير ذلك، كما قال عز وجل في سورة النبأ: ﴿لا تسمعونهم إلا أبا الوداد﴾ (النبوة: ۳۰).

وقال تعالى في خطر الجنة: ﴿يسمعونك أصنادٍ لا تسمعونه ولا تأتينهم﴾ (الطور: ۲۳).

﴿إلا يقلا سلام سلام! إلا: أداة استثناء، بمعنى ﴿لكن﴾ فالاستثناء منقطع أي: لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأتيها، لكنهم يسمعون فيها السلام.

والمعنى: أنهم لا يسمعون إلا السلام الذي هو ضد اللغو والتأثيم، فتبقى ساعهم اللغو والتأثيم، وأثبت لهم ساع ضده وهو السلام.


وهذا من النعيم المعنوي الذي لا يقل عن النعيم الحسي ما يشرح الصدر ويؤنس القلوب.

الفوائد والأحكام:
۱- أن السابقين هم المقربون عند الله تعالى في جنات النعيم؛ لقوله تعالى: ﴿أولِكَ المَفْرَقُ رَبَّ الْيَمِينِ﴾ (اليسرين: ۸۶) في جنات النعيم.
۲- أن السابقين المقربين أكثرهم من صدر هذه الأمة وقليل منهم من آخرها...
لقوله تعالى: {نَزَّلْنَا السَّمَاءَ لَغِيْرِ مُّقَدِّمٍ مِّنِّنَاسِخِالمَهِيجينَ}.

3- علو مرتبة الساقين المقربين عند الله، وعظم ما آعد الله - عز وجل - لهم من العيش، كافية وكافية فسرت مصفوفة مسوجة بالذهب، ومجالس متقابلة، وعلان خلقون يدورون عليهم خيراً وطعامهم وحائجهم، وأقراص وأبريق، وكأس خمر من معين لا ينضب، لا صادع فيه ولا نزيف، وفواكه ما يتخيرون، وحم طير مما يشتهون ونساء حسان جيلات، كاللوؤل الصصون بيضاً وصفاء، لقوله تعالى: {أُولَٰئِكَ الْمَلَائِكُونَ}.

4- بيان أن ما آعد الله للساقين المقربين من الفضل العظيم والثواب الجسم بسبب سبقهم بالخيرات والأعمال الصالحة، وفي هذا ترغيب للمنافسة والمسابقة في ذلك. وأن العمل سبب لدخول الجنة والعيش، وليس بعوض عن ذلك; لقوله تعالى: {فَخَافْتُونَ}.

5- أن الجزاء من جنس العمل; لقوله تعالى: {فَعَلَّمَنَا سَبْعَانِ أَيَامَ}.

6- أن من أعظم نعيم الساقين المعنوي سلامة قلوبهم من الغل والحقد والمحتوى، وتنزه أساقهم في الجنة من سبع اللغو والتأتي، وساعهم السلام من ربيع ومن الملاكى، ومن بعضهم لبعض، لقوله تعالى: {لَيْسَ عُرَفَ بِالْأَوَّلِينَ وَلَا بِالْآخِرِينَ}.

* * *
قال الله تعالى: «أَرَأَيْتُ الْيَلِيمَاتِ مَا أَصْحَبُ الْيَلِيمِهِنَّ بِسَدِيرٍ قُمْلِيٍّ وَرِكَابٍ مُّدُيرٍ وَمَوَازِبٍ شَكْرُوبٍ وَزَكَّاهُمْ كَبِيرٍ لَا مَطْرَعُوْهُ وَلَا سَرْعُوْهُ وَقَرْنِيَ مُرَسُوْهُ وَأَنَّ لَهُمْ فِي النَّارِ مَعَ الْقَهَرٍ لَا تَسْأَلُونَ مِنَ الْأَلَّامِ وَلَا تُؤَذُّ يَمِينًا وَالْقَهَرَ يَمِينًا»

ذَكَرَ اللَّهُ عز و جل في الآيات السابقة حال و مآل السابقين المقربين و فضل ماأعدهم في ألوان وأنواع النعيم، ثم عطف عليهم بذكر حال و مآل أصحاب اليمين و تفصيل ما أعدهم في ألوان وأنواع النعيم.

قوله: «أَرَأَيْتُ الْيَلِيمَاتِ مَا أَصْحَبُ الْيَلِيمِهِنَّ» أصحاب اليمين: هم من منزلتهم دون المقربين.

قال ابن كثير (1): «يكونون على يمين العرش، ويؤتون كتبهم بأيديهم و يؤخذ بهم ذات اليمين، وهم الأبرار»

وما أَصْحَبُ الْيَلِيمَاتِ تعظيم ل شأنهم، و حاكم و مالهم.

فِيسِدِيرِ السدَّر: هو شجر النبط ظله بارد ومنشط.

٨٥٨٦٤: موقف منضود بالشمر من أسلقه إلى أعلاه قد قطع و نزع شوكة، بخلاف سدر الدنيا فهو كثير الشوكة قليل الشمر.


(1) في تفسيره ٧٧٨٨/٩٣.

(2) أخرج ابن المبارك في زيدات الزهد ص ٧٤-٧٥، والحاكم ٢/٣٧٧، من حديث سليم بن عامر عن أبي أمامة و صححه و وافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في البعث والنشر ص ١٨٧.
٥٠: ٤٧٩

وهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء" (١).

(١) مَثَلَّ مَضْوَدٍ. الطلح شجر عظيم كثير الشوك معروف، ويطلق الطلح عند أهل اليمن على شجر الموز.

وهو المراد بالطلح في الآية عند كثير من المفسرين من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس، وأبو هريرة، ومجاهد، وقعدة، وعكرمة، والحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري (٢).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحق من العسل" (٣).

قال ابن المقيم (٤): بعد أن ذكر قول أكثر المفسرين أنه الوز، وما قبل من أنه شجر ذو شوك نضيد مكان كل شوكة ثمرة، فثمره قد نضد بعضه إلى بعض فهو مثل الوز. ولهذا القول أصح، ويمكن من ذكر الوز من السلف أراد التمييز بين التخصيص، والله أعلم.

ووروي عن علي رضي الله عندهم قال: "هذا الحرف "طلح منضود" قال: طلح منضود" (٥).

وهكذا قال الجوهر في الصحيح (٦): "والطلح: لغة في الطلح".

قال ابن كثير (٧): "فعل هذا يكون هذا من صفة السدر، فكانه وصفه بأنه ضضود، وهو الذي لا شؤك له، وأن طلبه منضود، وهو كثرة تمزه والله أعلم".

وقوله: "منضود" أي: متماكم الشمر مصفوفه، كما قال عز وجل: "وَأَتَّحِلًا بِيَدِ" (٨) Q: ١٠٨: ١٠: منضود متماكم بعضه فوق بعض.

وقد قال ابن كثير (٩): "طلبه متماكم" أي: ذهب دائم ليس فيه شمس ولا حر، كما قال تعالى: "لهم فيها أزوج مطهرة ودُجَّالٌ هم ظلِّالاً طُلِيلًا" (النساء: ٧٥)، وقال تعالى: "أُسْكَنُوا دَاخِلَ وَطِلَّهَا" (١٠).

(١) سبب تفسيره.
(٢) انظر: "جامع البيان" ٢٣، ٣٠، ٢٠، "تفسير ابن أبي حاتم" ١٠، ٣٣٣.
(٣) انظر: "تفسير ابن كثير" ٧، ٤.
(٤) انظر: "بدائع التفسير" ٤، ٣٤٨.
(٥) ذكره ابن كثير في "تفسيره" ٨، ٤.
(٦) مادة "طلح" وانظر "لسان العرب" نفس المادة.
(٧) في "تفسيره" ٨، ٤.
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها."
وفي رواية "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة أو مائة سنة، هي شجرة الخلد.
وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.
وعن أبي سعيد وسهل بن سعد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجوارد المضرع السريع مائة عام ما يقطعها.
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "الجنة سُجْسَج،" كي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.
وَوَارِيَتْهُمُ اللَّهُ، أي: وراء مصروب يجري في غير أخود. كما قال ابنقيم رحمه
الله في صفة أمناء الجنة.

أنهارها في غير أخود جرّت سباحان مسكونة عن الفيضان.

(1) أخرج البخاري في بدر، من باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، 1826، والترمذي في فضائل الجهاد 252، وأبو ماجه في الزهد 4235، وأحمد 452، 453.
(2) أخرجها أحمد 455/8/4.
(3) أخرج البخاري في بدر، 3251.
(4) أخرج البخاري في الرقاص، 1553، ومسلم في صفقة الجنة، 452.
(5) أي: ظلها معتدل لا حرا ولا بردا.
(6) ذكره ابن كثير في (تفسيره) 48/7.
(7) في النونية ص 229.
سورة الواقعة، الآيات: 27ـ 40

«wait» (أي: وعندهم فاكهة كثيرة من أنواع الفواكه المختلفة والمتنوعة في الطعام والألوان كما قال تعالى: "ستُعْلَمُ رَبُّكَ يِتَّهُمُ مَّنْ نَسَّرَوَهُ وَزَلَّ إِذَا أَذَى"، بُرِيَتْنَاهُ مِنْ سَيْلٍ أَنْتَ أَنْتَهِيكُمْ وَلَهُمْ فِيهَا آزْوَجُ مَطْهَرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَلِيَّةٌ)


وقال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: «انتهيت إلى السدرة - يعني سدة المنتهى - فإذا نبقي مثل الجرار، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فلا غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوًا وزمريًا»(1).

وفي رواية: «إذا نبقي كأنه قلال هجر»(2) وفي رواية: «إذا ثمرها كالقالل»(3).


وعن جابر رضي الله عنه قال: بينا نحن في صلاة الظهر، إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه، ثم تناول شيبًا لأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيبًا ما كنت تصنعه؟ قال: « إنهي عرضت علي الجنة، وما فيها من الزهرة والنضر، فتناولت منها قطعاً من عنب لأنكيم به، فخيل بيني وبينه، ولو أنكيم به لأكل منه من بين السقاء والأرض لا يتقصونه شربًا»(5).

أي: لا تتقطع عنهم في وقت من الأوقات كما هو الحال.

(1) أخرجه أحمد 3/128، 164.
(2) أخرجه البخاري في بعده الخلق- باب ذكر الملائكة 273، وأحمد 4/207، وفي حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنها.
(3) أخرجه مسلم في الإيهان- الإسرا برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات 124، من حديث أنس رضي الله عنه.
(4) أخرجه البخاري في الأذان 748، والنسائي في الكسوف 1493.
(5) أخرجه أحمد 3/352-353، 137، وأبو يعلى فيهما ذكر ابن كثير أنهما: "تفسير ابن كثير".
في ثار الدنيا منها ما ينقطع في الصيف ومنها ما ينقطع في الشتاء.

وَلَا مَجِيبَهُمْ أَبَادًا، أي: لا يمنع عنهم أبداً، ولا يجلّ بينهم وبين تناولها، بل هي سهلة المأخذ، قربة الملال.
والمعنى: لا تنقطع، ولا منع بمنعها عنهم، بل هي دائمة مستمرة، كما قال عز وجل:

وَقَرَنَّ مُرْوَّعَةً، أي: وفرش مرتفعة عالية عن الأرض على الأسرة، ومرتفعة في سمكها لما يجعلها وطية لينة ناعمة.

إِيَّا يَا أُمَّنَةُ إِنَّلَهَا، أي: نساء أهل الجنة، وعاد الضمير في قوله: إِنَّهَا، على غير مذكور لأنه سبحانه ما بدل عليهم وهي الفرش.
ومعنى قوله: إِيَّا يَا أُمَّنَةُ إِنَّلَهَا، أي: أنه عز وجل أنشأهن، أي: أوجدهن وخلقهن.

إِنَّهَا، أي: خلقها جديدًا.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

وقد يراد بذلك الحور العين أن أجراً، أو الأبكارة من نساء الدنيا اللاتي لم تزوجن.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.

فَجَعَلَتْهُمْ أَبَاكَارًا، أي: في النشأة الآخيرة جعلنها أجراً بعد أن كن ثياباً.
سورة الواقعة، الآيات: 27 - 40

(27) قرأ حجة وعاصم في رواية شعبة: "غُرُّبًا" بتسكين الراء، وقرأ الباقون بضمها: "غَرَّبًا".

و(غريبًا): جميع العروض، وهم المطبوعات لأزواجهن المعتشقات للهم، والمحببات.

إليهما بحسن العشرة، وحسن التبجي من اللطفة والرشاقة والвестиءة والرفاهية والجمال،
والتجمل والتنزج والتدل والجلد والأدب وحسن الكلام ورقة الخطاب فجمع الله
هن بين حسن الصورة وحسن العشرة، بين حسن الخلق، وحسن الخطاب.

(28) أي: مستويات مهاترات في السن، وهو ثلاث وثلاثون سنة، وفي الحسن،

متوافرات بينهن مؤلفات، لا تباحض بينهن ولا تحاسد.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله: "وَلَيْلَيْ
ِلَّهُ" قال: حور: بيضاء، عين: ضخام العيون، تُشْرَحُ (1) الحوراء بمنزلة جناح النسر.
قلت: أخبرني عن قوله: "كَأَنْتِ اللَاوِظَالْكُونَ" قال: صفاً وانف بهاء الدر الذي في
الأصداف الذي لم تخسسه الأيدي، قلت: أخبرني عن قوله: "فِينَ حَرْثٌ جَمِاً" قال:
"خيرات الأخلاق، حسن الوجه", قلت: أخبرني عن قوله: "كَأَنْبَثَ بَيْضٌ مَكْرُونٌ".
قال: "قراه كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة ما يلي القشر، وهو الغريب".
قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: "غَرَّبًا آثِرًا" قال: "هن اللوائي قضى في دار
الدنيا عجائز رمياً شمطاً، خلقه الله بعد الكبر، فجعله عمارًا عمارًا لمعتقات
المحببات، آثرًا: على ميلاد واحد", قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور
العين؟ قال: "قل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة",
قلت: يا رسول الله، وهم ذاك؟ قال: "بصلائهم وصيامهم وعبادتهم الله عز وجل، ألبس
الله وجههم النور، وأجسادهم الخير، بيض الألوان، خضر بنيان، صفر الخلا،
مجهردن الدر، وأمهاتهم الذهب، يقنان، نحن الخالدات، فلا نموت أبدًا، ونحن
الناعمات، فلا نتَّسَأ بِأَبَدًا، ونحن المقيمات، فلا نظعن أبدًا، لا لنا
الراضات فلا

(1) الشفر: جفن العين الذي يثبت عليه الشعر، انظر: "لسان العرب" مادة "شفر".
نص بابًا، طوبي لمكن كنا له وكان لناً. قلت: يا رسول الله المرأة منا تزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: يا أم سلمة إنها تختار أحسنهم خلفًا، فقوله: يا ربي، إن هذا كان أحسن خلقًا معي فزوجينه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: أنا في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نسبي بيهد دجاجًا، فإذا قام عنها رجعت مظهرة بكرًا»(2).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا»(3).

وعن الناس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء. قلت: يا رسول الله، ويطيق ذلك؟ قال: يعطي قوة مائة»(4).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»(5).

(لأصحاب الكتب) (ل أصحاب) جار ومجرور، و(اليمين): مضاف إليه، وهو متعلق بقوله: «إِنْ أَسْتَغْفِرْنَاهُۖ إِنْ أَنَّا أُسْتَغْفِرُونَ»(6) عربًا آثربًا فكانه قبل: من؟ فقال:

(لأصحاب الكتب). أو متعلق بموضوع تقديره: خلقنا أو أعدنا، أو أدركنا (لأصحاب الكتب) ما ذكر من التعجم النفيسي والبدني، من قوله: في يسره تمصير(7) إلى قوله: «عَزِيزًا أَثِرًا»(8).

والأظهر الأول: لقرب الموضوع، لأن أصحاب اليمين أيضًا ذكروا أول الآيات في قوله: «وَأَصْحَبُ الأَلْبَيْنِ مَا أَصْحَبُ الْأَلْبَيْنِ» في يسره تمصير(8) الآيات.

(1) أخرج الطبري في «المعجم الصغير» 1/100، وذكره ابن كثير في «تفسيره» 8/10.

(2) ذكره ابن كثير في «تفسيره» 8/11.

(3) أخرج الطبري في «المعجم الصغير» 1/99، وذكره ابن كثير في «تفسيره» 8/11.

(4) أخرج الترمذي في صفحة الجنة -ما جاء في صفحة جامع أهل الجنة 256 وقال: صحيح غريب.

(5) أخرج الطبري - فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» 8/11، وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: «هذا الحديث عنيدي على شرط الصحيح».
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة القدر، لا يبصقو فيها، ولا يمتختون، ولا يتخوطن، آتيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجاهرهم الألوة، ورشحهم المسك، وكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيّا»(1).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جرداً مركداً بيضاً جعاداً مكلحين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق أدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»(2).

(1) ثلةٌ من الأولين وثلةٌ من الأخرين
(2) أئمة
(3) هذه الآية: «ثلةً من الأولين وثلةً من الأخرين».
 وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبفك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعين وتسعينون، فعندك شبيب الصغير وقطع سحيل ذات خالب جلبه ورزى أسنان سكرى وهما هم يشكران ولينك عذاب الله» 

فقالوا: يا رسول الله أينما ذلك الواحد؟ قال: أبشرنا فإن منكم رجلاً ومن يأوج ومالوج ألفاً، ثم قال: والذي نفسي بيده إن لآرجو أن تكونوا برع أهل الجنة. فكمنا، فقال: آرجو أن تكونوا لثلث أهل الجنة، فكمنا، فقال: آرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكمنا، فقال: ما أتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة ببضا في جلد ثور أسود» ((المج: 27)).

 وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: «وهصحب أليين» (وأصحب ألبالي) فقبض بيده قضبان، فقال: هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي) ((المج: 28).

الفوائد والأحكام:

1- عظم شأن أصحاب اليمين؛ فقوله تعالى: «وأصحب التابين ما أصحب التابين».

1- عظم ما أعد الله من النعيم لأصحاب اليمين فسدر مخضود شوكه، وطلع منضود ثمره، وظل متمد، وفاء مصبوغ بيجري أخود، وفواكه كثيرة متنوعة خلفة الطعوم، لا تقطع ولا تنفع عنهم، وفرش سميكة مرتفعة، عليها نساء أبكار متحابات إلى أئذانهن مثلثات في سن ثلاث وثلاثين؛ لقوله تعالى: «في بذور مصلحة وطيط مصارعة ورمو متحرك وكاتب مكبر لا مقترع ولا مسعود ومرفو مرفوع إذا أنت لهاء لا إله إلا هو أبكر عن آراؤه».

(1) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء 348، ومسلم في الإيمان 22، وأخرجه مسلم أيضًا من حديث عبد الله بن مسعد رضي الله عنه 221.

(2) أخرجه أحمد 5/239.
للذين يحبون آل البيت،

c. 3 - قدرة الله تعالى ونعمته في إنشاء نساء أهل الجنة وجعلهن أكباراً حتى ولو كان من الثواب في الدنيا، وجعلهن محبهات لأزواجهن متعشقات لهم على سن وحدة.

c. 4 - أن أصحاب اليمين منهم جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة وجماعة كثيرة من آخرها.

* * * *
قال الله تعالى: «وأصحاب أثنا عشر ما أصحاب أثنا عشر» في سمو وكمير، وظل من يحبون لا بادولا كبر، إنه كان كل ذلك متربصون، وكانوا يحرصون على الميعاد العظيم وكانوا يغولون، أيما شاءوا، وغضبوا. إذ أتى أولى الأعيان والأخيرين، لم تجمعون البهائم، بل كفروا بمظالمهم، ثم إنهم إنكم أهل السالون السكينون، لا تكون من شعركم قوم، فالوثن بما ظلمون، فمسيرون عينون لله على قلوبهم، فتميزون شرب أهلي، فهذا نزلهم يوم الدين.

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة السابقين المقربين، وأصحاب اليمين الذين يؤتنون كتبهم باليمين، وتفصيل حاكمهم وأمهم، وما أعد لهم من النعيم المقيم ثم عطف عليهم بذكر الصفن الثالث، وهم أصحاب الشهال الذي يؤتنون كتبهم بالشهال، وفصل حاكمهم وأمهم وما أعد لهم من العذاب المقيم.


وما أصحاب أثنا عشر، أي: أي شيء هم أصحاب الشهال، تحفّرًا لماهم، وإشارة وتربتها نساء حاكمهم ومأتمهم، وما أعد لهم من صنوف العذاب في نار الجحيم، ثم فصل ذلك بقوله: «في سمو وكمير» إلى قوله: «هذا يوم الدين».

قوله: «ففي جهينة»، أي: في ريح شديدة الحرارة، وكمير) ماء بالغثاء الحرارة. وظل من يحمر أو، أي: ظل الدخان الأسود، كما قال عز وجل: «انطبعوا إلى طليّ ذي ثلاث سمع لا طيل ولا نسي من الله» [المرسلات: 63، 64].

 ومعنى «لا بارون» أي: ليس بارداً يقيهم الحر ويستريحون فيه، كما هو الشأن في الظل، بل هو ظل حار محض خالص الحرارة.

«ولا كرم» أي: ولا حسن المنظر ينعمون به، فليس فيه شيء من الخير البينة، بل هو شر خالص محض، ظل دخان كريم منظره، قبيح مظهره، حار داخله وحبره، لا نفع فيه، ولا دفع من أذى الحر، ولا غيرة.

قوله تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا قُلُوبِهِمْ مُّزَرِّفَاتٍ ۖ وَكَانُوا يَبَثُّونَ عَلَى الْأَلْبَابِ الْعَظِيمَ» (التوبة 29).

ذكر الله عز وجل في هذه الآيات الأسباب التي أدت بهؤلاء إلى كونهم من أصحاب العذاب، وفي صنف هذا العذاب.

قوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا قُلُوبِهِمْ مُّزَرِّفَاتٍ ۖ وَكَانُوا يَبَثُّونَ عَلَى الْأَلْبَابِ الْعَظِيمَ» (التوبة 29)، أي: من الأسباب التي أدت بهم إلى هذه الحال والمال السيء: «إِنَّهُمْ كَانُوا قُلُوبِهِمْ مُّزَرِّفَاتٍ»، أي: في دار الدنيا التي هي محل العمل.

«مَزَرِّفَاتٍ»: المرتف: هو المنتعم المثل إلى الترف والنعيم، وذعة العيش وحظوظ النفس وشهواتها.

فالمرتفون: هم المنتعمون المقبولون على الترف ولذات أنفسهم وأهوائهم الذين نظرتهم إلى الحياة نظرة مادية فقط، تاركين الهدف الذي خلقوا من أجله وهو عبادة الله عز وجل وراءهم ظهريًا، وأنى لم يبقى هذه نظرته إلى الحياة السعادة، فذا أطعه عينه، وما أعظم خسارته.

«وَكَانُوا يَبَثُّونَ»، الإصرار على الشيء: الاستمرار والتصميم عليه من غير توبة،

على «النبي العظيم» أي: على النبي العظيم، وهو الشرك أعظم الذنوب. قال تعالى فيها حكية عن لقانه عليه السلام أنه قال لابنه: «بَنِيُّكُمْ لَا شَرِيكَ لِي إِلَّا عِزِّي الْمَلَكُ لَأَسْلَمُ» (الأنعام 28).

[لفناء: 121]، وقال تعالى: «لَوْ أَمَنَّا وَلَوْ أَذَّنَّا إِيَّهُمْ يُطَلِّبُونَ» (الأنعام 28).

بشترك وإنما كان الشرك أعظم الذنوب؛ لأن حق الله عز وجل هو أعظم الحقوق وأليها.

ويهو عبادته عز وجل وحده، فمن أشرك معه غيره فقد صرف حقه عز وجل لغيره.
عون الرحمن في تفسير القرآن ج 21

فمعنى الآية: "كأن قُرِّبَتْ عليّ لَهُنَّ الآية"، أي: وكانوا يصممون ويسعون على الشرك ولا ينونون النوبة والرجوع عنه.

"وَغَرَّبَتْ مَسْتَبِعَدُنَّ لِلْبَعْثِ وَالحَسَابِ وَالجَزَاءِ عَلَى الْأَعْيَالِ بَلِ اكْرَضُنَّ بِذلِكَ وَمَن كَرِينَ لَهُ.

"وَأَيَّادًا يَتَّنِئَا وَكَأَنَّا نُحَبِّبْنَا وَعَظِفْنَا"، أي: أفذنا متنا وصارت أجسامنا في القبور ترابًا.

وعظاني رميمة بالية.

"أَوْاً لَّنْبِعْثُونَ"، أي: كيف نبعث، أو كيف يقال إنكم ستبعثون وقد صرنا إلى هذه الحال.

"أَوْاً لَّنْبِعْثُونَ" الذين ماتنا قبلنا كيف يبعثون وقد صارت أجسادهم ترابًا.

وعظاني رميمة بالية.

والاستفهام للإنكار، أي: لا يمكن أن نبعث ولا آباؤنا.

قوله: "قُلْ إِنَّا لَآَوْلِيَّ وَلَا كُتِيرِيَّ (5) لَمْ نَجِئْنَ إِلَّا مَنْ يَخْرِجُهُ رَبُّهُ (6)

هذا رد من الله عز وجل عليهم في استبعادهم وتكذيبهم للبعث وإنكارهم له.

"فَلَوْ قَالُوا أَنَّ هَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ" من آبائكم وغيرهم، (والآخرين)

"فَلَوْ قَالُوا أَنَّ هَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ" من آبائكم وغيرهم، (والآخرين)

"فَلَوْ قَالُوا أَنَّ هَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ" من آبائكم وغيرهم، (والآخرين)

منكم ومن غيركم.

لمجوعون إن مجيئ يوم تعلم اللام للتوكيد، أي: لمجموعون إلى وقت يوم محدد.

معلوم عند الله لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص، وهو يوم القيامة.

كما قال عز وجل: "إِنَّ ذَٰلِكَ لَأُنْبَيْنَ عَلَيْكَ نَحْرًا (7) ذَٰلِكَ يُؤُمِّنُونَ هَٰذَا يُؤُمِّنُونَ (8)

وَذَٰلِكَ يُؤُمِّنُونَ لِيَطْهُرُوهُ وَكَبْرُهُ وَلَأَنْبُهُ تَعَذَّبُوهُ (9) إِلَّا لَأَجْلَ يَعْدُوُّهُ (10) (هود: 103، 104، 110).

وقال تعالى: "قُلْ لَّكُمْ مَيَاذُ يَوْمَ لَنْ تَسْتَمِعُونَ عَنْهُ سَاَجِرًا (11) وَلَنْ تَسْتَفْعِهَا (12)

(سبأ: 70).

وقال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَا لَمَّا يَوْمَ لَدَيْنَا (13) لَأَيُّوْمٍ أَيَّذِيَ (14) لِيَوْمٍ أَيَّذِيَ (15)

وَمَا أَذَكَّرَكَ مَا يَوْمَ الْقَضِيعِ (16) (المنا: 40).

وقال تعالى: "إِنَّ يَوْمَ الْقَضِيعِ كَانَ مِيَقَانًا (17) (النبأ: 18)، وقال تعالى: "يَوْمَ يُحْكَمُ لِلْيَوْمِ (18)"."
قوله تعالى: *قد لَمْ يَكُنِّي آبَاهُ الْمَدْخَلُونَ الْمُغَيْرِينَ (٥٩) كَلْذِينَ مِنْ شَجَرَةِ فَوَرَىٰ* \footnote{البطنون (٥٩) مَهَّبُونَ عَلَى مَعْنَى الْقَبْلَٰٰ (٦٠) هَذَا نَزْلُهُمُ الْالَّيْنِ (٦١)}.\footnote{فَعَلَّهُ نَزْلَتُهُمُ الْالَّيْنِ (٦١)}

بعد ما ذكر الله عز وجل حكارة أصحاب الشال، وما هم فيه من العذاب الشديد من السموم والحميم والظل الحر، وسبب كونهم من أصحاب الشال واستحقاقهم العذاب، وهو تزكيم وشركهم وإنكارهم للبشع، ورد عليهم في ذلك.

ذكر ما أعد لهم من النزل من الزقوم والماء الحر وبنزلة النزل.

قوله: *مَتَىِّ نَكَّمُ أَيْهَا الْمَدْخَلُونَ الْمُغَيْرِينَ* 

بقصدير الدعاء والتهديد لهم، أي: ثم أعلموا أنكم أياها.

*الْمَدْخَلُونَ* التأكيد عن طريق الحق والصواب، البعيد عن كل البعد.

*الْكَلْبِيْتَوْد* للرسل وللبعث والحساب *لَكُمْ* اللام للتوكيد.

*بِنْ شَجَرَةِ فَوَرَىٰ* هو شجر يخرج في أصل الحليم من أتيب الأشجار وأختها.

وأبنها رجاء، وأُبْسِعُها منظرًا.

قال تعالى: *إِنَّهَا شَجَرَةُ حَجَرٍ فِي أَصِيلِ الْحَلِيمِ (٦٠) طَلَّعَهَا كَأَنَّهَا رَوْقُ الشَّيْطَانِ (٦١) فَإِنَّمَا كَلََّمَتِهنَّ مِنْ ذَٰلِكُمْ الْبَطَنَٰٰٰ (٦٢) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَىٰ نَحْوٍ مِّنْهَا حَسَبٌ (٦٣) مَّنْ مَّرَّهُمْ مِّنْ ذَٰلِكُمْ الْبَطَنَٰٰٰٰ (٦٤) [الصادقين: ٤٦–٦٨]، وقال تعالى: *إِنَّ شَجَرَةَ الْزِّرَقَٰٰمَ (٦٥) طَلَّعَهَا الَّذِينَ كَسَّوْبَ الْحَلِيمِ* \footnote{البطون (٦٥) كَلْفُهَا الْحَلِيمِ (٦٦) [الدخان: ٤٦–٦٨]}، وقال تعالى: *أَكِلَُّوكُمْ ذَٰلِكُمْ ظَهْرَاً عَلَىٰ نَحْوٍ (٦٧) فَإِنَّهُم لَّا يَسْرُّهُمْ إِلَّا لَيْلَةُ اِنْبِهَا (٦٨) مَّنْ يَفْطِرُ الْأَمِينِ (٦٩) [الصادقين: ٦٠–٦٩]}.\footnote{فَخَرَّٰزُلَا نَمْ شَجَرَةٌ (٦٩) إِنَّهُ مَثَّلُهَا حَسَبُهَا لِلْكَلِبِيْتَوْدِ (٧٠)}

وسمي الزقوم: لأن الأكل منه يتزوقه تزقيًا لهبه وشدة بلبه، كما قال تعالى:
عون الرحمن في تفسير القرآن, ج: ٢١

{يَبْتَجِرَ هُمْ وَلَاتِي وَخَتَمْتُهُمُ اللَّهُ} [إبراهيم: ١٧].

قالتُ بُني آدم: {وَذَلِكَ لِشَدَدَتِ جَوْعَهُمْ وَاضْطَرَّرُوْهُمُ إِلَيْهِ، وَإِلَزَامُ الْمَلَائِكَةِ لِهِمْ}

ذَلِكَ.

فَذُوْيُونَ عَلَى نُطْفَتِهِمْ}, أي: فشاربون على هذا المأكل والمطعوم الأثيم من الماء الحار

شديد الحرارة.

فَقَتَرَهُنَّ شُرَّانَ آبَيْنَ} قرأ عاصم ونافع وأبو جعفر وحمرة بضم الشين {شرب},

وقرأ الباقون بفتحها {شرب} والهيم: الإبل العثوس التي أصابها الهيم فلما تكاد تروى من شدة العطش والهيم، أي: أنهم؛ لشدة عطشهم لا يكادون يروون.

هَذَا يَوْمُ يُؤْتَيْنَآ إِلَى هَذَا الْعَذَابُ وَهُذَا الشَّرَابُ الحَمْيَة

الحارة ما أعد لنورهم ولضيافتهم ولمجازاتهم يوم الدين، وهذا ما قدموه و اختياروه لأنفسهم من الضيافة.

والنزل: ما يعد للضيف عند نزوله.

فبئس النزل نزلهم يرض سموم شديدة الحرارة، وظل حار من دخان النار الأسود،

وطارم من الزقوم، وشراب من الحمضي في غاية الحرارة- نسأل الله السلمة والعافية-

وشتان بين هؤلاء وبين من قال الله فيهم: {وَلَكُمْ فِيهَا مَا آتَيْنَاكُمُ الْكِتَابَ وَرَسُولَنَا إِلَيْهِ} [مtribution: ٣١], وقال تعالى: {وَهُمُ الَّذِينَ أَشْهَدُوْا أَنَّهُمْ هُمُ الْكِتَابَ} [الأنبياء: ٢١], وقال تعالى: {وَفَيْهَا مَا تَسْحَبُهُ اسْتِهِبُنَّ حَيَّاً} [الزخرف: ٢١], وقال تعالى: {وَأَنْتُمْ تَأْتِينَ لَهُمْ صُحُبًَ بَعْضَكُمْ} [الكهف: ١٠٨, ١٢].

نسأل الله تعالى من فضله.

الفوائد والأخلاص:

١- تخريج شأن أصحاب الشمال، وسوء حاكم ومالهم؛ لقوله تعالى: {وَأَصْحَبُ} 

{أُطِبِّيَّةَ مَا أَعْجَبَهُ الْبَيْتُ}.

٢- شدة عذاب أصحاب الشمال في النار؛ فريح سموم، وفداء حيّم في غاية
سورة الواقعة، الآيات: 41 - 56

الحرارة، وظل من دخان النار الأسود لا برودة فيه، ولا خير فيه البينة؛ لقوله تعالى: في سموه وحجمه [41] وقيل من بعثه [42] لأبا ورقة لاכירه [43].

3- أن سبب تعذيب أصحاب الشهال بما ذكر من ألوان العذاب ترفهم في الدنيا وإصرارهم على الشرك العظيم وإنكارهم البهتان، مما يوجب الحذر من ذلك؛ لقوله تعالى: إنهم كانوا قد دخلوا مغيبون [44] كانوا يصرون على أهل يث地形 [45] كانوا يقولون 

4- إثبات البهتان والمعاد وأن الأولين والآخرين مجموعون إلى وقت يوم معلوم، وهو يوم القيامة؛ لقوله تعالى: فل يأت الأولين والآخرين [48] لمسمعون إلى وقت يوم معلوم [49].


6- مجازاة كل بما عمل يوم القيامة، وأن الجزاء من جنس العمل؛ لقوله تعالى: هدا مثوم خير الذين [55].

* * *
قال الله تعالى: ﴿أَرَىَّمَا تَأْتُونَ أَنْ تَخْفَفُواْ مَا خَفَفْتُ وَلَكُمْ ﻋَلَىٰ مَا تَعْلَمُونَ ﴿[الأنفال: 60].

ذكر الله عز وجل في سباق قول المكذبين بالبعث والحساب: ﴿أَوَيْنَا وَكَسَنَاَّ فَنَّازِلاً وَخَلَقْنَاَّ﴾ ورد عليهم بعد ذلك قوله: ﴿فِي إِنَّ اللَّهُ يَكْبُرَ وَالَّذِينَ اجتَمَعُونَ إِلَىٰ يَمِينِهِمْ﴾ [البقرة: 64].

ثم أتبع ذلك بذكر الأدلة على أحقية البعث والمعاد وقدره عز وجل التامة على ذلك بذكر الخلق الأول والنشأة الأولى.

﴿أَرَىَّمَا تَأْتُونَ أَنْ تَخْفَفُواْ مَا خَفَفْتُ وَلَكُمْ ﻋَلَىٰ مَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

الإنسان: 1.

أي: قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا بل كان عدمًا محضًا ثم أوجده الله وخلقه، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّهُ أَوْلَىٰ سَوْيَةً لِّلَّذِينَ آخَذُواْ ﻣَا خَلَقْتُمْ ﻣِنْ قَبْلِ وَلَدُوكُمْ شَيْئًا﴾ [المريم: 67].

﴿فَوَلَوَّاْ صَيْفُونَ ﴿فَوَلَوَّاْ صَيْفُونَ﴾ للتحضيض، أي: فهلا تصدقون بالبعث، وأن من قدر على إيجادكم من العدو قادر على إعادتك وبعثكم بعد الموت من باب أولى وأحري، قال تعالى: ﴿وَلَوْنَ أَخَذْتُمْ مَا خَلَقْتُمْ إِلَّاٰ خَيْرٌ وَسَيَّارٌ﴾ [القرآن: 28].

وقال تعالى: ﴿أَخَذْتُمْ إِلَّاٰ خَيْرٌ تُبَيِّنُهَا وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهَا﴾ [الخروج: 10].

ومعنى قوله: ﴿فَوَلَوَّاْ صَيْفُونَ﴾، أي: صدقوا.

﴿فَوَلَوَّاْ صَيْفُونَ ﴿فَوَلَوَّاْ صَيْفُونَ﴾ الهمرة للاستفهام الإنجابي، و(ما) موصولة، أي: أفرأيتم الذي تمنون، أي: أخبروني عن، والمني: هو الماء المهين الذي يصب ويذف في الأرحام.
سورة الواقعة، الآيات: 67 – 72


أما «أَلْتُغَلُّبُنَّكُمْ» الاستفهام للإنكار والنتيجة، أي: أَلْتُم تخلقون وتوجدون هذا المني وتجعلونه ينتقل من طور إلى طور حتى يكون إنساناً سوياً، قال تعالى: «أَمْ خَلْقُواْ

غَيْرِهِمْ» [الطور: 23].

والجواب: لا، أي: لست أنتم الذين تخلقون.


حتى، لا أنتم، والاستفهام للتدقير.


الله يكُنَّا عِلْمًا فَيَبْصِرُ مُوسَى "فَأَقْتُرَحْنَا" [يسوع: 24].

»أَجَنَّ وَقَدْ رَأَى نَاتِجُهَا المَوْتَ وَمَا تَعْمَلُونَ« قرأ ابن كثير بتحقيق الدال: "أَقْرَنَا".

وقرأ الباقون بتشديدها: "قَرَنَا".

وتكلم عز وجل بضم الجمع والضمة: "نحن" لأن العظيم سبحانه وتعالى.

والمعنى: نحن كمننا عليكم الموت، كما قال عز وجل: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" [آل عمران: 85] الأباءاء: 50، النبتيات: 67، وقال تعالى: "كُلُّ مِنْهُمُ عَلَىٰ مَا كَسَبَّ» وَكَبْرَىَنَّ وَجَهَّ الْغَيْرِ ذَوِ الْمِكْتَلَ وَالْإِكْرَأَرِ» [الرحمن: 46، 47].

قال الشاعر:

كتب الموت على الخلق فكم فلَ من جمع وأفنى من دولة (1)

وقال الآخر: (1) البيت لابن الوردي من لامته. انظر: «نفحه اليمن» ص 229، «مجاني الأدب» 92، "نفح الأزهر" ص 52.
لا شيء في بيئته يبقى بشاشته يكون الله يفنى المال والولد (1) وقال الآخر:

تعرّف فلا شيء على الأرض باقيًا ولا وزر لما قضى الله وعاقب (2)

وأيضاً: "قد أبّاكما ندمت،" أي: صلى الله عليه وسلم، ومنكم من يموت في بطن أمه ومنكم من يموت شباباً ومنكم من يموت كهلاً ومنكم من يموت طفلاً صغيراً، ومنكم من يموت شيخاً كبيراً، ومنكم من يفوت إلى أجل الأزمان، قال تعالى: "وَلِلْهِ خَلْقُكُم ۖ وَمِنْ قَبْلِهِمْ كَثِيرٌ ۖ لَّا يَمْتَرُّ بِهِ وَلَقَدْ أَغْلَبَهُمْ لَهُ قَبْلًا (3) [الج合约: 70] وقال تعالى: "وَمِنْهَمْ مَنْ يَتَّبِعُ وَمِنْهَمْ مَنْ يُرْدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرْ (4) لِيُكْتَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ عِيمَةٍ شَيَا (الحج: 5)"

(2) "وما أنّى يمثرون؟" أي: وما نحن بعاجزين ومغلوبين.

"أَعْلَنَ أَنْ نَبِيَّ امْتَلَّكُمْ" أي: على أن نبدل أشباكم وخلقكم بآن نخلقكم على غير هذه الصور التي أنتم عليها.

"وَوُسِيعَتْ مِنْهُمَا" من الصور والصفات والأشكال والأحوال، فلم نعجز عن خلقكم ابتداء على هذه الصور، ولم نعجز عن إمانتكم، ولكن نعجز عن تبديل صوركم وأمثالكم، وإنائكم فيها لا تعلمون من الصور والصفات والأشكال والأحوال.

كما قال تعالى: "كُتِبَ أَنَّكُمْ ذُنُوبُ إِن كُنْتُمْ فِي رَبِّكمْ فَإِنَّنَا خَلَقْنَاهُ بِخَلقٍ ثَانِيٍّ ثُمَّ وَجَدْنَاهُ مُقَدَّرًا (1) [الحج: 5] وقال تعالى: "وَخَلَقْنَاهُ وَسَدَّعْنَاهُ أَسْرَهُمْ (2) فَإِذَا بَيَّنَّا بَيْنَهُمْ تَبْيِينًا (الإنسان: 28) وقال تعالى: "وَلاَ تَزَاعِمُوا مِنْ عَلَٰمَتِ اللَّهِ مَا لَا يَنطِقُ بِهِ (3) فَلَمْ يَنطِقُ إِلَّا مَا نُصِبَ إِلَيْهِ (4) وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشُاشَةُ الأَخْرَى (النجم: 45-47)"

(1) البيت ينسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: "الأمثال والمؤمنة" ص347.
(2) انظر: "أوضح المسالك" 2069/1، 247/1. "شرح الأشعري".
ولقد عينت الله النشأة الأولى، والواعظ، واللام للقسم، وقد للتحقيق، أي: والله لقد علمتم النشأة الأولى أي: عرفتموها، وعلمتهم وعرفتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى من العدم، بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا.
فلولتدرون، الفاء: عاطفة، ولولا للتحضيض، أي: فهلا تذكرون وتعظون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة، وهي البداية، قادر على النشأة الأخرى، وهي إعدادكم وعثكم بعد الموت من باب أولى وأخرى.
كما قال عز وجل: وَمَنْ أَلِيِّكُ يَبْتَغُوا الْحَقَّ لَا يُعْلَمُونَ وَهُوَ أَهْوَى عَلَيْهِ [الروم: 27], وقال تعالى: أَوَلَمْ يَوْمَ يُنَبِّئُهُمَّ أَنَّهُ لَخَلْقٌ وَيَوْمَ يُنَبِّئُهُمَّ أَنَّهُ لَخَلْقٌ وَيَوْمَ يُنَبِّئُهُمَّ أَنَّهُ لَخَلْقٌ وَيَوْمَ يُنَبِّئُهُمَّ أَنَّهُ لَخَلْقٌ. [البقرة: 102], وقال تعالى: أَقُلْ أَءِنَّا أَلْقَيْنَا فَتَرَابًا وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَهُ الْأَسْمَى [الإسراء: 74], وقال تعالى: أَلَيْنَا أَنْقُلُوا لَكُمْ فَتَرَابًا وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَهُ الْأَسْمَى [البقرة: 103], وقال تعالى: أَلَيْنَا أَقْلِمْنَا بِخُطْبَةً وَأَلْقِيَنَا فَتَرَابًا وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَهُ الْأَسْمَى. [الإسراء: 75].
قال ابن القيم (1): "وهذا في القرآن كثير جدا يقرن بين النشأتين مذكرا للفطر والعقول بإحرازهما على الأخرى.
الفوائد والأحكام:
1- أن الله عز وجل هو الخالق العظيم لقوله تعالى: كنتلكي قلنتكم.
2- وجوب التصديق بالبعث وبا جاء به الرسول ﷺ لقوله تعالى: فتولنستؤدون.
3- الاستدلاب بالخلق الأول على الخلق الثاني لقوله تعالى: كنتلكي قلنتكم فتولنا تصيبون.
4- قدرة الله عز وجل التلبسة على إيجاد أول خلق الإنسان وأطوار خلقه حتى

(1) انظر "بداائع التفسير" 4/566.
عون الرحمن في تفسير القرآن ج 21

5- تقدير الله - عز وجل - الموت وكتابه على الخلق كلهم؛ لقوله تعالى: "هَمْ ذِي الْحَقِّ الْبِلَاغُ".

6- أن الله - عز وجل - قادر على تبديل الخلق بغيرهم، وعلى إنشائهم على ما شاء من الصور؛ لأنه لا يعجزه شيء، وفي هذا تهديد للمكذبين؛ لقوله تعالى: "عَلَى أَنْ يَبْلُغَ أَمْثَالَكُمْ وَتَشْفَعَّكُمْ فِي مَا لَا تَأْتِمُوا".

7- الحث على التذكير والانعزال والاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والنشأة الثانية؛ لقوله تعالى: "وَلَقَدْ عَمِّيَ النَّشَأَةَ الْأُولَى فَلْيَلَّهَنَّكُمْ".

* * *
قوله: "أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ؟" الاستفهام للإناكار، وملظه الاستفهام في قوله: "أَفَأَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ؟" في قوله: "أَفَأَرَأَيْتُمُ النَّارَ أَنْ تَحْرُثُونَ؟" و"ما" موصولة أي: أخبروني عن الحب والنبات الذي تحرثون، أي: تحرثون الأرض ونشقوها وتبذرون وتلقونها فيها، و"أَفَأَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ؟" الاستفهام للنفي، وملظه الاستفهام في قوله: "أَفَأَرَأَيْتُمُ النَّارَ أَنْ تَحْرُثُونَ؟"، وفي قوله: "أَفَأَرَأَيْتُمُ النَّارَ أَنْ تَحْرُثُونَ؟"، أي: ألم تنبتون وتوجدون فيه الحياة النباتية والجوانب، ولا، أي: ليسن الذين تزرونهم.

(1) ومن أعظم الأدلة التي يذكرها الله عز وجل على أحقية البعث خلق السماوات والأرض قال تعالى: "لِتَحْيَيْنَكُمُ اللَّهُ مَا كُنتُمْ تَحْرُثُونَ" [النور: 32] وقال تعالى: "أَوَلَمْ يُنَبِّئْكُمُ اللَّهُ مَا كُنتُمْ تَحْرُثُونَ" [المؤمنون: 81]، وقال تعالى: "أَوَلَمْ تَحْيَيْنَكُمُ اللَّهُ مَا كُنتُمْ تَحْرُثُونَ" [المؤمنون: 81].
٤٥٠

{(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" ٣٤٨٩، وابن حبان في صحيحه ١٩٨٩، والبخاري في "مسند" ٢٢:٨٤٨، والبخاري في "مسند" ٢٢:٨٤٨، وأبو نعيم في الحلية ٢٦٧، والبخاري في "شعب الإبانة" ٢٢٦٧، والبخاري في "شعب الإبانة" ٢٦٧}

(٢) الآثاب لمعرفة الرصاصي. انظر: "موسوعة الشعر الإسلامي" ٣٩٣٩/٣٣٩، ٦٥.
ولو تعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا الخيار مع الليالي (1) ومثني قوله: "لو نشاء لجعلنا هذا الحرش حطاماً"، أي: لو نشاء لجعلنا هذا الحرش حطاماً، أي: هيئة يابسة متكسرًا بعد إخراجه زرعاً وتعلق النفس به، وهذا أشد حسرة من إهلاكه قبل نباته.
وفي هذا إشارة إلى قدرة الله عز وجل التامة على جعل هذا الحرش حطاماً، كما أن فيه تخفيفًا للمخاطبين بعقوبتهم بإهلاك حروتهم.

"غطاءً لثقه"، أي: فظنون بعد ذلك "ثقة" التفكه في الأصل من الأضراد فهو يأتي بمعنى التعمم، ومنه سميت الفاكهة، ويأتي بمعنى الحزن والندم والعجب وتوبيع المقال، أي: فظنون بعد كون حروحك حطاماً تفكهون في المقالة، أي: تنوعون الكلام فيها حصل لحرثكم وسبب ذلك وتعجبون من سوء حاله ومصيره، وتتلامون وتندمون قائلين تارة: "إنا لمغرمون"، أي: حمنا غراماً هذا الحرش وقيمه، وقيل: "لمفرون في الشر، أو مولع بناء، أو معذبون ومهلكون.
وتارة تقولون "قلن: "مغرمون" "بل" للإضراب الانتقالي، أي: بل حرمان الرزق وثمرة هذا الحرش.
فسبب هلاك حرثكم تحملوا غرامة ذلك، وحرموا من ثمرة ذلك الحرش، وهذا كأ ذكر الله عز وجل عن أصحاب الجنة من بني إسرائيل في سورة القلم أنهم قالوا لما رأوا قد احترقت: "إنا أصابلون" "قلن: "مغرمون" [القلم: 267].
أو: "ثم أنزلكم ألم أنتم أنتم هذا الماء الذي تشربون منه أتتم ومواشكم وحروحكم.
أو: "أنزلكم ألم أنتم ألم أنتم هذا الماء الذي تشربون منه أتتم والجواب: لا، أي: لستم أتتم الذين أنزلتموه من المزون.

(1) انظر "آويل المساكين" 4/ 231، "شرح شواهد المغني" 2/ 665، "مغني اللبيب" 1/ 271، والبيت فيها بلا نسبة.
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج 21

(452) في تفسيره 18

(1) في تفسيره.
كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية فقال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كل هن مثل حرها".(1)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولو لا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعدها فيها".(2)

ومنه: "للمقوين" أي: يمتعون بها فيطعون عليها طعامهم، ويستطعون بها من البرد. ويستسفيتون بنورها في منازلهم ومقامهم ويوجدونها على مرتفع ليهدي بها الضال.

كما قالت السفاح في أحيتها صخر:
إن صخرًا لتتأتى الأهداد به كأنه علم في رأسه نار

إلى غير ذلك من منافعها.

ومنه: "المسافرين، سمى المسافرون بهذا الاسم؛ لأن القوة هو الفقر الخالي البعيد من العمران، ومنه قوله: "آقوى الدار إذا رحل أهلهه" وقول عثرة بن شداد.(3) حذفت من طلأل تقادم عهده أقوى وأقوى بعد أم الهيمن، والمراد بالآية عموم التمتعين بالنار من المقيمين والمسافرين، وإنها خص المسافرون بالذكر- والله أعلم؛ لأن المقيمين قد يشع أهدهم النار من جه نار سابقة، أو من نار جاره، ونحو ذلك، وهذا قال: "الناس شركاء في ثلاث: في الماء والنهار والكلا".(4)

واشتراك الناس في النار إنها يتحقق غالبًا في حال الإقامة.

(1) أخرج البخاري في بداء الخلق، ص148، ومسلم في صفة النار، وعذابها، 3265، ومسلم في صفة الجنان والنار، باب في شدة حنار جهنم، 2184، والترمذي في صفة جهنم، 2589، وابن الجوزي، 244 و244.
(2) أخرج ابن ماجه في الزيادة، 348/18.
(3) انظر : "ديوانه" ص185.
(4) أخرجه أبو داود في البيوع، باب في منع النار، 3472، وابن ماجه في الرهون، المسلمون شركاء في ثلاث نار 4473، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود، 2477، وابن الجوزي، 364/1، من حديث رجل من المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ.
وهذا كله نعمة من الله عز وجل، لكن تظهر نعمة الله عز وجل أكثر على المسافر الذي لا يجد أحدًا يأخذ من ناره في كونه يستطيع أن يجلب في مناعة بلا مشقة وندا أوعودين من هذين الشجرتين يوري منها النار عند الحاجة، ولعل هذا من حكمة تخصيص المسافرين بالتمتع بها في الآية.

وقال ابن القيم(1): "وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيها لعباده- والله أعلم بمراده من كلامه- أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين، ولا مستوطنين، وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر".

أقول: رحح الله يا ابن القيم وجزاك الله خيرًا على هذا الاستنباط، فخلق كلهم مسافرون، والدار متعمة هم في هذه الدار الفانية.

وقال ابن كثير(2) بعد أن ذكر القول بأن المراد بالقوين: المسافرون والحاضرون، قال:

"وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من جن وفقر الكل يحتاجون للطبع والاصطالة والإضاءة، وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار، وخلال الحديد بحيث يمكن المسافر من حمل ذلك في متعاه، وبين ثوابه فإذا احتاج إلى ذلك أخرج زنده وأورى، وأوقد ناره، فاطلب واصطلي، واتشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات، فلهذا أفرد المسافرون، وإن كان ذلك عامة في حق الناس كلهم".

(1) فسـّحْ يَأْمُرُ رَبِّكَ، التّسـّـيـّــح: تزنيه الله عن النقائص والعيوب وعن مخالفة المخلوقين. والرب: هو الخالق المالك المدير.

(2) المظـهـيـر: صاحب العظيمة النامة الذي لا أعظم منه ولا أكبر، كامل الأسئلة والصفات، كثير الإحسان والخيرات.

والمعنى: قل سبحان رب العظيم، منزهًا ربك العظيم عن النقائص والعيوب، وعن مخالفة المخلوقين، ومعنًا أن كل كمال فاته أولى به، وأن له عز وجل القدرة النامـة.
على البسح والمعاد، كأوجد الخلق من الدم وبعث فيهم الحياة، وأحيا الخرث والنبات، وأنزل الماء من السحاب وأوجد مادة النار مع ما في هذه المخلوقات العظيمة، وغيرها من الاختلاف والتضاءد، فسبحانرب الخالق العليم.

الفوائد والأحكام:

1- بيان أن الله - عز وجل - هو الزارع المبت للنبات المحيي للأرض بعد موتها وفي ذلك امتنان على عباده، ودليل على قدرته التامة على إحياء الموتى لقوله تعالى: "أَفَرَآيْتُمْ مَنْ أَحْزَنَّ تَرْحَمُونَ، أَمْ مَنْ نَزَرَعْنَ؟".

2- بيان قدرة الله التامة على جعل الزرع هنيأً يابساً متكساً قبل استوائه وفي هذا تنويف للعباد؛ لقوله تعالى: "لَوْ نُعْفَنَ عَلَى مَا كَسَبْنَا لَنَا مُقَرَّرًا".

3- ضعف الخلق وضعف حومهم وقوتهم أمام قدرة الله - عز وجل - ولجهولة.

4- أن نظرة كثير من الخلق للمصاب في حروثهم وزروعهم وغيرها نظرة مادية فقط؛ يجزون على ما أصابهم ويعجبون، ويقررون بالغراية والحرمان، لكنهم لا يتفكرون في سبب ذلك وهو المعاصي؛ لقوله تعالى: "يَاذَاكُمْ عَلَى مَا كَسَبْنَا جَهَنْمَ لَنَا مُقَرَّرًا".

5- امتنان الله - عز وجل - على الخلق بإنزال الماء من السحاب لشرب الناس ودوائعهم وحووثهم ولو شاء لجعله - بقدره مراً مالحاً لا يصلح لا للإنسان ولا للحيوان، ولا للنبات، وفي هذا تقرر لنعمته - عز وجل - عليهم بذلك ليشكره وتحويه لهم؛ لقوله تعالى: "فَكَيْفَ يَعْمَلُ الّذِينَ يَشْرَبُونَ"، "لَهُمْ أَرْضُكُمْ مِنَ الْجَهَنَّمَ وَلِلنَّارِ".

6- قدرة الله - عز وجل - التامة ونعمته على الخلق بإيجاد عنصر النار يتمتعون بها وتذكرون بناه الآخرة؛ لقوله تعالى: "أَفَرَآيْتُمْ أَنَّ خَلَقَنَاكُمْ مِنْ شَجَرَةٍ أَمْ نَحْنُ الْمُشْتَدُونَ، أَمْ نَحْنُ حَيْثُ نَشَاءُ مُقَرَّرًا".

7- وجوب التسبيح باسم الله العظيم - وبخصوصية في الصلاة، وإثبات اسم الله العظيم، وربونيته عز وجل الخاصة لنبيه ﷺ ولاتباعه؛ لقوله تعالى: "فَسَبِّحْ يَا سُرْيَةُ رَبِّكَ".
قال الله تعالى: "قال أَفَيْسَمْ يَوْقَعُ النَّجْمُوفُ وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَقَسَّمْتُ عَظِيمًا إِنَّهُ لَقَرْنَانٌ كَیْمٌ فِي كِتَابِكَ مَكْرُونٌ لَا يُبْعِثُ إِلَّا الْمُطْهَرُونَ نَزْيَلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْبَثَتْ الْمَدَنَاتُ فِي مَدْنَاتٍ وَتَقَبَّلُ رَقَابُهُمْ قَاءِمَةً قَاءِمَةً.

بعد ما ذكر الله عز وجل الدلائل الكونية على أحقية البعث والمعاد من الخلق الأول وإحياء الحرف وإنزال الماء من السحاب وإيذائه مادة النار في الشجر ذكر الدليل الشرعي على ذلك، وهو القرآن الكريم، وقسم على أنه تنزل من عينه عز وجل.

قوله: "قال أَفَيْسَمْ يَوْقَعُ النَّجْمُوفُ الفاء استثنائية، و"لا" يبنى بها في أول القسم إذا كان مقتضيًا به على منفي، للتبنيه وتوقيف النفي، كقول عائشة رضي الله عنها: "لا والله ما مسست يد رسول الله صل الله عليه وسلم بارحة قط"، كا جاء في بعض روايات حديث مروان بن الحكم والمسور بن جحيرة رضي الله عنها.

وهكذا هنا تقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، أي: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهاب، بل هو قرآن كريم، أو ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد فقال: أقسم.

وقيل إن "لا": صلة، والتقدير: أقسم بمواقع النجوم.

وعلى هذه التقديرات قوله: "قال أَفَيْسَمْ يَوْقَعُ النَّجْمُوفُ قسم من الله عز وجل بمواقع النجوم، والله عز وجل أن يقسم بما شاء من خلوقاته؛ لأن إقسامه بها دليل على عظمةه هو، فكأنه يقول: أقسم بها خليقت.

وقيل معنى: "قال أَفَيْسَمْ" نفي للقسم، أي: لا يحتاج الأمر إلى قسم، لكن هذا يبرده قوله: "وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَقَسَّمْتُ عَظِيمًا فَهَذَا إِثْبَاتٌ للقسم.

قرأ حجة والكسائي وخلف "بمواقع" على الإفراد، وقرأ الباقون بالجمع: "بمواقع".

وقوله: "يَوْقَعُ النَّجْمُوفُ" هذا هو المقسم به، والنجوم: هي النجوم والأفلاك التي

(1) أخرج بهخاري في الشروط 1712، وأبو داود في المسنن 154، والناساني في مساق الحج 177، وابن ماجه في الجهاد 2875.
في السياق، ومواقيتها: منازلها، ومشاركتها ومغادرتها، وانعدامها وانتثارها وسقوطها.
كما قال تعالى: "وَأَلْقَى هَذِهِ الْمَلَّةِ إِلَى النَّجْمِ۔ [النجم: 10]، وقال تعالى: فَأَقْمُ ۡبِيْنَ ۗ ۚ (الشعرى: 10)" [المعرف: 10].
وقال تعالى: "وَأَرْسَلْنَا إِلَى ۗ ۚ (الشعرى: 10) وَأَرْسَلْنَا إِلَى ۗ ۚ (الشعرى: 10) [الطارق: 10-11]، وقال تعالى: فَأَقْمُ ۡبِيْنَ ۗ ۚ (الشعرى: 10) [القرآن: 16]، وقَالَ تَعَالَى: "وَأَوْدِبْنَا ۗ (الشعرى: 10) [الاذكار: 49]."
وجنباً أقسم الله عز وجل بالنجوم، ومواقيتها لما فيها من الآيات العظيمة الدائرة على ربوية الله - عز وجل - وأفراد بالخلق والإبداع، مما يوجب صرف العبادة له وحده. ويدعو أن المرادي بالنجوم: نجوم تنزيل القرآن الكريم، أي: مواضع وأوقات نزوله المتفرقة خلال ثلاث وعشرين سنة.
"وَلَيْضَمِنَّ ۗ (الشعرى: 10) وَلَيْتَلْعَمِّنَّ عَظِيمَةِ ۗ (الشعرى: 10) اعترض هذه الجملة بين القسم وجوهبه، كما
اعترض بين الصفة والوصف في هذه الجملة بقوله: "لَوْ تَلْعَمِّنَّ فَجِئَ هذا
الاعترض في ضمن هذا الاعترض، وذلك كله بغرض التوكيد وتعظيم القسم به
والقسم عليه.
والضمير في قوله "وَلَيْضَمِنَّ" يرجع إلى القسم في قوله "فَأَقْمُ ۡبِيْنَ ۗ ۚ (الشعرى: 10)
الْجُوُرِّ".
فَقَالَ تَعَالَى: "قَمِ ۡبِيْنَ ۗ (الشعرى: 10) اللام للتوكيد، "لَوْ تَلْعَمِّنَّ عَظِيمَةِ ۗ (الشعرى: 10)
في قولنا هذا القسم الذي
أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظيمه لعظمتهم القسم عليه.
"وَلَيْضَمِنَّ ۗ (الشعرى: 10) هذَا هِجَابَ الْقُرْآنِ۔ [الغياث: 10]، ولا يقل إن هذا القرآن الكريم تفعيلاً وتفخياً لشيء
القرآن الكريم، وإشارة إلى رفعه مكانته، وهو منزلته، كأنه قال: إنه القرآن الذي من
شيء كذا وكذا، ويستعمل كذا وكذا، ويدل إلى كذا، إلخ.
وعود الضمير على أمر لا يتقدم ذكره، وإنها لشجرته ووضح المعنى عليه وارد في
القرآن الكريم، كقوله تعالى: {حَتَّى نَزَّلَتْ إِلَيْهِمُ الْمَعْجِزُ بِالْأَقْرَمِ} [ص: 232، أي: الشمس ولم يسبق لها ذكر).
والقرآن: هو كلام الله عز وجل المنزل على رسوله ﷺ المعبد بتلاوته والعمل به المعجز بأقصر سورة منه.
ومعنى { Açرَمُ} أي: عظيم كثير الخير جمل النفع؛ لما اشتمل عليه من بيان الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والعلم والحكمة، والهدية لكل خير، لمن تدبى أفاظه ومعانيه وأحكامه، كنا قال عز وجل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي إِلَى الْحَكِيمَةِ} [الإسراء: 9].
وهو أيضًا كريم على الله عز وجل كريم عز وجل وعظمه لأنه كلامه.
وهو كريم في ثوابه: الخرف منه بحسنات والحسنة بعشر أمثالها كما قال: {مَنْ قَرأ حرفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى فِي حَسَنَةٍ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِهِ} [الإسراء: 27].
ألف حرف ولام حرف، وميم حرف(1).
وجوه الارتباط بين المسمى به والمقسم عليه واضح على قول بأن المراد ب مواقع النجوم: مواقع نزول القرآن منجيا في ثلاث وعشرين سنة فلمظة القرآن وما فيه من الهدية والخير الكثير جاء تنجمه طوال هذه الفترة.
أما على القول بأن المراد بالنجوم الأفلاك فوجه المناسبة بينها ما ذكره ابن القيم(2) بقوله: {المتناسية بين ذكر النجوم في المسمى، وبين المقسم عليه، وهو القرآن الكريم من وجوه: أحدها: أن النجوم جعلتها الله يهدى بها في ظلال البر والبحر، وآيات القرآن يهدي بها في ظلالات الجهل والغيب، تلك هداية في الظلالات الخنسية، وآيات القرآن في الظلالات المنوية، فجمع بين الهداية، مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن. والنجوم آياته المشهودة المعينة، والقرآن آياته المثنوية السمعية، مع ما في موقعها عند الغروب من العبارة والدلالة على آياته.

(1) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، 2915، والدارمي في فضائل القرآن، 3315، من حديث

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب".

(2) أنظر: "بائع التفسير" 2/359.
سورة الواقعة، الآيات: 75 - 82

القرآنية، ومواقعها عند النزول.

وفي كتاب مكون، أي: في كتاب مكون، معظم موقع، محفوظ بحفظ الله عز وجل كما قال عز وجل عن القرآن: 

إِنَّكَ تَكْرِمُ الْذَّكْرُ وَتَأْغَرُّ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿[الحجرة: 9]﴾.

وแตกت من الرِّكَاب بالكتاب المكون في الآية، فذهب جهور المفسرين إلى أن الرِّكاب بالكتاب المكون: اللوح المحفوظ، واتخاذه ابن تيمية وقال: "هو اللوح المحفوظ لا يمسه إلا المطهرون من الملائكة".

وقيل مراد به المصدر لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث أو من الشرك.

وقيل مراد به المصدر التي بأيدي الملائكة، كما في قوله تعالى: في صُحِّيّ تَكْرَمُونَ ﴿[ال בו: 13-16]﴾.

لا يَمُسُّهُمْ إِلَّا الْمُطَّهِّرُونَ ﴿(لا) نافية أي: لا يمس هذا الكتاب المكون إلا المطهرون، وهم الملائكة، الذين طهروهم الله من الأرجاس والأنجايس الخمسة والمعنى.

كما قال تعالى: لا يُعْصَوْنَ ابِنَ آدمٍ أَمْرُهُمْ وَيَقُولُونَ مَا يَأْمُرُونَ ﴿[التحريم: 8]﴾.

واكتفى بذكر الصفة، وهي "المطهرون" عن ذكر المصدر، وهم الملائكة إشارة إلى كمال طهارتهم وسلاطنتهم من النجاسات كلها.

وقد اختار ابن القيم القول بأن المراد بالكتاب المكون: الصحف التي بأيدي الملائكة، وقال (1): "ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: لا يَمُسُّهُمْ إِلَّا الْمُطَّهِّرُونَ"، فهذا يدل على أنه في أيديهم بمسكونه، وهذا هو الصحيح في معنى الآية.

وقد رجح ابن القيم (2) هذا القول من عشرة ووجه، منها: أن الآية سبقت تنزها للقرآن أن تنزل به الشياطين، وأن خلاف لا يصل إليه فرميه إلا المطهرون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلْتَ إِلَّا مَثَلًا لِّلْعِبَارَةِ ﴿[الشعراء: 210]﴾.

ومنها: أن السورة مكية والاعتناء في السور المكية إنها هو بأصول الدين من تقرير

(1) انظر: "شرح العمة" ص 385- 386، "مجموع الفتاوى" ص 265- 267، 267.

(2) انظر: "البيان في أقسام القرآن" ص 140- 143.

(3) انظر "بدائع التفسير" ص 366- 367، 376- 377.
التوحيد والمعاداة النبوة، وأما تقرير الأحكام والشرعائع فمهما من السور المدنية.

ومنها: أن القرآن لم يكن في مصحف عند نزول هذه الآية، ولا في حياة رسول الله ﷺ، وإنما جمع المصحف في خلافة أبي بكر. وهذا - إن جاز أن يكون باعتبار ما يأتي - فالأظهر أنه إشعار بالواقع حال الإخبار يوضوحه.

الوجه الرابع، وهو قوله: "في كنتي مكتون" والمكنون: المصون المستور عن الأعين، الذي لا تناه أيدي البشر.


الوجه السابع: قوله: "لأيّش لي إلا المطهرون؟"، بالرفع فهذا خبر لفظًا ومعني، ولو كان نهيًا لكان مفتوحاً، ومن حمل الآية على النهي احتاج إلى صرف الخبر عن ظاهره، إلى معنى النهي، والأصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته، وليس هنالك موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر إلى النهي.

الوجه الثامن: أنه قال: "ألا المطهرون؟"، ولم يقل "إلا المتطهرين"، ولو أراد به من المحدث من مسّه لقال: "إلا المتطهرين"، كما قال تعالى: "إنه الله يجيب النّاريين ويجيب المتطهرين".[البقرة: 222].

وفي الحديث: "للهم إجعلني من التوابين وأجعلني من المتطهرين". فالمتطهر فاعل التطهير، والملطر الذي طهره غيره، فالمتوضئ متطهر، والملاقكة مطهر.

وقال السعدي: "في كنتي مكتون" أي: مستور عن أعين الخلق، وهذا الكتاب.

(1) أخرجره الترمذي في الطهارة، ما بعد الوضوء، من حديث عمر بن الخطاب: رضي الله عنه، وقال في إسناده اضطراب.

(2) في "تفسير الكريم الرحمن" 7/275-276.
المكتنون هو اللوح المحفوظ أي: إن هذا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ، معظم عند
الله، وعند ملائكته في الملأ الأعلى.
وحتل أن المراد بالكتاب المكتنون، هو الكتاب الذي بأيدي الملائكة، الذين ينزلهم
الله لوحيه ورسالتاه، وأن المراد بذلك، أنه مستور عن الشياطين، لا قدرة لهم على تغييره،
ولا الزيادة والنقص منه واستراقه».
أما عن قول: إن المراد بالكتاب في الآية المصحف الذي بأيدينا فقالوا: إن قوله »لَا
يمسَّهُ إِلَّا إِلَّامَظَهُورُونَ» وإن كان جملة خبرية، فمعناه الطلب والنهي، أي: لا ينبغي أن
يمس المصحف إلا المظهرون.
وأما استدل به على وجوب الطهارة لمس المصحف، وبعد من أقوى الأدلة ما جاء
في كتاب الرسول ﷺ لعمرو بن حزم لما بعثه إلى اليمن: »وأن لا يمس القرآن إلا
طاهرًا«(١).
قال ابن كثير: (٢): »وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري، قال: قرأت في
صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن رسول الله ﷺ قال: »ولا يمس
القرآن إلا طاهر«.
قال ابن كثير: (وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، مثل هذا ينبغي
الأخذ به، وقد أسنداد الدارقطني عن عمرو بن حزم، وعبد الله بن عمر، وعثمان بن أبي
العاصي، وفي إسناد كل منها نظر«.
قال ابن عبد البر في (الاستذكار): (٣): »كتاب عمرو بن حزم هذا تلقاه العلماء

(١) أخرجه مالك في الموطأ- الأمر بالوضوء من مس القرآن »تنوير الحوالك« 1/199، 157/1،
وعبد الرزاق في »المصنف« 1/341، وأبو داود في »مراسيله« 12166، والحاكم في المستدرك
1/395، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن حيان في صحيحه رقم 893. قال الإمام أحمد: »أرجو أن يكون
صححًا« وقال: »لا أشك أن النبي ﷺ كتبه: انتظر: »تلخيص الخبر« 1/141، »بديع التفسير"
1057/1366، 11/8/22.
(٢) في »تفسيره« 1/11.
(٣) في »تفسيره« 1/24.
بالقبول والعمل، وهو عندهم أشهر وأظهر من الإسناد الواحد المتصل، وأجمع فقهاء الأمصار، الذين تدور عليهم الفتوى وعلى أصحابهم بأن المصدر لا يمسه إلا طاهر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو خائفة أن يناله العدو" (1).

فمس المصحف لا يجوز إلا من كان طاهرًا طهارة معنوية من الشرك والكفر، وكونه مسلمًا، وطهارة حسية من التناجس والحديث الأكبر والأصغر، وهو قول الأئمة الأربعة، والفقهاء السبعة، وجهور أهل العلم.

بل قد استدل بعض أهل العلم بقوله: "لا يمسه إلا المطهرون" وإن كان المراد به الصحف التي في السيا، استدل به على عدم جواز مس المصحف الذي يأدينا إلا على طهارة.

قال ابن القيم (2): "وسمعت شيخ الإسلام يقرر الاستدلال بالآية على أن المصدر لا يمسه المحدث بوجه آخر، فقال: هذا من باب التنبيه والإشارة، إذا كانت الصحف التي في السيا لا يمسها إلا المطهرون، فذلك الصحف التي يأدينا من القرآن لا ينبغي أن يمسها إلا طاهر، والحديث مشتق من هذه الآية" يعني حديث "وأن لا يمس القرآن إلا طاهرًا".

وقال ابن تيمية (3) أيضاً: "مذاهب الأئمة الأربعة أنه لا يمس القرآن إلا طاهر".

وهكذا قال ابن القيم (4): "الآية دالة بأحسن الدلالة على أنه لا يمس المصدر إلا طاهر".

وأما قراءة القرآن من غير المصحف، فلا يمنع منها إلا الجانب لما روى: "أنه لم" (1).

(1) أخرجه البخاري في الجهاد 2990، ومسلم في الإمارة 1869، وأبو داود في الجهاد 2710، وابن ماجه في الجهاد 2879.

(2) انظر: "بديع التفسير" 4/ 42365، 3773.

(3) في "الفتاوى الكبرى" 1/ 56.

(4) انظر: "بديع التفسير" 4/ 3275.
يَكَن يَمْنِعْ شَيْءٍ مِّن قِرَآٰءَةِ الْقُرَآَنِ إِلاَّ الْجِنَّاتِنَۚ وَلِلْمَلََّاهِيْنِ مَظَاهِرُ الْقُرَآَنِ مِن غَيْرِ المَسْحُفِ، وَبِخَاصَةٍ إِذَا احْتَاجَتِ إِلَى ذَلِكَ كَأَنْ تَخَافَ ضَيَاَبِ حَفْظُهَا وَنَحْوُ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ لَا عَنْدَ مَهَابِجَةٍ أَنْ تَقْرُأْ بِالمَسْحُفِ وَمَسْكَهُ مِنْ وَرَاءِ حَلَالٍ كَانَ تَنْتَهِكَ الْقُرَآَنَ الْكَرِيمَ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ الْقِيمِ فِي كِلَامِهِ عَلَى الْآيَةِ: *(أَلَّا يَمْسَكُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ)*: "وُدْلَتُ الْآيَةُ بِإِشَارَتِهَا وِيَاتِهَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَذْرَكَ مِنْهَا وَلَا يَفْهَمُهَا إِلاَّ الْقُلُوبُ الْطَّاهِرَةُ وَحِرَامٌ عَلَى الْقُلُوبِ الْمَلِوثَةُ بِنِجَاسَةِ الْبُدعِ وَالمَخَالِفَاتِ أَنْ يَتَالَ مِنْهَا، وَأَنْ يَفْهَمُهَا كَيْ يُنْبِغِي. قَالَ الْبَخَارِي فِي صَحِيحِهِ: *(فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَا يَجِدُ طَمِعُهُ إِلَّا مِنْ أَمْنٍ بِهِ)*.

أَيْ: "إِنِّي نَقُولُنَّ رَبَّ الْبَلَائِنِ"، أَيْ: إِنَّ هَذَا الْقُرَآَنُ الْكَرِيمُ مَنْزِلٌ مِنْ رَبِّ الْبَلَائِنِ، فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْزِلٌ غَيْرِ مَخْلُوقٍ، وَلِيَسْ بَسْحَرُ وَلَا شَعْرُ، وَلَا كَهَانَةٌ، وَلَا تَقْوِهِ الرَّسُولُ ﷺ كَأَيْنَ يُقْوِلُ الْمَبَطُولُونَ، بِلْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ.

وَرَبِ الْعَالَمِينَ: خَالِقُهُمْ وَمَالِكُهُمْ وَالمَعِرِّفُ فِيهِمْ، وَمِنْ رَبِّيَّةِهِمْ لَا يَتَرَكُّهُمْ هَمُّهُ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ الْكِتَابَ بِالْأَمْرِ وَالْنَّهَىٰ لِيَشْهَبَ المَطْعِمُ مِنْهُمْ وَيُعَافِقُ الْعَاصِرِ.

أَفِيدَّكُمُ الْإِنْكارُ أَنْ تَذْهَبَنَّ؟ الاِسْتِفْهَامُ لِلِّإِنْكارِ وَالْتَوْحِيدِ وَالتَّقْرِيبِ.

وَالْمَرْدِبُ بِالْتَّقْرِبِ الْقُرَآَنِ الْكَرِيمِ.

وَمَعْنَى: *(أَنْ تَذْهَبَنَّ)*: أَيْ: مُتَهَوَّلُونَ مُكِّذِبُونَ، أَوْ تَرِيدُونَ الْمَدَاحِيْنَةَ وَالْمَدَادَةَ وَالْمَالِيْنَةَ في ذَلِكَ مَعَ أَنْكُمْ مُكِّذِبُونَ لَهُ وَمَعْرِفَ بِهِ.

قَالَ الْطَّرِيْبِ: *(أَفِيدَّكُمُ الْإِنْكارُ أَنْ تَذْهَبَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَكَّيْنِ، فَمَالِأَةَ مَنْكِبِيْنَ عَلَى الْتَكْذِيبِ بِهِ وَالْكَفْرِ)*.

(1) أَخْرِجهُ أَبُو داَوُودُ فِي الْطَهَّاَرَةِ ٢٤٩، وَالْبَنِيَّةَ فِي الْطَهَّاَرَةِ ٢٦٥، وَالْبَرَّمُدِي فِي الْطَهَّاَرَةِ ١٤٦٨، وَابْنُ مَاجِهَ فِي الْطَهَّاَرَةِ ٥٩٤، مِنْ حَدِيثِ عِلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) فِي كِتَابِ الْتَوْحِيدِ - بَابٌ قُوَّلَتْ لَهُ بَابُ الْقُوَّالِبِ: *(فَأَنْفُضُواَ وَأَلْتَهَوَّلُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ فَأَنْفُضُواَ F) F تَوْحِيدٌ قَلِيلٌ*.

(3) فِي «جَامِعِ الْبَيْانِ» ٢٢/٣٦٧.
وقال ابن القيم (1): «والذة إذنا تكون في باطل قوي لا يمكن إزالته، أو في حق
ضيفئ لا يمكن إقامتها، فيحتاج المذاهب إلى أنه يترك بعض الحق ويلزم بعض الباطل،
فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به.»

وأَمَّا فِي حَدِيثْ١ التَّجْرِيَّةُ ﴿وَتَعْلَمُونَ رَقَضَكِمْ أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: «مطر الناس
على عهد النبي ﴿فَذَا نَبِي﴾: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر» قالوا: هذه
رحمة، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. فنزلت هذه الآية ﴿فَاَلَّذِينَ يَبْذِرُونَ الرَّجْهَةِ﴾
حتى بلغ ﴿وَيَتَعْلَمُونَ رَقَضَكِمْ أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ (2).

وأَمَّا فِي حَدِيثْ٠ التَّجْرِيَّةُ هنا من جعل بمعنى: «صيّر» تنصب مفعولين الأول: قوله (رزقكم)
والمؤلف: المصدر المؤلف من قوله ﴿أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ أي: وَيَتَعْلَمُونَ رَقَضَكِمْ تَكْذِبُونَ أي:
حظكم منه التكذيب به.

و(الرزق) هو العطاء من المطر وغيره.

والمعنى هنا: وتجلعون سبب رزقكم أنكم تكذبون أي: ننسوب الرزق من المطر
غيره إلى غير الله مسبب الأسباب سبحانه، وذلك بتنبئكم المطر إلى الأئواء، وقولكم:
«مطرنا بنوء كذا وكذاً.»

أو تجعلون شكركم لله على هذا الرزق أنكم تكذبون فننسوب النعمة والرزق من
المطر وغيره إلى غير مسديها وهو الله عز وجل، فتكتذبون بدلاً من الشكر.

وقد رُوِيَ عن علي رضي الله عنه أنه قال: «وتجلعون شكركم أنكم تكذبون» (3).

فهَمْ نَسِبُوا النَّعْمَةِ إِلَى غِيرِ مسِديَّةِهَا، فنَسِبُوا الأسباب سبحانه وتعالى، وبدل
أن يشكون هذه النعمة كفرواها.

وأَنَّ زِيدَ بْنَ خَالِدَ الجَهَنِي رَضَي الله عنه قال: صلى بما رسول الله ﷺ - صلاة
الصبح بالهديبية في آخر شهاء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل

---

(2) أخرجه مسلم في الآيتان 371، والواحدي في «أسباب النزول» 270.
(3) أخرجه الطبري في «جامع البيان» 22/ 371.
سورة الواقعة، الآيات: 82 - 88

تدرون ماذا قال ربك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطربا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالله. وأما من قال: مطربا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالله»(1).

واعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ننزل الله من الساء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الغيث، فيقولون: بكوكب كذا وكذا(2)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين، ثم قال: «وهلمون رفيقا أنكم تكذبون» فيقول قائل: مطربا بنوء كذا وكذا(3).

ووزوًى عن الحسن قال في معيه قوله: «وهلمون رفيقا أنكم تكذبون»: «بنس ما أخذ قوم لأنفسهم، لم يرزوا من كتاب الله إلا التكذيب به»(4).

أي: وجعلون حظكم ونصبكم من كتاب الله أنكم تكذبون به.

وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن الرزق نوعان: رزق بحياة القلوب، وهو الإيمان، ورزق بحياة الأبدان، وهو الطعام والشراب.


كما أن كثيرا من الناس ينسون الرزق إلى الأسباب المادية فقط وينسون مسبب الأسباب، ومسدي هذه الأرزاق، وهو الله عز وجل.

(1) أخرجه البخاري في الآذان 846، ومسلم في الإيبان - باب كفر من قال: مطربا بنوء 171، وأبو داود في الطي باب في النجوم 3906، والنسائي في الاستماع - كراهية الاستمطاب بالنجوم 1525.
(2) أخرجه مسلم في الإيبان 42، والنسائي في الاستماع 1524.
(3) أخرجه الطبري في جامع البيان 2/372.
فالأولون إذا أصابهم المطر قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا بدل أن يقولوا: مطرنا بفضل الله ورحمته، والآخرون اليوم ينسبون المطر إلى المنخفضات الجوية. وهكذا إذا حصل لكثير منهم شيء من الخير، من مال أو تسير عمل، أو شفاء من مرض ونحو ذلك ينسب هذا الفضل والخير للأسابيع المادية فقط.

ولا شك أن هذا من كفر النعم، وقد قال الله عز وجل: "وَمَا يَكْمِلُ مِنْ يَمِينَ مَنْ يَنْفَعْ فِيْنَ آلَّةٍ" [المحل: 33]، وقال تعالى: "وَأُولَٰئِكَ لَا يُضِلُّهُمْ إِلَّا نُوحُىُّ اللَّهُ مَعْنَىٰ أَنَّهُمْ لا تُضَلُّونَ" [البقرة: 44، النحل: 34].

وهذا ترى كثيرا من الناس عندما تكون له حاجة، كأن يتعسر عليه سبب الرزق والعمل، أو يصاب بمرض ونحو ذلك تراه يتجه رأسا للأسابيع المادية، ويغلب عن التوجه إلى مسبب الأسابيع وهو الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل: "وَسَكََّلَؤَلَا اللَّهُ يَنْفَعُ فِيْنَ آلَّةٍ" [النساء: 27].

فألباؤي النور في كل حاجاتك الدينية والدنيوية إلى من بيد الخير والفضل كله، وإلي مسدي جميع النعم ودافع النعم، وموجب الأسابيع ومسبيباتها، واساله من فضله وأجعل الأسابيع، وأبشر بالخير إن شاء الله.

الفوائد والأحكام:

١- إقامة الله عز وجل - بمواقيت النجوم على عظمة القرآن، وأنه قرآن كريم فيه الهدية والخير لكل الحبار لقوله تعالى: "فَلَا أَقِيمُ مَّيْوَاتِ الْجَوْرِ" [القرآن: ٢٥، والنحل: ٥١].

٢- تعليم الله عز وجل - مواقع غروب الكواكب وسقوطها ومواقع نزول القرآن وأوقاتها لأنه - عز وجل: أقسم بها - وفي ذلك تعليم لنفسه - عز وجل - لقوله تعالى: "فَلَا أَقِيمُ مَّيْوَاتِ الْجَوْرِ".

٣- عظم هذا القسم والقسم به؛ لأنه قسم من العظيم سيحانه و تعالى بآياته الكونية ومواقع وأوقات نزولات آياته الشرعية على عظمة ووجه القرآن الكريم وكره خيره ونفعه ورفعة مكانته وعلو منزلته؛ لقوله تعالى: "وَأَنَّهُ لَقُسُّمُوا عَظِيمًا - إِنَّهُ اللَّهُ كَrüْبٴإِنَّهُ " [الله: ٩٢].

٤- أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله عز وجل - باللوح المحفوظ وبالصحف.
التي بأيدي الملائكة، كما أن المصحف محفوظ بحفظه عز وجل؛ لقوله تعالى:

"في كتبكم أنك تكتبون".

5- أن هذا الكتاب المكنون لا يمسه في الملا الأعلى إلا المطهرون وهم الملائكة الذين طهرهم الله حسناً ومعنوياً؛ لقوله تعالى: "لا يتساءل إلا المطهرون".

6- أن المصحف لا يجوز أن يمسه إلا من كان مسلماً متطهراً من الحدث الأكبر والأصغر.

7- أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق؛ لقوله تعالى: "نزيل من ربي الكليمين".

8- إثبات علو الله عز وجل - على خلقه وربوبيته العامة لمهم جمعاً.

9- الإعصار على المشركين والمكذبين للقرآن الكريم في تكذيبهم بالقرآن ومداهمتهم به؛ لقوله تعالى: "أأنتم الكذبون الذين تزعمون أنتم تشهرون".

10- إثبات أن المطر والرزق من الله عز وجل والإنكار على المشركين وغيرهم ممن ينسبون الرزق إلى غير الله ويكفرون بنعم الله عز وجل؛ لقوله تعالى: "وَيَعْلَمُونَ رَقَمَكُمْ أَنَّكُمْ نَكْذِبُونَ".
قال الله تعالى: «فَلَوَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْخَلْقُ وَأَنْتَ جَاعِلُ النُّطِيرِ» ١٥ وَمَا أَقَرَّبَ إِلَيْهِ يَنُكُّمُ، ولكن لا تَبْصِرُونَ ٦٨ فَلَوَلَّا إِذَا كَبَّرَ عِيدُ مَدِينَةٍ ٦٩ تَجَهَّزَبْنَا إِن كُنْمِ صَدِيقٍ ٧٠ قَمَا إِنْ كَانَ مِنْ الأَفْقِرِينَ ٧١ فَرَجُحْ وَرَضِيطَ وَحِينَ تَحْيَى ٧٢ وَأَفَأْنَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبَيْتِينَ ٧٣ فَلَدَّا أَنْ كَانَ مِنْ أَسْحَاطِ السَّهْلِينَ ٧٤ فَرَجُحْ مِنْ جَمِيعِ ١٩ وَتَصَلَّى مِنْ جَمِيعِ ٧٥ إِنَّ هَذَا لُمْ يَخْلُقَ الْيَوْمُ ٧٦ ٦٧ وَأَشْتَرِبْكَ الْقُطْعِ ١٣.

ذكر الله عز وجل في أول السورة أقسام الناس إلى ثلاثة أقسام: السابقون المقربون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشياو، وأحواهم وما أعده لكل منهم من الجزاء، ثم ختم السورة بذكر احترار كل منهم وأحواهم في ذلك.


[القياسة:٦٦-٣٠]}

وَأَنْتُ جِيَّدُ نُطِيرٍ ١٥ الواو: حالية، أي: وأنت في هذه الحال تنظر إلى المحتضر، وما يكابده من سكرات الموت، ولا تملكون من الأمر شيئاً.

وَمَا أَقَرَّبَ إِلَيْهِ يَنُكُّمُ ١٩ أي: إنه عز وجل أقرب إلى هذا المحتضر بملامته وجنده.

وقوله: «بَلَغَتِ» خطاب لأهل المحتضر، فهو عز وجل أقرب إليه بملامته من أهله الذين هم أمامه وعن يمينه وشماله، قال تعالى: «فَحَلَّ إِذَا جَهَّزَ أَحْدَمُ الْمَوْئُوهُ تَوَتَّمْهُ» [ال أيمن:١١]]

ويلكن لا تَبْصِرُونَ، أي: ولكن لا نرون ملائكتنا.
قال الطبري (1): « يقول: رسولنا الذين يقضون روحه أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرهم». 

وقال ابن تيمية (2): « قالراد قربه إليه بالملاكية، وهذا هو المعروف عن النفسين المتقدمين من السلف، قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله، ولكن لا تبصرون بالملاكية ».

وقال ابن القيم (3): « ملاكية الرب تعالى أقرب إلى المحتضر من حاضره من الإنسان، ولكنهم لا يبصرون بهم ».


فقوله إنكم تتمنون غالبية النداء: استثنافيا واللولا كسابقتها حرف تخصيص.

وقال السعدی (5): « ونحن أقرب إليه منكم بعلمنا وبلغانكنا ».


(الانفرار: 15-19)

وتم إنهجته هذا هو جواب اللولا الأولى والثانية، أي: ترجعون وتزودون هذه الروح التي بلغت الخلقوم وخرجت أو كادت أن تخرج إلى مقرها من الجسد.

(1) في «جامع البيان» 22/3، 273.
(2) في «شرح حديث النزول» ص 12
(3) انظر: «بديع التفسير» 4/1.
(4) في «تفسيره» 5/25، 278.
(5) في «تفسير الكريم الرحمن» 7/278.
في هذا إنزال هم بالإقرار والاعتراف بالعجز عن رد الروح إلى جسدها، وبالتالي إنزالهم بالإقرار والاعتراف بأنهم مدينون بأعمالهم مربوبون مملكون لرب قادر متصرف فيهم قاهر أمر نأى، وهذا يوجب عليهم القيام بوجهه سبحانه وتعزيه واجلاله، وأن لا يشركون معه أحدًا في عبادته، فليس بعد هذا الاستناد إلا الإذعان والانقياد أو الكفر والعناية وهذا هو الحاصل منهم.

قال ابن المقيم (1): "فضمت الديانة تقريرًا وتوبيخًا، واستدلالًا على أصول الديانة من وجود الحال الخالق سبحانه، وكحال قدرته، ونفوذ مشيئته، وربوبيته، وصيرته في أرواح عباده، حيث لا يقدرون على التصرف فيها بشيء، وأن أرواحهم ببدءها، يذهب بها إذا شاء، ويردها إليه إذا شاء، وإثبات المعاد، وصدق رسوله فيها أخير به عنده، وإنثاب ملائكته وتحرير عبودية الخلق.

أي: (فأذا) إن كان المحترض من المقربين الذين وصفهم الله في أول السورة بقوله: "(فأنا أكن به من المقربين) الفاء: عاطفة، وأما: حرف شرط وتفصيل.

قال ابن كثير (2): "وهؤلاء الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات" أي: فضول المباحات.

(فقيمة ورحبان وتحديث تبشير) الفاء رابطة جواب الشرط، أي: فقلمهم "روح وريحان وجينة نعيم" تبشره بذلك ملائكة الرحمة تقول عند قضي روح المؤمن: "أبشر بروح وريحان ورب غيور غضبان" (3).

(1) أنظر: "بداائع التفسير" 4/272.
(2) في "تفسير" 8/26.
(3) أخرجوا ابن ماجه في الزهد 4/262. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قرأ عقبه: "فرُوح بضم الراة، وقرأ الباقون بفتحها: فَرُوح«، أي: فرح وسرور وإبتهاج ورحمة، وراحة ومستشفى في الجنة من الدنيا وعيانها ونكدها وكيدها ونصبها، لان الدنيا كا جاء في الحديث: "سجَن المؤمن وَجَنَةَ الكافِر". 1

وَهَذَا تَقُول الْنَّاس الصالحة إذا حملها الرجال على أعقابهم: "قدموني قدموني" 2.

ومرت برسول الله ﷺ جنزة فقال: "مستريح ومستراح منه" فقالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: "العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاه إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلد والشجر والدواب". 3

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "أصروا بالجنازة فإن تك صالح فخيرة تقدمونها إليه، وإن تلك سوى ذلك فشل تضعونه عن رقبكم" 4.

وقَرَّطُان: رزق وعطاوة ورخاء من المأكل والمشرب والملبس والفرش والأرواح وغير ذلك، ومنه ريجان عَرْفُ الجَنَّة وطبيها الذي يوجد من مسيرة ألف عام.

وَحَرَّضُتْ قَبْرٌ أي: ومسكنهم جنة فيها جميع ألوان النعيم، وأصنافها مع السلامه من جميع النغصات.

وقد يكون هذا من عطف العام على الخاشع. فجمع الله هم بين "الروح" وهو نعيم المعنوي نعيم القلب، وبين "الريحان" وهو الرزق والعطاء، وهو النعيم الحسي نعيم البدن ومسكن الواعي الفسيح الذي فيه ألوان النعيم، وهي الجنة. قال ابن القيم: "فالروح: الفرح والسرور، والابتهاج ولذة الروح، فهي كلمة...

---

1 حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
2 أخرج البخاري في الجامع 1314، والنسياني في الجامع 1906 من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
3 أخرج البخاري في الرقائق 1519، ومسلم في الجامع 1256، والنسياني في الجامع 115، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.
4 أخرج البخاري في الجامع 1415، ومسلم في الجامع 1444، وأبو داود في الجامع 3181، والنسائي في الجامع 1472، والترتيبي في الجامع 115، وابن جありがとう في الجامع 273.
5 انظر: "بدران التفسير" 4/273.
جامعة لتعيم الروح ولذتها، وذلك قوتها وغذاؤها. والريحان: الرزق، وهو الأكل والشرب. والجنة: المسكن الجمع لذلك كله، فبعثون هذه الثلاث في البرزخ، وفي المعاد الثاني.

وقال ابن كثير (1) بعدما ذكر هذه الأقوال في معنى قوله في۶۴۰ و۶۴۱: "وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربًا حقه نصيبه من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسهر والرزق الحسن (وفجّرتُ نيفهَ)." عن أم هاني رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ أن تذكر إذا متنا، ويرى بعضنا بعضًا، فقال رسول الله ﷺ: "تكون النسم (2) طيرًا يعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها" (3).

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إذا نسمه المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم بيعته" (4).

وعن عبد الله بن مُرَّة عن مسروق قال: سألت عبد الله عن هذه الآية: "ولا تحسبنَ آلَّاهُ غيرنا آلَةً أُمِّيَّةً" [آل عمران: 169] قال: "أما إذا قد سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر له قناديل معلقة بالعرض تسحر من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل، فطلق إليهم بفهم اطلاعة، فقال: هل تشهرون شيءًا؟ قالوا: أي شيء نتشهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلإ رأوا أنهم لن يتركون من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فإننا رأى أن ليس لهم حاجة تركونا" (5).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليل عن مسلم السبتي ﷺ يقول: "من أحب لقاء الله أحب.

(1) في "تفسيره" 8/۲۶.
(2) النسم: الروح.
(3) أخرجه أحمد 6/424–425.
(4) أخرجه أحمد 3/405.
(5) أخرجه مسلم في الإمارة 1887، والترمذي في التفسير 3011، وابن ماجه في الجهاد 1801.
سورة الواقعة، الآيات: 86-96

الله لقاءه ومن كره لقاءه كره الله لقاءه قال فأحب الناس يكون فقال: ما يكيكم؟ فقالوا: إذا نكره الموت. قال: ليس ذاك، ولكنه إذا خَضَرَ فَكَبَرْتُ وَزَجَّرْتُ وَجَبَتْ زِيَادَةً وإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل، والله عز وجل لقانه أحب وأما إن كان من المكذبين الصالحين. إذا بشر بذلك كره لقاء الله عز وجل واللتين للقائيه أكثره (1).

ويشهد هذا حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يا نبي الله، أكره الموت، فكنا نكره الموت فقال ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمه الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعداب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه (2).

وأما إن كان من أصحاب أبي عبيدة والو: استنافية، أي: وأما إن كان المحترض من أصحاب أبي عبيدة الذين قال الله عز وجل في أول السورة: «وأصحاب أبي عبيدة أصحاب أبي عبيدة» (3).

قال السعدي (3): «وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحارمات، وإن حصل منهم بعض التنوير في بعض الحقوق التي لا تقل بإيابهم وتوجيههم»، فسُنت أن أصحاب أبي عبيدة، أي: فلك السلامة من عذاب الله ومن الشرور والآفات.

قال ابن القيم (4): «وأما كانوا دون المقربين في المرتبة جعل تحيتهم عند القدمين عليه».

(1) أخرجه أحمد 4/260-261.
(2) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، وتوبة 268.
(3) وأخرجه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه البخاري في الرقاق 260، ومسلم في الذكر - من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه 263، والسناوي في الجنائز 1837، 1837، والترمذي في الجنائز 1866.
(4) وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 2685، ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه 2686.
(5) في تيسير الكريم الرحمن 7/280.
السلامة من الآفات والشرور التي تخص للمكذبين الضالين.


ولكن الأية تضمنت ذكر مراتب الناس، وأقسامهم عند القيامة الصغرى، حال القدوم على الله، فذكروا أنهم ثلاثة أقسام: مقرب له الروح والريحان و ghếة النعيم، ومقتصد من أصحاب اليمين له السلمة فواعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنية والفوز، وإن كان كل منها ساملاً غالبًا، وظام يتكونه وضلاله فأعدوه ينزل من جحيم وصلة جحيم، فلما لم يكن المقام مقام نحية وإنما هو مقام إخبار ذكر ما يحصل له من السلمة.


وقبل: »سَلَّمَ اللَّهُ« أي: فمسلم لك أنك من أصحاب اليمين.

وأما إن كان من المكذبين الضالين، أي: وأما إن كان المحترض من المكذبين للحق، الضالين عن الهدى، وعن الطريق المستقيم، وهم أصحاب الشغال الذين قال الله عنهم في أول السورة: »أَمَّا تَأْتِي الْيَتَّجَالُ ما أَحْسَبُ أَنْ تَنْتَشَلَّ [الواقعة: 41].


فقال: »بِمَن جَيْبِهِ، أي: من شراب في غاية الحرارة، كما قال تعالى: »يُصَرُّحُ بِهِ مَا في بَطَنِهِمْ وَمَا فِى أَفْوَاهِهِمْ [الحج: 203].

(1) انظر: »بداائع التفسير« 4/279.
(2) في التفسير: 8/27.
سورة الواقعة، الآيات: 23-24

«وَقَضِّيَاهُم بِهِمْ»، أي: وإدخاله في مستقره وسط الجحيم تصلاته وتغمره من جميع جهاته.

والجحيم: اسم من أسماء النار اسميتها به، لشدة تأججها وتوقدتها وحرتها.

«إِنَّ هَذَا»، أي: إن هذا الخبر وهو بعث الناس ونجاتهم كله منهم بما عمل.

«فَقُولوا لِلّذينَ آتَيْنَهُمُ اللَّاهُ الْبَلاَمَ»، اللام: للتوثيق، أي: هو الحق المتقن الذي لا ريب فيه كأنه رأى عين، ولا محيده عنه.

فَسِبِّحِيْ يَا رَبِّي الْقَلْبِ الأُمَّرُ الْقَلْبِ الْمَجِيدِ»، الفا: رابطة جواب شرط مقدر، والإباء للمصاحبة، أي: فسح الله تسبيحاً مصحوباً باسمه. وقيل: إن الإباء صلة. والمعنى: فسح باسم ربك العظيم قائلًا: سبحانه وتعالى: «سَبِّحْ أَبَّاهَا الْأَعْلَى ۖ (الأعلى: 1)».


وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خففتان على اللسان تقبلتان في الميزان حينهتان إلى الرحمن: سبحان الله وحده، سبحانه وتعالى» (2).

الفوائد والأحكام:

1- أن الله - عز وجل - أقرب إلى المحترض من أهله بعلمه وإحاطته وقدرته.

وملاخكته وتفوذ مشيئته فيه؛ لقوله تعالى: «وَوُضِعَ أَقْرَبُ الرَّجُلِ الْإِيمَانِ وَلَوْلَا نُبِيُّونَ».

2- رهبة الموت، وأنه لا مفر منه، وتحذي الخلق وبخاصة المشركين المكذبين

---

(1) أخرجه أحمد 4/155، وأبو داود في الصلاة - ما يقول الرجل في ركوع وسجوده 879، وابن ماجه في إزالة الصلاة - النسيب في الركوع والسجود 887.

(2) أخرجه البخاري في الدعوات 2406، والصامد في الذكر - فضل التهليل والنسبي والدعاء 1946، والترمذي في الدعوات 4673، وابن ماجه في الأدب - فضل التسبيح 3806.
بالبعث بإرجاع الروح إلى البدن إن كانوا صادقين في زعمهم أن لا بث ولا حساب
ولا جزاء! لقوله تعالى: "فَلَوْلَا أَلْبَسْتُكُمْ اللَّهُ الْحَرَّمَةَ وَأَنْبُثِّقْتُ جَهَنْمَ تَنْظُرُونَ (8) نَحْنُ أَقْرَرْنِهِ إِلَيْهِ وَنَكُونُوا لَنَاثِرِينَ (8).

3- عظيم ما أعد الله عز وجل من التكريم من كان من المقربين من الرزق والريحان، والنعيم الحسي والمعنوي والمسكن الفسيح؛ لقوله تعالى: "فَأَلْمَا إِنَّ كَانَ مِنَ المَعْلُومِينَ (8) فَرُوحُ وَرِجَالَ وَجِبَاثُ تَبَيِّنَ (8)."

4- البشارة لأصحاب اليمين بسلامتهم من العذاب، ومن الشرور والآفات. لقوله تعالى: "وَأَلْمَا إِنَّ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (8) فَسَلَّمَنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (8)."

5- خير وسوء ما أعد للمكذبين الضالين من النزل فشرا من الحليم، وصفه جحيج: لقوله تعالى: "وَأَلْمَا إِنَّ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْضَّالِئِينَ (8) فَسُرِّخَ فِي جَمِيعٍ (8) وَتَصَلِّبَهُ (8)

6- أن بث الناس وجازة كل منهم بما عمل حق يقيني وصدق لا مزية فيه؛ لقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْقِيَمَةِ (8)."

7- مشروعة تسبيح الله عز وجل - ووجوب ذلك في الصلاة؛ لقوله تعالى: فَسِحْ بِسَمِ الْمُكْرِمِينَ (8).

8- إثبات ربوبية الله عز وجل - الخصاصة لنبيه نبأها، وإنباعة، وثبات اسمه العظيم واثبات العظمة التامة له - عز وجل؛ لقوله تعالى: فَسِحْ بِسَمِ الْمُكْرِمِينَ (8).**
تفسير سورة الحديد
سورة الحديد: المقدمة

المقدمة

أ- اسم السورة:
سميَت هذه السورة: سورة الحديد؛ لقوله تعالى فيها: "وَأَنزَلْنَا الْحَيْدَرَ فِيَوْبُسْ".

ب- مكان نزولها:
جهور المفسرين على أن سورة الحديد مدينة، وحكى بعضهم الإجماع على ذلك وقيل: مكة. والأظهر والله أعلم: أن فيها آيات مكية، وأكثرها مدني.

ج- فضها:
عن العرابض بن سارية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ السحات قبل أن يرقد، وقال: "إن فيهم آية أفضل من ألف آية" (1).

قال ابن كثير: "والآية المشار إليها في الحديث هي: والله أعلم - قوله: "هُوَ الْأَوْلِيَءُ وَالْأَكْثَرُ وَالْآخِرُ وَالْأَلْبَاتُ وَهُوَ يُكْرِهِ شَيْءٌ عَلِيمٌ،" [الحديد].

د- موضوعاتها:

1- افتتحت السورة بثنية الله تعالى عن النقاص والعيبوب، ووصفه بصفات الكمال، وبيان اختصاصه بملك السماوات والأرض، وتمام قدرته وعلمه: "سَمَّىٰ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَمِيزُ الْعَلِيمُ" إلى قوله تعالى: "يَوْلِدَ الْأَلِيْلَ فِي الْيَوْمِ وَيَوْلِدُ الْيَوْمَ الْأَرْحَامِ".

2- الأمر بالإيمان بالله ورسوله والانفاق مما استخلفوا فيه، والامتان على العباد بإزالة القرآن، والترغيب في الإنفاق في سبيل الله: "كَأَمَاتُوا بَيْنَ الْيَوْمِ وَرُسُولِ اللَّهِ وَأَنْفَقُوا مَا جَعَلْنَاهُمْ حَسَبًا فِي الْأُمَّةِ مُبَارِكِينَ" إلى قوله: "قَالُوا ذَلِكَ اللَّهُ يُفْرَضَ طَوْفَأً حَسَبًا فَصُدِّعَ مَنْ نَزَلَ".

3- وعد المؤمنين بالنور النام يوم القيامة، ومشارتهم في الجنتين والفوز العظيم.

(1) أخرج أبو داود في الأدب، ما يقال عند النوم ٥٧، والترمذي في الدعوات ٣٥٣، وأحمد ٤/١٢٨.
وقال الترمذي: "حسن غريب".
(2) في تفسير ٨/٣٥٠.
وعيد المنافقين بسوء الحال والتفريق والمصير إلى النار: "يوم ترى المؤمنين والمُؤمنات يسيرون
نورهم بين أبياتهم، ويتمسكون بألبابهم وهم جدد تحت جهاد من جميع الأذى، خادمونٍ في ذلك هو الفوز العظيم.  
يتم تجليل المتقهقرين والمتينين يذبحهم الله، آمنوا أظروا، تنوعت من نورهم قيل أرفعوا ورددوا. تقديم أسراب
ربهم يسرع بهم بأيامه، فحي النجاة، وظهره من نعمة ربيه.  
فيقوله تعالى: "ما أكون أتارهم وسائلكم وليكوتكم.  "}.

4- عتاب الله تعالى للمؤمنين، واستباط خشوع قلوبهم لذكر الله وآياته، 
وتحذيرهم من قسوة القلوب: "أن الله يذبح منا أعداءنا من أصحاب قلوبهم ليجيenger وهم مدنٍ نزل من
النور، ولا يكفوها كذبنا، أن أوتوا الكتب من قبلك فطال عليهم الأمة ففسرت قلوبهم، وكثير منهم
كفروا."  

5- بشارته عز وجل للمؤمنين بأن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على
إحياء القلوب: "أطيعوا أن يكون الأرض بعد موردها قد بنيت، لعلكم السماوات والمدن أطرف."  

6- تأكيد الترغيب في الإفطار والإيام بالله ورسله، والتحذير من الكفر 
والتكذيب: "إلى الصادقين، والمتحجزين، وأقوموا الله، فحصاً، فسحقاً لهم. ولهم أجر
كبير، وأ الذين عبادنا بالله ورساله أولئك هم الصادقين، والشهداء، عند ربيهم لهم أجورهم وورغمهم
والدبر كفراؤه وبدون نبينا أولئك أصحب المرحومب."  

7- بيان حفارة الدنيا وعظم مكانة الآخرة: "أطيعوا أن تُعيروه الذين ليبنون
وزينته وتخافه يبتسمون وتكافرون في الأموات والأولى، كذلك غيّبه أحبب الكفار بانه. ثم يجيئ فترته
مفسراً، ثم يكون خطمًا، وف هذه عداب سديد وعذاب عقابهم وهم ملحون على لحونهم، ولا عذاب أخرى إلا منع
الشريعة."  

8- الدعوة إلى المسابقة إلى مغفرة الله وجناته: "سأطيعوا إلى مغفرة من ربيك وكفر
عذابها تعرض السماوات والأرض، أعدوا البيت لذبحه، آمنوا بإله ورسليه. ذلك فضل الله، يؤمن به من يikal
والله ذو الفضل العظيم."  

9- إثبات القدر وأن الله قادر مفاد قدر كل شيء قبل براء الخليفة: "من أصابك من مصيبة
في الأرض ولا في نفسك إلا في سكينته من قبل أن تباها، إن ذلك على الله يسير."
سورة الحديد: المقدمة

لكي لا تأثروا على ما أتكم ولن تقولوا أيما أختناكم والله لا يحب الظالمين فحورُ ۚ

10- التحذير من الاختناقات وفخري والبخلي والخلي والتولي عن الحق: "وَلَوْنَ أَحَبَّ الظَّالِمِينَ فَحُورٌ".

فَخُورُ ۚ أَلَئِينَ يَبْخَلُونَ وَأَلْمُرُونَ الْجَانِّ إِلَّا الْخَالِدُونَ، وَمَن يَتَّبِعُ هَذِهِ الْأُمَيَّةَ لَيَعْلَمُهُمْ الْمَلِكُ ۖ الثُّلُثُ، وَأَلْمُرُونَ الْخَالِدُونَ.

11- الامتنان بإرسال الرسول وانزال الكتاب وبيان الحكمة من ذلك: "أَلْقَ أَرْسَالًا رَسُلاً بِالْيَسِينَ وَأَرْسَلْنَا مَعَهُ الْكِتَابَ وَالْمُرْسَالَ لِيَفْعَلُ الْمَثْنَى بِالْقَسَمِ وَأَرْسَلْنَا الْعَزِيزَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَأْتِرُونَ وَيَعْلَمُ مَا يَجُفُّونَ ۖ".

12- التذكر برسالة نوح وإبراهيم عليها السلام: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ\n
بِهِمْ فِي ذَرَّةٍ آسِيَةٍ صَبِرُوا وَالْكِتَابَ فِيهِمْ مَهَنَّةٌ وَحُكْمٌ مَّنْ فِي سَفُونِهِنَّ .".

13- حث المؤمنين على تقوى الله والإيمان برسوله ووعدهم بمضاعفة أجورهم:

رغم أنواع أهل الكتاب: "يَا قَارَئَنِي أَلْقِنَا آتٍ فَأَتَفْحِقُوا إِلَى اللَّهِ وَاصْطِبَوا يَوْمَ يُنَزِّلُنَّهُ وَيَقْتُلُنَّهُ وَيَأْتِيَنَّهُ وَيَأْتِيَنَّهُ، فَلَا يَأْتِيَنَّهُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلْقِ يَوْمِ يُقِيْنُونَ عَلَى نَيْنِ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَأَلْقِ يَوْمِ يُقِيْنُونَ عَلَى نَيْنِ فِي فَضْلِ اللَّهِ، يَأْتِيَنَّهُ أَهْلُ الْكِتَابِ يَأْتِيَنَّهُ أَلْقِ يَوْمِ يُقِيْنُونَ عَلَى نَيْنِ فِي فَضْلِ اللَّهِ وَأَلْقِ يَوْمِ يُقِيْنُونَ عَلَى نَيْنِ فِي فَضْلِ اللَّهِ".

* * *
"ما سبحة الله في السماوات والأرض وما تسمع البصيرة" [الشعرى: 11]. وتمجيدته وتعظيمه، وأن كل كمال فهو أولى به.


فجميع ما في السماوات والأرض وكل شيء يسمعه عز وجل بلسان الحال والقال إلا الكافر، فإنه يسمع الله بلسان الحال فقط، لا بلسان المقال، قال تعالى: "ألا ترى أن الله يسمع ما في السماوات وما في الأرض وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسمع البصيرة وما تسم
قال الطبري (١): يعني تعالى ذكره بقوله: «سُبْحَانَ الَّذِي مَا فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أن كل ما دونه من خلقه يسبحه; تعظيمًا له وإقرارًا بربوبته وإذاعته لطاعته.

وهُوَ الْمُرْمَرُ الْمَكْرُورُ: «العزيز»: اسم من أساليب الله عز وجل مشتق من العزة يدل على أن له عز وجُل كايل العزة بأنواعها الثلاثة: عزة الامتناع، عزة القدر والغلمة، وعزة القوة، يقال: عزّ يعزّ يفتح العين إذا قوي وصلب، وعزّ يعزّ يكسر العين إذا امتعى، وعزّ يعزّ يضمها إذا قهر وغلب.


فهو عز وجُل عزيز الامتناع فلا يمكن أن ينال جنابه سوء أو مكروه من الحلق، ولو اجتمعوا على ذلك، وهو ممتع عن كل عيب ونقص. وهو عزيز القهر والغلمة، الغالب، الذي خضع له كل شيء، الذي لا يدافع، ولا يباحث، ولا يغلب، ولا يعجز له شيء، ولا يفوهه هارب.


قال ابن القيم (٢):

(١) في "جامع البيان"، ص ٢٨٤/٢٢، (٢) في "البديع"، ص ١٤٧.
وعن الرحمن يُفسر القرآن ج: 484

وهو العريز فلن يرام جنابه
وهو العريز القاهر الغلاب لم يرغبشه شيء هذه صفاتك
وهو العريز بقوة هي وصفه فالعز حينذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحة من كل وجه عادم النقصان
وهو الذي دوماً ما يُلبس من تأيعد سبحة، فما التنازل إلا من رفعه، فلا ي/bit //

إليته وتعلق به واعتقام به بحبه أعزه، ومن طلب العزة من غيره أدله، قال تعالى: {وَلَيْتَ يُرَبَّىُّ وَلَسَاطَهُ}.

{المولى} (النافعون:8). اللهم أعزنا بطاعتكم ولا تذنبا بمعصيتكم.

{الفكيم}: اسم من أسماء الله عز وجل على ورزق {فعيل} مشتق من الحكم والحكمة.

يدل على أن له عز وجل الحكم الثامن بأقسامه الثلاثة: الحكم الكوني، والحكم الشرعي، والحكم الجنائي في الآخرة، وأن له الحكمة بالغة بقسمها: الحكمة الغالية، وهي الغاية من أحكامه كلها بأنواعها الثلاثة.

والحكمة الصورية، وهي الحكمة من مجيء كل حكم من أحكامه بأنواعها الثلاثة.

على صورة معينة، كالحكمة من مجيء الصلاوات الخمس على هذه الصورة، الفجر، الزكاة، والغيب تابع ثلاث ركعات، والحكمة من مجيءها على هيئة القيام والركوع والسجود والجlusة، وبيقة الصلاوات وأربع ركعات، والحكمة من مجيء أنصبة الزكاة على هذه الكيفية، وهكذا بقية الأحكام الشرعية.

والحكمة من مجيء كسوف الشمس على كيفة معينة ككسوف نصفها أو كلها، وحصول الزلازل في مكان بعينه وعلى صورة ودرجة معينة، وكذا غير ذلك من الأحكام الكونية كسقوط طائرة، وانقلاب قطار، واصطدام سيارات، وتكون ذلك على صور وweenات معينة، إلى غير ذلك من الأحكام الكونية وحكمها.

وهما الحكمة الصورية من مجيء حمامة المطيعين لله الحسنة بعشر أمثالها إلى سعيائة.

ضعف إلى أضعاف كثيرة، وكذا حمامة العاقلين السبعة بمثلها وغير ذلك من أحكام الله تعالى الجزئية في الآخرة.

فهو عز وجل حاكم له الحكم الثامن النافذ حكياً وحكيمًا شرعاً وحكيمًا قرآنيًا.
وهو محكم متقن له الحكمة التامّة البالغة في خلقه وأمره وشرعه، حكمة غائبة وحكمة صورية.

وبالتأمّل في هذا يدرك الموفق أن هذا الخلق وهذا الكون يسير بنظام دقيق متقن منضبط؛ لأنه من صنع الحكيم العليم.

ويدرك أيضا أن وراء ذلك حكمة وندفاً وغايته أعظم وأهم، وهي عبادته سبحانه.

و تعالى والذل والخضوع له سبحانه.

«الله أكبر وأعظم» [(QS. Al-Qur'an, surah Al-='Imran (3), verse 199)]

وقد الحبر لإقامة الحصر، أي: أن ملك السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن الله وحده بلا شريك. ينصرف فيه كيف يشاء، كما قال عز وجل: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ ذُرْوَىٰ مِّن ذُرُوعِ النُّجَاحِ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ ذُرْوَىٰ مِّن ذُرُوعِ النُّجَاحِ» [QS. Al-An'am (6), verse 97]، وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [QS. Al-An'am (6), verse 98]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]

وقد غمره يذكرني هذا بالله سبحانه.

فَغَفِرْ لَيْلَيْلَينَ» [QS. Al-Maidah (5), verse 72]
وعن الرحمان ﷺ تفسير القرآن 

وقد روي أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها أن ابن جعفر ﭼ نزل إلى النبي ﷺ قلت: ما أرى منك؟ قال: أرى منك ما شاء الله ﷺ...

(1) أخرجه مسلم في الجرح والتعديل، رقم 376، وحمد 2/204.

(2) في التفسير: 8/31.

146
سورة الحديد، الآيات: 1-3

(1) أخرجته أبو داود في الأدب - رد الوسومه 5110. 384 2384
(2) انظر "بداائع التفسير" 6/1110 384 2384.

قال ابن القيم في كلمه على هذه الآية (3): "أرشدهم بهذه الآية إلى بطلان التنسل الباطل بديهية العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلى أول ليس قبلا شيء، كا تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلوي الذي ليس فوقه شيء، وبوتون هو الإحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء، ولو كان قبلا شيء يكون مؤثرا فيه لكان ذلك هو الحرام الخلاق، ولابد أن ينتهي الأمر إلى خالق غير مخلوق وغني عن غيره، وكل شيء تقدير إليه، قائم نفسه، وكل شيء قائم به، موجود بذاته، وكل شيء موجود به، قدوم لا أول له، وكل ما سواء موجوده بعد عده، باق لذاته، وкажا كل شيء به، فهو الأول الذي ليس قبلا شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء.

القعود والأحكام:

1- أن كل ما في السماوات والأرض يسبح الله - عز وجل - لقوله تعالى: "سِيَّاهُ يَوْمَكُمَا فِي الْجَهْرِ وَالْأَحْزَانِ".

2- إثبات اسم الله "العزيز"، وما يدل عليه من إثبات صفة العزة له - عز وجل، عزة الامتناع، عزة القهر والغلبة، وعزة القوة: لقوله تعالى: "وَفَوۡقَ الْأَلۡطَاهِرِ".

3- إثبات اسم الله "الحكيم"، وما يدل عليه من إثبات الحكم تعالى الله عز وجل، بأساسه الثلاثة: الحكم الكوني والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، والحكمة الغاية والحكمة الصورية: لقوله تعالى: "اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا كِبَارٍ وَمَا كِبَارٍ بَسۡطِيْنَ".

4- أن الله - عز وجل - ملك السماوات والأرض وبيده الحياة والموت، وهو على كل شيء قدير: لقوله تعالى: "لَهُمَا الْجَنَّةُ وَالْأَلۡفَٰلُ يَمَّىٰ وَرَبِيعُ يَـبِينّ وَهُوَ عَلٰىٰ كُلِّ شَيۡءٍ مَّعْنَىً".

5- إثبات اسمه الله عز وجل. "الأول، والآخر، والظاهر، والباطن" وأنه-
عز وجل - هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه؛ لقوله تعالى: ﴿هَوَى الْأَوَّلُ وَالأَخَرُ وَالْظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

۶ - سعة علم الله - عز وجل - وإحاطته بكل شيء علماً؛ لقوله تعالى: ﴿يَكْلِفُ شَيْئًا عَلَىٰ﴾.

* * *
قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِ فِي سَتَّةٍ أَيَامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْمَثْلِ يَعْلَمُ هُوَ الَّذِي يَدْخَلُ فِي الأَرْضِ وَإِنْ يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مُفْكَرُ أَنَّ مَا كَشَمَّهُ وَلَهُ مَا يُقَلِّبُوا
c

بِصَبِيرِهِ: "اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِ وَإِلَّهُ الْمَلِكُ الأَبَقَّ وَبِفُلُوجِ الْأَمْوَرِ (3) يَوْلِجُ الْأَلِيلَ فِي الْيَوْمِ وَيَوْلِجُ الْأَخْرَجِ فِي

الْأَلِيلِ وَهُوَ عَلِيمُ الْخُلُوقِ (*)

c

فِي سَتَّةٍ أَيَامٍ" كَفَوَلَهُ فِي سَورةِ الْأَطْرَافِ (5) (الآية: 42).

أي: هو الذي أوجده هذه المخلوقات العظيمة، السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما فيهن، قدم ذكر السماوات؛ لأنها أشرف من الأرض وأعلى في سَتَّةٍ أَيَامٍ من أيام الدنيا؛ لأن الله خاطب العرب بها يعرفون، وأول هذه الأيام يوم الأحد وأوّلها يوم الجمعة.

وهو - عز وجل - قادر على خلقها في لمحة بصر أو أقل من ذلك، كما قال تعالى: "إِنَّمَا أَمْرِيِّهَا إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولُ لَهُنَّ فَيَكُونُ (33) [بس: 82]«، وقال تعالى: "وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْهَةُ كَتَبَ إِلَيْهِمْ (34) [القرآن: 50].

وما قبل من الحكمة في خلقها في ستة أيام: أن هذه المخلوقات يترتب بعضها على بعض فترتب عز وجل بعضها على بعض حتى أكملها. وفيه أيضًا تعليم عبادة النذوة والتلاوة في الأيام وأهم إحكام الشيء واتقاله لا الفراغ منه.

وقيل "في ستة أيام" كل يوم منها كألف سنة.

والظاهر المتدار للدهر قوله بأنها من أيام الدنيا.

وهذه الأيام السنة هي: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

وفيه اجتمع الخلق كله، قال ابن كثير (1): "فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم

(1) في "تفسيره" ٣/٢٤٢٣/٨٩٠. وانظر ١/٩٩.
الثامن ومنه سمى السبت، وهو القطع.

قال ابن كثير: «وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد - ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدر فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وثبت فيها الدوام يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق. ففي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيها بين العصر والليل»(1).

قال ابن كثير - بعد ذكر هذا الحديث من رواية أحمد قال: فقدم رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج - وهو ابن محمد الأعور - عن ابن حضير به، وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: في سبيلِ أُمِّيَّز، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ليس مرفوعًا، والله أعلم.

وقد خلق الله عز وجل الأرض في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في تنمية أربعة أيام، وخلق السموم في يومين، كما قال تعالى: {قلِ: أَكْمَلْنَا لَكُمْ أَمْنَاسَكَ، وَأَمْكَنَّكُمْ مُّفَيْضَتَ الْأَرْضِ فِي بَيْنِيَّ وَمَعَتُونِيُّهَا وَأُذِنْنَا لِلْجَائِزَ، وَأَذِنْنَا لِلنَّكُورِ فَخَذِلَ فَالرَّحْمَٰنُ لَبَّأَسَهُ، وَأَذِنْنَا لِلْأَمْكَانِ لَبَّأَسَهُ، وَأَذِنْنَا لِلْأَمْرِ لَبَّأَسَهُ، وَأَذِنْنَا لِلْأَثْرَى لَبَّأَسَهُ} [البراءة: 29].

وقال تعالى في سورة النازعات: {أَطْمِشُ أَلْبَاطِيلَ أَلْبَاطِيلَ} [الأنعام: 69]. {أَطْمِشُ أَلْبَاطِيلَ} و{أَطْمِشُ أَلْبَاطِيلَ} للذين كفروا. {أَطْمِشُ أَلْبَاطِيلَ} [الآيات: 72-73].

وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إنني أجد في القرآن أشياء تختلف

(1) أخرج يحيى بن معين في صفة القيامة 2789
سورة الحديد، الآيات: ۶-۴

علي قال: "فألا أُسَابِبُ يَتَّهِمُونَ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَّهِمُونَ" ۴۳، «وَأَقِمْ بَعْضَكَ عَلَى بَعْضٍ بِسَلَامٍ» ۴۴، "وَلَا يَكُونُ دُمَيْرُهُ حَدِيدًا" ۴۵، «وَأَقِمْ مَلَائِكَةَ مَا كَانَ لَهُمْ» ۴۶ فقد كتموا في هذه الآية، وقال: "أو أَنَّهُما نَبِيَّانَ" ۴۷ إلى قوله "دَخَلَهاَ" فذكر خلق السهاء قبل خلق الأرض، ثم قال: "أَيْتَمْ لَكُمْ لَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمْ حُسَنًا في يَوْمِيَّنِ" ۴۸ إلى قوله (طاععين) فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السهاء؟ وقال تعالى: "وَسَكَانُهَا اللَّهُ عَفْوًا رَحِيمًا" ۴۹

إِرْيَانَ حُكْمَانِ»، "سِيِّمَعًا بَصَرًا" فكأنه كان ثم مضى.

فقال ابن عباس: "فألا أُسَابِبُ يَتَّهِمُونَ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَّهِمُونَ" في النسخة الأولى ثم ينفخ في الصور، "فَصُوْقُهُ مِنَ الْمَكْرِ وَمُنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ شَأَّنَهُ الَّذِيَ" ۵۰ فإن أسابيع بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النسخة الآخرة "وَأَقِمْ بَعْضَكَ عَلَى بَعْضٍ بِسَلَامٍ" ۵۱.

إلى أن قال: وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السهاء، "ثُمَّ أَسْتَوَىَ إِلَى الْآرَضِ" ۵۲، فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض. ودحوها: أن أخرج منها الماء والرعي، وخلق الجبال والجبال والأكام وما بينها في يومين آخرين، فذلك قوله "دَخَلَهاَ"، و قوله: "فَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ"، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين. الحديث.

"ثُمَّ أَسْتَوَىَ عَلَى الْآرَضِ"، "ثمَّ" للعطف، أي: بعد خلق السماوات والأرض استوى على العرش.

والعرش في اللغة: عبارة عن سرير الملك، كما قال تعالى عن بلقيس: "وَقَدْ عَرَضُتْ عَلَى الْجَهَّامِ" [التمل: ۲۳]، وهو أكبر المخلوقات فعن أبي ذر - رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقبت بين ظهري فلا من الأرض" ۵۳.

---

(۱) ذكره البخاري معلقاً في تفسير سورة "حم السجدة" انظر "فتح الباري" ۸/۵۵۰-۵۵۵.
(۲) أخرجه الطبري في "جامع البيان" ۴/۵۳۹، وقال ابن كثير في "بداية والنهاية" ۱/۱۱ "أول الحديث مرسلاً، وعن أبي ذر منقطع وقد روى عنه من طريق أخرى موصولاً، وانظر "فتح المجيد" ص ۲۱۶.
ونقد قال الله عز وجل في الكربسي: "ويبعث كرسيالسموت والأرض" [القفرة: 25].

ومعنى "استوى"، أي: علا وارتفع (1).

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: شهدت بأن وعذب الله حدق وأن النار مشوّى الكافري نا، وينفق العرش فوق المنا طائف وأن العرش فوق الدنيا، وتحمله ملائكة الإله مسومة (2).

والمعنى: استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته من غير ترميز ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال مالك رحمه الله: "الاستواء معلوم، والكيف جهول، والإيان به واجب، والسؤال عنه بدعة" (3).

وقال ابن كثير (4): "إنها يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري واليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوي وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمارة، كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبه ولا تعطيل. والظاهرة المتتالية إلى أذهان المشهرين منفية عن الله، فإن الله لا يشبه شيء من خلقه و"السُّمَّاءُ كَثِيرٌ، فَايَلَّا*، وَهُوَ السَّيِّدُ الْبَصِيرُ" [القورثى: 11]. بل الأمر كما قال الأثمة- منهم نعمين بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر".

وليس فيها وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبه، فمن أثبت الله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يلي بجلال الله تعالى، ونفى

(1) انظر: صحيح البخاري مع الفتح 138/16، "شرح أصول الاعتقاد" للإلكسي كتب 40/2، "الرد على الجهمية" للدارمي ص 43، "خلق أفعال العبادة" للبخاري ص 8، "الرسالة الحميمية" لـ ابن نيمه ص 14.
(2) انظر "الرد على الجهمية" ص 27، "شرح الطحاوية" تحقيق أحمد شاكر ص 256، "سير أعلام النبلاء" ص 428/1.
(3) انظر "الأسماء والصفات" للبهيجي ص 516، "مجمع الفتاوى" 17/736.
(4) في "تفسيره" 422.
عن الله تعالى النفاقين فقد سلك سبيل الهدى.

"يعلِّمُ ما يِلْبِسُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعجُّ فيها وهو مَعْمُوَّر أَنَّ ما كَشَمٌّ.

وَاللهُ يُعَلِّمُ مَا يُعَلِّمُ.

""وبعَلِّمْ مَا يِلْبِسُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل منها السماء وما يعجُّ فيها.

كقوله في سورة سبأ: «يَعْلَمُ مَا يِلْبِسُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل منها السماء وما يعجُّ فيها» (الآية 21).


وما يخرج منها، أي: ويعلم الذي يخرج منها من زروع ونبات وثمار ومياه، وحيوان وغير ذلك.

كما قال تعالى: "وَيَعْلَمُ مَا يِلْبِسُ في الأرض وما يِلْبِسُ مَا يَلْبِسُ لَا يَلْبِسُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا في النُّجُوم وَلَا يَلْبِسُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا قِبْلَةَ الْمَسْجِدْ وَلَا يَلْبِسُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا خَيْرَةً وَلَا كَرِهَةً إِلَّا هُوَ" (الأعراف: 65)، وقال تعالى: "يَعْلَمُ مَا خُفِّقَتْهُمْ وَمَا نُبِئَتْهُمْ وَمَا خَبَّرَهُمْ وَمَا تَأَهَّلَهُمْ أَخْرَى" (طه: 5).

وَما يِلْبِسُ مَا يِلْبِسُ، أي: ويعلم الذي ينزل من السماة من الأمطار والأزرق والبرد والثلوج والصواعق، والأقدار والأحكام، والملائكة وغير ذلك.

وما يِلْبِسُ، أي: ويعلم الذي يدخل إليها، وجاء التعبير ب «فيها»؛ لأن الفعل يِلْبِسُ ضمن معنى «يدخل» أي: ويعلم الذي يصعد إليها ويدخل فيها من الملائكة والأرواح والأدعية والأعمال وغير ذلك.


وحذراً قال في نهاية الآية هنا: «وَاللَّهُ يَمْسَى مَسْلِمًا».

وقال تعالى: "اللهم أنت الصاحب في السفر".

وهناك القسم الثاني من أقسام المعية، وهي المعية الخاصة، وهي معية الله لأولئك المتقين وحبيبه المفضلين بالعون والتوافيق، والنصر والتأييد، والحفظ والتسديد، كما في قوله تعالى: "لا يُعَزَّرُ إِنَّ اللَّهَ مَعْلُومًا".

والعجب من لم يستفيدوا من مثل هذه النصوص إلا الابتداع والقول بالحلول والاحتمال، بدلاً من التأمل في سعة علم الله عز وجل وإجاظته بكل شيء ما يوجب مراقبة الخوف منه، والثقة بوعده ونصره وعونه وتأييده وصدق الله العظيم فإنهما

(1) أخرجه البخاري في الوضوء 144، ومسلم في الإيام 179، وابن ماجه في الطهارة وسننها 3218، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم في الحج - ما يقول إذا ركب 1342، وأبو داود في الجهاد 599، والترمذي في الدعوات 4447، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
سورة الحديد، الآيات: 6-7

"ما": موصولة، أو مصدرية، أي: والله بالذي تعملونه بصير، أو: والله بعملكم بصير، أي: أنه ومطلع وشهيد ورقيب على أفعالكم عليهم كلها دقيقها وجعلها، خفيفها وجعلها، سرها وعلانيتها، كنا قال تعالى: فَأَلَىٰ إِنَّمَا يَبْتَغُوْنَ صَدْرُوكُمُ الْيَمِينَ، يَتَبَغَّضُونَ يَوْمَئِذٍ مَا يَبْتَغُوْنَ وَيَبْتَغُوْنَ إِنَّهُ عِلَيْهِ عَلَيْهِ دِينُ أَصْدَرُورُهُ (5) [هود:5].

وقال تعالى: وَسَوْءَ ۖ وَمَنْ كَرَّمَ أَمَامَنَ أَذَٰلِقَتْ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحِفٌ بِالْزَّلَلْ وَمُسْتَنِزِفٌ (6) [الرعد:10].

وقال ﷺ: حجابه النور لا كشفه لأحرقت سببات وجهه ما انتهى إليه بصريه(1).

وسأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (2).

وهذا كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين (3).

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عالي رقيب(4)

ولا تحسين الله يغفل ساعه ولا يخفى عليه يغيب(5)

"له"، أي: له وحده بلا شريك وملك النعوت والأرض.

وفي الآية الثانية من السورة قال: "لله ملك النعوت والأرض يحيي ويجيبي وهو على كل قلّة وقيد" (6) في هذه الآية أن من تمام ملكه أن بيه الإحياء والإماتة وأن قدرته

(1) أخرج في الإيوان- إثبات رؤية الله- سبقهان و تعالى 179، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
(2) أخرج من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسلم في الإيوان 8، وأبو داود في السنة 4195، والناساني في الإيوان 4990، والترمذي في الإيوان: 2610، وأخرجه البخاري في الإيوان 488، ومسلم في الإيوان 10، والنسائي في الإيوان وشرحه 4903، وابن ماجه في المقدمة 32 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(3) انظر "تفسير ابن كثير" 8/35، وانظر 229/22.
(4) البيت لأبي العتاهة. انظر: "ديوانه" ص 24.
نافذة في كل شيء.
وينته في قوله هذا: "الله ملك السموات والأرض وإلهي الله رحمت الله الأمور" أن مرجع الأمور كلها الدينية والدنية والأخلاقية ومصيرها إليه في الحلال والملام، من الأحكام والجزاء والأعمال العرفة وغير ذلك، وهذا من تمام ملكه فمه بدائياً، كأفادت الآية الأولى، وإليه النهاية والرجع والمصير والملام وإلي حكمه في الدنيا والآخرة كما أفادت هذه الآية، وكما قال تعالى: "آلللله تعلم الأمور" (الشعرى: 43)، وقال تعالى: "والله المصير" (الحج: 44)، وقال تعالى: "قل إني أرجو أن أُعلِنَ أن أُبُرِّهِمْ ولأَشْرَكِي يُذْهِبْ إِلَيْهِ آدَوْا" (الروم: 36).
وإذا كان عز وجل إليه مرجع الأمور ومصير الخلق ف hindi ِحكمهم فيهم بحكمه العدل، ويجازي كلاً منهم بما عمل، وفي هذا وفداً من انتظار الله ووعد من عضاء، كما قال عز وجل: "فَمَن يَعْمَل مُغْنِىَةً ذَرَّةً حَبِّاً يَسْرَرُ مَنْ يَعْمَلُ مُشْكَنَاءً ذَرَّةً" (الزلزال: 74).
فأفادت الآياتان أن له عز وجل ملك الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل: "وَرَبِّي أَنَّى" (الأعراف: 13).
وهو المحمود على ذلك كله، كما قال عز وجل: "وَهُوَ الْحَمِيدُ الَّذِي لَمْ يُهْوَى لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوْلى وَالْآخِرَةِ" (القصص: 92)، وقال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُهْوَى لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوْلى وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (سبا: 1).
يُولِّي نَيْلُ في النَّهْرِ وَيُولِّي النَّهْرِ فِي النَّهْرِ، أي: يدخل الليل في النهار تدريجيًا في طول الليل ويقصر النهار، ويدخل النهار في الليل تدريجيًا في طول النهار ويقصر الليل، وحارة يجعلها متساويين معتدلين، وذلك لصالح العباد.
قال تعالى: "ذَلِكَ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ بِالْكِتَابِ وَيَتَبَيَّنُ النَّهْرُ وَيَتَبَيَّنُ النَّهْرُ فِي الْيَلِي وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعُ البَصَرِ" (الحج: 107)، وقال تعالى: "أَنْبَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يُولِّي النَّيْلَ فِي النَّهْرِ وَيَتَبَيَّنُ النَّهْرُ فِي الْيَلِي وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعُ البَصَرِ" (القصص: 99)، وقال تعالى: "يُولِّي النَّيْلَ فِي النَّهْرِ وَيَتَبَيَّنُ النَّهْرُ فِي الْيَلِي" (لفان: 29).
سورة الحديد، الآيات: 4-5

وَسَخَّرَ الرَّحْمَةَ وَالْفَقْرَةَ لَجَبْرِي لَأَطْلِبُ ثَمَّ مَنَّىً

قال ابن كثير: "أي: هو المصرب في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرها بحكمه، كا يشع، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، وتارة بالعكس، وفترة يركها معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم صيفًا ثم خريفًا، وكل ذلك بحكمه وتقديره، لما يريده بخلقه.

وفي ذلك مرازة مصالح الخلق ومواشيهم وحوشهم وأمور دينهم ودنياهم، فإن في تعالى الليل والنهاض طولاً وقصراً وافتراً واعتدالاً، وفي تعاقد الفصول من حر إلى برد إلى اعداد مصالح عظيمة للخلق، إذ لو كان الحال على وفترة واحدة من حيث الطول والقصر ومن حيث الخير والشر والاعتدال للفاتن كثير من المصالح، وحصل عند الإنسان الململ والسأم فإن كل طويل مملول.

وهذا إمتن الله عز وجل على عباده في أكثر من آية في هذا التقلب والتصريف للأيام والليالي والفصول.

قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّهَارَ وَالَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَأَرَادَ أَن يَحْصَرَ أُوْلَى الْأَشْهَرِ" [النور: 44].

و(وَحُبَّ عَيْنِ) أي: ذو العلم الواسع.

(بَيُّنَتْ الْكُلُّ) أي: بصاحبة الصدر، وهي القلب، كما قال عز وجل:

ولكن تُصَنَّعُ القُلُوبُ الَّتِي في الصُدُورِ (6) [الجح: 41]، وقال عز وجل: "وَأَلْسَنَ اللَّهُ يَأْتِمَ ١٠٠ مِّنْ صُدُورِ الْقَلَابِمِ (7) [العنكبوت: 10].

والمعنى: وهو سبحانه تعالى محيط علمًا بالقلب التي في الصدر وما تطور عليه من دقائق المضمرات وخفيات الأسرار من المعتقدات وغيرها.

(1) في تفسيره 8/36
وعلاهنما يوجعل العبد مراقبة الله- عز وجل- في سره وعلانيته في أقوامه وأفعاله، والتفتيش في خيامه نفسه، وعسا ينطوي عليه قلبه، مبتعداً عن الرياء والسمعة والشرك ومحبطات الأعمال، وعن الغل والحقد والحسد والعداوة والبغضاء، متائماً قول الله عز وجل: «أوْلَىٰ نَّفْعَهُ مَا لَبَنَّ» (1) إلا أنَّ أَقَلْـِئِهِمْ يُقَفُّونَ [الشعراء:88].

أي: سليم مخلص العبادة الله عز وجل، وسليم على عباد الله.

الفوائد والأحكام:

1- الثانيه إلى تمام قدرة الله- عز وجل- في خلق السموات والأرض هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام، ولو شاء خلقها بلمحة بصر؛ لقوله تعالى: «هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ».

2- إثبات استواء الله- عز وجل- على العرش، وأنه- عز وجل- عالٍ على خلقه بائن منهم؛ لقوله تعالى: «بَعَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ».

3- إثبات العرش، الذي هو أكبر المخلوقات.

4- علم الله- عز وجل- الواسع المحيط بكل شيء ما يدخل في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يصعد إليها وغير ذلك؛ لقوله تعالى: «بَلۡ يَعْلَمُ مَا يَتَجَلَّأُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَجَتَّلَأُ فِيهَا».

5- معية الله- عز وجل- العامة لجميع الخلق بإحاطته وعلمه ونفوذ قدره.

6- إثبات اطلاعه- عز وجل- وعلمه بجميع أعمال العباد، وفي هذا وعد لمن أحسن، ووعيد لم أناس؛ لقوله تعالى: «وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ».

7- أن الله- عز وجل- ملك السموات والأرض، وإليه مرد الأمور وصير جميع الخلق وسيجازي كلاً بما عمل؛ لقوله تعالى: «وَإِذَا تَرَى النُّورَ الْأَخْلَقَاتِ».

8- قدرة الله- عز وجل- النافعة، ونعمته العظيمة عن الخلق في تعابد الليل والنهار طولاً وقصراً واعتدالاً وفي تعابد الفصول من حرف إلى برد إلى اعدال؛ لقوله تعالى: "اللّٰهُ لَهُمَا نُورٌ".
سورة الحديد، الآيات: 4-6

9- علم الله - عز وجل - بما تنظر عليه القلوب من الاعتقادات والمشترات، وإذا كان كذلك فعلمه بها يظهر من باب أولى وأخرى مما يوجب مراقبة الله - تعالى في السر والعلن، فهو العلم الخير، لقوله تعالى: "وَهُوَ الْعَلِيمُ الْبَصُرِّ". (*) (*) (*)
قال الله تعالى: {مأتموا بِآلاَّهِ وَرسُولَهُ وَأَطِعُوا مَا جَاءَتَكُمُ الشَّفَاعَةُ فِيٰهِ قَالُوا نَسْتَعِبَ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِآلاَّهِ وَالرسُولَ ۖ وَدَعُوكُمْ إِلَىٰ نِعْمَتِنَا وَأَيُّهَا النَّفْسُ الْخَيْرُ قُلِّنَا إِذْ هَمْ بِكَ آمِنَ دُونَ اللَّهِ وَأَيُّهَا النَّفْسُ الْخَيْرُ قُلِّنَا إِذْ هَمْ بِكَ آمِنَ دُونَ اللَّهِ}.

ذكر الله-عز وجل- في الآيات السابقة تسبيح جميع الخلفات له، وعزته وحكمه وحكمته، وسعته ملكه، وكبائر قدرته، وإحاطة علمه بكل شيء، واستواءه على عرشه ومعيته خلقه، وحرصه با يعملون، ومرد الأмор إليه، وإدخاله الليل في النهار والعكس وعلمه بما تطوي عليه القلوب، وكل ذلك يدل على كهال عظمته، ثم أتبع ذلك بالأمر بالإيام به ورسله والإفانق في سبيله.

قوله: {مأتموا ورسُولَهُ} هذا أمر من الله للمؤمنين بالإيام به ورسله.

كما قال تعالى: {يَكُونُ الَّذِينَ يَعْمَمُونَ بِآلاَّهِ وَرسُولَهُ وَالَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مُّرَجَّمَٰءَۡ} (النساء:136).

وليس هذا من تحصيل الحاصل، كما قد يفهمه من قصر علبه ومعرفته، وذلك أن المؤمن في حاجة في كل لحظة وفي كل حال إلى الإيام وتجديده والثبات والاستمرار عليه والزيادة منه وتكملته، وهذا يقول المؤمن وهو قادر يصلي بين يدي الله عز وجل في كل ركعة {أَهْدِنَا إِلى الصَّرْطِ الْمُسْتَقِيمِ} (النافع:2). أي: وفقنا له وثمنا عليه وزدنا هداية.

والإيام في اللغة: التصديق، كما قال تعالى عن إخوة يوسف أنهم قالوا: {وَمَا أُنَّى} (يوسف:17)، أي: بمصدق، وقال تعالى: {يَقُولُ إِنِّي أَلَهُ وَيَوْمَ أَمْرِي} (النبية:11).

وهو في الشرع: قول بالله واعتقاد بالجنة، وعمل بالأركان.

والإيام بالله: الإيام موجودة وبرويته وألوهية وأسائه وصفاته، وهو معنى
الإيابان بالرسول: هو طاعة فيها أمر وتصديقه فيها أخبر، واجتنب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، وهو معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

وأيَّفُقُوا مِّمَّا جُعِلَ لَهُمْ مَّسْتَخْلِفُينَ فِيهِ ؛ الواو: عاطفة، وهذا يدل على أن الإنسان قول واعتقاد، عمل؛ لأن الإنفاق مما استخليفتوا فيه عمل، وإنما خص ذلك- والله أعلم- لما للإنفاق والعبادات المالية من النفع العام والإحسان المتعدي إلى الخلق، وأحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، ولأن المال شريك الحياة، فبذله من أعظم الشواهد والعلامات على قوة الإيان.

وقوله: " роли و من " للتبيعي وأي: بعض الذي جعلكم مستخلفين فيه، وقد تكون للبيان فيجوز للإنسان أن يفق أكثر ماله أو كله حسب الحاجة والمصلحة وحال المبق، فقد تصدق أبو بكر الصديق بكل ماله، وتصدق عمر بن صفر ماله رضي الله عنها(1).

جملًا بمعنى: صرّكم، نصب مفعولين الأول: كاف الخطاب، والثاني قوله مستخلفين فيه.

وأيَّفُقُوا مِّمَّا جُعِلَ لَهُمْ مَّسْتَخْلِفُينَ فِيهِ ؛ الواو: عاطفة، وهذا يدل على أن الإنسان قول واعتقاد، عمل؛ لأن الإنفاق مما استخليفتوا فيه عمل، وإنما خص ذلك- والله أعلم- لما للإنفاق والعبادات المالية من النفع العام والإحسان المتعدي إلى الخلق، وأحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، ولأن المال شريك الحياة، فبذله من أعظم الشواهد والعلامات على قوة الإيان.

وقوله: " роли و من " للتبيعي وأي: بعض الذي جعلكم مستخلفين فيه، وقد تكون للبيان فيجوز للإنسان أن يفق أكثر ماله أو كله حسب الحاجة والمصلحة وحال المبق، فقد تصدق أبو بكر الصديق بكل ماله، وتصدق عمر بن صفر ماله رضي الله عنها(1).

جملًا بمعنى: صرّكم، نصب مفعولين الأول: كاف الخطاب، والثاني قوله مستخلفين فيه.

والأمر بالإنفاق هنا يشمل النفقات الواجبة والمستحقة.

والمعنى: وإنفقو من المال الذي جعلكم الله مستخلفين فيه، أي: خلفتم فيه من قبلكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، وهو بمثلة الأمانة أو العارية في أبيضكم. فالمال مال الله من به علينا واستخلافنا فيه، ومنا علينا بشرع لنا الإنفاق منه ليشينا على ذلك بالأجر الكبير المضاعف.


(1) أخرجوه أبو داود في الزكاة 167، والترمذي في المنتقاب 367، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
عون الرحمن في تفسير القرآن، ج 21

فذاهب وتاركه للناس(1).

قال ابن كثير (2): "وقوله "لقد قصرت منك عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه، فتكون أسعد بأنعم الله به عليك منك. أو تعصي الله فيه، فتكون قد سعت في معاوتنه على الإثم والعدوان".

فالللمَّائِينَ ما آمنوا منكم وأنفقوا من مالكم أمر الله عز وجل في أول هذه الآية بالإنفاق به وبرسوله والإفانًا مما جعلهم مستخلفين فيه، ثم رجعهم في الإنفاق بذكر ما رتب عليه من التواب فقال:

"فالذين آمنوا منكم وأنفقوا، أي: فالذين آمنوا منكم بالله ورسوله وأنفقوا بما استخلفهم الله فيه.

فلأخرج كُبْرَاهُمْ، أي: فهم جزاء وثواب كبير وعظيم من حيث كنه وكيفيته وكميته، وهو ما أعدله الله من السعادة في الدنيا والآخرة والنجوم. المقيم في جنت النعيم والخلف العظيم للمنفقين. قال تعالى: "فَمَنْ يَقْرَضَ الْلَّهُ يُقْرَضُهُ مِثْلَهُ وَ يُضِفْ لَهُ مِثْلَهُ فَمَنْ كَانَ فِي رِجَالٍ حَسَنًا فَهُوَ أَكْثَرُ الْفَضْلِ" [البقرة 2:245]، وقال تعالى: "إِنَّمَا يَفْقَرُوا إِلَى اللَّهِ وَالَّذِينَ كُتِبَ عَلِيَّاهُم مِّنَ الْأَرْضِ" [النَّافِئَات 28:17]

وسمى عز وجل ثواب إبابهم وإنفاقهم أجلًا تحققًا للوفاء لهم بذلك؛ لأنه عز وجل لا يخلف المعبود، وقد أوجب سببه على نفسه إثابة المطيعين ورحمة عباده المؤمنين، قال عز وجل: "كُبِّرُوهُمُ الْمَرَّدُ، فَلَنَفْتَحَ لَهُمُ الْمَرَّدُ" [الأنعام 4:84].

وقال تعالى: "وَرَجَعَ لَهُمْ وَسَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْضُ هَٰؤُلَاءِ الْجَاهِلِينَ يَبْقَوْنَ وَيَعْتَزِزُونَ"\n
(1) أخرج مسلم في الزهد والرفاق 5258، والنسائي في الوصايا 3613، والترمذي في الزهد 3422، وأحمد 24/4.
(2) في "تفسيره" 36/8.
فسمى عز وجل ثوابهم أجرًا؛ لأنه سبحانه تكفَّل به وأوجبه على نفسه تفضلاً منه
وكما، فكان أشبه بأجر الأجير الذي قال فيه الرسول ﷺ: "أعطوا الأجير أجره قبل أن يحب عرقة"(1).

وأما لَكِنَّ النَّوْمُ لِلَّهِ الواو: استئنافية و"ما": اسم استفهام يفيد التخضيب في
물 رفع مبتدأ، "لكم" متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و"لا": نافية.
أي: أي شيء يمنعكم من الإبانة؟

وَاوَرَسُولِ ۖ يَدْعُوَّا لِيْثْبُوْرُكُمْ الواو: للحال، أي: والحال أن الرسول بين أظهركم
يدعوك لتؤمنوا ببركم، وبينكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به، أي: أنه
لا عذر لكم إن لم تؤمنوا بالله.

عن أبي جمعة الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، ومعنا معاذ بن
جلب عاشر عشرة، فقلنا يا رسول الله، هل من قوم أعظم أجرًا منها؟ آمنا بك وتابعناك.
قال: "ما يمكنكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوثوي من السماوات، بل قوم
من بعدكم يأتينكم كتاب بين لوحين، يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم أجرًا من
منكم مرتين"(2).

قال ابن كثير(3) بعد سياق هذا الحديث: "مدحهم على ذلك، وذكر أنهم أعظم من
هذا الخيرية لا مطلقاً".

ومع أن أول من يدخل في الخطاب في الآية الصاحبة الذين كان الرسول ﷺ بين
أظهرهم إلا أن غيرهم من المؤمنين ظلوا على طولها، فهم وإن لم يكن الرسول ﷺ بين
أظهرهم فسما بقية بين أظهرهم إلى قيام الساعة فيما دعواهم إلى الإبانة بالله.

وَقَدْ آخَذَهُ مَيْثَاقُكُمْ قَرَأَ أَبُو عُمَرو بضم الهزة وكسر الحاء: "أَخِذَ وَمِيثَاقَكُمْ".

(1) أخرجه ابن ماجه في الأحكام 2443 من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها.
(2) أخرجه ابن مردوخة وزي وحده من حديث عمرو بن شعبان عن أبيه عن جده، ومن حديث عمر،
وصن حديث أناس، انظر تفسير ابن كثير 14/64.
(3) في تفسيره 14/64.
بالرفع، وقرأ البيانون بنفتح الهزة والخاء: أَحَدٌ ونصب (مُنْقَطَعُ).
والواو: للحال، وقديم: حرف تحقيق ويثاق: هو العهد المؤكد، أي: والحال أن
الله قد أخذ يثقيفيكم، أي: عهدهم، بدخولكم في الإيام.
أو والحال أن الرسول قد أخذ يثقيفيكم، وذلك بمبايعتهم له على السمع
والطاعة، كنا قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنْ أَضْعَفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَيْنَىْ مَنْ أَفْتَقَهُ إِذْ قَالُنَّ)
سِيمَةَ وَأَطْعَا) (المائدة:7).
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بابيعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
والطاعة في العسر واليسر والمشتر والمحكرو، وعلى أثره علينا وعلى ألا نتزع الأمور أهله
إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله عليه برهان، وأن نقول الحق أيها كنا وحيثنا كنا لا
نخاف في الله لومة لطاف)¹).
وعلى هذا المعنى فإن كل من دخل في دين الله وآمن به ورسوله سواء كان
ذلك بالبايعة له في حياته أو بالدخول في دينه، سواء كان ذلك في حياته، أو بعد
وفاته، فهذا عهد وميثاق منه بالإيام والله ورسوله، يوجب عليه القيام بحق
هذا الإيام.
وقد ذهب بعض المفسرين منهم جاهد إلى أن المراد بالميثاق في قوله: (وَقَدْ أَخَذْنَا مَيْنَىْ)
هو الذي أخذه الله علي بن بني آدم لما أخرجهم من صلب أبيهم آدم. كما في قوله تعالى في سورة
الأعراف: (وَأَخَذَ رَبُّكَ هُدًىً ۖ وَشَادَّكُم بِهِ ۖ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ۚ فَسُوِّهْاَ ۗ وَمُنْتَجِيُّا تَسُّوِّهْا)
( أو تقولوا لآمركم ابتدعو من قبَّل وَرَكَّسُا دِرَىً مِّن بعدهم أَفْنِيْكُمْ إِمَّا فَعَلَّمُونَاهُمْ) (الأعراف: 162-173)²).
والصحيح القول الأول.
(إن كِمْ مُؤْمِنٍ) «إن» شرطية «كتن»: فعل الشرط، أي: إن كنت صادقين في

¹) أخرجه البخاري في الإيام، ومسلم في الإمارة 170، والنسائي في البيعة 4149، وأبي ماجه في
الحدود 2866.
²) أخرجه الطبري في جامع البيان 22/390.
إيابكم، فآمنوا بالله ورسوله، وأنفقوا لما خلقتم فيه، أي: إن من شرط صحة وصدق إيابكم: الإيام بالله ورسوله، وتجديد ذلك والثبات والاستمرار عليه والزيادة منه، والإيام ما استخلفت فيه من المال والرزق، والوفاء بالميثاق الذي أخذتموه على أنفسكم لله ورسوله، فكل ذلك من شرط صحة الإيام.

فاعلامة صدق الإيام وصحته وقوته وكيلاه: الإيام على الله عز وجل يفعل كل ما يقوى الإيام ويجده وثبته، من ترك للمنهيات وفعل للمأمورات، ومن ذلك الإيام من المال في وجه البر والآخر، الواجب منها والمندوب.

والإيام من أعظم العلامات على الإيام، وهو مهر عظيم، فإن من الناس من تظهر عليه آثار الصلاح والتقى والزهد، وتراعيه بهم ويجزم، فتحسبه من أعظم الزهد والأشياء ولكن إذا سرت أحواله في الإيام والتعامل بالدرهم والدينار تمنيت أنك لم تطلع على حالة في هذا الجانب.


وقد قيل:

والدعاوى إن لم يقموا عليها بينات أربابها أدعياء

*هُوَ الَّذِى يُبَيِّنُ عَلَى عِبَادِهِ مَا نُزِّلَتْ عَلَيْهِمْ*، أي: هو وحده عز وجل الذي ينزل على عبده محمد ﷺ أيات بينات.

وهذا من لطفه عز وجل بكم لم يكتب بمجرد دعوة الرسول والذي هو أشرف الخلق، بل أبداه بالمعجزة الكبرى وهي الآيات القياس، وفي هذا تنبه أن يقيم فضله عليهم، وتثنيه بأعظم نعمة أنعم بها عليهم.

والآيات جمع "آية"، وهي العلامات، وهي تنقسم إلى قسمين آيات شرعية، وهي آيات القرآن الكريم وآيات كونية، وهي كل آياته المتشرعة في الكون وفي خلقه.
والمراد بالآيات هنا: الآيات الشرعية، آيات القرآن الكريم، المشتملة على الهدى والنور، كما قال عز وجل: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ بَشِيرٌ مِّنۡ عِبَادِنَا هُنَّ أَفۡوَمُ [الإسراء:9]، وقال تعالى: قُدۡ جَنَّتُكَ حُسْنَ مَرَّةً اللَّهُ نُورٌ وَحَكۡمَتُ مِّنۡ عِبَادِنَا هُنَّ أَفۡوَمُ [المائدة:10].
وسميت الآيات الشرعية بالآيات لما فيها من الأعجاز في منطقها ومعانيها، وأخبارها، ولما فيها من التشريع الصالح لكل زمان وكل مكان ولكل أمة، ولما فيها من الدلالة على صدق من جاء بها، وأنها من عند الله، وعلى استحقاقه العبادة دون من سواء، وكماه عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسائه وصفاته: كما قال عز وجل: (ولَوۡ كَانَ مِن عِبَادِنَا نُوحٌ فَأَحۡيَاهُمَا سَكۡتَهُمَا) [النساء:38].
*(الآية 23)*: أي: آيات بينات مفصلات في إن بيان للواجب وغيره، وللحلال والحرام، ولكل ما تحتاجه الأمة في أمر دينها ودنياها وأخزاها، كما قال عز وجل: (وَزَنَّاهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائۡيۡلَ (7) [النحل:89)، وقال تعالى: "وَأَمَّا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُسۡتَفۡتَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنَّ وَجَدَتُ النَّصَبَةَ بِذَٰلِكَ الَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَنَصَبَهَا أَبۡيَضَةٌ (32) [يوسف:37)، وقال تعالى: "مَا كَانَ لِاِبۡرَاهِیۡمَ يُقَدِّرَ وَلَكِنَّا قَدۡ جِئْنَاهُ بِالْكَتِبِ (33) [يُوسُف:111]، وقال تعالى: "لَعِنَّهُ وَفَصَّلۡتُ لَهُ نَعۡسَاً (34) [الأنعام:114].
*(الآية 24)*: وقال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَزۡلَلَ أَيۡسَارَ الْكِتَابِ مُفۡصِلاً (35) [الأنعام:114].
سورَة الحدید، الآیات: ٧١٠-٧١٠

الجهل والكفر والضلالة إلى نور العلم والإيمان والهدى.
وضمیر الفاعل في قوله: {يَلْيَخۡتُرُكُ} يعود إلى الله عز وجل وقد يعود إلى الرسول 
{كَبَّرُ}. لأنه سبب الإخرج، كما قال تعالى: {سَمِّيَتُ أَرْضَيَنَّ إِلَّاَّ إِنَّهُ لَيَنْخۡرِجُ الْخَالِقَانِ 
أنَظَنِّنَّهُ إِلَّى الْآخِرَ 
} [أبو هريرة: 1].

وجمع الظلال ووحد النور؛ لأن سبل الشر كثيرة متفرقة وسبيل الخير واحد. كما 
قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صَرَطٌ مَّسْتَقِيمٌ فَأَتَيْنَاَ \w/ُهُوَ لا تَحْمِلُوا أَنْتَهِيَاتٍ فَتَفَرَّقَ بَيْنَ 
سَبِيلَيْنِ} {الأنعام: ١٥٣} [النور: ١٢].

ويها من ظلال ومسالك وعرة وتفاؤل ومهاك، وصدق الله العظيم: {هُدِّيَ 
يَهُودُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمَا نُورًا مِّنَ اللَّهِ} {النور: ٢٠}. وقال عز وجل: {فَأَمَنَّ شَرِيكَ الَّذِي 
الإِسْلاَمُ فَهُوَ عَلَى نُورٍ} {وَقَوْلُ الْقَدِّيسَةِ} {فَلَوْمَهُمْ} {مِنْ ذَرِّيَّةِ} {أَوْلَادِي} {فِي صُلُطَانٍ} {يَمِينٍ} {الزمَّر: ٢٢}.

فما أعظمها من منة، وما أكبرها من نعمه على من نور الله قلبه وشرح صدره؛ وهذا 
قال {هُدِّيَ يَهُودُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} {نورًا} {لَّهُمَا} {نَورُ} {مِنكُمَا} {مِنَ اللَّهِ} {فَأَمَنَّ} {شَرِيكَ الَّذِي} {نورٍ} {هُوَ} {عَلَى} {نُورٍ} {مِنْ} {ذَرِّيَّةِ} {أَوْلَادِي} {فِي} {صُلُطَانٍ} {يَمِينٍ} {النور: ٢٠}.

{وَإِنَّ اللهَ يُكَرِّرُ الْآرَوْفَ} {الواو: عاطفة، والخطاب للمؤمنين، أي: وإن الله بكم أيا} 
{المؤمنين} {ذو رأفة واسعة، والرأفة: أخص من الرحمة،} {مَعَ} {أٌذُو} {رحمة واسعة} 
{خاصة بكم،} {فما إنه ذو رآفة ورحمة عامة بجميع خلقه}. 
{كما قال تعالى:} {وَأَمَل أَنْ آتِيَكُمْ رَأَفًا وَرَحْمَةً} {البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥} {و قال تعالى:} {وَأَمَل أَنْ آتِيَكُمْ رَأَفًا وَرَحْمَةً} {البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥} {و قال تعالى:} {وَأَمَل أَنْ آتِيَكُمْ رَأَفًا وَرَحْمَةً} {البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥}.

{ومن عظيم رأفتهع} {و جل ورحمة} {بالخلق} {إنزال القرآن الكريم} {و ما فيه من الآيات}

(1) {سبيأني تخرجني قريبًا}.
البيانات على رسوله محمد ﷺ، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، كذا قال تعالى:
«أَلَوْ نُبِئْنَكُمْ مَِّنْ مِلْصِقَتِهِمْ مِنْ أَفْتَيْهِمْ إِلَّا أَنْ تَرَى أَنْ تَحْسَبَ مِنْهُمْ أُولَى الْأُمُورِ إِلَّا ذُبُّلَهُمْ إِلَى صَرْطٍ.»
[البقرة: 1]

فما لكي أَلَمْ نُقَفْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» كقوله: «وَمَا لَكُنَّا لَا نُؤْمِنُنَا بِاللَّهِ» الواو: استثنائية،
و"ما" اسم استفهام فيه معنى التحضيض.

»النُّفْقَاءِ« "أَلَا" "أَن" حرف مصيري، و"لا" نافية، أي: وما لكم لا تفقون في سبيل الله، أي: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ أي: أنفقوا.
وقوله في سبيل الله، أي: لإعلاء كلمة الله في الجهاد وقتل الكفار.
والجهاد بالمال من أعظم أنواع الجهاد، وذلك لأن المجاهد نفسه لا يستطيع الجهاد إلا بوجود المال ليتزود به في جهاده، وبحله على المركب الذي يركبه والسلاح الذي يقاتل به وغير ذلك.

وهذا قدم الله عز وجل الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في أكثر المواضع في القرآن الكريم قال تعالى: "أَلَيْنَ أَمْسَى وَهَا جَهَّازُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُمْ أَقْطَرُ مِمَّا بُشِرَّتِكُمْ بِهِ` [الصف: 11]، وقال تعالى: "أَنْفَضُوا جَعَلْنَاهُمْ لَا يُؤْمِنُوا وَجَهَّدُوا وَأَقْرَبُوا مَثَلًا لِّلَّذِينَ كُفَّارٌ» [الأنفال: 41].

إلى غير ذلك من الآيات.

وهذا قال ﷺ: "من جهاز غازياً فقد غزا".

»وَمَا مِثْلٌ لِلْجَهَّازِ` والْأَرْضِ» الواو: حالية أي: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والخالق أنه ليس لكم شيء، بل عز وجل ملك السموات والأرض، فهو سبحانه المالك الوارث لذلكل كله خلقاً وابتداءً وتصراً وانتهاءً.

(1) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 2843، ومسلم في الإمامه 1895، وأبو داود في الجهاد 2509، والنسائي في الجهاد 3180، والترمذي في فضائل الجهاد 1628، وابن ماجه في الجهاد 2759، من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه.
قال تعالى: «وَلَقَدْ صَبَرْتَ الْكَسْرَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا يَقَالُ: مَا يَنَافَعُكَ» [المائدة: 16]، وقال تعالى: «وَلَقَدْ مَكَّنَّكَ الْكَسْرَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ التَّصَبِيرُ» [المائدة: 18].


وفي قوله: «وَلَقَدْ بَيْرَتُ الْحَمْضِرَ وَالْأَرْضِ»، بعد قوله: «وَلَقَدْ صَبَرْتَ الْكَسْرَ وَالْأَرْضَ»، وإشارة وتبيين إلى أن للفتوى في سبيل الله الخلف العظيم العاجل من الله عز وجل مع الأجر الكريم الآل، كما قال عز وجل: «وَلَقَدْ أَنْفَقْتَ مِنْ قَبْلَ لَنْ تُحْصَى، وَهُوَ الْحَمِيمُ أَلْزَمْتُوهُ» [النحل: 32].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما نقصت صدقة من مال". وعنة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك". وقال ﷺ لأسيا رضي الله عنها: "أنفق، ولا تحصي في حمي الله عليك، ولا نوعي، فيقوم الله عليك".

وقال ﷺ: "ما من يوم، يصبح العباد فيه، إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط مسكناً تلفاً".

فعل المؤمن أن ينقف مما استخلفه الله فيه من المال، وينفق بالخلف من الله عز وجل، ويتولى الله ويعتمد عليه، ويكون أوثق بما عند الله مما في يده قال عز وجل: "ما عنده وثبت ونفق ويعتمد على الله" [النحل: 92].

كما أن في الآية إشارة وتبيين إلى أن المال كله الله عز وجل، وما في أيدي الناس إنها

(1) أخرج مسلم في الب والصلاة والأداب، والترمذي في الب والصلاة: 129.
(2) أخرج البخاري في تفسير سورة هود: 2684، ومسلم في الزكاة: 993.
(4) أخرج البخاري في الزكاة: 442، ومسلم في الزكاة: 1291 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
هو مجرد عارية ووديعة في أيديهم، سرد إلى الله عز وجل، كأ سيردون هم بأنفسهم
إليه عز وجل، قال تعالى: Allaah لا ينفخ في أحد من دون 10 [الله خالق] وقلت تعالى:
وقد قيل: وما المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يوما أن ترد الودائع
وقال الآخر:
المال كالحاء إذ تسحب سواها
فالمال عارية والعمر رحالة
فلا أعطاك فابذل من عطيته
وقال الآخر:
أصوص عرضي سهالي لا أدنسه
لا بارك الله بعد العرض بالمال
ولست للعرض إن أودي بأجمعه
فيا أخرى من كان المال عارية ووديعة عنه فأنا بذيته، وأنا أمنع حقاً من
حقوق صاحب هذا المال ومالكه وهو الله عز وجل، الذي له ملك السماوات
والأرض.
لا يَنفخ 11 من أجل من قبِيل الفتح وقائل: أي: لا يستوي منكم أيها المؤمنون
من أنفظ من قبل فتح مكة وقاتل، ومن لم ينفظ ولم يقاتل قبل هذا الفتح.
وذلك أنه قبل الفتح كانت الحاجة إلى الإنفاق والتقاتل شديدة، وذلك لضعف
المسلمين وقتلهم، أما بعد فتح مكة فقد قويت شوكة الإسلام، وكثر المسلمون، ودخل
الناس في دين الله آفواجا، كما قال عز وجل: إذ جمعت نصَّر الله والفَشْحُ
وأذَانَتُ الْمَقْرَةُ بِذَخَائِرِكَ فِي دِينِ اللَّهِ آفُواجا. 12 فَسَيَقِعُ 13
11 سورة هود: 32
12 سورة النصر: 98
13 سورة البقرة: 282

البيت للفيض. انظر: ديوانه ص 88.
1 2 3 253، المذكرات الحمودية 298، خزانة الأدب 1 92. 4 237/1/1
فإنفاج قبل الفتح الحاجة إليه أشد وأعظم، وكذا القتال قبل الفتح، وهذا يتحمل المفقود والمقاتلين في هذه الحالة أشك ما يتحمل من أئمة من بعد الفتح وقاتل؛ وذلك للكثرة المتبقين والمقاتلين، وفي الحديث: "سبع درهم مائة ألف درهم" (1) والجمهور على أن المراد بالفتح "فتح مكة" كا تقدم، واختاره الواحدي وابن الجويري وابن كثير وغيرهم (2).

وقد ذهب الشعبي وغيره إلى أن المراد بالفتح هنا: "صلح الحديبية" (3).

واختاره الطبري والنسائي، والكيا الكرماني، وابن تيمية، والسعدي وغيرهم (4).

وذكر ابن كثير (5) أنه قد يُستدعي هذا القول بما رواه الإمام أحمد عن أسس رضي الله عنه في المشاجرة التي جرت بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنها حيث قال خالد لعبد الرحمن: تستطيعون علينا بأيام سبقتموها بها؟ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنتم مثل أحد - أو مثل الجبال ذهبًا ما بلغتم أعيالهم" (6).

وكان إسلام خالد بن الوليد بين صلح الحديبية وفتح مكة. وكان سبب المشاجرة بينهما أن رسل الله ﷺ بعد خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة فجعلوا يقولون: "صبياناً، صبياناً" فلم يحسناً أن يقولوا: "أسلمنا" فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخاف عليه عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر وغيرهما، فاختصمه خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك (7).

(1) أخرجه النسائي في الزكاة - باب جهد المقل، 2527، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) أنظر: "جامع البيان" 2/392-393، "المسلم" 4/345، "تيسير الكريم الرحمن" 7/287.
(3) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 2/392-393.
(5) في "النسائي" 8/373-38.
(6) أخرجه أحمد 2/268.
(7) أخرجه البخاري في "الغزاة" 4329، والسني في "آب القضاة" 5405، من حديث ابن عمر رضي الله عنده.
كون الرحمن يُفسِِر القرآن ج 21

كما ذكر ابن كثير في معرض ذكر ما قد يستدل به لهذا القول ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ عام الخديبية حتى إذا كنا بعفان قال رسول الله ﷺ: "بوعشتك أن يأتي قوم يحقرون أهالكم مع أعراكم" فقالوا: "قلنا: من هم يا رسول الله؟ أفريش؟ قال: "لا، ولكن أهل اليمن: هم أوقئ أئذى وأئذى قلوبنا" فقلنا: "قلنا، هل من خير من يا رسول الله؟ قال: "لقد كان لأهله جبل من ذهب فأنفقه، ما أدرك مدًّا أحكم ولاقفيه، إلا أن هذا فضل ما بيننا وبين الناس، لا يسبو ينكر من أنفق من قبلي الفتح وقائلمولآيك أعظم درجة ممن الذين أنفقوا من بعد وقائكاً، وقلت وقلت: "بوعشتك، وابن الله استثنى، والله ابناً ملوًّو عينين". 1)

وأما يؤيد أن المراد بالفتح هنا صلح الخديبية وأنه هو المراد بقوله في سورة الفتح (أنا لكم نعمة، أو أتمنون نعمة؟) [الفتح: 1] - على القول الصحيح - ما حصل بعد هذا الصلح من دخول الناس في دين الله أفواجاً فكان أعظم عز ونصر للإسلام والمسلمين.

أولئك أعظم درجة ممن الذين أنفقوا من بعد وقائناً، الإشارة إلى قوله: "في أنفق من قبلي الفتح وقائناً" أي: إلى الذين أنفقوا من قبل الفتح وقابلوا، أي: أولئك الذين أنفقوا من قبل الفتح وقابلوا أعظم درجة عند الله في الجنة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقابلوا، وذلك لأن الحاجة إلى الإنفاق والقتال قبل الفتح كانت أشد منها بعد الفتح كما سبق

1) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 2/ 296- 295- 395- 405- 415- حديثه 7336، الحداث.

18816

قال ابن كثير بعد سياقه من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم: "وهذا الحديث غريب بهذا السياق. والذي في الصحيحين من رواية جاعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد- ذكر الخوارج- يحرون صلاتكم مع صلاتهكم وصيامكم، يبقون من الثواب، بينما يبصرون من الصدوم، فعلى هذا فاذا دلالة فيه على أن المارد بالفتح صلح الخديبية. قال ابن كثير: "فإن كان ذلك محفوظًا - يعني الرواية الأولى - فتحمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارًا عنا بعده" انظر: "تفسير ابن كثير" 8/ 33- 39.
سورة الحدیدة، الآيات: 7-11

فيه، والأجر على قدر الإيان والإخلاص والمشقة، وهذا قال لأصحابه: "يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر، للعامل فيه أجر خمسين منكم" (1).

وقال: "وداعي أن أنسى الله ونعمته، القاعد في الساقي، والثائر على filename: رعمان.png" عاطفة. قرأ ابن عامر برفع اللام، "وكبل" على الابتداء، وقرأ الباقون بنصها، معقول به أول لـ"وعد" و"الحسنى" معقول به ثان.

أي: وكلا من الفريقين المنفق والمقاتل قبل الفتح، ومن يقاتل بعد الفتح، وعدهم الله الحسنى أي: الثواب الحسنات والجنة، كما قال تعالى: "لذين أحسنوا إلى الله وزيدان" (2) [النجم: 31].

وفي قوله: "وغناء الله للحسنى" احتراز ؛ لأنه ما بين أنه لا يستوى المنفق والمقاتل قبل الفتح مع المنفق والمقاتل بعده، وأن المنفقين والمقاتلين قبل الفتح أعظم درجة احتراز فقال: "وغناء الله للحسنى"، لعله يظن أنه ليس للمنفق والمقاتل بعد الفتح أجر.

كما في قوله تعالى: "لا يفتي من المؤمنين غير أهله، وأهله والgeführt في سبيل الله" (3) [النساء: 95].

وكما في قوله: "المؤمن الذي خير وأحب إلى الله من المؤمن المضعف في كل خير" (4).

ومن فضله عز وجل العظيم الواسع أنه لم ضاعف الأجر لم كان عمله أفضل لم يحرم من كان عمله دونه، وهذا قسم عز وجل أهل الجنة إلى سابقين مقربين، وإلى أهل يمين دونهم، وجعل ثوابهم على درجتين، فقال تعالى: "ولم نخفف مثقال رأس عنهم" (5) [الرحمن: 47]. ثم ذكر صفاتها في أعلى الصفات، ثم قال: "ومن دونهما جنتان" (6) [الرحمن: 62].

(1) أخبره أبو داوود في الملاعب، 434، والرمذي في التفسير، 3058، وابن ماجه في الفتين 3014، من حديث أبي نعيم الحسني رضي الله عنه.

(2) أخبره مسلم في كتاب النجاة وفي البخاري، 7/664، وابن ماجه في المقدمة 762، وأحمد 2/366-367، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ونحن الرحمن ﷺ تفسير القرآن ج 21

(وَلَمْ يَمْلَأْ وَجُهَّاهُ حَرَبٌ) (ما) موصلة أو مصدرة، أي: والله الذي تعملونه خير، أو والله بعملكم خير، أي: مطلع وعليكم بأعمالكم، بواطنها ودقاتها وخيافها، فاطلاعه على ظواهرها وجلالها وجلاليها من باب أولى وأحري.

وفي هذا وعد للممكين المتقين، ووعد للممكين المخالفين.

ومع عظيم خبرته عز وجل أن علم مدى الفرق بين من أنفق وقاتل قبل الفتح ومن أنفق وقاتل بعد، ومدى ما تحمله كل منها من المشقة، ومدى الحاجة إلى الإنفاق والقتال في الحلال، وهذا فاوت عز وجل بين ثواب كل منها.

قال ابن كثير (1): "ولا شك عند أهل الإيان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه، له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنباء فإنه أنفق ماله كله، ابتغاء وجه الله عز وجل، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

(وَمَنْ ذَلِكَ الَّذِي يُفْرِجُ اللَّهُ فِي صَحِيفَتِهِ مَعَ عَجْبَكَ مِنْ أَجْرِكُمْ) (البقرة: 252)، وقوله: "وَأَقْضُوا اللَّهُ وَرَضِيْتُمْ بِأَجْرِهِ" (المزمل: 320).

قوله: "مَنْ ذَلِكَ الَّذِي يُفْرِجُ اللَّهُ فِي صَحِيفَتِهِ مَعَ عَجْبَكَ مِنْ أَجْرِكُمْ.

من اسم استفهام، وهو متضمن للطلب باللفظ أنواع الخطاب، وهو أبلغ من الطلب بصيغة الأمر.

(ذَالِكَ) اسم إشارة، و(الَّذِي) اسم موصول يعم كل مقرض في أي وجه من وجه القرار.

(يَقْضُ) أي: يسلف. والقرار في اللغة: القطع. وفي الاصطلاح: دفع مال من

ينفع به ويرد بذله.

والمراد به هنا ما يعطي الإنسان ليجازيه الله - تعالى - عليه أي: من ذا الذي يقرض

(1) في تفسيره ٨/٣٩.
الله بالإنفاق في سبيله في وجه البر كلها، من الزكوات والصدقات، والإنفاق على الأهل والأولاد، وعلى المحتاجين من الأقارب والبيتاء، والمساكين وغيرهم، وفي الجهاد في سبيل الله، وبناء المساجد، وتعليم القرآن، وغير ذلك من مصالح المسلمين.

قال ابن كثير (1): «فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيزة صادقة دخل في عبوم هذه الآية».

(فوضى قضاء)، أي: قضى طبا جميلاً، وهو ما وافق الشرع، يكون من طيب ماله، ويطيب نفس منه، إتباعاً مرضاة الله عز وجل، وهذا بينه وبين الله عز وجل، وبلا من علimericfourseisbleahe نظر إليه، وأن يكون القرض وإنفاقه في مصلحة، وأن يحقق منه أهل الحاجة وفي مصالح المسلمين، لا فيا يغضب الله.

كما قال عز وجل: «وَيَطِيعُونَ الْأَطْرَامَ عَلَىٰ حَيْدِي مُسْكِينَ وَمَعْبَرَةَ» (الأنس: 8).

وقال تعالى: «فَذَلِكَ ذُو الْقُرْضِ ۖ لَا تُقْرِضْنَآ إِلَّا حَسَنَآ فِي الصُّدُقَةِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوا» (البقرة: 244). وقال تعالى: «ۖ ذَٰلِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنَا وَهَّٰذَا الْقُرْضُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا مَعَ آيَاتِنَا وَلَا يَكْفُرُوا مَعَ هَٰذَا الْكِتَابِ وَلَا يَبْدُوا مَا نَبْدَى مِنْهُ وَلَا يَكْفُرُوا عَنِّيهَا وَلَا يَبْدُوا عَنِّيهَا ثَمَّ يَبْنِي هُمْ قَرْضًا لأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَا يَأْتِيَهُمْ غُلُومٌ وَلَا أَذَٰلٌ» (البقرة: 245).

وسمي الإنفاق قرضًا حسنًا لله عز وجل مع أن المال ماله، والملك ملكه، والخلق عبده - حثاً عليه وترغب فيه وتكفله عز وجل بموضوع أجره، كما قال تعالى: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَتَسَلَّبُوا لِلْأَلْفَامِ لَعَلَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْبُطُورَ» (النور: 4).

(2) في تفسيره، 408/8، 385-384.

(1) أنظر: "بدائع التفسير"، 6/176.
فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالتفريق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخر، فإن كان القرض لهدف مادي دنيوي - كا هو حال الكثيرين، أو من ردي المال، أو لم تغل فيه النفس، وإنها جملة فقط فليس هذا من القرض الحسن الذي رتب الله عليه المضافة والأجر.

«فَضْعِيْلَهُمْ. أَيْ: فِيْضِعُهُمْ لَهُ خَلْقًا فِي الدُّنْيَا، كَأَقَالَ عَزْ وَجَلْ: ´وَمَا أَنفُقْتَ نِمْ تَعْلَمْ قَيْسَةً، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ´» [البقرة: 36] (سب: 36).

ويضاعف له في المجازاة، بمضاعفة الحسنة بعد مرة وعينًا، إلى سبعة أضعاف، إلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى: «فَاذَ أَلَّهُ يُبَيِّنُ لَهُمْ عَزْوَاتِهِمْ فِي سَبِيلِهِ» [البقرة: 265]، وقال تعالى: «وَمِنْ ذَٰلِكَ أَلَّهُ يُبَيِّنُ عَزْوَاتِهِمْ بِسَبِيلِهِ وَيَصْعَدُهُمْ لِيَمْتَبَّهُمْ سَبِيلَاهُ وَيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا مَعَهُمْ» [البقرة: 212].

وقال تعالى: «وَمِنْ ذَٰلِكَ أَلَّهُ يُبَيِّنُ عَزْوَاتِهِمْ وَيَلْهَبُهُمْ رُوحًا وَيَدْعُوهُمْ إِلَى كُلِّ صَلَةٍ وَيَلْهَبُهُمْ إِلَى مَرْضَاتِهِمْ» [البقرة: 277].

وقال تعالى: «وَقَالَ ﷺ: لَنَتَّعَلَّمُ لَهُمْ أَمْرًا إِلَّا مَا ظَلَّلْنُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ» [البقرة: 273].

وقال تعالى: «وَقَالَ ﷺ: إِنَّنَا نُفَرِّقُونَ لَهُمْ أَمْرًا إِلَّا مَا ظَلَّلْنُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ» [البقرة: 36].

وَقَالَ ﷺ: إِنَّنَا نُفَرِّقُونَ لَهُمْ أَمْرًا إِلَّا مَا ظَلَّلْنُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ» [البقرة: 36].

وسُمِي ثواب المقضي أجرًا مع أن الله لا يحب عليه شيء خلقه؛ لأن الله عز وجل تكفل بهذا الأجر، وأوجب عليه نفسه، تفضلاً منه وكربًا، كما قال عز وجل: «فَكَتَبْ رُبُّمِلَهُمْ عَلَى تَقْمِيرِ أَرْحَمَةَهُ مَا أَنتَ إِلَّا مَلَكُ عَلَى نَفْسِكَ» [الأنعام: 44]. وقال تعالى: «وَرُسِيمْتِ وَسِيَّرتُ كُلْ شَيْءٍ» [البقرة: 36].
فَسَأَحَبَّهَا اللَّهُ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ لِلْجَاهِلِينَ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَيْلَةَ الْهَيَابِ يُؤْمِنُونَ (128) (الأعراف: 156).

وَعِنَّا بِهِ اللَّهُ بَشَرًا، قَالَ أبو الدهباج الأنصاري: يَا رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ عِنِّي مَنَافِسًا، أَلَمْ يَذْكُرْهُ رَبُّهُ بِكُلِّ دُلْوَةٍ؟

قَالَ: «نَعَمْ، يَا أَبَا الْدَّهْـبَاجٍ» قَالَ: أَرْنِي يَدُكَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَتَوَاَلَهُ يَدُهُ، قَالَ: فَأَفْرَضَتْ رَبُّهُ حَكْمًا، وَلَهُ حَافَضًا فِي سَبِيلَهُ نَخْلَةً، وَأَمَّ الْدَّهْـبَاجَ فِي وَعْيَهَا، قَالَ: فَجَاءَ أَبُو الْدَّهْـبَاجِ فَنَادَاهَا: يَا أَمُّ الْدَّهْـبَاجِ. قَالَتْ: لِبَكَّ فَقَالَ: اخْرَجِي، فَقَدْ أَفْرَضَتْهُ رَبُّهُ عَزُّ وَجَلَّ، وَفِي رَوَايَةٍ أَنَا قَالَتِهِ: رَبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِي رَوَايَةٍ أَنَا قَالَتِهِ: رَبِّ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ: كَمْ مِنْ عَذَابٍ رَدَّاهُ (1) فِي الْجَنَّةِ لَا يَدْخُلُهُ (2).

وَفِي لَفْظٍ «رَبِّ نَخْلَتِهَا مَدَّاهُ، عَرْوَقَهَا دِينَ وَيَاقِوتُ لَأَبِي الْدَّهْـبَاجِ فِي الْجَنَّةِ» (3).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحْمَتهُ اللَّهُ (3) فِي كَلَامِهِ عَلَى هَذِهِ الْآيةِ: قُصِّدَ سَبِيحَانَهَا الْآيَةَ بِأَلْطَفِ أَنَوَاعِ الْخَطَابِ، وَهُوَ الْأَسْتَفْهَامُ المُتَضَمِّنُ لِمَعْنَى الْطَّلِبِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْبَلَدِ مِنْ صِيَغَةِ الْأَمْرِ، وَالْمَعْنَى: هَلَأَذَى يَدُ ذَلِكَ الْقَرْضُ الْحَسَنُ فِي جَيْزَى عَلَيْهِ أَضَفَاعًا مَّضَاعِفَةً؟ وَمَتَى ذَلِكَ الإِنْفَاقُ قَرْضًا حَسَنًا، حَتَّى تَلَقَّوْهَا عَلَى الْبَلَدِ؟ لَيْنَ الْبَادِلَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُسْتَقْرِضَ مِلِيَّةً فِي الْحَسَنِ كَانَ أَبْلَغُ فِي طَبِيبِهِ وَسَيَاهَةِ نَفْسِهِ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ عَيْنَ مَالَهُ يَعْوَدُ إِلَيْهِ وَلاَ يَذْهَبُ لَهُ نَفْسِهِ بِذَلِكَ، وَسَهِيلٌ عَلَيْهِ إِخْرَاجُهُ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الْمُسْتَقْرِضَ يَنْتَجِهِ لَهَا أَقْرَضًا، وَيَنْيِمُهُ لَهُ وَيَسُهرُ حَتَّى يَسْيَرُ أَضْعَافَهُ مَا بِذَلِكَ الْقَرْضُ أَسْحَمُ وَأَسْمَعُ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كِلَّهُ يَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ وَعَطَاهُ أَجْرًا أَخْرَ جَنَّةَ أَخْرَ جَنَّةٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْأَجْرُ حَظًّا عَزْمِيَ مَعَ عَطَاءٍ كَيْمٍ لَّهَا لَا يَتَخَلَّفُ عَنْ قَرْضِهِ إِلَّا لَأَقْطَأَ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْبَخِلِّ وَالشَّحِّ أَوَّلَمْ أَقْطَأَ فِي ثَقَةِ الْحُكْمَةِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ضِعْفِ إِيَانِهِ، وَهَذَا كَانَ الْمُسْتَقْرِضُ بَرَاهِيْنُ لِصَاحِبَهُ، وَهَذِهِ الأَمْوَرُ كَلَا تَحْتُ هَذِهِ الأَلْفَاظِ الَّتِي تَضْمِنُهَا الْآيَةُ، فَإِنَّهُ سَيَاهُ قَرُوضًا وَأَخْرَ جَنَّةً، لَا قَرْضٌ حَاجَةٌ، وَلِكَانَ قَرْضٌ (4).

(1) العذاب الرديف: هو العذاب العظيم القبل.
(2) أخرجه ابن حاتم في «تفسيره» 1/ 3328- 3329- الأثر 18828، وأخرجه مسلم مختصراً من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه - في الجامع 965.
إحسان إلى القرض واستدعاء لمعاملته، ويعرف مقدار الريح فهو الذي أعطاه ماله، واستدعى منه معاملته به، ثم أخبر عياً يرجع إليه بالقرض، وهو الأضعاف المضاعفة، ثم أخبرها يعطيه فوق ذلك من الزيادة وهو الأجر الكريم.

وقد ذكر أن رجلًا جاء إلى العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله فسأله أيها أفضل الصدقة- حال الحياة- أو الوضعية؟ فقال له: أيها أفضل أن يكون أمامك سراج واحد، أو أن يكون خلفك سراجان.

فقال الرجل: بل الأفضل أن يكون أمامي سراج واحد. فقال: إذن فصدق وأنت حي.

ومراد العلامة السعدي رحمه الله في هذا مثل إيضاح الفرق الواسع والبون الشامس في الفضل بين الصدقة والوضعية، وأن الصدقة حال الحياة والصحة أفضل، كما أن السراج الذي أمام الإنسان أقوى نورًا وأرتع للإنسان من سراجين خلفه أو أكثر.

وذكر أيضًا أن ساحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حمزة- رحمه الله- جاءه رجل فسأله أيها أفضل الوقف والصدقة أو الوضعية. فقال له رحمه الله: أيها أفضل إذا أردت أن تسافر أن تحمل زادك معك، أو تقول لأولادك اتبعوني بالزاد؟ قال: بل الأفضل أن أحمل معي. فقال: إذن فالوقف والصدقة في الحياة أفضل.

ومراد ساحة الشيخ عبد الله رحمه الله إيضاح أفضلية الوقف والصدقة حال حياة الإنسان على الوضعية، وأن مقدم الصدقة والوقف يطمئن ويثبت من أخذ صدقات مجزراها حال حياته بخلاف الوضعية فإن يجري هل تنفذ أو لا تنفذ؟

وفي تطبيق الشخنين رحمهم الله إشارة إلى قوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصدق وأنك صحح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغني، ولا تتمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، وفلان كذا، وقد كان لفلان(1).

(1) أخرجه البخاري في الزكاة 1419، ومسلم في الزكاة 1032، وأبو داود في الوضعة 2865، والنسائي في الزكاة 2542.
الفوائد والأحكام:

1- وجب الإياو بع الله ورسوله وتجديده والثبات عليه والزيادة منه وتكملته.

لقوله تعالى: "يا أيها بُني إسرائيل".

2- أن الإياو بع الله ينزل الإياو بالرسول ، كأن الإياو بالرسول يستلزم الإياو بع الله، وهذا جاز عطف اسم الرسول عليه السلام علیه في حق الإياو بالرسول من الإياو بع الله تعالى، كأن طاعته من طاعة الله تعالى.

3- مشروعية الإناق وإخراج ما في المال من حقوق واجبة أو مستحبة؛ لقوله تعالى: "وعيدهم في ثلثين" .

4- أن الإنسان مستخلف في المال انتقل إليه من غيره بفضل الله. وسنقل عنه إلى غيره والكل مال الله - عز وجل - لقوله تعالى: "تمكين في".

5- وعد الله - عز وجل - للمؤمنين المنفقتين بالأجر الكبير والجزاء العظيم والنزام.

هم بذلك؛ لقوله تعالى: "قُلْ إنما آتِيتمُونَ نَيْكَ وَأَنتُمْ إِلَّا نِعْمَاءُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَكْرِيمًا".

6- التحضيض على الإياو بع الله وتجديده وتكملته والثبات عليه، والامتنان عليهم، وقيام الحجة عليهم بوجود الرسول بين أظهرهم، يدعوهم إلى الإياو بع الله، وأخذه المباق علىهم، وأن ذلك شرط لصحة الإياو؛ لقوله تعالى: "وما لَكُمْ مِن نَّمَائِنَاءِ إِلَّا نَيْكَ وَأَنتُمْ إِلَّا نِعْمَاءُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَكْرِيمًا".

7- أن الإياو بع الله عهد وعقد بين المؤمنين وهم يوجب عليهم القيام بحقوق.

هذا الإياو؛ لقوله تعالى: "وَقُلْ إِنَّ هَذَا نَيْكَ مِنْ نِعْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا نَيْكَ لِيَبْنَيُونَ".

8- امتنان الله - عز وجل - على العبادات بإنزال القرآن الكريم على محمد ، وهو النعمة الكبرى؛ لقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُؤْلِفُ عَلَى عِبَادِهِ وَالْمُهْيِمِينَ".

9- إيثاب علو الله - عز وجل - على خلقه؛ لقوله تعالى: "بَيِّنَى عَلَى عِبَادِهِ".

10- أن القرآن الكريم منزل غير خلوق؛ لقوله تعالى: "بَيِّنَى عَلَى عِبَادِهِ".
11 - أن العبودية لله أفضل وأشرف ما يوسفه به البشر وهذا وصف الله - عز وجل - بها نبيه محمدًا ﷺ في حال إنزال الآيات عليه؛ لقوله تعالى: «ربي علِّ عبدي»

12 - بيان آيات القرآن الكريم، وتيبيها لما تحتاجه الأمة في دينها ودنياه؛ لقوله تعالى: «ما أتت نبي من غير آيات».

13 - أن الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب: إخراج الناس من ظلال الجهل والكفر والضلال إلى نور العلم والإيمان والهدى؛ لقوله تعالى: «إِنَّ الْحَكِيمَاتِ مِنْ أَلْطَمْسِ».

14 - إثبات العلم والحكمة في أعمال الله تعالى، وأحكامه الشرعية والكونية.

15 - أن طرق الباطل متعددة متشعبة وطريق الحق واحد، وهذا جمع الظلال وأفرد النور.

16 - إثبات صفيت الرأفة والرحمة الواسعتين لله - عز وجل - وأن من رأته ورحنه عز وجل بالعباد: أن أرسل محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن؛ لقوله تعالى: «وَإِنَّ الله يُكُرِّرُ الْمَوْلُودَانَ وَالْبَالَاتَ».

17 - الحض على الإنفاق في سبيل الله، ما دام المال في اليد؛ لأنه عارية سرد إلى الله - عز وجل - وعنده الخلف العاجل والآجل؛ لقوله تعالى: «وَمَا كَاوْنَى الْأَثْرَافُ إِلَّا سَيْبَالَيْنَ».

18 - أن الله - عز وجل - ملك ومراث السماوات والأرض؛ لقوله تعالى: «وَلَيْسَ الْأَرْضُ إِلَّا مَيْمَوَنٌ وَالْآسمَانُ».

19 - أن من أنفق وقاتل قبل الفتح أعظم درجة من أنفق وقاتل بعد الفتح؛ لقوله تعالى: «لا يُنسَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أَرْجَحٌ أَعْظَمْ دِرَجَةً مِّنْ هَذِهِ مَنْ أَنْفَقَ وَقَتَلَ» و«وَقَتَلْ».

20 - أن الأجر والثواب على قدر الإيمان والإخلاص والمشقة.

21 - وعد الله - عز وجل - لكل من أنفق وقاتل قبل الفتح أو بعده بالمرحوبة الحسنة والجنة، وإن كانوا لا يستويان، فمن أنفق وقاتل قبل الفتح أعظم درجة؛ لقوله تعالى:
24- في تسمية الإنسان قرضاً الله - عز وجل - وتسمية جزائه أجراً إشارة لتكفل الله عز وجل - وضمانه رد هذا القرض ومضاعفته والمجازاة عليه بالثواب العظيم.
25- ينبغي أن يكون الإنسان في سبيل الله خالصاً لله، ومن مال طيب، وبطيب نفس، وبلا من على المنفق عليه ولا أذية له.

* * *
عُنُون الرحمان ﷺ تفسير القرآن ٤٢

قال الله تعالى: "فيوم ترى المؤمنين والمؤمنات بيتًا ورحمًا بين أبنائهم يظلمونهم ويعيبونهم، لا ينكرون巨额

الخير من جميعهم الأكبر، خلدين فيها ذلك هو الفوز العظيم. "(الله ﷺ يقول الشهودون والشهدات للذين أسلموا

أن طويلاً تفاضلهم في ورثهم، وשלום في نفسيلاً وتفاضلهم في ورثهم، وسلام في نفسيلاً.)

في سبيل النعمة (ب) ودعاهم الله ﷺ أن ينفعهم ﷺ صبرهم وثوابهم في الآخرة، وكرماً يرزقهم ﷺ وبواسطةهم وعزهما

الأماني حتي جَعَل أَمْرَهُ وَعَزَّزَهُ يَبْنِيَ الفَوْزُ (ك) قلتم لا يوجد المتعة في دنيا ولا من الذين كفروا

يوجدهم في الآخرة ورغم الله ﷺ البهاء (م)."

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة ما أعده للمؤمنين المتفوقين من الأجر الكريم،
ثم ذكر ماهما في عادات القيادة من الدور والنشر بالنعمة والفوز العظيم.
ثم قارن ذلك بحال المؤمنين وما ينظرهم في تلك العادات من الظلمات
والتبكيت والنار وبس المصير.

قوله: "فيوم ترى المؤمنين والمؤمنات بيتًا ورحمًا بين أبنائهم يظلمونهم ويعيبونهم".

كما قال تعالى في سورة التوبة: "ولهم سَعّى مَن يَبْنِيَ أَبِيهم وَيَأْمُوْنَ بِالله يَدْعُونَ رَبَّهُمَا" (الآية: 8)

»وم» ظرف زمن منصب على الظرفاء، أو مفعول لفعل مذود، تقديره: اذكر.

»ئرّى» الخطاب للنبي ﷺ، لكل من يصلح له.

»المؤمنين والمؤمنات« عطف عز وجل "المؤمنين" على "المؤمنات«، وأفرد له
بالذكر، ولم يغلب الذكر على الإناث - كما هو الأكثر في القرآن الكريم - إشارة إلى
مكانة المرأة المؤمنة، وما أعده الله ﷺ لها، وأنها تتجاوز على عملها الصالح كما تتجاوز الرجل،
كما قال عز وجل: "فَأَسْتَجِبَ لَهُم رَبِّهِمْ إِلَّا لَا أَضْعَفُ عَمَلٌ عَسِيلٌ يَنْكُمْ مِنْ ذَٰلِكَ أَوْ أَنْتُمْ يَعْمِلُونَ مِنْ ذَٰلِكَ بَعْضٌ مِّنْ بَعْضٍ". (آل عمران: 195).

فضلحة الحسنات دون السيئات للرجال والنساء، ولكن منهم ثواب عمله، كما
قال تعالى: "أَمَّا لَكُمْ فَخَضَبِينَ ﷺ وَلِلَّذِينَ أَصْفَحَتْ بُعْضُكُمْ ﷺ وَأَكَثَّرُكُمْ ﷺ" (النساء: 32)، وقال عز
وجل: "فَمَن يَعْمِل مِّثْلَ ذَٰلِكَ دُمُؤُهُ خَيْرٌ بِهِ" (الزمر: 48) وَمَن يَعْمِل مِّثْلَ ذَٰلِكَ دُمُؤُهُ شَرٌّ
سورة الحديد، الآيات: 15 - 27

يرجعُ نُورُهُم بِنَبِيٍّ وَأَبِييْهِمْ، أي: يسير نورهم أمامهم يقتدون به ويعبدونهم الطريق، وعن أبائهم، تكريماً لهم في عراصات القيامة، وعلى الصراط حسب قوة إياباتهم، وعلى قدر أبائهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: «يرجعُ نورُهُم بِنَبِيٍّ وَأَبِييْهِمْ» قال: «على قدر أبائهم يرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إيهامه يتقد مرتين ويطفأ مرةً»(1).

يشتركم الليل جَنَّتًا، أي: يقال لهم: «يشتركم الليل» أي: يوم القيامة، والبشرى والبشارة: الإعلام برجاء، والخبر السار مأخوذ من البشرة؛ لأن الإنسان إذا أخبر بالسُّرور، وظهرت عليه آثار السَّرور، وبالعكس إذا حزن فإن بشرته تنقبض وتنظر عليه آثار الحزن، ويسود وجهه.

جَنَّتُ مَطْرَقَةٌ مِّن مَّحَّا الأَخْبَرَ، أي: أنهم يضرون في ذلك اليوم بجنات مطروقية من مAPHa الأخبار.

أي: يبشرهم ربهم قال عز وجل: «يَبْشِرُهُمْ رَبُّهُمُ رَحْمَةً وَرَحْمَتً» وَجَنَّتَ مِنْ خَيْرٍ مَا خَيْرَ الْخَيْرَ وَمَعَهُمْ يَمْسَكُونَ» [نوح: 21]، وقال تعالى: «كَذَٰلِكَ الَّذِي يَبْشِرُ الْجَاهِلِيَّةَ عِبَادَهُ الْأَلِيمِينَ» [الشورى: 23].

ويشرههم النبي قال تعالى: «وَبُشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّذِينَ صَلَّوْتُ الْصَّلَايَاتَ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا» [الكهف: 23].

وتلك والله أعظم البشرة وأغلبها وأجاكها على القلوب، وألقها على النفس.

وفي قوله: «يشتركم الليل جَنَّتًا» ولم يقل: «يشتركم اليوم بجنات» مع حذف الفعل ما يدل على قرب حصول البشر فيه بل ما يدل على حصول البشرة والبشرية في آن واحد.

و«جنات» جميع جنة، والجنة في الأصل: البستان، وسمى البستان جنة لأنه يجن من

---

(1) أخرجه الطبري في «جامع البيان» 298/22.398/72.
بداخله، أي: يسره لكثره أشجاره ونفاحاتها. قال تعالى:  وَزَرِّيماً مِّنَ السَّمَاءِ مَّبْرُوكًا \(ق: 9, 10\).  
والمрад بالجانب في قوله  «ۛشَرَّكُمْ آيُّمَ ۛجَنَّتُمْ» مما أعدد الله لأولويته المؤمنين وحبيبه الملفحين في دار كرامته في جنات عدن، من البساتين والقصور والمساكن والغرف، وما فيها من ألوان النعيم.

«ۛهُمُذْ يَمْسَكُهُمُ الْأَهْيَرُ» أي: تجري من تحت أشجارها وقصورها وغرفها الأنهار بلا أخدود، قال ابن القيم رحمه الله:  
أنهراها في غير أخدود جرته سباح مسكة على الفيضان وأنهارها أنواع، كما قال الله عز وجل:  مَّلَآتْ أَثْرَا وَيْدِيعٌ لَّنْ تُخْبِثُنَّ فَيْنَ أَنْتَرْنَ مِنْ مَّا تَعْبِرُونَ \(ب: 15\).  
فشيرون عن هذه الأنهار وتشعون برؤية جريانها تحت تلك الجنان، وغير ذلك.

«ۛخَالِدِينَ فِيهَا» خالدً فيها حال، أي: حال كونهم خالدين فيها، أي: مقيمين في هذه الجنتين. إقامة أبدية لا تحول ولا تزول، قال تعالى: ۛخَالِدِينَ فِيهَا فَٱذۡكُرُوهَا عَنْهُمۡ وَرَضِيَ عَنۢهُمۡ \(المائدة: 119, البينة: 8\).

ذَلِكَ ۛعِلَّمُواقيادة الإشارة إلى ما للمؤمنين من النور في تلك العرسات، ودخول الجنان، والخلود فيها، والتمتع بها فيهما من الخيرات والأنهار وألوان النعيم - نسأل الله تعالى من فضله.

وأشار إليه بإشارة البعيد تعظيماً له، وتذكيراً بشأنه.

والفوز هو النجاة من المرهوب وحصول المطلب، النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار، ويا له من فوز، كما قال عز وجل: ۛفَقَمۡنَ رَّضِيۢعَ عَنۢ أَلۢکِرَ وَأَدۢجِلَ |الجَبَّةَ ۛفَقَدۡ فَازَ ۛۚ [آل عمران: 18].

«الشامخ» أي: الذي لا فوز أعظم منه، وإذا كان الله وصف هذا الفوز بأنه عظيم، (1) انظر: النونية. ص ٢٢٩.
سورة الحديد، الآيات: 12-16

فلما يقدر قدر عظمته إلا العظيم سبحانه وتعالى.

يوم يقول السُنيقمون والسُنيقمت للذين آمنوا أنظروا من تبكيكم الآيات.

ما ذكر أن المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم أمامهم ويأتيهم، أتبع ذلك بذكر حال المنافقين والمنافقات، وهم يخططون في الظلمات، ويطلبون الاقتباس من نور المؤمنين وهيهات أن يحصل لهم ذلك.

قوله: «يوم يقول السُنيقمون والسُنيقمت للذين آمنوا أنظروا من تبكيكم الآيات»، «يوم» بدل من «يوم» في قوله:

يا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات.

و«السُنيقمون والسُنيقمت» هم الذين أظهروا الإيان وأبطروا الكفر، وسمي المنافق منافقًا أ chciaً من نافقة اليبرع، وذلك لأن اليبرع هو دابة صغيرة أكبر من الفأرة، يعمر في الأرض جحراً، ويجعل له باباً، ويجعل في آخره نافقة، أي: خرجة للفوارق، لكنه لا يجعله ظاهراً بل يترك فوقه قشرة من الأرض، فإذا داهم عدو من باب جحرة ضرب هذه النافقة برأسه وخرج.

وهكذا حال المنافق يظهر الإيان ويبطن الكفر، يأتي إلى المؤمنين بوجه وإلى الكفار بوجه آخر، كما قال الله عز وجل عن المنافقين: «وإذا نَفَقَ اللَّدَمُينَ ءَامَنَوا أَمَّامَكُ وَإِذَا أَخْلَفُوا إِلَى السَّبِيلِ هُدُيَّهُمُ فَأَلْوَاهُ كَأَنَّهُمْ مَيْتُونَ».[البقرة: 142]

وذكر المنافقين هنا مع المنافقين، ولم يغلب الذكور على الإناث كا هو الغالب في القرآن الكريم، لزيد البسط والإيضاح، وأن كل من الذكور والإناث يجازي بعمله.


و«تمثّن من تبكيكم»، أي: نستضيء به.


فقالوا: نورًا، أي: اطلقوا نورًا، وهذا القول لا يقل وقعه على قلوبهم عن العذاب الحسي؛ لما فيه من الإهانة لهم والتقييم والتزوير والتبكيت والمعني: أنه عندما يرى المنافقون المناقصات المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
أي يدعون وآباؤهم يطلبون منهم الانتظار لهم! ليستطيعوا من نورهم، فقيل لهم: «أرجعوا ورَأَبِبِكُمُ اللَّهُ وَلُقِيَائُوهُمُ»، أي: ارجعوا من حيث جئتكم فاطلبوا لأنفسكم نوراً.
وفي إشارة إلى أن محل أحد النور إنما هو في الحياة الدنيا بالإيام والعمل الصالح، وهيهات ذلك.
وأيهم القائل لم ذلك إشارة إلى افتتاح أمرهم وحريتهم بين الخلق، فكان كلا يقول لهم هذا القول.
وفي هذا توجيه وتشريع وتبكيت لهم، ومخادعة لهم واستهزاء بهم كأن كانوا في الدنيا يجذعون ويستهزئون، قال تعالى: {يَقُولُونَ لَهُمُ اللَّهُ وَأَلَّهَ إِنَّكُمْ مَعَاهُ وَلَن يَنفِرُكُم مِّن فَوْقِهِم مَا كُنْتُمْ تَخَافُونَ} [البقرة: 6]. وقال تعالى: {وَإِذَا نُفِقَ الْإِنْفُقَاءَ نَأْتَوهُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَقْرَأُونَ عِنْدَنَا} [النساء: 142]. وقال تعالى: {وَأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ إِن يَأْتِيَكُمْ فِرْجٌ مُّطَهَّرٌ ثُمَّ جَعَلْتُهُمْ مَيْلاً لِّلْأَمْوَالِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْمِنُ بِالْمُنْفَعَاتِ} [البقرة: 13].
وأنى لم نقل النور ولم يسلكا طريقه في الدنيا، كما قال تعالى عن أعماهم وحائتمهم وأنفسهم {وَأَوْلُوهُمْ فِي بَيْتٍ أَنْجُعَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ مَجْرَىٰ مَّيْلٍ مِّن فَوْقِهِ مَجْرَىٰ مَّيْلٍ مِّن فَوْقِهِ، حَبَّابُ ثُلُّمَتُ مَبْصِرَةٌ فَوْقُ بَيْنَ مَجْرَيْهِ} [النور: 40].
ولا أشد ظلمة من ظهور النور ثم انطفائه، ولا أشد حسرة من وجود بصيص أمل في النجاة ثم انقطعه.
قال ابن القيم: {وهذا أشد ما يكون من الخسارة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاحة حتى إذا ظن أنه ناج، ورأى منازل السعداء اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه}.
{فَصَبَّرْ بِنِي ثَلَاثُ وَعَشَرَ الْوَلَيدَ}، أي: فضرب بين المنافقين وبين المؤمنين، وحيل بينهم {وُسُرَّى}، أي: حاجز بين الجنة والنار، {لَهُوُ الْبَيْتُ}، فلم يمكنهم اللحاق بالمؤمنين والاقتفاء من نورهم، ولا الرجوع والتواص اللوزور، بل بقوا في الظلمات وهو المذكور

(1) انظر: «بديع التفسير» ٤/٣٨٥.
في قوله: {وَبِيَامِهِمَا يَذَابُ} [الأعراف: 47].

{بَاطِلَةٌ}، أي: باطل هذا السور من جهة المؤمنين {فِيهِ آرَاحَةٌ} وهي الجنة وما فيها من التعبد، كما قال تعالى في الحديث القدسي للجنة: {أَنتَ لِلْجَنَّةَ رَحِمِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءٍ}.(1)

{وَظَهَرَهُ}، أي: وظهر هذا السور من جهة المنافقين الكافرين {مِنْ فِيْهِ}، أي: من جهته {الذَّابِرُ} وهو النار وما فيها من الجحيم، كما قال تعالى في الحديث القدسي للنار: {إِنَا أَنتَ عَذَابٌ أَعْزَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءٍ مِنْ عِبَادِي}،(2)

قال ابن كثير: {المواد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا أنهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كأناوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة}.

{يَدَيْهِمَا أَلَمْ نَنْكُمْ}، أي: ينادي المنافقون المؤمنين قائلين لهم: {أَلَمْ نَنْكُمْ مَعْمَكِ}؟ {الحِمَزَة} للاستفهام ومعناه التقرير والتعجب.

أي: هل نكن معكم في دار الدنيا نصي ونركي ونصوم ونجيح ونجاه؟ قائلًا: {بلى} حرف جواب لإثبات الإيجاب، أي: قال المؤمنون: بلى، لقد كنتم معنا في دار الدنيا في الظاهر، وذلك أن المنافقين يعيشون بين ظهري المؤمنين؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر، وهذا كانوا أشد خطرًا على المسلمين، وأشد جمراً، وأشد عقوبة من جميع طوائف الكفر.

{وَلَكِنَّ،}، الفاعل: عاطفة، {وَلَكِنَّ} حرف استدراك، {فَمَنْ أَفْتَسَكَمُ}، أي: أوقسموا في الفتنة بالكفر والتنافع والمعاصي واتباع الشهوات والملذات.

{وَتَرْسَمْ}، أي: انظروما واستمروا على الكفر والتنافع، وأخرجو النوبة.

(1) أخرجه البخاري في التفسير، 4850، ومسلم في الجنة وصفة تعييمها وأهلها 2846؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) في تفسيره 484.44.
وانظروتم الشر بالحق وأهله

وأذبكم يا جاكم من الحق، ومن جاء كم به، وهو الرسول

والبعث بعد الموت والجزاء على الأفعال

وأذبكم الأман، أي: وتخدعتم الأمان الباطلة من حب الدنيا والشهوات

والملذات، وتمت حظوظ الدنيا الفانية، وتمت أنكم ستكونون أحسن الناس، وأنه

سيغفر لكم، وغير ذلك من الأمان الخادعة الباطلة، التي لا يصحبها صدق وعمل.

فيا ينفع المرء في دينه ودنياه، والتي هي مدعاة للكل، وقد قال الله تعالى:

"ولا تكنوا مأتمتكين على من عرف أن تبتغيوهما، فيجعلنهم على يد الله نصير"،

"إذ تأتيهم أضراراً، فينفخون فيهم-loading...

"ويستكرولا الله من فضله" [النساء: 32].

وفي الحديث: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعجز من أتبع نفسه

هوها وتمتى على الله الأمان". (1)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "حاسدوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزمنوا

للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا". (2)

"حتى جاءكم الموت، وأنتم على هذه الحال، كما قال عز وجل:

"كلكم أذانكم، وذكركم المقابل" [التكرار: 10].

و"تفرعن بالي_validation"، أي: خدعكم بالله وعظمته وعظم حقه عليك، وعظيم

عقابه. "الغزور" أي: الخدوع وهو الشيطان.

قال قتادة: "كانوا على خدعة من الشيطان، والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله في

النار". (3)

وهذا نجد الكفرة من المنافقين وغيرهم في موقف آخر يبرون بسبب ما آلوا إليه

(1) أخرج الترمذي في سفر القيامة والرقيق والوروع 259، وابن ماجه في الزهد 260، من حديث

شداد بن أسس، رضي الله عنه، وقال الترمذي "حديث حسن".

(2) ذكره الترمذي في الموضع السابق.

(3) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 2/206/4.
سورة الحديد، الآيات: 12 - 15

[المدرر: 8-48]

كما قال تعالى: "كل شيء يُنَكَّبَتُهُ رُحْمَتُهُ إلا أَحِبَّ أَلِيَّينَ" [المدرر: 8-48].

ولا تنافى بين قول المؤمنين هم هنا و"وليُّيْوَضُّ نَفْسَكُمْ" الآية، وبين سؤالهم لم في قوله تعالى: "ما سَلَّمَكُمْ في سَقْرِ [المدرر: 42]؟ لأن السؤال هنا ليس لقصد الاستعلام والاستفهام الحقيقي، وإنها لقصد التفريق والتوضيح لهم والتبكيت.

"قلْ قُلْوُنِينَ مَنْ يَهْدِيْنَ فَذَٰلِكَ قَرَأَ أَبُو جَفَرُ وَابِنَ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ: لا تَؤْخُذْ بِالنَّاءٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْبَيَاءِ: لَا يَؤْخُذُونَ".

أو: فَالْيَوْمِ، أَيْ: يَوْمَ الْقِبَابَةِ.

"لَا يَؤْخُذُونَ" أَيْ: لا يُقَبِّلُ منْهُمْ فِدَاءٌ.

والغذية: مَالٌ أو عرْض يدفع نظير ومقابل الخلاص، كما قال تعالى: "فَلَن يَبْكِنَ" من أحدهم إن أنفق الأَرْضُ ذَهَبْنَ وَلَا أَفْتَنْنَهُ وَيَعْقُوبَ [آل عمران: 91]. وقال تعالى: "إِنَّ الْأَرْضَ سَكَّرَ عَلَيْهَا ثَلَاثَ سَنَاتٍ وَلَا تَبْلَغَهَا مَمَّا يَثْقُلُهَا وَلَا تَبْلَغَهَا مَمَّا يَثْقُلُهَا مَا تَبْقَىَ مِنْهَا وَقَمُّ عَذَابٍ عَظِيمٍ" [المائدة: 32]. وقال تعالى: "وَلَوْلَا أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ طَلَّبَ مَا فِى الْأَرْضِ لَانتَدَتْ يَوْمًا" [يوسف: 45].

وقال تعالى: "وَاللَاّهُمَّ لَمْ يَسْتَجِيبْنَ لَهُ أَرْضٌ بَلْ أَلَّلَا يَكُنَّ مَا فِى الْأَرْضِ جَيْبًا وَمَثَلًا" [الرعد: 18]. وقال تعالى: "وَلَوْلَا أَلَهِيَّةَ مَثَلُوا مَا فِى الْأَرْضِ جَيْبًا وَمَثَلًا مَعَهُ لَنُسْتَجِبْنَ لَهُ" [النور: 44]. وقال تعالى: "يُوْمَ الْمَغْرُومِ لَوْ يَتَخَضَّبُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ يَوْمٍ يَنْبِينَ" [النور: 44]. وَبِصِبْرَيْنِ وَأَحْيَاهُ وَقَبْلَهُ وَقَبْلَهُ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَيْبًا وَمَثَلًا" [المحال: 11-14].

ولا لَّاتِلُبُنَّ كَفَرُوا"، أي: لا يَؤخُذْ فَنَّاسِه مِنَ الَّذين كَفَرَوا فلا فَنَّاسِه مِنَ الَّذين كَفَرَوا، كما قال تعالى: "فَقَمَّنَّهُمْ شَفَاعَةُ النَّفَعِينِ" [المدرر: 48].

"مَا أَوْلَمِكُمْ أَثَرُراً"، أي: مصيركم الذي ستنتهرون وتصبرون إليه واستقرون فيه.

النار، فهي منزلكم الذي لا مصير ولا منزل لكم سواء.

"هَٰذَهُ مَوْلَامُكُمْ"، أي: هي التي تتوالكم وتضحك إليكم وهي أول المنازل لكم؛
عون الرحمن في تفسير القرآن ج

٢١

تولاكم بحراً وعذاباً، كما توليتها بعملكم عملاً أهلاً، بنفاقكم وكفركم.


"ويسى المصير" بمعنى: قاتل وساء، وهي من أفعال الذم والمخصص بالذم. مذووق تقديره: ويسى المصير، أي: النار. أو ويسى المصير مصير من صار إلى النار. و"المصير": المرجع والمال والملك.

القواعد والأحكام:

١ - تعظيم شأن المؤمنين والمؤمنات وحلفهم وقائمهم والتوبيه بهم في عرسات القيادة من النور والبشرة بالجنت وما فيها من الأنهار، والخلود فيها والفوز العظيم والرغبة في الإيام والإغراء به، لقوله تعالى: "وما يرى المؤمنين والمؤمنات يتسع نورهم بين أعيديهم وآيديهم وبشركم أنتم جنّة من نعيمين اهتديهم فيها".

٢ - عظم مكانة المرأة في الإسلام وما أعد الله لها، وأيها تجاوز على عملها الصالح كما يجازى الرجل لقوله تعالى: "وما يرى المؤمنين والمؤمنات".

٣ - أن الجزاء من جنس العمل فكما استنار المؤمنون في الدنيا ينور الله وهدي منحهم النور والهدى في عرسات القيادة، لقوله تعالى: "يتسع نورهم بين أعيديهم وآيديهم وشركم أنتم جنّة من نعيمين اهتديهم فيها".

٤ - تخط المنافقين في الظلال في عرسات القيادة وطلبهم الاقتراض من نور المؤمنين ولكنهم هبات، فكما تخطوا في دينهم وتدبروا وشكا جروا بالتحط في الظلال في تلك العرسات، جزاء ووفاقاً له، لقوله تعالى: "وما يقول السفاحون والسيقنُت لعليكم، وأそのまま رد أمركم من نوركم".

٥ - الاستهزا والسخرية بالمنافقين في ذلك اليوم كما استهزوا وسخروا بالإثيوبي والأهل في الدنيا، وهذا من عذابهم المعنوي، لقوله تعالى: "قيل إنه جاهزوا ماتلسوو أرواءكم".

٦ - الفصل بين المنافقين وبين المؤمنين بحاجز بين الجنة والنار بحيث لا يمكنهم
اللحق بالمؤمنين، في الرحمة من جهة المؤمنين والعذاب من جهة المنافقين; لقوله تعالى:

» قُضِّيَ بَيْنَنَا بِسُورٍ اِلْبَاطِنَ، فِي الْرَّحْمَةِ وَظَلَمَةٍ بِمِثْلِ عِبَادِهِ. 

7- نداء المنافقين للمؤمنين للدخول معهم كما كانوا معهم في الدنيا في الظاهر، وتوبخ المؤمنين لهم بأنهم فتنوا أنفسهم بالكفر باطناً وانتظروا الشر بالمؤمنين وشكونا وغرضهم الأماني الباطلة والشيطان الرجيم، وهذا عذاب معنوي لهم، ويوجب العبد عن صفاتهم، لقوله تعالى: 

» يَبْدَأُونَهُمْ أَلْلَهُ تَأْتِيَنَّهُمْ مَعَ مُعَمَّرٍ قَالُواْ يَا عِبَادِي إِنِّي أَنْصَرْتُكُمْ فَأَنْفَسَتُكُمْ وَرَقَصْتُمُ وَأَرْزَقْتُكُمْ وَعَزَّتْكُمْ أَلْلَهُمَا الْمَلِكُوُّ إِلَّا قَيَّمُهُمَا. 

8- الرعى الشديد للمنافقين والكافرين بالنار، لأنه لا سبيل لهم للخلاص من النار ولا بادية ولا بغيرها، هي مولاهم ومصيرهم ويبس المصير، لقوله تعالى:

» قَالَوْاْ لَا يَوْمَ تَمُّدُّنَا يُعِيدُونَكُمْ بِعَذَابٍ كَانُواْ مَأْتِيَكُمْ إِلَّا لَيْسَ كَمَا يَوْمُ تَمُّدُّنَا. 

* * *
قال الله تعالى: «ألَمْ يَرِيُوا الْأَمْوَاتُ أَنْ تَعْصَى قُلُوبُهُمْ لِيُصُبْرُونَ عَلَى اللَّهِ وَمَا نَزَّلْنَى مِنْ النَّبِيِّينَ لَا يُكْفَنَّ أَنْ تَكُونُوا كَذِبَاءُ اثْنَىَنِينَ أُولَٰئِكَ الْكِتَابُ مِنْ قَبْلِهِمْ عَلَى الْآمِينِ الآمِينَ فَذَكَّرْنَاهُمْ وَكَبِيرَ مِنْهُمْ كَبِيرُهُمْ» (٧٥). uptake

أَلَمْ يَرِىِّ النَّبِيُّينَ أَنْ تَعْصَى قُلُوبُهُمْ (٧٦).

وَلَا يُكْفَنَّ أَنْ تَكُونُوا كَذِبَاءُ اثْنَىَنِينَ (٧٧).

وَكَبِيرَ مِنْهُمْ كَبِيرُهُمْ (٧٨).

عَلَى الْآمِينِ (٧٩).

فَذَكَّرْنَاهُمْ (٨٠).

١٠٨٢٥-١٨٨٣/١٠/٨٣.

(١) أَخْرِجهُ إِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي مُتَقَسِّمَٰهُ؛ ٢٣٣٧٣٣٨٤٨.

(٢) أَخْرِجهُ مَسْلمُ بِهِ الرَّجُلُ فِي الْبَابِ بِقْوَاتِ اللَّهِ؛ (٨٣) خَالِدٌ لِلنَّبِيِّينَ آمِنَّا (٨٤) الآيَةُ الْحَدِيثَ. ٢٠٢٧/٣٠٧.
سورة الحديد، الآية: 16


وَقَالَ الْقُلُوبُ: [الرعد: 68] 

وَهُذَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَمَّا كَانَ الْكَارِمُ: «بَلْ لَهُمْ جُنُرٌ وَلَا بَعْرٌ عَنِ ذِي أَلْلَهِ وَقَيْمٌ» [النور: 27]

وَقَالَ الْقُلُوبُ: «فَقِيلُ لَفَتَوَّاتِيْشَ قَدْ بََّنِيَ الْأَلْلَهَ أُولَٰئِكَ فِي ضَالِعِ مَيْتِينِ» [الزمر: 32]

وَقَالَ الْقُلُوبُ: "وَمَنْ يَضْعُفُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَلْيُفْسِدُ لَهُ شَيْءًا مِّنْ نَعْمَاتِنَا" [البقرة: 36] 

وَقَالَ الْقُلُوبُ: "أَسْتَنْبَعُونَ عَلَيْهِمْ مَثَلًا حَيًّا" [المائدة: 19]

وَقَالَ الْقُلُوبُ: "كَانَتِ السَّيِّداتُ أَمَنِّيًا لَا يَقْصُرُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَجْعَلُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ" [المائدة: 9]

وَإِذَا كَانَ هَذَا العَتَابُ لِسَلاَحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ أَبِرُ النَّاسِ قَلْوًا وأَصْدِقُهُمْ أَلَسْناً وَقَوَّاهُمْ إِيَّاهَا وَأَعْظَمُهُمْ تَرَوُى، وَأَنْهِدُهُمْ إِخْلَاصًا وَإِصْيَابًا، وَأُكْثِرُوهُمْ ذَكْرًا وَعَبَاءَةٌ وَخُضُوعًا وَمُجَاهِدَةٌ، فَكَيْفَ بِحَالِهِمْ بِمِنْ بَعْدِهِمْ أَرْبَعَةُ عَشْرُ قَرَنًا، وَمِنْهُمْ أَقْلُهُمْ بِذَلِكَ كُلَّهُ. اللَّهُمَّ غَفِّرْ

وَهُذَا مَا يَوْبِعُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَأَمَّلُ حَالَهُ، وَيَتَدَبَرُ فِي أَمَرِهِ، فَأَيْنَ نَحْنَ مِنْ حَالِهِمْ، فَهُمْ الْمَعَايِنُ بِهِ ذَلِكَ الْخَطَّابُ، عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَرَجِعُ نَفْسِهِمْ وَهَالِكَ مِنْهُمْ حِيْثَ لَهُمْ حَيْثُ وَآيَاتِهِ وَمَدَى خُضُوعِهِ وَخَتَمَدَاهُ لَحَكَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، لَا يَغْتَرُ، فَإِنَّ النَّافِدِ بِصَبْرٍ وَأَخْصِبَ عَسَرٍ إِلَّا عَلَى مِنْ بَيْرِهِ اللَّهِ عَلِيهِ.
قوله: "ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلكم" والواو: عاطفة، وال"لا" نافية، والفعل (يكونوا) منصب عطفاً على "تخشع"، أي: ألم يأت لتلك الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا أو "لا" نافية، والفعل مجزوم بيا، أي: فلا يكونوا كذالين أوتوا الكتاب من قبلهم، وهم اليهود والنصارى.

"فطال عليهم الآمر"، أي: فطال عليهم الأجل والزمان، وبطل العهد بينهم وبين عهد الرسلات وامتد بهم الوقت.

"فقتّست قلوبهم"، أي: غلظت قلوبهم واشتدت فلم تكن عند الله، وما أنزله عليهم في كتبه فهي غفل لا تقبل موعظة، ولا يؤثر فيها ود ولا وعید، كما قال تعالى: "فِي هَٰذِهِ الْكُتُبِ مَا بَيْنَذَاهَا كَلِبَاسًا وَوَصْفًا" [البقرة: 42]، وقال تعالى: "وَلَنَفَقَّسَ قَلَوبَهُمْ وَرَأِيَتُونَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا سَوَّاَتُهُ بَصَمَتَهُ" [الإسراء: 43]، وقال تعالى: "مِثْلَ الَّذِينَ حَبَّسَهُمُ التَّوْرَةُ وَمَن تَحْقَّقَ مِنْهُمْ حَسَبَاهُ خُمُسًا" [البقرة: 42].

وكان من غلظة قلوبهم وشدة قسوتها أن كذبوا بآيات الله ونذروا وراء ظهورهم، وحرّقوها وبدؤوها واشتروا بها ثمناً قليلاً، واخترزوا أحبائهم ورهبهم أرباباً من دون الله، قال تعالى: "فَأَنْظُرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَقَدْ كَانُوا قَرِينِي مِنْهُمْ يُعْمَنُونَ كَأَنْ كَتَبَ اللَّهُ تُحْرِّكَهُمْ وَلَن يَعْمَرَهُمْ" [البقرة: 26].

وقال تعالى: "فَأَنْظُرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَقَدْ كَانُوا قَرِينِي مِنْهُمْ يُعْمَنُونَ" [المائدة: 13].

وقال تعالى: "وَلَمَّا جَآهَهُمْ رَسُولُ مُنَّهٍ عِنْدَ اللَّهِ مَسْتَقِيمًا لَّمْ يُعْمَنُوا كَأَنْ كَتَبَ اللَّهُ يُعْمَنُوْنَ" [البقرة: 101] وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَعْمَنُ الَّذِينَ أُذِنَّا الْكُتُبَ لَقَٰلُوهُمْ لَنَكُونَنَّ عَلَىٰ مَبَارِكَةِ اللَّهِ وَلَا نَكُونَنَّ عَلَىٰ مَبَارِكَةِ الْمَكَّةِ وَلَا نَكُونَنَّ عَلَىٰ مَبَارِكَةِ الْمُسْتَعْلِيَّةِ" [المائدة: 13].
عطاء الله عز وجل المؤمنين في الآية السابقة واستبطاً خشوع قلوبهم لذكر الله ووحيه ونهاهم عن مشابهة أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد فقسنت قلوبهم وخرج كثير منهم عن طاعة الله. ثم أتبع عز وجل هذا العتاب وهذا النهي بما يبشر بالخير، ويا بشبه الفأل الحسن، ويا يذهب القنوط والأس عن القلوب، وأن الله عز وجل القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على تليين القلوب بعد قسوتها. ويا له من تشبه عجيب، فما أشبه القلب القاسي بالأرض الميتة، وما أهون تليين القلب القاسي على من قدر على إحياء الأرض بعد موتها.

قال ابن كثير (1) رحمه الله: «فبه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلب بعد قسوتها ويدي الحياء بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهميدة بالغط الهستان، كذلك يهدى القلب القاسي ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الوصل، فسجحان الهادي لم شأ بعد الإصلاح، والمضل من أراد بعد الكحال، الذي هو ما يشاء فقلاً وهو الحكم العدل في».

(1) في تفسير 48/7.
جمع الفعال، اللطيف الخير الكبير المعال. قوله: "أَعْمَرْنَا" الأمر للمؤمنين المخطئين بقوله: "أَلَمْ يَأْنِي لَيْلِيَانِ مَأتمِاً". وَجَمِيع النَاس.

"إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا" وذلك بإزال المطر عليها، كما قال عز وجل: "وَقَدْ أُمِثِّلَتْ فِي الْأَرْضِ الْقَبْضَةُ أهْيَانَهَا وَأُخْرَجَتْ هِيَ حَافِظَةً مَا أَطْلَقْتُوْنَ" [يس: 33].

وَقَالَ تَعَالَى: "مَنْ كَانَ مِنْ كَافِرٍ فَلَا أَنْتَ مَعَهُ".[فصل: 39].

وكا أن في الآية إشارة إلى أن الله يلين القلوب بعد قسوتها فضيدها دلالة أخرى على أن الله يحب الخلق بعد موته وبيثهم، كما قال تعالى: "إِنَّ الْمَلِكَ الْكُبْرَى لَمَّا أَصَبْتُمْ إِلَى مَوْتِكُمْ يَوْمَ يَوْمِ قَيْمَتِكُمْ" [فصل: 39].

"فَقَدْ بَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أُمَرَّتْ لَمْ تَكُفُّ ذَلِكَ وَقِيلَ" قدم للحقيقة، "بينا" وضحنا وفصينا، و"الآيات" جمع آية، والآية: العلامة الدالة على وجد الله عز وجل ووحدانيته وكما له في ذاته وربوبته وألوهية وأسبائه وصفاته وتنقسم الآيات إلى قسمين: آيات شرعية، وهي آيات القرآن الكريم، وقد بينها الله عز وجل أعظم بيان قال تعالى: "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِي الْأَلَّهُ أُوْلَٰٰدُ إِنَّمَا أَخْيَانُهَا حَكْمًا" [النساء: 82].

والقسم الثاني: آيات كونية منتشرة في هذا الكون، فكل خلق في هذا الكون هو آية يدل بخلقه وجوده وأحواله، على وجود الخلق العظيم، وكماه في ذاته وربوبته وألوهية وأسبائه وصفاته.

قال تعالى: "وَمَا آتَيْنَاهُ هُمْ أَلِيلَ كَبَرْسُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ، وَالْكَبْرِ أَهَّلَهُ وَلَمْ يَكُن لَّهُ مَيْلٌ مَّيْلًا، وَالْخَلْقِ تَجْرِي، لَمْ يَتَقَدَّمَ لَهُ فِي ذَلِكَ تَقْدِيرٌ فِي الْقُلُومِ، واَلْقُرْنُ يَتَقَبَّلُهُ مِنَ الْجِنَّاتِ، فَلاَ كُلُّ خَلْقٍ يَتَقَبَّلُ هُمْ مَّعْلُونَ، فِي ذَلِكَ تَقْدِيرٌ، وَلَا يَتَقَدَّمُ لَهُ فِي ذَلِكَ تَقْدِيرٌ" [يس: 37-40].

وقد أحسن القائل:
سورة الحديد، الآيات: 16

فوا أعجباً كيف يعصف الأل
وفي كل شيء له آية
وقد خف فيها لم تأملت خطها
(1) أنفكم تميلون، أي: أأج أن تعقلوا عن الله عز وجل أمره ونهبه، وتستعملوا عقولكم فيها خلقتم له وفياً يفيدكم في أمر دينكم ودنياكم.
فإن العقل الحقيقي هو الذي يهدى صاحبه إلى ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة ويسنير بناور الله عز وجل، وهذا العقل هو مناط المدح والذم.
أما العقل الذي هو مناط التكلف فهو ما يميز به العاقل من الجنون المتعوه، وهذا العقل وإن كان موجوداً عند الكثيرون فإنه لم يفعهم لأنهم لم يستفيدوا منه في معرفة الحق والعمل به، وهذا قال الله عز وجل عن الكفار: "هم نغلب لا يعقلون إلا وهم أعمى لا يرضون إلا وهم مادون لا يسمعون إلا وهم أضل أولئك كل أضل أولئك هم الذين يرتمون" (2)
(الفاتحة 37).

[الأعراف: 179]

بل قالوا عن أنفسهم: "نحى الله علمنهم "قلنا للكبارة منا، ما في أعقل منك؟" (الملك: 10، 11).
فبين الله عز وجل الآيات الشرعية والآيات الكونية ووضوحها وفصلها أتم تفصيل; لأجل أن يتاملها الناس بعقولهم، ويبدوا بها إلى معرفة الخالق العظيم، وإلى معرفة الحق، وهذا أرسل عز وجل الرسل، وأنزل الكتب، وبيذل أمام الحجة على الحق، كنا قال عز وجل: "رسلاً متقارنة ومستورين ينادون بليغين على الله محقاً بعد الارشلي" (النساء: 165).

وفي الآية دلالة على أنه لا عقل من لم يبت بآيات الله ولم ينقد لشرع الله.

(1) البنتان لأبي العتاهية. انظر: "ديوانه" ص 10.
(2) انظر: "بداائع القواعد" لابن القيم 4/114.
1- علم النبي - عز وجل - للمؤمنين واستبطان خشوع قلوبهم لذكره وما نزل من الحق; لقوله تعالى: "إن الله يحب الذين آمنوا أن يُصبحوا رحمتهم، يغفر لهم ورضوانهم من الله".

2- إثبات علو الله - عز وجل - بذاته وصفاته, وأن القرآن الكريم منزل من عينه - عز وجل - لقوله تعالى: "ومازِرَّ من الله".

3- نبي المؤمنين وتحذيرهم أن يكونوا مثل اليهود والنصارى في قسوة قلوبهم وفسق كثير منهم; لقوله تعالى: "ولَيُكَثِّرَنَّ كُلٌّ مِّن ضَلْلِهِمَا أُولِي الْكِتَابِ مِن قَبْلٍ فَطَالْ عَلَيْهِمْ الأَمْرُ فَقَضَّتْهُم مَّكَّةَ وَمَكَّةَ مَّسَاهُمْ".

4- دم أهل الكتاب بقسوة قلوبهم, وفسق كثير منهم.

5- في عتاب الله - عز وجل - للصحابة ونبيهم عن مشابهة أهل الكتاب بقسوة القلوب والفسق عنبا ونبي لكل من جاء بعدهم من باب أولى, مما يوجب تعاهد القلوب بذكر الله.

6- أول الأمة خير من آخرها, وأنه كليا بعد ظهير الرسالة كليا كثير الشر وقل الخير.

7- عدم الاعتبار بما عليه الكثرة من الحق; لقوله تعالى: "وَكِيرْنِيَّهُمْ نَقُورَتُهَا".

8- بث الأمال والرضاء بنبلي قلب المؤمنين; لأن الله - عز وجل - القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على تلبين القلوب بعد قساوتها, ويعيد الأجسام بعد موتها; لقوله تعالى: "إِنَّا نَجْعَلَ الْأَرْضَ مَعْجُوبَةً".

9- ضرب الأمثال في القرآن الكريم لتقريب الأمور المعنوية.

10- تبين الله - عز وجل - للآيات الشرعية والكونية للناس ليعقلوا عن الله - عز وجل - أمره ونبيه, وينقادوا لشربه; لقوله تعالى: "قَدْ بَيِّنْنَا لَكُمَا الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ لَتَفْقِرُوا".

11- أن العاقل حقاً من هذاء عقله إلى الاستنارة بنور الله عز وجل, فسعد في دنياه وأخرى; لقوله تعالى: "قَدْ بَيِّنْنَا لَكُمَا الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ لَتَفْقِرُوا".

* * *
قال الله تعالى: "إنَّكَ لِلَّهِ الْمُصْلِحُ الْمُصْلِحِينَ. واللهم اغْفر لَّكَ وَرَضِّي عَلَيْكَ وَنَفْسُكَ حَسَنًاءٌ فِي صَدَقَتِكَ. وَلَكِنَّمَا أَنْبَغَا. إِنَّا إِنَّما أَنَبَغْنَا هُمَّ الْمُصْلِحُونَ وَالْمُتَسَلِّمُونَ وَعَشَّامُهُمْ يُنْتِهِنَّ لَهُمْ أَجْرًا مَّجِيِّلَ. وَتَوْكَأَهُمْ وَيَذَّكَّرُوا وَيَتَّقُوا وَكَانُوا أَوْلَادَهُمْ أَحْصَبَتْهُمْ أَجْرًا مَّجِيِّلٍ."

أمر الله عز وجل في سياق من السورة بالإيمان بالله ورسوله، والإنفاق في سبيله، وحض على ذلك ووعده عليه بالأجر العظيم، وفي هتين الآيتين شيء من تفصيل ذلك الأجر.

قوله: "إنَّكَ لِلَّهِ الْمُصْلِحُ الْمُصْلِحِينَ" قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد وتشديد الدال في: "المصدقين والمصدقات"، وقرأ الباقون: "المصدقين والمصدقات" بتشديد الصاد والدال، أي: المصدقين من الصدقات. وأصل الصدقين والمصدقات المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت الناء في الصاد، أي: إن المتصدقين والمتصدقات بأنهما على ذوي الحاجة من اليتامى والفقراء والمساكين، وفي غير ذلك من وجه البر كبناء المساجد وتعليم كتاب الله والجهاد في سبيله وغير ذلك.

وقدم عز وجل المتصدقين والمتصدقات في الذكر على الصديقين والشهداء- والله أعلم- لظهور أثر الصدقة والبر والإحسان وتعلقه إلى الخلق.

"إِنَّ اللَّهَ الْمُنْصِرُ الْمُنْصِرِينَ" الواو: عاطفة، وعطف هذه الجملة على قوله: "إِنَّ اللَّهَ الْمُنْصِرُ الْمُنْصِرِينَ" ترغبى في الصدقة، وأنها إقراض الله عز وجل، تكفل سبحانه وتعالى بوفاته والإثابة عليه، ومضاعفة أجره، فقال عز وجل: "يُضَعِّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيبٍ".

والآية تشمل القدر بمعنى الخاص، وما هو أعم منه، وهو الصدقة والشفقة عموماً في سبيل الله.

وقد جعل الله عز وجل الصدقة كالقدر الذي يجب على المقدر رده، وهو سبحانه الغني عن خلقه، ولا يجب عليه شيء خلقه، وإنها أوجب سبحانه وتعالى على نفسه الرحمة وإثابة المطيع تفضلاً منه وكرماً، كما قال عز وجل: "فَكَذَّبَ رَبَّكَ عَلَّانَ".
وعنيَّة {قرنَكَ حَسَنًا}, أي: جميلًا طيًّا، وذلك بكون الصدقة من مال طيب، وطيب نفس، ونية خالصة إبغاء وجه الله عز وجل، لا يرددون بذلك جزاء ولا شكوراً من تصدقوا عليه، ولا يتبعا منًّا ولا أذى.

{يُضْعِفُ لَهُمْ}, أي: يضافع الله لهم هذا القرض وثوابه فيجازيهما على ذلك الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعيناثا ضعف إلى أضعاف كثيرة.

{وَلَمْ يَذْرَأُهُمْ}, أي: وهم على هذه الصدقة والقرض {أجر}, أي: جزاء وثواب{كربه}, وسمى جزاؤهم أجرًا إشارة إلى أن الله عز وجل قد تكلف بهم.

ومعنى {كريمة}, أي: حسن طيب كثير خيره كمياً، وعظيم خيره كيفية، وهو الجنة وما فيها من ألوان العليم.

ففي هذه الآية أثنى الله عز وجل على المنتقدين والمتصدقين، وسمى عز وجل الصدقة إقراراً له، وهو الغني الحميد سبحانه وتعالى؛ ترغيثاً في الصدقة، ووعد على ذلك بالمضاعة والأجر الكريم؛ حضًا على المحتاجة الرابحة مع الله عز وجل، والتي لا تطرق إليها الخسارة بحال، بل أرباحها مضمونة ومضاعفة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى الْسَّمَاوَاتِ الْدِّنَا} لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، أو يسألي فأعطيه، ثم يقول: من يقرض غير معدوم ولا ظلوم.

وفي رواية: {ثم يضبط يديه ببارك وتعالى، يقول: من يقرض غير عدوه ولا ظلوم}. (1)

فيا خسارة من حرم المحتاجة مع الله عز وجل، قال تعالى: {وَمَن يِبَحَّلُ لَهُ فَإِنَّمَا يَبْحَلُ عَن تَقْلِيذِهِ} [الله ياألمَّيَّة 28].

ومن العجيب أن كثيرًا من الناس- والله المثل الأعلى- يتبارون في المحتاجة مع

(1) آخره مسلم في صلاة المسافرين - الترغيب في الدعاء والذكر. 58
الغني من الخلق، ولو طلب منهم قرضاً لتسابقوا إلى إقراضه، ولسان حال كل منهم يقول: كم تريد يا أبا فلان، وكل منهم يريد أن يكون هو السابق إلى إقراضه.
بينما إذا طُلب منهم التصدق والإنسفاق في سبيل الله، وهو إقراض للغني الحميد، أكرم الأكرمين وأجود الأجداد، ومن بيد إخزائن السماوات والأرض - رآيت الكثير منهم يقدمون رجلاً ويوخر أخرى، ورأيت منهم بدلاً وتباطأ، في المسابقة في هذا المضارع.
فأين التأمل المتنصف والاعال اللبيب فشان ما بين المناجرتین؟
شَنَانٌ بين الحَلَالَتِينَ فَإِنَّمَا كَثْرُ جَمِيعٍ فِيْهَا الْضَّدِّانُ يَجْتِيَمُانَ(1)
فتأمل هذا يا أخي بارك الله فيك، وتفهم الحكمة من تسميته عز وجل الصدق.
والإنسفاق في سبيله عز وجل قرضاً، يعكس في نفسه من تقرض، ويبين عليك ما تقرض.
"وَأُلْدِيْنِ أَمَامَ ابْنِيْ أَبِيَّتهُ وَرُسُلِيْهِ" أي: والذين صدقوا بالله ورسله بقلوبهم وألسنتهم
وانقادوا بحوارهم إلى ما جاءهم من الله عز وجل، وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.
"أوَلِيْكُمْ هُمُ الْمُصْدِقُونَ" الإشارة للذين آمنوا بالله ورسله، وصفهم الله بأنهم هم الصديقون، وأذكى استذاقتهم بهذا الوصف بضمير الفصل "هم" يكون الجملة اسمية
معرفة الطرفين.
و"الصادقون" جميع صداق على وزن "فعَّيل" صفة مشبهة أو صيغة مبالغة، أي: الذين بلغوا منزلة عظيمة ودرجة رفيعة في تصديق ما جاءهم من الله عز وجل وعلى ألسنة رسلهم الصلاة والسلام، وفي الإيّان بذلك، وفي الصدق بأقواهم وأفعالهم.
فجمعوا بين صدق النية وصدق القول والعمل بين العلم النافع والعمل الصالح واليدين الصادقة.
قال الحسن: ليس الإيّان بالتحلي ولا بالتنمٍ ولكن ما وقر في القلب، وصدقه
العمل"(2).

(1) البيت لابن القيم انظر "التنوينة" ص 11.
(2) انظر: "بدائع التفسير" 4/184.
ومن هؤلاء الصديقين مريم عليها السلام، كا قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْبِحِينَ أَبْنَى
مُرْيَسُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلدَ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ وَأَنتَ صَدِيقٌ عَلِيمٌ} ۱،۲0۷۲۵۲.

[المائدة:۷۵].

ومنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

{وَالشَّهِيدَانِ عَنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَفَوْرُهُمْ} ۲۰۸۸۵، {والواو: استثنائية، فهذا ابتداء كلامه}

الكلام مكوناً من جملتين الأولى قوله {وَأَلْبَّانُ عَامِمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَولِيَاءَهُمْ الصَّدِيقُونَ}

والجملة الثانية {وَالشَّهِيدَانِ عَنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَفَوْرُهُمْ}. {وقيل: الكلام جملة واحدة، فقوله {وَالشَّهِيدَانِ عَامِمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} مبتدأ، وخبره ما}

بعده إلى قوله: {لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَفَوْرُهُمْ}. {والراجح: أن الكلام جملتان، ويرجع هذا أنه ليس كل مؤمن صديق يكون}

شهيداً؛ لأن الشهيد من قتل في سبيل الله، اللهم إلا أن يراد بالشهداء في الآية الذين

يشهدون على الناس يوم القيامة - قال بعضهم - وهذا مرجوح.

والراجح أن المراد ب (الشهداء) الذين قتلوا في سبيل الله، قوله: {وَالشَّهِيدَانِ} مبتدأ

خبره قوله: {لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَفَوْرُهُمْ}. {وعلى اعتبار أن الكلام جملة واحدة فالصديقون صنف، والشهداء صنف آخر،}

فذكر الله عز وجل هنالك صنفين من أصناف السعداء الأربعة المذكورين في سورة النساء

قال تعالى: {وَمَنْ يَطُولُ آيَتُ اللَّهِ عَلَىٰ مَنْ أَدَّى رَسُولَ اللَّهِ عَلَىٰ هَمَّهُمْ أَنتُمُ الْمُبِينُينَ وَالصَّدِيقُونَ}

{وَالشَّهِيدَانِ وَالضَّلَآلُينَ} ۲۰۸۸۵، {الناساء:۲۱}. فالصديقون، والشهداء صنفان.

قال ابن القيم (۱): {ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء؛ وهذا قد لهم عليه في}

الآتي: هنا، وفي سورة النساء، وهكذا جاء ذكرهم مقدماً على الشهداء في كلام النبي

{ع} في قوله: {إِثْبَتَ أَحَدُ فَإِنَّ فِي عَلِيِّكَ نِعْمَةٌ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدٌ} ۲۰۸۸۵، {النساء:۱۹}.}

(۱) انظر: {بدائع التفسير} ۴/ ۲۸۵-۲۸۶.
(۲) أخرج الجاحظ في المناقب ۳۶۷۵، وأبو داود في السنة ۴۶۳۱، والترمذي في المناقب ۳۵۹۷ من حديث
وهذا كان نعت الصديقة وصفادًا لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين أي بكر الصديق، ولو كان بعد النبوة درجة أفضل من الصديقة لكانت نعتًا له رضي الله عنه.

وقال ابن كثيرٍ: "ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد" ثم استدل بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة من فوقهم كما تراءون الكوكب الديب المليء في الأفق من المشرق أو المغرب; لتفافن ما بينهم" قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: "بلي، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

وأي في جواره في جنت النعيم، وقدم قوله: "عند رضيهم ملأ"، على قوله: "أنه أنتج ونورهم"، لأن جواره عز وجل وروتنه أعظم النعيم كما قال عز وجل: "لذين استعداداً للتبدُّل وربك" (يونس: 26) أي: لهم "الغافرين"، وهي الجنة "الرحبة"، وهي النظر إلى وجهه الكريم سبحانه.

ومثل هذا في تقدير قربه عز وجل وجواره قول آمنية بنت مزاحم امرأة فرعون "ربّإ"، فأبلى عندك بيتاك في الجنة" (المغرب: 11) فاختارت الجار قبل الدار رضي الله عنها.

وأضاف العبادة إلى الرب سبحانه إشارة إلى عظم ماهم عنده من الكرامة؛ لأن ميبي الرب الخلق الملك المدبر، المبر للمخلوق بسائر نعمه سبحانه وتعالى، فكأنه يقول:

"ولأنك عند رضيهم ملأ" فلا تسأل عن حاكم، ثم فصل شيئًا من ذلك فقال:

"لذين أنتج ونورهم"، أي: لهم ثوابهم ونورهم المتزمن عن غيرهم كما وكيماً ونوعًا.

قال تعالى: "ولا تختصَّينَ اللاتين في سبيل اللاتين"، بل أحيث ورغمهم "وفيما رضيهم".

فوجدهم فينما عَلَّمهم الله بفضلهم، ونشيدون بيِّن الذين لم يحلقوا ببِنَاءهم من خلفهم الأخوَّن عليهم، ولا هم يخوضون "ثمة يضيعون من الله فضلاً وآن الله لا يضيع أجر المؤمنين".

__________________________

اَنَس رضي الله عنه.

(1) في التفسير 8/ 848.
(2) تأخير البخاري في بدء الخلق 1256، ومسلم في صفة الجنة 2820.
وعن الرحمان في تفسير القرآن، ج ٢١

[العمران: ١٥٧١]

وقال تعالى: «وَلَوْ يَوْلَىُّ الْمَيْتَىَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَّى فَمَعْفُورٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» [العمران: ١٥٧١]، وقال تعالى: «وَمَن يَتَقَلِّبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُبْلِعُ أَوْ يَقْتُلِ فَسَقَطُواَ أَخْوَاهُ عَلَىٰ أَيْضًا١٧٤٣٤] [النساء: ٤]

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ أَشْتَرَى مَعَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُسَبِّحَنَّهُ وَأَنْ يُكَبِّرُوهُ أَنْ لَهُمُ اللَّهُ الْجَانَّةَ» [النور: ١١١]، وقال تعالى: «وَأَلِينَّكُمْ نَفْرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ نَفْرٍ» [الأنفال: ٦٤] [إِمَامُ جَاهَلِيَّة١٧٤٣٥]

ومن أقوف يعدهوه: مِّنَ اللَّهِ فَأُسْتَبْنِواَ بِيَدِكُمْ الْيَدَيْنَ فَإِذْ أَنْتُمْ هُوَ الْقُوْرُ النُّطْفَاء١٧٤٣٥] [الأنفال: ٦٤]، وقال تعالى: «غَلَاءَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ نَفْرٍ» [الأنفال: ٦٤] [إِمَامُ جَاهَلِيَّة١٧٤٣٥]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القنديل فاطعل عليهم رحم اطلاعة، فقال: ماذا تريدون؟ فقالوا: نحب أن تردننا إلى الدار الدنيا، فنقاتل فيه، فقلت، كما قلتنا أول مرة فقال: إذ قضيت أنهم لا يرجعون»(١)

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة، وفي رواية: «لما يرى من الكرامة»(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعلاها لل المجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كأبين الساءة والأرض»(٣)

قال ابن كثير(٤): «وهم في ذلك- يعني الشهداء- يتفاوتون بحسب ما كانوا في

(١) أخرجه مسلم في الإماراة- بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ١٨٨٨، والترمذي في التفسير ١٣٣٠، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٠١.
(٢) أخرجه البخاري في الجهاد ٢٧٩٥، ومسلم في الإماراة، ١٨٨٧، والنسائي في الجهاد ١٣٦٠، والترمذي في فضائل الجهاد ١٦٦١، ٢٧٩٠.
(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٧٩٠.
(٤) في تفسيره ٤٩٨٩.
الدار الدنيا من الأعيان. ثم ذكر ما رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
قال سمعت النبي ﷺ يقول: "الشهداء أربعة: رجل مؤمن يجد الإيكان لقي العدو، فصدق الله فقتل، فذلك الذي ينظر الناس إليه هكذا". ورفع رأسه حتى سقطت قلسوسة رسول الله ﷺ، أو قلسوسة عمر ﷺ. والثاني: مؤمن لقي العدو فكان يضرب ظهره بشوك الطلح جاءهم غربه. فقتله، فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: رجل مؤمن خلط عملًا صالحاً وأخر شعبًا حتى لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع: رجل مؤمن أصر على نفسه إسراً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الرابعة.
قال ابن القيم: "إن المُصْدِقَينَ والمُصْدِقْنِاتَ وأُوْلَىٰذِينَ اللَّهُ بِهِمْ حَسَّةً يُضَعَّفُ عَلَيْهِمْ".
ولله أَجْرُ كَيْبِكَ فهؤلاء، أصحاب الأجر والثواب، ثم قال: "أَلَيْهِمُ مَا مَنَّا ءَايَةً لَّهُمْ وَكَنَّا لَهُمْ بِهِ أَجْرًا وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْلَنُونَ". فهؤلاء أصحاب المرتبة والمنزلة، والقرب فعال عملوا على الأجر والعافون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء.
وَلَيْتَ كَفَرَوا وَكَسَّرُوا أُلْهَمَتْ أُولِيَّةٌ أَمْثَالُ الْخَيْرِينَ، ذكر الله عز وجل المؤمنين ومرابتهم، وهم المتصدقوان، والصديقون، والشهداء، وما أعدوه هم من عظيم الأجر والثواب، ثم أتنب ذلك بذكر الكافرين المكذبين وما أعد لهم من العذاب الأليم والجحيم، على طريقة القرآن في الجمع بين الرجاء والخوف والترغيب والترهيب.
قوله: "فَلَيْتَ كَفَرَوا وَكَسَّرُوا أُلْهَمَتْ أُولِيَّةٌ أَمْثَالُ الْخَيْرِينَ". عطف التكذيب على الكفر وهو منه، من عطف الخاص على العام؛ إشارة لشدة كفرهم.

(1) أي: لا يعرف راميه.
(2) أخرج أحمد ١/٣٣، والترمذي في فضائل الجهاد - ما جاء في فضل الشهداء. عن الله ١٦٤٤، وقال:
"حديث حسن غريب".
(3) انظر: "بديع التفسير" ٤/٣٨٨ - ٣٨٧ ب."
وعن الرحمن ﷺ تفسير القرآن ٤١

والمعنى: والذين جحدوا آياتنا وذبحوا بها وأنكروها، من الآيات الشرعية المنزلة من عند الله عز وجل والتي فيها الأوامر والنواهي والأحكام والأخبار والقواعد والوعيد وغير ذلك.

ومن الآيات الكونية المتشرة في الكون الدالة على وجود الله عظيمته في روبه وآلهته وأسائه وصفاته، وأنه المستحق للعبادة ووحدة دون ما سواه.

»أَوَلَّيْكَ أَصْحَبَ الْجَحِيمِ«، أي: ساكنوها وملازموها ميلوضة الصاحب لصاحبه.

وشتان بين من هو في أعلى علوي في جنات الطهير - نسأل الله تعالى من فضلهم-

ومن هو في أسفل سافلتين في دركات الجحيم، نسأل الله تعالى وسلامه.

القوائد والأحكام:

١ - وعد الله - عز وجل - للمتصدقين والمتصدقات المقرضين الله قرضاً حسناً بالمضاعفة والأجر الكريم والجزاء الكثير لقوله تعالى: "إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتُ وَأَقَضَىَ اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبِّيَّاهُمْ عَلَىٰ مَنْ أَهْلَكَ رَبِّيَّاهُمْ مِنْكُمْ وَمَنْ أَهْلَكَ رَبِّيَّاهُمْ مِنْ خَلْقِهِ ".

٢ - في تسمية الصدقة والإنفاق في سبيل الله قرضاً الله - عز وجل - ترغب في ذلك.

٣ - ينبغي أن تكون الصدقة والقرض خالصاً الله - عز وجل - من مال طيب، ونفس طيبة، بلا من ولا أدري.

٤ - أن من لازم الإيان بـ: الإيان برسله، كما أن من لازم الإبان بالرسل الإبان بـ: عز وجل؛ هذا عطف الإيان برسله على الإيان به عز وجل بالواو التي تقتضي التشريحة لقوله تعالى: "وَ奥َلَّيْكَ مَشْرِيقُ وَوَشَّيَّرِيَّكَ".

٥ - المتنى على الذين آمنوا بالله ورسله وأنهم هم الصديقون الذين جمعوا بين العلم النافذ والعمل الصالح واليقين الصادق، وأنهم أفضل من الشهداء؛ وهذا قدعمهم عليهم لقوله تعالى: "وَأَلَّلَّوْىَ أَسْمُواَ اللهَ وَرَسَلِهِ أَوْلَيَّكْهُمْ مَسْأَيْبًا وَأَشْهَدُواَ عَلَيْهِمْ وَأَشْهّدُواَ عَلَيْهِمْ وَأَمَرُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

٦ - فضل الشهداء وقريمهم عند ربه في الجنة وما له من الأجر العظيم والنور النامي وربوبته - عز وجل - الخاصة لهم؛ لقوله تعالى: "وَأَشْهَدْتُواَ عَلَيْهِمْ وَأَمَرُوهُمْ أَجْرَهُمْ وَأَغْرَاهُمْ ".
سوراء الحديد، الآيتان: 6، 19

7- الوعيد والتهديد للكفرة المكذبين بآيات الله بدخول النار وملازمة الجحيم؛ لقولة تعالى: "والذين كفروا وركَّبوا خصائصكين آوى وليك أحبب للحليم".

8- جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب والوعيد والوعيد.

* * *
قال الله تعالى: "أعلموا أنما المَيْيَةُ الدنيا أُولِي الْأَموْلِ وَأُولِي الْأَوَّلِينَ كَشَّالٌ غَيْبٌ أَجْعَبُ الْكَفَّارَ بِذَٰلِكَ مَيْنَعُوهُمْ فَرِيقًا يُصَفَّرُونَ يُّكْونُونَ حَتَّىْ وَفِي الأَخِرَةِ عَدَدٌ (6) سَبِيعٌ مُّفَقُوحُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَمَا الْمَيْيَةُ الْدُنْيَا إِلَّا مِنْ أَنْبَأَ الْخَيْرِ" (الأنفال).

ما بين عز وجل في الأيتين السابقتين ما أعدة للمتصدقين وللمؤمنين الصديقين
والشهيداء عنده في الجنة من الأجر العظيم، وإن الكفرة الكاذبين هم أصحاب الجحيم،
أتباع ذلك ببيان حفارة الدنيا وأنها متبع غرور، والتأكيد على الاستعداد للآخرة
للمجتاد من عذابها الشديد، والفوز بعفراة الله- عز وجل- ورضوانه.

قوله: "أعلموا أنما المَيْيَةُ الدنيا أُولِي الْأَموْلِ وَأُولِي الْأَوَّلِينَ كَشَّالٌ غَيْبٌ أَجْعَبُ الْكَفَّارَ بِذَٰلِكَ مَيْنَعُوهُمْ فَرِيقًا يُصَفَّرُونَ يُّكْونُونَ حَتَّىْ وَفِي الأَخِرَةِ عَدَدٌ (6) سَبِيعٌ مُّفَقُوحُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَمَا الْمَيْيَةُ الْدُنْيَا إِلَّا مِنْ أَنْبَأَ الْخَيْرِ" (الأنفال).

الأمر في قوله: "أعلموا" يجعل أن يكون للمؤمنين، وأن يكون لعموم الناس، أي: أعلموا أنهم المؤمنون، أو أنهم الناس.

(6) كافحة ومكافحة، وهي أداء حصر، أي: ما الحياة الدنيا إلا مجرد لعب وهو
وتفاخر بينكم وكثائر في الأموال والأوائل، أي: ما هي إلا هذا الشيء لا غيره.
و"الحياة الدنيا" هي هذه الدار التي نحن فيها، وسمايت دنيا لأنها قبل الآخرة في
الزمن، ولأنها دنيئية حقيبة، لا قيمة لها بالنسبة للآخرة؛ قال تعالى: "فَمَا مَنَّ السَّيْرُ الْحَكِيمُةُ النَّبِيَّةِ الْأُولَى بِالْأَخِرَةِ إِلَّا قَيْسَ (٦) (النبوة: ٨)" وقال تعالى: "وَمَا الْمَيْيَةُ الْدُنْيَا في الأَخِرَةِ إِلَّا مُّنْتَجٌ (٧) (الرعد: ٢٦)
وقال تعالى: "فَلَمْ يَصْبَحُ الْشَّيْطَانُ وَالْإِخْرَاجُ حِيْرَةً لَّمَّا أَنْتُشَّ (٨) (النساء: ٧٧) وَقَالَهُ: "كَانَ الْدُنْيَا تَعْدَلَ عَنْذَا حَجَّاحُ بِعَضْوَةٍ مَا سَقَى كَافَأً مِّنْهَا شَرْبَ (١) مَاءٍ (١)

أُولِي الْأَموْلِ وَأُولِي الْأَوَّلِينَ كَشَّالٌ غَيْبٌ أَجْعَبُ الْكَفَّارَ بِذَٰلِكَ مَيْنَعُوهُمْ فَرِيقًا يُصَفَّرُونَ يُّكْونُونَ حَتَّىْ وَفِي الأَخِرَةِ عَدَدٌ (6) سَبِيعٌ مُّفَقُوحُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَمَا الْمَيْيَةُ الْدُنْيَا إِلَّا مِنْ أَنْبَأَ الْخَيْرِ" (الأنفال).

حرص الله عز وجل الدنيا بهذه الأوصاف، وهي كونها مجرد لعب وهو وزينة
وتفاخر بين الناس وكثائر في الأموال والأوائل، وهذا هو سبب دناءتها وحقارتها.

---

(1) أخرج الترمذي في الزهد ٢٣٠، وابن ماجه في الزهد ٤١٠٠ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال الترمذي "صحيح غريب"
قوله: "ليب وقُرُوك" لعب بالأبادان والجوارح، وهو وغفلة بالقلوب، وهذا أشد.

وكل ذلك ما لا فائدة فيه تعود على الإنسان.

وزينته، أي: تزين في اللباس والطعام والشراب والراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك، تأخذ بالعيون وتعجب النفوس بزينتها الظاهرة؛ كما قال تعالى:

"أنزل LORD Upon لابس عُقُوبوة مِن النَّارِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالذَّكَرَى وَالنِّسَاء وَالْمَعْلُومَاتِ"، (16:9)

وبالخصير والعوفر والحرير، ذلك كمكعَبُ الكحْوَة الْدُّنْيَا وَاللَّهُ عِينَهُ. حسن

المَعْبَدَاتُ (١٤) [ال عمران: ١٤).

وقال ابن القيم، "بأحسان الناس والعلم والجاه والمناصب وغير ذلك، فأخبر سبحة عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهدا لأولى البصائر، وأنها لعب وهو تلهو بها النفوس، وتلعب بها الأبدان، واللعب والله لا حقيقة لها، وأنها مشغولة للنفس، مضيعة للوقت، يقطع بها الجاهلون العمر، فيذهب ضائعا في غير شيء، ثم أخبر أنها زينة زيت للعيون وللنفوس. فأخذت بالعيون والنفوس استحسانا وحبة، ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومالها ومصيرها لأبغيتها ولا أثرت عليها الآخرة، وما أثرت من الآجل الدائم الذي هو خير وأبقى".

وكثيراً في الأمور والأوْلاد، أي: مكثؤرة بينكم في الأموال والأولاد ومباهة بالعديد والعدد، فتعالdrink الباقي على الآخرين بكثرة ماله، ويسعى جاهداً حديثاً بأن يكون الأكثر مالاً حتى ولو سلك طرقاً مليئة وغير مشروعة في جميع المال.

كما ي تعالى البعض على الآخرين بكثرة أولاده، ويسعى بأن يكون الأكثر أولاداً.

قال الحسن: "إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة"(٢).

واذا كان المولى عز وجل نعى الدنيا وبين حقارته ووهانة؛ لأنها مجرد لعب وهو وزينة وتفاخر، وتكثر في الأموال والأولاد فإن على العاقل الليب والحصيف الأريب.

(١) الظاهر: "بديع التفسير"، ٤/٣٨٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف"، ٧/١٨٨ (١٠٣٣)، والإمام أحمد في "الزهد"، ص ١٦٨ (١٢١٥)، وأبا أبي الدنيا في "الزهد" ص ٢٢٩.
أن يعبرها ولا يعمراً عارة مقيماً، وأن يستعد للسفر الطويل، وأن يجعلها مطية للآخرة
بالعلم النافع والعمل الصالح، والإخلاص لله عز وجل ومتابعة رسوله ﷺ، جاعلاً
نصب عبده الهدف الذي خلق من أجله، والذي خلقت الدنيا والكون كله من أجله
وهو عبادة الله عز وجل، وأن يعلم أن سوق المتاجرة والرابحة مع الله عز وجل إنها هو
في الدنيا فهي فرصة العمر، لياليها وأيامها خزائن للأعماش الصالحة، والكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت، والعجز من أتبت نفسه هوها وتمنى على الله الأماني(1).
وإذا وصف الله عز وجل الدنيا بهذه الصفات النبيلة مع أنها محل للأعماش
الصالحة مل وفوه الله عز وجل لأن هذا واقع كثير من الناس.
فكم من أناس همهم في هذه الحياة اللعب واللعب والطقوس ونجلية الأوقات في
الأسقاف والنزد الملاهي والمقاهي ومجلس القليل والقلم، والتفنن في الأمولات
والمشروبات وما هذه حال من عرف ما خلق لأجله، ولا حال من عرف الهدف من
الحياة.
وكم من أناس همهم في هذه الحياة البنك بين المساكن والمراكب والملابس وغير ذلك
متناسين هادم اللذات وما ألمهم من الأهوال والعقبات.
وكم من أناس همهم التفاخر بالأحساب والأنساب والمناصب والجهة وغير ذلك
متناسين أن أكرم الخلق عند الله أتقاه الله.
وكم من أناس همهم التكاثر بالأموال يلهتون وراء جمع المال، وربا جاً بعضهم
بسبب الخروج على ذلك إلى الكسب من الطرق المحرمة، ومنع حقوق الله في المال.
فهولاء يصدق عليهم قوله ﷺ: "تعد عبد الدربه تعد عبد الدينار، تعد وانكس،
وإذا شبك فلا أنتش"(2).
وكم من أناس همهم أن يكونوا أكثر من غيرهم أولاداً وقيلًا يتزوج الواحد منهم
العديد من الزوجات ويطلق هذه يتزوج هذه، يقصد أن يكون من أكثر الناس أولاً.

(1) أخرجه ابن ماجه في الزهد 4260، من حديث صيدان بن أسود رضي الله عنه.
(2) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 1887، والترمذي في الزهد 2375، وابن ماجه في الزهد 4136،
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
فيا أشقي من قصر طره عند هذه النظره الضيقة القاصرة وفاته المعاني السامية
للنكاح، وتعدد الزوجات، فربا صار هؤلاء الأولاد وزوجاتهم وبالاً عليه في دينه
ودنياه.
ولا شك أن هناك آناساً من وقفهم الله عز وجل عرفوا قدر هذه الحياة وشغلوها
بها يقربهم إلى الله عز وجل، وربا ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرين.
فأخذوا من الله الربح ما لا يشغله عنا خلقوا له، وتوزعوا في الأكل والشرب
والملبس والمركب وعلموا أن الفخر بقوى الله عز وجل، وطلبوا المال من الطريق
الحلال لإخفاء أنفسهم وأهلهم من مدة السواك، مع أداء ما الله عليه من حقوق
هذا المال، ولم يشغله عن طاعة الله تعالى، قال ﷺ لعمرو بن العاص - رضي الله عنه:-
: "نعم المال الصالح للمرء الصالح" (1).
وقال الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا
وقل الكفر والإفلاس في الرجل
وهل لا من تزوجوا، بل وعدوا الزوجات وأكثره الأولاد إخفاؤاً لأنفسهم
وزوجاتهم، وتكثراً لسواك الأمة مع العبادة بحقوق زوجاتهم وأولادهم وتوجيههم
وتربيةهم التربية الإسلامية الصحيحة ليتفعوا أنفسهم ووالديهم وأمتهم.
ومثل هؤلاء- وهم قليل- أنعم وأكرم بتعدادهم الزوجات وتكثيرهم الأولاد، وهم
 الذين استجابوا لقوله ﷺ: "تزوجوا الوحدة وولود، فإن كثائر بكم الأمه يوم القيامة" (2).
«کَمْلَ عِنْدِی» الكاف للتشبيه، أي: إنها الحياة الدنيا وعمر الإنسان فيها كمثل
غيث، والغيث: هو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال تعالى: «وَيَبْرَزُنَّ»

(1) أخرجه أحمد 4/197، 202.
(2) البيت لأبي دlama الأسدي، إنظر: "ديوانه" ص. 77.
(3) أخرجه أبو داوود في النكاح 2054، والنسائي في النكاح 3327، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه،
وأخرجه أحمد 3/1245، 1588، من حديث أنب بن مالك رضي الله عنه، وأبو حيان في صحيحه
والبيهقي في سنن 7/81. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "هذة الأحاديث، وإن كان الكثير منها ضعيفةً،
فمجمعها يدل على أن لما يحصل به المصادر من الترغيب أصلاً، لكن في حق من يأتي منه التسليه."
عون الرحمن في تفسير القرآن ج 21

آلهَّتُوهُمَا [القاف: 24]، وقال تعالى: {وَهُوَ أَلَّاَلِي يُبْلِي أَلَّهَتَهُمَا وَمَنْ حَمَّدَهَا مَا قَتَّلْوَا} [الشورى: 28].

أعجب الكفار بالله؟، أي: أعجب الزراع ورافقهم نباثه.

وسمي الزراع كافراً؛ لأنه يسر البذر ويغطيه في الأرض، أخذًا من معنى الكفر.

لغة: وهو السر والتغطية.

ويحتم أن المراد الكفار بالله؛ لأنهم هم الذين يعجبون بالدنيا؛ لأن قلوبهم متعلقة بها.

قال ابن كثير: {أي كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص الناس عليها وأميل الناس إليها}.

ويقوي هذا أن لفظ الكفار إنما يطلق في القرآن على الكفار بالله.

{يَهَضُبُ}، أي: يصل ذلك الزرع إلى غايته ومنتهاه، {فَتَرْبُتُهُ مُصَفْرَةً}،

أي: بعد ما كان خضراً نضراً تراها مصفرة وذلك علامة موته ويبسه.

{يَبْكُونَ}، أي: يبكى متحطاً متكسرًا. فتائياً تذوره الرياح بمنة وبيرة.

وهكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شاقة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأطراف، بس النظير، ثم إنه يشرع في الكهولة فتشبر طباعه، وتضعف بعض قوته، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة، يعجز الشيء اليسير، كما قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ ضَعْفٍ ثَمَّ جَعَلْنَاهُ مَثْلَهُ ثَمَّ جَعَلْنَاهُ مِنْ بَعْضٍ يَضْعَفُهَا وَسَبَّبَةُ يَخْلَقُ} [الروم: 45].

ثم ينتهي به الأمر إلى الفناء والموت، كما قال تعالى: {كُلُّ مِّنْ عَلَيْهِمَا كَانَ هُمَا وَيَبْعَثُ اللَّهُ دُوْلَةً مَّا لَهَا أَحْيَاءٌ} [الثامن: 27]، وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَيْفَةُ لَهَا الْحَيَوَاتُ الْأُخُوَّةُ} [العمران: 185، الأنساب: 35]. وقد أحسن القائل:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم.

1. في تفسيره 5/08.
2. انظر: «أوضح المسالك» 1/74/22.
لا ينفع الذي ينظر في الدنيا إلا الصحة، وتلبسها، وأخبارها، وتحتاج إلى البركة في الأمور، والزوايا، وأنها في سرعة ذوبانها واضحيلها كالشمس الذي سبته الغيث منها، واختبر، وأعجوب الزروع ثم استوى واصفر، ثم يبس وتحطم وتكشر ودحره الرياح هنا وهناك، وفي هذا دلالة واضحة على هوا الدنيا وحصارها. أتبع ذلك بيان قيمة الآخرة، وأنها هي الدار حقاً، مما يوجب العمل للآخرة، وعدم الغزار بالدنيا.

وهي في هذه الآية أن الناس في كل الدار: إما متقلب في العذاب الشديد نسأل الله السلامة، أو منعم بالمعفرة والرضوان نسأل الله تعالى من فضله وكرمته.

وهو على طريقة القرآن في جمع بين الترغيب والترهيب ليجمع المؤمن في طريقه إلى الله عز وجل بين الخوف والرجاء.

قلوه: "وفي الآخرة"، أي: في الدار الآخرة للكفف والعصاة في مواقف القيامة وعرصاتها، وفي النار.

وسميت الآخرة لأنها متأخرة من حيث الزمن عن الدنيا إلا أنها الدار حقاً وهي الحيوان، كما قال عز وجل: "ويلي الدار الآخرة ليهى الحيوان لأصموا ودائمون".[العنكبوت:44]

"عذاب شديد"، أي: عذاب للكففر والعصاة، شديد حسي تعذب به الأبدان، ومعنوي تعذب به القلوب من التبتيع والتنيع والتقريع.

"معفرة من الله ورضوان"، أي: للمؤمنين.


(1) سبق تطريقة.
ورضوان الله غاية مطلب أهل الجنة، كما قال تعالى: { قُلِ أوَلَى الْقُرْطَبِ يَخْرُجُ ثَلَاثًا لِلَّذِينَ أَتَفَقُّوا عَنْ رَبِّهِمْ ٣٧ ٦٠٢} [الأنفال: 4]. وقال تعالى: {يَبْيَضُ الْمَشْقَةُ لِيُرَشِّدَ} [النور: 22].
وقال تعالى: {وَرَبِّ الْأَلْوَامَاتِ مِنْهُمْ وَرَبِّ الْأَعْجُوبَاتِ مِنْهُمْ وَرَبِّ الْأَنْفُسِ وَرَبِّ الْأَنْفُسِ حَيَّانَ} [الأنعام: 82].

وما القيامة إلا من الحياة الدنيا، {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَنْ تَمَّ الْمَرْتُورُ} [الأنفال: 185].
والواو: استثنائية، وما نافية إلا أنها أداة حصر، أي: ما الحياة الدنيا إلا هذا الشيء فقط، وهو متاع الغرور، أي: ما هي إلا مجرد متاع يغتر به أصحاب العقول الصغيرة الذين غ未知 وراء الغيور فتعجبهم الدنيا ويركونون إليها مع أنها ظل زائل، لا قيمة لها قال تعالى: {فَلَا تَتَّخِذُوهُمْ مَيَتاً وَلَا يُنْخَرِسُوهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ} [الشعراء: 23، نافر: 1].
وقال تعالى: {فَلَوْ مَنْ يَقْبِلَ وَالآخِرَةَ خَيْرُ مِنَ الْأَنَاشِدَ} [النساء: 72].
وقال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَمَّ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلَّا قِيَلُ} [التوبة: 38).
وقال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلَّا مَنْ تَمَّ} [الرعد: 26، وقال تعالى: {وَقَدْ نَفَّذَ}.

(1) قال ابن كثير: {أَيَّ: هِي متاع فَان غَازَ لِمُرَكَّبُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرْبُهَا وَيَعْبُجُهَا إِلَى يَقِيمُهَا،}

(2) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: {الدنيا دار من لا دار له،} ومال من لا مال له، ولما يجمع من لا عقل له.
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقلق قوس أحدكم أو موضوع يده في الجنة، خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها، ولملأت ما بينها رجاء، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقذف في جبهة، فقلنا: يا رسول الله، لو أخذنا لك رطاء؟ فقال: «ما لي ولدنا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (أخذ رسول الله ﷺ بنكمي فقال:

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.») وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: إذا أمست فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر النهار، وخذ من صحتك لمرضك.

ومن حياتك لم بك» الحديث.

وقد قيل:

إياكم والدنيا الدنيا إنها متاع غرور لا بدون سرورها 
ومن أصححته تقديم نفسه 
وهي السحر في تهيجه وابتزازه 
وأضعاف حلهم خداع بيهائه 
فمن أكرمت يوماً أهانت له غداً 
ألم يها للمرء من أخضر العدا 
وكم في كتاب الله من ذكر ذمها 
وكم فيها الأخبار من أصنفائه 
فندعها فإن الزهد فيها اعتم 
ومن لم يدعها زاهداً في حياته

وتمسك به بعد اتساع فضائنه.

(1) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 2792، ومسلم في الإمارة 1880، والترمذي في فضائل الجهاد 1651، وابن ماجه في الجهاد 2757.
(2) أخرجه الترمذي في الزهد 2299، وابن ماجه في الزهد 789، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
(3) أخرجه البخاري في الرقائق 1416، والترمذي في الزهد 1233، وابن ماجه في الزهد 4114.
وينساه أهلوا المقدّم لدهم
وينتهب السّوراث أمواله المتقى
سماوتهما ناسى عظيم شقائه (1)
وقال الآخرون:
قد نادات الدنيا على نفسها
ومان بددت مانا يجمع
ومان واحد في العصر أتفتته (2)
وقال الآخرون:
هيه الدنيا تقول بملأ فيها
فلا يغمركم مني ابتسام
فقد هو من بعثه وفتكى (3)
وقال الآخرون:
من الزخارف واحد من دواهيها
إن كنت حرا فإن النذال يدنوها
فلا يذكرون فما فيها
وإجنب سلوك فيها كل شائنة (4)
وقال الآخرون:
وبمن يؤمن الدنيا يكون مثل قبابض
ضياء ونور (5)
والكافرون والمحترمين:
1- حقيقة الحياة الدنيا، وأنها مجرد لعب وهو وزينة وتفاخر بين الناس وتكثر في الأموال والأولاد؛ لفوله تعالى: { اجعلوا أنتما أهلهما الدنيا أعب وفوق وزينته وتفاخر بينكم } و{ تكثرن في الأموال والأولاد }.

(1) هذه الآيات من قصيدة للشاعر ابن مشرف انظر { ديوانته } ص 37.
(2) البيتان لأبي الفرج الشاوي. انظر: { حسن ما سممت } للمعاليجي ص 53، ونسب لهما. انظر: { نشوار المحاضرة وأخبار المراكبة } 4/84 1984، { المجموع اللفظي } ص 244، { غذاء الألباب } 2/550.
(3) البيتان لأبي الفرج الشاوي. انظر: { حسن ما سممت } للمعاليجي ص 53.
(4) هذا البيت نسبه بعضهم لأبي نواس، وأكثرهم لم ينسبه لأحد. انظر: { العقد الفريد } 3/87 474، { التمثيل والمحاضرة } 257، { نهاية الأدب } 1/280.
2 - أن مثل الحياة الدنيا في سرعة فنانها، وعمر الإنسان فيها كالنبات يسقيه الغيث فينمو ويضفر ويعجب الزارع، ثم يستوي ويصفر ويبس ويتحطم؛ لقوله تعالى:
«كمِّيٌّ عِنْى أَعُجِّبَ الْكَفَّارَ بِنَبَأٍ مَّنْ يُبْسَطُ عَلَيْهِمْ صَغرَىٰ مَّثَلُ نَهَارٍ.»

3 - عظم مكانة الآخرة؛ لأن فيها مجازاة الخلق بأعياهم إما بالملغرة والرضوان نسأل الله تعالى من فضله، وإما بالعذاب الشديد - نسأل الله تعالى - السلامة; لقوله تعالى: «وَقَدْ أَمَضُيْاْ هِناَكَ مَعْلُومًا.»

4 - تأكيد حقارة الدنيا وأ نها متاع غور يجيب الحذر من الاغترار بها؛ لقوله تعالى:
«وَمَآ أَلْحَقْتُ الْبَيْنَيْنِ إِلَّا مَنِّيْلَ الْغُرُورِ.»
قال الله تعالى: «سبايقوا إلى مغفرة من زِيَكِرٍ وَجَنَّتَيْ عَرُشِيْكَ كَعَرُشِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أُعْدَتْ لَكِ أَنْتَ لِيَتْمِمْ وُسُوَءَكَ وَأَنْتَ عَزِيِّ الْعَزَّةِ» [القصار: 33].

بعدما بين الله - عز وجل - حقيقة الدنيا والمكانة الأخيرة أتبع ذلك بالأمر بالمسابقة إلى مغفرة الله - عز وجل - وحجه وفضلها.

قوله: «سبايقوا إلى مغفرة من زِيَكِرٍ».

المسابقة شدة العدو والسير، والمعنى: بادروا وسارعوا إلى مغفرة من ربكم.


وقد أحسن القائل:

إذا غَمَّرْت في شرف مَثْرُوم فلا تقنح با دون النجوم(1)

أي: سباقوا إلى فعل أسباب المغفرة: من التوبة النصوح والاستغفار، والبعد عنها إلى الله عنه، والمبادرة والمسارعة إلى فعل الخيرات والأعمال الصالحات، والمنافسة فيها.


وقال: «الصلاة الخمس والصلاة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينه إذا اجتبنت الكبائر(2).

المغفرة: هي ستر الذنب عن الخلق والتجاوز عن العقوبة، كما في حديث ابن عمر.

(1) البيت للعياني. انظر: «شرح ديوان التنبئ» لعليبري 166/1.
(2) أخرى مسلم في الطهارة 223، والترمذي في الصلاة 214، وابن ماجه في إمامة الصلاة 1086، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
رضي الله عنه في المناجاة أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل يدلي المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كفته - أي: سيته ورحمته - فيقرره بذنوبه، يقول: أنت ذنب كذا وكذأ؟ يقول: نعم، يا رب. يقول الله عز وجل: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

ومنه سُمي "المغفر" وهو البضعة التي توضع على الرأس تستر وتقيه السهام.

وأضاف - عز وجل - المغفرة إليه باسم الروبية الذي معناه المالك الخالق المخبر.

الرفي للخلق المنعم عليهم سائر النعم الدينية والدنيوية والأخورية.

(1) [[السجدة: 17].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال الله: "أعدت لعبادي الصالحين مالاً وعين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر، فاقرووا إن شتم".

وقوله: "عَرْضَ إِحْيَاهُ وَعُصْمَتَ آلِ آدَم" كقوله عز وجل: في سورة آل عمران:

(2) [[الآية: 132].

وإذا كان عرضها السموات والأرض في بالك بطولها، وما مدى مقدار سعتها ما يدل على سعة منزلها نسأل الله العظيم من فضله.

وقد روى أن أحد الزنادقة جاء إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال له: الله يقول: "وجَبَّةٌ عَرْضُهَا عُصْمَةُ آلِ آدَم" أو "عُصْمَةُ آلِ آدَم" فآمن تكون النار، فأجاب أبو حنيفة على الفور: "تكون النار إن شاء الله في عينك".

---

(1) مسبق ترجمة.
(2) أخرجه البخاري في باب الخلق 2444، ومسلم في الجنة وصفة تعيدها وأهلها 2824، والترمذي في تفسير القرآن 197، وابن ماجه في الزهد 4328.
وذلك أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، وهذا الفعلذب في قبره يصبح صحيحة بسمعة كل شيء إلا الثلاثين وفي رواية إلا الإنس والجني (1) مع أن صوت الإنسان لو جمع له أعظم مكبرات الصوت لا يسمع إلا من مسافة قريبة محدودة.


(1) أخرجه أحمد 4/ 296 من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. وأخرج به من حديث أم سلمة رضي الله عندهم في الجنة - الدار في القرن - في من جاء في عذاب النار في صفة الجنة من وكان 1338 وابنده في سنة 1331 واسبوع في الجنة 350 وأحمد 4/3.
وجل عليهم.
خلقهم ورزقهم ووفق من شاء منهم فهداهم للإيàn وجازهم على ذلك بالمغفرة والجنة، والنزم لهم بذلك كرماً منه سبحةته فقال تعال: ﴿كُنْ بِرَبِّكَ خَاشِعِينَ﴾ (الأحزان: 45)، وقال تعال: ﴿وَرَحَمْتُكَ لَمَّا صَبَرْتَ﴾ (الأعراف: 167) ﴿فَلَعَلَّكُمْ تَعْتَفَّرُونَ فَوَّرَتْكُمُ الرَّحْمَةَ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْجَلِيلُ﴾ (الأعراف: 104). يُؤْتِينَا مِنْ يَتَّ لَكَ، أي: يعطي هذا الفضل الذي يشاء من عباده تكرماً منه وامتناعاً عليهم، وإحساناً إليهم، كما قال تعالى: ﴿فَرْغِلُ الْقَلْبِ فَضْلُ فَضْلٍ﴾ (هود: 3).

وَأَلَّهُ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ العظيم، الذي لا ي حصى أحد ثناء عليه، بل هو سبحةته كأ ثنى عليه نفسه. فهو سبحة عظيم الذي لا أعظم منه، والكبر الذي لا أكبر منه، الذي منه الفضل كله، وبيده الخير كله، ومنه النعم كلها، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ يَمِّعَرٍ قَبْلَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المؤمنون: 40)، وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعْمَّدُوا يَعْمَّدُنَّ أَلَّلَهُ قَتِلُوا الْمُخْتَصَوْهَا﴾ (إبراهيم: 43)، النحل: 18.

ومن الغريب والعجيب أن نرى بعض الناس إذا أسدى إليه أحد الخلق معرفة

(1) أخرج البخاري في الأدنان- الذكر بعد الصلاة- 423، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة- استجاب الذكر بعد الصلاة- 595، وأبو داود في الصلاة- 1004.
ولو قليلًا تراه يذكره ولا ينساه بلسان حاله ومقاله، وربما قال له: يا فلان والله ما أنسى معروفك حتى أواري في قبري، وربما تمسى أن يكون لصاحبه حاجة إليه فرد هذا المعروف، وهذا لا شك من رد الجميل وقد قال فلا وراء ابن عمر رضي الله عنهما:

«من استعان بالله فأعيدوه، ومن سألم الله فأعطوه، ومن استجار بكم فأجروه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافهوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه» (1)。

لكن ينبغي أن يعلم أن صاحب المعروف الأول، بل صاحب المعروف كله هو الله عز وجل حتى ما حل على يد بعض المخلوقين هو من الله عز وجل، ومن هنا كان الواجب الأعظم على الخلق شكر الخالق سبحانه وتعالى بطاعته وأداء حقوقه والبعد عن نواهيه، ولا شك أن من طاعته عز وجل شكر صاحب المعروف من الناس وفي الحديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» (2).

والمقارنة بين هذه الآية والآيات في سورة آل عمران نجد أن الله عز وجل قال هنا:

سائقوٌ إلى مَفْتَرِدٍ من رَكْنٍ وَجَنَّةٍ عَرَضَها كَمْرٍ السَّمَاءٍ والْأَرْضَ أَيْدَتَ اللَّهُ دَاوُوًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.» [النور: 21] وقال تعالى في سورة آل عمران: «وَسَأَلَّاهُ إِلَى مَعْجِرٍ مِّن رََّمْنٍ وَجِنَّةٍ عَرَضَهَا لَكَمْرٍ السَّمَاءٍ وَالْأَرْضَ أَيْدَتَ اللَّهُ دَاوُوًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» [آل عمران: 133] وذكر في السوراء وَالْمَكَّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْبَلَ.» [النور: 94] وذكر في البقرة: وَأَلَّهُ يَدْعُو عَلَى مَا طَعَاهُ وَهُمْ يَعْمَرُونَ كَثِيرًا.» [البقرة: 136].

وفي هذه الآيات في سورة آل عمران شيء من التفسير لقوله في سورة الحدید:

أَيْدِتْ اللَّهُ دَاوُوًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.» [آل عمران: 133] الآية، والتفصيل لأعماق وصفات هؤلاء المؤمنين وجزائهم، فمن أعبدهم وصفاتهم تقوى الله لقوله: «أَيْدِتْ اللَّهُ دَاوُوًا إِلَيْهِ».

(1) أخرج أبو داود في الأدب 48445، والنسائي في الزكاة 2520.

(2) أخرج أبو داود في الأدب 4811، والمرزقي في البقرة والصلح 1954، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
و("المتقون": الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقائها، يفعل أوامرهم واجتناب
نواهيهم، فاتقوا الله بقلوبهم وآلستهم وسمعهم وأبصارهم وفروجهم وأيديهم
ويرجلهم وجميع جوارحهم.

ومن أعبائهم وصفاتهم الإنفاق في السراء والضراء لقوله: "إِنَّ الَّذِينَ يَعْفَوُونَ فِي الْشَّيْئِينَ وَالْمَلِكَاتِ وَفَرْقَ مَا بَيْنَ الإِنْفَاقِينَ، كَمَا قَالَ عِزَّوَ جَلِّهُ: "لَا يَسْتَوَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ فَتْحٍ مَّنْ فَتْحٍ
وْقَفَّـهُ أَوْلَـيْكُمْ أُعْمَـدَّ مَـرَّةً فِنَّ اللَّهِ أَنْفَقَ عَلَيْهِ وَقَفَّـهُ فِي كُلِّ مَـلِكَةٍ وَعَدَّ اللَّهُ أَلَّـهَـيْنِِّ (الْحَمِيدِ): 10.

وبعض الناس يرون عليه الإنفاق في السراء لكنه يمسك في الضراء.

وإنما تعني النفقة وتهيئ الركح بأعظم طعامها في حالة الضراء والحاجة.

وإنما يرحم الله من عباده الرحماء (1)، ارجعوا من في الأرض برحمكم من في
السماء (2).

ومن صفاتهم كظم الغيظ لقوله: "وَالْمُحَلَّيْنِ مِنَ الْعُفُّ (3)، أي: الذين إذا غضبوا
حبسوا الغضب وأمسكوا زمام النفس عن قول أو فعل ما لا يجوز.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة إنها
الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (3).

ومن سلائهم بن صرد رضي الله عنه قال: استبدل رجلان عند النبي ﷺ فجعل
أحدهما تحمر عيناه، وتنتفع أوداجه فقال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف كلمة لو قاتل
لذهب عنه ما يحدث، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فقبل للرجل، فقال: لست
بمنجوين (4).

(1) أخرجه البخاري في الجامع 1264، ومسلم في الجامع 1531، وأبو داود في الجامع 2718، والنسائي في
الجامع 1845 من حديث أسماء بن زيد رضي الله عنها.
(2) أخرجه أبو داود في الأدب 492، والترمذي في البر والصلة 1847 من حديث عبد الله بن عمرو رضي
الله عنه وقال حديث حسن صحيح.
(3) أخرجه البخاري في الأدب 1411، ومسلم في البر والصلة 2619.
(4) أخرجه البخاري في بدء الخلق 3282، ومسلم في البر والصلة والآداب 2610، وأبو داود في الأدب
4781.
وعم ما يعين على كظم الغيظ وإذهاب حدة الغضب الوضوء والجلوس إن كان قائماً واضطجاع إن كان جالساً فكم أدى الغضب إلى إزهاق أرواح وطلاق وتشتيت أسر وعداوة وبغضاء. فكم عض صاحبه على أصعب الندم ولكن هيهات، وكم أودع أناس السجون وسقى إلى القصاص بسبيهم، وكم أصيب أناس بارتفاع ضغط الدم والسكري والجلطات بسبيبه.

ومن صفاتهم العفو عن الناس لقوله: «وَعَلَّمَنَّكُمْ عَنْ أَلْلَاهِ»، أي: يعفون عنّهم أساء إليهم وعذّبهم من حقوق لم غيرهم من قريب وبعيد ومؤمن وكافر. فترّقوا من كظم الغيظ وحبس الغضب إلى العفو عنّهم أساء إليهم، كما قال تعالى:

«وَمَا أَقْصَدْنَا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَفْتَنُوهُم بِالْخَيْرِ وَالْخَسَارَةِ تَحْتَهَا وَيَتَبَيَّنَ للْمُتَّقِينَ» [السورة: 79: 3] فإذا أجل هذا نسأل الله تعالى التوفيق.


وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَمَا زاد الله عبداً بعفر إلا عزاً» (1).

وفي الأثر: «العلم بالتعلم والحلم بالتلميح» (2).

قال الشافعي: (3).

---

(1) أخرج مسلم في البر والصلة والأداب 588، والترمذي في البر والصلة 929.
(2) أخرج البخاري معلقاً، قال: قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، وإنها العلم بالتعلم».
(3) كتاب العلم -باب العلم قبل القول والعمل. انظر فتح الباري، 159. 169.
(5) وقد روي موقعاً على أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه البهتري في «شعب الإيهان» 354، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» 903.
(6) انظر «ديوانه» ص 37.
لم آعفو ولم أحقّد على أحد
أرحت نفسى من هم العداوات
وقال الآخر:
لا يحمل الحقّد من تعلوّبه الرتب
ولا ينال الرضا من طبعه الغضب(1)
وتعود بني الله من الخذلان والحرمان، ومن نزغات الشيطان؛ فبُنِّم شاعر وفرق
واسع، بين إنسان عفو متسامح، وبين إنسان حرج دائِٰٗ، فالأول سعيد مطمئن، والثاني
قلق مضطرب. هذا في الحياة، أما في الآخرة وعند لقاء الله عز وجل فلا تسأل عن
الفرق بينها، وله يقدر الفرق بين من يرد ليتفاضى من الخلق المصاكسين، وبين من يرد
على الجواد الكريم:
(2)
شَتَّانَ بَيْنَ الحَالَتَينَ فَإِن تَرَدَّ جَعْلَاٰ فِي الْقُبُولِ يَجْتَمِعُانَ
فِي أَحْسَنِ الْعُفُوِّ، وَمَا أَحْلِي الْخَلْقِ الطَّيِّبِ عَمَّا، فَهُوَ أَنْقَلَ شَيْءٌ فِي مِيْزَانِ الْعَبْد
يُومُ الْقِيَامَةَ، وَأُقْرِبُ النَّاسِ مِجْلُوسًا مِن النَّبِيِّ ﷺ أَحَاسِسُهُمُ أَخْلاَقَةً، كَأَيْ جَاءَ فِي حَدِيث
أَبِي الْدِّرْدَاءِ رَضِي الله عَنْهُ أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَنْقَلَ فِي مِيْزَانِ الْمُؤْمِنِ يُومُ
الْقِيَامَةِ مِنْ خَلْقِ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبَرِّزُ الفَاحِشَةَ الْبَذِّيَّةَ»(3).
وَعِن جَابِرٍ رضي الله عنه نَّسْرُو اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنْ مِنْ أَحْبَاكُمْ إِلَّاَّ وَأَقْرِبْكُمْ مِنِ
مِجْلُوسَ يُومِ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِسُكُمْ أَخْلاَقَةً»(4).
فَالْخَلْقِ الطَّيِّبِ الحَسَنِ مَعِينٌ لَا يَنْضِبُ، وَلَا يَنْضِبُ، وَلَا يُضِبُّ، وَلَا يُضِبُّ، وَلَا
مَشَقَة، وَلَا وَقَفَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَمِنْ صَفَاتِهِمْ اِلْحَسَنَاءِ لَوْ صَفَحَ اللَّهُ مُمَّنْ عَلَّمَهُ هُمْ بِذَلِكَ بِقُولِهِ: «وَاللَّهُ يُبْيِّبُ الْمُهْتَمِنِينَ»
الذِّينَ أَحْسَنُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِخْلَاصًا لَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُتَابِعَةً لِلرُّسُولِ ﷺ.
وَأَحْسَنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بَأَدَّ حَقُّهُمْ الْواجِبَةَ وَالْمِسْتَحِبَّةِ.

(1) البيت لعنترة بن شداد، انظر ديوانه ص 42
(2) البيت لابن القيم انظر: "النُونية" ص 11
(3) أخرج أبو داود في الأدب ٤١١٦، والترمذي في البر والصحة ١٩٢٥، وقال: "حديث حسن صحيح "
(4) أخرج الترمذي في البر والصحة ١٩٤١، وقال: "حديث حسن غريب"
وكفى المحسنين أن الله عز وجل يحبهم دون من سواهم.
«أَوُلَئِكَ ۖ أَنْفَضَّهُمْ» بفعل شيء من المعاصي، التي هي أعظم الظلم للنفس توردها موارد الهلاك والبوار، والنفس وديعة عند الإنسان يجب عليه أن يتأثني بها عن كل ما فيه ضررها في دينها ودنياها.
«ذَكَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفَرُوا وَذُوٌّ بُعْثُوهُ مَنْ يَغْفِرُ الْذُّنُوبِ إِنَّ اللَّهَ وَلَّمْ يُضِيعَ عِنْهُمْ صَلَاةً».
أي: أنهم بعد ملايبتهم شيئاً مما ذكر يتذكرون عظمة الله عز وجل، ويرجعون إلى ذكره عز وجل وسواه المغفرة لما وقع منهم من الذنوب، مبادرين بالتوبة من ذلك من غير إصرار على المعاصية، وهم يعلمون أنها معصية ويعلمون سوء عاقبتها وشعورها مما يجعلهم مخلصًا للمغفرة والتوبة.
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنها: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»(1).
ثم ختم الآيات بوعدهم بتحقيق ما سارعوا إليه من المغفرة والجنة تأكيدًا لذلك فقال: «أَوَلَّاهُمْ جَزَاءً مُّفَيَّضًا مِّن نَّفْسِهِ وَلَمْ يَجِنَّنَّهُمْ جَنَّةً تَجِرَى مِّنْ فِي هَا الْأَرْضِ إِلَّا هُدًى خَلِيْلَيْنِ».

(1) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 2/651.
وَيَغَمُّ أَجْرُ الْكَبِيرِينَ

أي: أولئك المصارعون إلى المغفرة والجنة، جزاؤهم تحقيق المغفرة هم من ربهم ودخلهم جنتين تجري من تحت أشجارها ومساكنها وزرع الأنهار قال تعالى: 

١٠٨: ﴿إِنَّمَا الْجَنَّةُ الْجَزَاءُ عَزُوْسَ جَرِيعَتَهَا عَزُّ وَجَلَّ وَمَنْ مُتَصَلِّبُ عَلَى صَبْرِهِ وَآمَنَّ بِاللهِ وَمِنْ آخِرِ الْأَيَّافِ وَلَنَصْلِيهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ (السلام: ١٠٨).

وَيَعْمَمُهُ بِفِيٍّ، أي: مقيمين فيها إقامة أبدية لا تحول ولا تزول. نسأل الله تعالى من فضلها.

١٠٩: ﴿وَيَعْمَمُهُ بِفِيٍّ، أي: ونعم هذا الجزاء من الله هم بالمغفرة والخلود في الجنة أجر الكبیرین بحباطة الله- عز وجل- وهم الموصوفون بهذه الصفات في الآية، وهؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله كما ذكرهم في سورة الحديث.

فتأمل أخي الكريم- ففكك الله- أوصاف المصارعين الماضين وما أعد الله هم من المغفرة والجنة، وخذ من الممارسة، والمساسقة ومن صفات المصارعين والمساقيين أعظم نصيب لتنال ما وعدهم الله به ما دامت الفرضنا متاحة والسوق رابحة وخذ نصيبك من ربك؛ إذ لا عذر لمتخلف، فإن الله قد فتح أبوابه للطالبين وخراصه ملأى ويده سحاء الليل والنهار. فالكِسَّم من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واللاجع من أتبع نفسه هواه وثمنه على الله الأماني﴾ (1).

قال الشاعر:

من فاته الزرع في وقت البذار فيها تراها مصدق إلا الهمم والنفذاً

وقال الآخر:

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدها

(1) كا جاء في حديث شداد بن أمية - رضي الله عنه- أخرجه الترمذي في صفه القيادة والرقائق والورع ٤٥٩، وابن ماجه في الزهد ٢٤٦٠ وقال الترمذي "حديث حسن".

(2) انظر: "الطائف المعرف" ص ١٩٦.
فللَّم يتأخر مَن أراد تقدِّمَ، ولم يتقدم مَن أراد تأخرًا (١)

واللَّهُ أعلم أخي أن الأمر جد، وقد أحسن القائل:

قد رشحوك لأمر لوط، فتأنَّتَ له فارِغًا بنفسك أنت ترعى مع اهل (٢)

وقال الآخر:

الأمَّر جد وَهُوَ غَيْر مَزاح (٣)

كما أنَّ لنفسك صٌلاحًا يا صلاح.

وقال الآخر:

سَوف تَرى إذا انجل الغبَار أَفْرِس تختَكَ أم حمار (٤)

إذا حضر واجب الله وحق من حقوقه من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو بر والدين أو صلة رحم، أو أمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، فانهض على قدمك الطويل مسرعًا مسابقاً متفاها فافرح بذلك واستبشر.

وقل بلسان حلاك ومقالك إذا سمعت حي على الصلاة حي على الفلاح: نادي منادي العظيم نادي منادي المنعم، وقول: هيا يا أولادي ويا أهلي إلى إجابة داعي الله، هيا إلى إجابة داعي المنعم العظيم، هيا إلى الصلاة، واحذر من البرود والتبعد في هذا.

واحذر كل الحذر من القوانع، التي تتحول بينك وبين ذلك، أو تؤخرك عنه، من مشاغل الدنيا من بيع أو شراء، أو شرب قهوة، أو إصلاح حاجة، أو تكليف شخص في جلسة أو في طريق، مقابلة أو مهاتفة.

وإذا حضر حق الله فلا تلتفت إلى غيره، واعلم أن الطبي أشد وأسرع من الكلب، ولكنه إذا أحس به النفت إليه فيضعف سعيه فيدرك الكلب فيأخذه وهكذا فإن الشيطان يدرك الإنسان إذا النفت إلى هذه القوانع.

(١) البتان لابن هانئ، انظر: "البتان" ص ١٤٠.
(٢) البتان للطغراني، انظر: "شرح لامية العجم" ص ١٤٠.
(٣) البتان لنشوان الحميري، انظر: "ملوك جمیر وأقبال اليمن" ص ١.
(٤) انظر: "الأمثال المولدة" ص ٣٢٣، مجمع الأمثال ص ١/١٤٤.
الفوائد والأحكام:

1- الأمر والترغيب في المسابقة إلى مغفرة الله - عز وجل - وجنته بالمسابقة والمسارعة والمنافسة بالأعمال الصالحة; لقوله تعالى: "سابقو إلى مغفرة ورضى وجهي عن عورضكم عورضاً كبيراً وآيتكم".

2- رحمة الله - عز وجل - بالعباد وشفته عليهم حيث جعلهم ورغبهم في المسابقة إلى مغفرته وجنته.

3- إثبات ربوية الله - عز وجل - خلقه، ربوية خاصة، وعامة; لقوله تعالى: "إِنَّهُمْ نَّافَعُونَ نَّارٍ".

4- عظم سعة الجنة ومساكنها وغرفها وساتينها؛ لأنه إذا كان عرضها كعرض السماوات والأرض فما بالك في طولها؟ لقوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهَا رَضِيَّةً عَسَى أَنتَ لِلْأَرْضِ إذ كُنْتَ بِهَا نَشِئَ".

5- وعد الله - عز وجل - للذين آمنوا بالله ورسله بهذه الجنة الواسعة، وأنها موجودة الآن مهيأة لهم; لقوله تعالى: "أَعْدَى الْجَاهِلِيَّةَ كَانَتُ بِاللَّهِ وَرْسَلِهِ هُدًى وَبُلْدَى عَلَى الْجَانَّةِ وَالْأَرْضِ".

6- تلازم الإيمان بالله والإيمان بالرسول; لقوله تعالى: "إِنَّ الْبَيَّنَاتِ الْأَيْمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ".

7- الإشارة لعظم فضل الله - عز وجل - على الذين آمنوا به ورسله بمغفرته لهم وإدخالهم فسيح جنتهم وما فيها من ألوان النعيم؛ لقوله تعالى: "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِمْ مِنْ يَدَاهُ وَيَغْفِر لَهُمْ سَيْئَتَهُمْ وَيَغْفِر لَهُمْ غُفْرَانًا عَظِيمَانَ".

8- إثبات المشيئة الله - عز وجل - وأنه عز وجل - يؤتي الفضل من بقاء بفضله وينعه عمّن يشاء بعده; لقوله تعالى: "وَإِنِّي مِنْ يَدَاهُ وَأَنَّ اللَّهَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ رُزْقِهِمْ وَيُغْفِر لَهُمْ سَيْئَتَهُمْ وَيَغْفِر لَهُمْ غُفْرَانًا عَظِيمَانَ".

9- أن الله - عز وجل - صاحب الفضل العظيم والخير العليم على جميع خلقه وهو الجواب الكريم; لقوله تعالى: "وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ".

10- الترغيب في الإيمان بالله ورسله.
قال الله تعالى: "ما أسأbee من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في صكنب من قبل أن تركاهما إن ذلك علٍّ لله يُشير (33) لكي لا نأتي علٍّ بما أتكم وما تقدروا بما أنفسكم والله لا يحب أن يتعرض فحور الذين يخططون ويتأمرون الناس بالبخل ومن يولي إلّا الله هو اللطيف الحميد.

في هذه الآيات بين الله عز وجل أن جميع ما يحدث في هذا الكون من مصائب، إنه هو قادر الله السابق قبل خلق الخليقة.

قوله: "ما أسأbee من مصيبة في الأرض" ما نافية أي: ما أصاب من مصيبة في الأرض من قحط وجدب وزلازل وبراكين وغير ذلك.

ولأ أنفسكم: من مرض وجرح وقتل وموت وفقر وغير ذلك.

أي: إلا قادر مكثوب عند الله عز وجل في اللوح المحفوظ الذي فيه مقادير كل شيء.

قال السعدي (1): "وهذا شامل لعوم المصائب التي تصيب الخلق من خير وشر، فكلها قد كتب في اللوح المحفوظ صغيرها وكبرها".

من قبل أن تركاهما: أي: من قبل أن نخلق الخليقة، ونبرا النسمة، ومن قبل خلق السماوات والأرض، ومن قبل خلق هذا الكون، كما في حديث عمر بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله قادر مقدار الخلق قبل أن خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء" (2).

قال الحسن البصري: "كل مصيبة بين السواء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن تبرآ النسمة" (3).

وقال ابن كثير (4): "وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرة نفاة العلم.

---

(1) في "تفسير الكريم الرحمن" 299/7.
(2) أخرج مسلم في القدر - باب حجاج أحمد وموسى 2653، والترمذي في القدر 216/2 وأحمد 2/169.
(3) أخرج الطبري في "جامع البيان" 419/22.
(4) في "تفسيره" 52/8.
السابق، قبحهم الله.

"إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الْقُرْآنِ الْكُرَامِ،" الإشارة ترجع إلى معايِنة ومضمون قوله: "مَا أُسَبَّبَ مِنْ مُسِيقَٰتٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ إِلَّا مِنْ قَبْلِ الْمَرْحَمَةِ."

أي: أن علمه عز وجل بالأشياء قبل كونها وتقديره وكتابته لمقدار كل شيء، مما يحصل في الأرض وفي الأنس، وفي هذا الكون كله من أحداث ومصائب وغير ذلك، وحدث ذلك كنا قدره الله، كل ذلك يسير سهل على الله عز وجل، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، كما قال تعالى: "آَلِهَةَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَرْضِ" [الأعراف: 45]، وقال تعالى: "أَايُّمُونَ مِنْ خَلْقٍ هَوَّاُ الْأَفْجِرُ" [الملك: 41].

فهو سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وكلما في هذا الكون جار تقديره عز وجل، كما قال تعالى: "إِنَّكُمْ خَلْقُ غَيْبِيَّةٍ قَدِيرُ" [القمر: 49].

"لَكُمْ تُسَّلِّطُونَ عَلَى مَا أَفَاتَنَا وَلَا تُقْرِحُوا مَا أَنْتُمْ مُنْتَصِرُونَ." اللام للتعليم، والمصدر المؤل ي:\"كِيَلَّا تُسَلِّطُونَ" في محل جر ببالام متعلق بفعل محدود تقديره: قدنا مقادير كل شيء، وأخبرناكم بذلك وبينا لكم: "لَكَّيَلَّا تُسَّلِّطُونَ عَلَى مَا أَفَاتَنَا وَلَا تُقْرِحُوا مَا أَنْتُمْ مُنْتَصِرُونَ" "وَلَا" في الموضع الثلاثة: نافية.

"تَأَسَّوا" الأَسِيَ بمعنى: الأسف والحزن على أمرات ومضى، وهذا قال هنا: "لَكَّيَلَّا تُسَّلِّطُونَ عَلَى مَا أَفَاتَنَا"، أي: بما ذات ومضى ولا يمكن استدراكه، من أمر

الدنيا من خلال أو ولد أو صحة، أو منصوب أو جاه، أو غير ذلك.

وذلك لأن الله يختار لعبد ما يختار، وما اختاره الله لعبد خير ما اختاره العباد لنفسه.

ووفي الحديث: "من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر فلو أغنيه لأفسدت عليه دينه، ومن عبادي من لا يصلح له إلا الغنى فلو أفرقت له لأفسدت عليه دينه ومن عبادي من لا يصلح له إلا الصحة فلو أفسمتها لأفسدت عليه دينه" (1).

(1) رواه الطبراني وغيره - فيه ذكره ابن رجب في "جامع العلماء والحكم" 2/333، ووضعه ابن رجب.
وعندما يوجب على العبد الرضا والقناعة بما أتاه الله فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفاً وقتعه الله بما آتاه» (1).

وقد قيل: «القناعة كنز لا يفني».

والله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وقد يمنعها عمن يحب وعمن لا يحب.

ويأتي بالسرا كي يبتلي بالضراء، كما قال تعالى: «فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا أَبْتَلَهُ رَبُّهُ كَرَمَهُ وَفَضَّلَهُ فَوَقَّعَ فِيٌّ أَتْهَىٌ» (النجم: 15، 16) (2).

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (3).

وقد قيل:

قد ينعم الله بالبلو وان عنظامت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم (4). 

ولا تفرحوا بيتما سِتْ كُفُومُهُ، قرأ أبو عمرو بقصر الهمرة: «أتاكم» بلا مدة.

بمعنى: جاءكم.

وقرأ الباوقان: «تاَكُومُ» بالمدة، بمعنى: أعطاك، وهم متلازمتان، أي: ولا تفرحوا بالذي جاءكم والذي أعطاك الله من نعم الدنيا فروح بغتر واحتيال وتكر وٍاختيار على من دونكم، أتاك حصلتم على ذلك بحولكم وقوتم وكتم وممعكم أو باستحفاكم.

وذكره القرطبي عند تفسير قوله تعالى في سورة الشورى: «وَلَوْ رَسَّخَ اللَّهُ الرَّجُلَ الْأَقْدَامَ لَبَلَغَهَا فِي الأَخْرَى» [الشوري: 27 / 16/ 28]، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية في «تفسيره» 194/ 7 وقال سياحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في تعلقه على تفسير ابن كثير في هذا الموضوع: «هذا من الآثار التي لا يعلم لها سند، ومنعته صريح».

(1) أخرجه مسلم في الزكاة 1466، والترمذي في الزهد 277، وابن ماجه في الزهد 4128.
(2) أخرجه الترمذي في الزهد 2396، وابن ماجه في الفتن 431.
(3) البيت لأبي تمام. انظر: «ديوان» ص 587. 487.
لذلك، كأ ذكر الله عن فارو قال تعالى: {إن قَاتِلَوا مَن فَقَرَ دُونَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيُحْشَى وَمَن فَعَلَ بِالْأَرْضِ مَن فَأْتَى بِلَا يُنفِّذَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحَمِّلُ عَلَيْهِمْ شَرًّا مَا كَانُوا تَقَلِيدُونَهُمْ}.

فَأَكَانَتْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكَانَاتٌ وَمَسْتَقِيمَاتٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْلِبُ عَلَيْهِمْ شَرًا مَا كَانُوا يُفْنِيُّونَهُمْ.

أما الفرح الطبيعي الذي ليس فيه أثر ولا بشر ولا تكبير ولا استنكار بل الاعتراف بالله سبحانه وتعالى.


1. ابن عباس رضي الله عنه قال: «ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً ومن أصابه خير، فجعله شكرًا.»
2. والمتفق عليه على الناس بقوله: أنا كذا، وأنا كذا، كما قال أحدهم: وإن كان كنت الأخير زمانه لآتِي بِمَن تَسْتَجِيبُوا الأوائل.
3. في كلامه على الآية: {لَيَكُونَتْ عَلَى ما طَبَّقْتُمْ وَلَا تُفْرَجُوا بِمَا أَعْمَلْتُمْ}.

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان، 22/ 421.
(2) البيت لأبي العلاء المري. انظر: ديوانه، ص: 318، غلاد الآلااب، 2/ 270.
(3) في تفسيره، 8/ 52.
ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلتأسوا على ما فاتكم، فإنه لو قدر شيء لكان، قال، "ولقتٌ حروفٌ يمَّا، أنسابكم".

و قال ابن القيم (1): "ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محروم أو خوف فواته أو حصول مكروه أو خوف حصوله نبّه بالأسى على الفائت على مفارقة المحروم بعد حصوله وعلى فوته حيث لم يحصل، ونبه بعدم الفرح به إذا وجد على توطن النفس لمفارقه قبل وقوعها، وعلى الصبر على مراراتها بعد الوقوع، وهذه هي أنواع المصائب فإذا تيقن العبد أنها مكوثة مقدرة، وأن ما أصابه منها لم يكن ليخطئه وما أخطأ لم يكن ليصيبه هانت عليه وخف حلها، وأنزها منزلة الحر والبرد.

فاحمد الله للهوم على أن جعلت للمسلم هذا السياج، فلا يتأسى ويحتضن عند المصيبة على ما فاته، ولا يرب ويتكبر ويغتر عند النعمة وصدق المصطفى حيث قال: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأنو إلمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (2)، فذلك الحمد ربا. اللهم ثبتنا على قول التثبت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قال ابن القيم (3): "وحكمته البالغة التي منها أن لا يجوز عباده على ما فاتهم إذا علموا أن المصيبة فيه بقدرته وكتابته ولا بد، قد كتب قبل خلقهم هان عليهم الفائت، فلم يتأسوا عليه، ولم وفرحوا بالحاصل لعلمهم أن المصيبة مقدرة على كل ما على الأرض، فكيف يفرح شيء قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه".

وإن التأمل في أحوال الناس يجد أنه ينطبق على الكثير منهم قول الشاعر:

(4) كالميس في البيضاء يقتلها النظا و الماء فوق ظهرها محمل

فاجعل أخى الكريم وفقني الله وإياك وجميع المسلمين من الإبانة بإذن الله عز وجل وقدره والرضع بها قدره الله سياجاً مينا ووقاية تلبك بإذن الله عز وجل من هذه

(1) انظر: "بدايع التفسير" 4/389 - 390.
(2) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، 9999، من حديث صهيب رضي الله عنه.
(3) انظر: "بدايع التفسير" 4/389.
(4) البيت لعبد الغني النابلسي. انظر: "ديوانه" ص 1268 (بتاريخ الشاملي).
الوساوس والخواطر السيئة وحصن قلبك من هذه الواردات بالاستقامة على طاعة الله وتعظيم عز وجل وتعظيم أمره وذكره وشكره والاعتصام به وحده تجذب إليه. وإن الله عز وجل شارع الإيام، وتشعر بالسعادة والانشرح الصدر، وتستغفر بذلك بإذن الله عن كل ذنوت وتشكر الله عند كل نعمة.

«أَلَيْنَ يَبْلُغُونَ یَأْمُرُونَ الْأَكْسَرَ یَبْلُغُ یَا بَلَحِّی» كَفَّوْلَا ۗ يَبْلُغُونَ یَأْمُرُونَ الْأَكْسَرَ یَبْلُغُ یَا بَلَحِّی وَيُعَسَّمُونَ مَا عَطِلُوهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.»

[الآية: 27].

والبخل في الأصل: منع الحقوق الواجبة في المال، وهو ضد الكرم قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْلُغُنَّ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ يَسَّأَلُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ هُمْ مَسْلُوبُونَ إِلَّا يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ يَرَىۡهُمُ ۖ يُومَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: 180)، وقال تعالى: ﴿فَيَهْرُجُونَ مِنْ يَبْلُغُونَ وَيُدْهِرُونَ إِلَّا يَبْلُغُونَۡ﴾ (ال낙ب: 28).

والمراد بالبخل في الآية هنا- والله أعلم- ما يشمل منع الحقوق الواجبة مطلقاً في المال وغيره، كقوله ﴿وَإِنَّمَا مِنْ يَبْلُغُ وَيَسَّعُ ۗ وَكَذَلْكَ يُعَسَّمُونَ ۗ قَاسِبَةُ لِلنَّبِيِّۡ ۗ يُسْرَىٰ﴾ (الليل: 8).

وكما جاء في الحديث: «بخل الناس الذي يبخل بالسلام»(1).

وقال ﴿بَلْحِّی مِنْ ذِكْرَتِهِ لَا يَلْصَلُّ عَلَيْهِ﴾ (2).

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط 6/400 لحديث 5591، والبيهقي في الشعب 6/249، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وآخره ابن حبان في صحيحه 10/449 موقعاً على أبي هريرة رضي الله عنه. وصحح الحافظ ابن حجر سنده الموقف عند شرحه هذا الحديث 5541 في فتح الباري.

(2) أخرجه البخاري في الدعوات 3346 من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال: «حديث حسن صحيح غريب».
فتما يدخلون بإخراج الحق وقوله وفعله من مال وجه و علم وعمل، ويأمرون الناس بالبخل بذلك، يفعلون المنكر، ويأمرون الناس يفعله.
فجعلوا بين خصائص ذميتين البخل في أداء الحقوق، وأمر الناس بذلك كما في قوله تعالى: "ولَوْ يَتَّهِمُهَا عَلَىٰ طَيْعَةٍ أَمْثَالِكُنَّ (7)" (المائون: 3)؛ لأنه إذا كان لا يبحث على طعام المسلمين، فهو من باب أولى لا يطعم المسلم.

ومين يَبْعَلُ، أي: ومن يعرض عن أمر الله وطاعته وعن الإفلاس في سبيله.

إِفَّانَ آَنَّهُ أَقِيِّمَ الْحَمِيْدَ قَرَأَ دَافِعٌ وأَبَو جَعْفَرٍ وَأَبِن عامر بغیر "هو". وقرأ البايقون بإشتهائها.

وقوله: "إِفَّانَ آَنَّهُ أَقِيِّمَ الْحَمِيْدَ"، يقول موسى عليه السلام "إِنَّمَا أُتْنِيْتُ مِنْ فِي الآخِرَةِ حَيَّاً أَلَّا يَدْرِسَ مِنْهُمَا إِلَّا مَنْيَناللهَ إِلَّا مَنْ يَذْهِبُ عَنْ نُصْرَتِهِ" [إسحاق: 8]، وقوله تعالى: "أَلَمْ يَتَّبِعُوا حَقَّ الْحَمِيْدَ (27)" (المائون: 4) وقال تعالى: "ثُمَّ بَلَّؤَى النَّاسُ أَنْقَضَيْنَ صُفُّهُمَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْحَمِيْدِ (15)" (فاطر: 15)، وقوله تعالى: "بَلْ عَلَى وَمَنْ يَقْبَلُ إِلَى وَلَدٍ مَّعَ تَقْبُلُهُ وَلَدُ اللَّهِ وَأَنتَ الفَقِيرُ (38)" (عمل: 38).

والغني: اسم من أسياء الله عز وجل، أي: ذو الغنى المطلق النائم عن جميع خلقه، من جميع الوجود.

أي: ومن يعرض عن أمر الله وطاعته وعن الإفلاس في سبيله فان الله هو الغني الذي غنى من لوازم ذاته، الذي له ملك السموات والأرض وخزائن السموم والأرض كلها بيده، كما قال تعالى: "وَلَنْ يَزَالُ الْيَوْمُ الْيَوْمُ أَخْرَجِينَ الْمَضْرَعَاتُ وَالأَرْضَ (17)" (النافعون: 7)، وقال تعالى: "وَإِنَّنَا مُعْلُومٌ إِلَّا مَّعْلُومًا، وَمَا نَعْلُومُ إِلَّا مَا يَقُولُوا مِلَّةٌ مَّعَيَّنِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا مَعَ أَيْدَيِّي (21)" (المجر: 21).

فخزائه عز وجل ملائى، لا تغيبها كثرة الإفلاس، وليس بحاجة إلى خلقه، لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصمين، كنا قال عز وجل: "إِنِّي نَفْرُوْق أَلِيكُمَّ (7) الله غَيِّبُ عَنْكُمْ وَلَبْشُوا لِي عِبَادَوِهِ وَأَكْفَرُونَ وَإِنْ تَكُونُوا مُّؤَهَّلُوا لِلله" [النور: 7]، وكنا قال عز وجل في الحديث القديمي: "يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنكم وجنكم كانوا على أثقل قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لى
أن أوقلكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أوقلكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت لكل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك بما عندي إلا كا ينقص المخيط إذا أدخل البحر (1).

الطيب، اسم من أسياء الله عز وجل، مستحق من الحمد على وزن "فعيل" يدل على أن له عز وجل الحمد كله، وهو وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم. قال عز وجل: "أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعلَ اللَّطَائِرَ وَالْبَيْنَاهَا" (الأنعام: 1)، وقال تعالى: "أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عِبَادِهِ الْكِتَابَ" (الكهف: 1)، وقال تعالى: "أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ النَّاسَ وَأَنْعَمَ مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَاعْلَمَهُمَا" (الأنصار: 109).

فهو عز وجل الغني المحمود على غنائه لواضع عطائه وجوده فله عز وجل الحمد على غنائه، وعلى خلق السماوات والأرض، وعلى ملك السماوات والأرض، وعلى إزال الكاثب وله الحمد في الدنيا والآخرة، وهو المحمود على كل حال سببه وله عز وجل الحمد من يستحق الحمد.

ويقل الشكور سبحانه: قال عز وجل: "لِيُفْهَمُوا أَجْرُهُمْ وَزَيِّدُوهُم مِّنْ فَضْلِي إِنَّمَا يُفْرَجُونَ عِنْدَنَا مَثْلَهُمْ" (الأعراف: 78)، وقال تعالى: "وَاللَّهُ شَكُورُ حَسَنُ الصُّدُورِ" (التنغاب: 17).

الفوائد والأحكام:
1- إيثاب قدر الله - عز وجل - السابق، وأن ما يقع من مصائب في الأرض والنفس، وما يجري في الكون من حركة أو سكون كل ذلك بتقدير سابق في الأزل قبل خلق الخليقة، لقوله تعالى: "مَا أُصِبَّ مِنْ مَصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي نَفْسِهِمْ إِلَّا فِي كِتِبٍ مَّيْدَانٍ" (النحل: 26).

(1) أخرججه مسلم في البر والصلة والأدب 2577، والترمذي في صفة القيادة 2495، وابن ماجه في الزهد 2574، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
عون الرحمن ﷺ تفسير القرآن ﷺ 21

۲- قدرة الله - عز وجل - النعمة حيث قدر مقدار كل شيء وجاءت وفق ما قدر، وذلك عليه يسير لأنه لا يعجزه شيء؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ الْبِيْنَٰٓٓ﴾.

۳- أن الله - عز وجل - قدر مقدار كل شيء وأخبرنا بذلك لتلك لا يحزن الإنسان على ما فاته ولا يفرح بكره واحتياج إلى أعطي، وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ لقوله تعالى: ﴿لَكِنَّا نَأْتِيْلَكُمْ عَلَى مَا كَانَتْ مَعَكُمْ وَلَا نَفْخَرُوا بِمَا نَقْصَحْنَا﴾.

۴- سمو مبادئ الدين الإسلامي وحفظه أتباعه من الآس والفرح المفرطان حفاظًا على الاعتدال النفسي؛ لقوله تعالى: ﴿لَكِنَّا نَأْتِيْلَكُمْ عَلَى مَا كَانَتْ مَعَكُمْ وَلَا نَفْخَرُوا بِمَا نَقْصَحْنَا﴾.

۵- نفي محبة الله من كان مختارًا فخورًا وإثبات محبته من كان مؤمنًا متواضعًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيَطْلُبُوا مِن اللَّهِ مَّن يَهْدُهُ الْمُهِدَّٰٓٓ﴾.

۶- ذم البخيل وأهله الذين يمنعون الحقوق الواجبة عليهم في المال وغيره ويجبون الناس على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيَطْلُبُوا مِن اللَّهِ مَّن يَهْدُهُ الْمُهِدَّٰٓٓ﴾.

۷- التعريض بدد من تولى عن طاعة الله والإنفاق في سبيله والوعد له؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّىْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْجَلِいِٰلُ﴾.

۸- إثبات اسم الله - عز وجل - «الغني» وأنه عز وجل غني عمن أعرض عن عبادته وطاعته وعن جميع خلقه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْمُهْمِدُ﴾.

۹- إثبات اسم الله - عز وجل - «الحميد» وصفة الحمد والكمال له عز وجل وأنه المحمود في كل حال وعلى كل حال؛ لقوله تعالى: ﴿الْمُهْمِدُ﴾.

۱۰- في أقران اسمه عز وجل «الغني» و«الحميد» زيادة كماله عز وجل إلى كمال؛ لأن «الغني» ذو الغنى النافع، المحمود على غناه جوده وكرمه وعظيم فضله وواسع إحسانه؛ لقوله تعالى: ﴿الْغَنِيُّ الْمُهْمِدُ﴾.

 ****
قال الله تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمُ البَيْانُ مِنْ نَبِيٍّ مُّبِينٍ مَّعَ هُدَى مَّعَ مُّهَجَّرٍ وَيَتَّقونَ وَيَرَآءُونَ الْحَقَّ مِنْ نَبِيٍّ مُّبِينٍ».

ذكر الكعبة فإلى الله من عدوه. وعن ع践
خلقه، ثم ذكر في هذه الآية أنه عز وجل أقام الحجة على الخلق بإرسال الرسل بالبيانات
 وإنزال الكتاب والميزان.

 قوله: «أَلَمْ يَأْتِكُمُ البَيْانُ مِنْ نَبِيٍّ مُّبِينٍ» اللام: للقسم و«قد» حرف تحقيق أي: والله
لقد أرسلنا رسلنا بالبيانات، وفي إضافة الرسل إلى نفسه- عز وجل- بقوله: «رسالنا»
تشريف وتكريمهم.

والإرسال بعث الشخص برائدة إلى آخرين، و«رسالنا» جمع رسول.

والرسول من عند الله عز وجل هو من أوعى الله إليه نبي وآمره بتبليغه.

وعدد الرسل الثلاثة وثلاثة عشر جماًًا غفيراً، ذكر في القرآن الكريم منهم حسنة
وععشرون رسولًا، منهم ثمانية عشر رسولًا ذكرًا في قوله تعالى: «وَتَأْتُوهُمَا لِيُذْهِبَنَّهَا مِنْ دُرْجَاتٍ عَالِمٍ وَرَفَعَهَا عَلَى قُوَّةٍ» و«فَرَعَ فَرْعًا مِّنْ نَفْسَهَا» [الأنبياء: 86] وقال تعالى: «وَأَيُّهَا الْأَلْبَاسُ حَيَّةٌ وَيَبْعَثُونَهُ وَيُسْرِعُونَهُ وَيَأْتُوهُمَا لِيُذْهِبَنَّهَا مِنْ دُرْجَاتٍ عَالِمٍ وَرَفَعَهَا عَلَى قُوَّةٍ».

[الأنبياء: 86-87].

ومنهم إدريس وذو الكفل عليها السلام قال تعالى: «وَأَيُّهَا الْأَلْبَاسُ حَيَّةٌ وَيَبْعَثُونَهُ وَيَأْتُوهُمَا لِيُذْهِبَنَّهَا مِنْ دُرْجَاتٍ عَالِمٍ وَرَفَعَهَا عَلَى قُوَّةٍ» [الأنبياء: 86]. وقال تعالى: «وَأَيُّهَا الْأَلْبَاسُ حَيَّةٌ وَيَبْعَثُونَهُ وَيَأْتُوهُمَا لِيُذْهِبَنَّهَا مِنْ دُرْجَاتٍ عَالِمٍ وَرَفَعَهَا عَلَى قُوَّةٍ». [آتيك].

ومنهم هود عليه السلام، قال تعالى: «وَلَمْ يَأْتِهِمَا هُوَانًا» قال بنفث أتُبَرَّدُوا آللها مأ

ومنهم صالح عليه السلام، قال تعالى: «وَلَمْ يَأْتِهِمَا هُوَانًا» قال بنفث أتُبَرَّدُوا آللها مأ

ومنهم إدريس وذو الكفل عليها السلام قال تعالى: «وَأَيُّهَا الْأَلْبَاسُ حَيَّةٌ وَيَبْعَثُونَهُ وَيَأْتُوهُمَا لِيُذْهِبَنَّهَا مِنْ دُرْجَاتٍ عَالِمٍ وَرَفَعَهَا عَلَى قُوَّةٍ».
ومنهم شعب عليه السلام، قال تعالى: {وَأُولَٰئِكَ مُنِيعُهُمْ شَهِيدًا} قال يعقوب. {أَعْبَدُوكَ اٰللَّهُمَّا لَتَكُنْ مِنَ الرَّسُولِ} [هود: 46].

ومنهم وأوهمهم آدم عليه السلام.

ومنهم آخرين وخدمهم وأفضلهم محمد ﷺ قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلََّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: 144].

قال الناظم:

في تلك حجننا منهم ثمانية من بعد عشر وبقي سبعة وهمو

إدريس هود شعب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالاختيار قد ختموا(1)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثةمائة وثلاثة عشر جم غفير. قلت: يا رسول الله من كان أوهم؟ قال: آدم. قلت: يا رسول الله نبي مرسول؟ قال: نعم خلقه الله بيده، ونفسه من روحه، ثم سواه قبلاً ثم قال: يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم وشيث ونوح وخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم وأربعة من العرب: هود وصالح وشعبة ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرين عيسى، وأول النبيين آدم وآخرين نبيك(2)

{إِنَّكَ لَكَنْتَ يَسِيرًا قَبْلَ يِهْودًا إِنْ كُنتَ مِنَ الْمَدِينِينَ} فألقى

(1) البيتان للحجوري، «جوهرة التوحيد» ص 185.

(2) ذكره ابن كثير في تفسيره 2/236-424 من رواية ابن مروي، ومن رواية آخر، وأخرجه أحمد 5/226-266 بنحو من حديث طويل عن أبي أَمَامَة- رضي الله عنه-، وفيه: عدد الرسل ثلاثةمائة وخمسة عشر جماً غفيراً، والحديث ضعيف عامة أهل العلم من حديث أبي ذر وحديث أبي أَمَامَة رضي عنها.
سورة الحديد، الآية: 25

"وأرزقنا معهم الكتاب واليهود، فقوله في سورة الشورى: "المُلْيِ اَلْأَرْذَلُ" على الألفية والأخضر.

وقوله: "وأرزقنا" يدل على علو الله عز وجل على خلقه، لأن الإثقال يكون من أعلى إلى أسفل. كما يدل على أن كتب الله عز وجل كلها منزلة وغير مخلقة.

و: "اللكب" في الكتب، أي: ظن، الكتب، والكتاب مصدر على وزن فعال بمعنى مفعول: أي: مكتوب، والمراد بذلك الكتب السياحية وما فيها من البيانات والآيات الشرعية، واليهود، والعدل والحق، كقوله تعالى: "ووضع الله الكتاب".

[الرحمن:7]

أي: وأرزقنا معهم العدل والحق الذي أمر الله به، كما قال عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ يُؤْمِنُ بِالْعَدَلِ وَالإِحْسَانِ "[النحل:90]، والذي قامت به السماوات والأرض؛ العدل في الأقوال والأفعال والمثل والسلوك، قال تعالى: "وإذا قلت: "أطيعوا وَأَوْلَوْ الْوَسَائِلَ وَهُدَّأَمَّ عِبَادِي صَدَقَاءٌ وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي وَأَطْهَرَتْ عِبَادَتِي" [الأئم:124]، وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُؤْمِنُ بِالْعَدَلِ وَالإِحْسَانِ "[النساء:58].

قال ابن كثير (1): "وَأَلْيَاذَانَ" وهو العدل قالة مادة وقادة وغيرهم، وهو الحق الذي شهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السائمة، كما قال تعالى: "أَفَأَطْلُبُ اللَّهُ مِنّي نُضُرًا مِنْ يَدَيْنِي وَيَتَّخِذَ عِيْناً مَهْيَتِيَ" [هود:17]، وقال تعالى: "فَطَرَتْ آلِهَةُ أَنْفَضُّوا عَلَيْهَا "[الروم:30].

وقال السعدى (2): "وَأَلْيَاذَانَ" وهو العدل في الأقوال والأفعال. والدين الذي جاء به الرسول كله عدل وقسط في الأورام والنواهي، وفي معاملات الخلق،

---

(1) في: تفسير ابن كثير 03/84.
(2) في: تفسير الكريمة الرحمن 07/301.
وفي الجنايات والقصاص والحُدُود والمواريث وغير ذلك.

(١) أخرج البخاري في التوحيد - ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمه إلى التوحيد - ٢٦٩، ومسلم في الإیام - ٧٣٥.

(٢) انظر: «بداائع التفسیر» ١٩٣٩.

(٣) أخرج مسلم في الإیام - وجب الوفاء ببيعة الأول فلأول ١٨٤، وأبو داود في الفتنة واللعن ٧٤٨، والناساني في الیمة ٤١٩، وابن ماجه في الفتنة ٩٥٣ من حديث عبد الله بن عمر بن العاص.


وعدلًا في الأحكام، وقال تعالى: «أَفَيَدَّيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْنِي» [الأعراف: ٤٨].

القصص والعدل في حق الله، كما قال ﷺ لمعاذ: «أنذرني ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال ﷺ ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن لا يشركون به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» (١).

قال ابن القيم: «فمن أعظم القصص التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر؛ وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات».

والقصص في حق العباد كما قال ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتنته مئته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»، وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتي إليه» (٣).

قوله: «واعذروني الظلمين». أي: وأودعنا الحديد وأودعنا مادته في الأرض.

الحادي في شدة وقوة شديدة حيث يصنع منه السلاح بشتى أشكاله وأنواعه كالسيف والبنادق والسنان والنصال والدروع، وغير ذلك من وسائل الحرب، وأدوات القتال، كالطائرات والسفن البحرية والمدرعات وحاملات الجنود، والصواريخ والقنابل وغير ذلك.

(1) فينافس للناس، أي: وفيه منافسة للناس دينية إذا استغل لنصرة الحق ورد ممن خالفه وعذابه وضادته قال: "بعثت بالسفين بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل ربحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمني ون تشبه بقوم فهو منهم".

أما إذا استغل الحادي وما فيه من البأس الشديد ضد الحق فإنه من أعظم وسائل الهدوء والتحريب، وما شقيته الإنسانية إلا حين استغل الحادي وما فيه من البأس لتدمر الإنسانية فصنعت منه الأسلحة الفتاكة التي تقضي على الأخضر والبياض وتتهلك الحدود والنسال وتندى الدمار بالاعتق في غياب من دين السلام والرحمة بين الإسلام الخمين، بل وفي غياب من الضمير الإنساني فأصبحت الدول تبادري وتتفاخر بامتلاك وسائل التدمير - والله المستعان.

وفي منافسة دينية كثيرة للناس، فمنه القدر التي يطبقون بها والأواني التي يشربون بها والأدوات التي يستعملونها في منازلهم وحراستهم من الفأس والقدم والمنشار والريم وغيرهما من الأدوات التي يركبونها وسافرون عليها ويجلسون عليها بضائعهم جوا ورا وبحرا من الطائرات والسيارات والبواخر وغير ذلك.

(1) أخرج به أحمد 7/520، وذكره البخاري متخصرًا في الجهاد والسير - باب ما قبل في الرماح قال: وذكر

عن ابن عمر عن النبي ﷺ: "جعل رزقي تحت ظل رحمي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمني.

انظر فتح الباري 1/98.
ورسله بالغيب، علم ظهور يترتب عليه الثواب والعقاب، أما علم كونه فهو معلوم
له - عز وجل - قبل خلق السماوات والأرض، وعطف «رسله» على ضميره - عز
وجل - وأضافهم إليه تشريفاً وتكريماً لهم.
وقوله: «بالغيب» جار ومجرور متعلق بقوله: «يُمَّرِضُونَ».
أي: أنه عز وجل أرسل الرسل بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان، وأنزل
الحديد فيه بأس شديد ليعلم الذي ينصره ورسله بالغيب، أي: الذي نيه في عمله
وقتاه وحمله للسلاجق إرادة نصرة دين الله ورسله - حتى وإن غاب عن أعين الناس-
ممّن لم يكن كذلك، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أن أعرايا جاء إلى النبي
فسأله عن الرجل يقاتل شجاعة، وقاتل حمّة، وقاتل لبرك مكانه; أي ذلّك في سبيل
الله؟ فقال لساناً: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(1).
فهو عز وجل لا تخفى عليه خفية، والرس ين عنده علّانة، كما قال عز وجل: «وَيَقُولُ
غَيْبُ الْعَسَمَاتِ وَالْأَرْجَبٍ» (هود: 123).
وأيضاً: «وَلَعَلَّمُنَّ اللَّهُ مَنْ يَصِرُّ عَلَى الْغَيْبِ» (المائدة: 94)، وفي الحديث: «الأحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم
تكن تراه فإنه يراك»(2).
ذكر الله عز وجل أنه أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وأنه عز وجل
يعلم من ينصره ورسله بالغيب، ثم ختم الآية بيان أنه عز وجل قوي عزيز، أي: ذو
القوة الشديدة، كما قال عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَوِّيُ الْعَزِيزُ» (النذر: 58).
(1) أخرج البخاري في الجهاد والسير، 2810، وفي التوحيد 7458، ومسلم في الإمارة، 1904، وأبو داود في الجهاد 1717، والنسائي في الجهاد 3013، والزمزمي في فضائل الجهاد (1647)، وابن ماجه في الجهاد 2783.
(2) أخرج البخاري في الإيام، 5، ومسلم في الإيام، 971، وابن حبان، 4991، وأبو داود في السنة 4792، والنسائي 4992، وابن ماجه في المقدمه، 83 من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وذر العزة اللازمة.

فلا قوة فوق قوته، ولا عزة فوق عزته، وإنّا شرع الجهاد لنصرة دينه، للابتلاء، كما قال عز وجل: "وكُلُّ نارٍ نارًا لأنقشَرُوهُمُّ، وإن كلتُ اًصْحَبَمُ، يُجْعَلُونَ بعضًا بعضاً" (م: 4).

فالعديد وما في من يأس شديد وقوة ليس بشيء عند قوته وعزته عند وجل، فإن سخر هذا الحديد لنصرة الله ورسله فصاحبه هو المنصور بقوة الله عز وجل وعزته وإن سخر هذا الحديد للحرب على الله ورسله فصاحبه المهزم المغلوب بقوة القوي العزيز سبحانه.

ومن حمل السلاح وقاتل بنية صالحة تكون كلمة الله هي العليا فهو المنصور بقوة القوي العزيز سبحانه، ومن حمل السلاح وقاتل لغير ذلك فإنه غني عنه وعن قتله لأنه عز وجل القوّى العزيز.

وج희اً قرو عز وجل بين وصفه "قوي"، و"عزيز"، فأولوي أن يجعل معنى "عزيز" هنا على المعنيين الأوليين، وهما: عزة الانتعا، وعزة الفهن والغلف.

ويقول "قوي" على معنى القوة والشدة؛ لتلا يقال بالترادف أو التكرار.

فله عز وجل القوة والعزة بكفاءة، ومن قوته وعزته أنه أنزل الحديد الذي فيه الأبس الشديد، وأنه قادر على الانتصار من أعدائه، لكنه يتطل أولاً، بآدائه لعلم من ينصره بالغيب.

وفرو قرو عز وجل بين الكتاب والخليد؛ لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلو كلمته، وبها يقوم القسط والعدل، فهي الكتاب القوة المعنى والحياة والبرهان، وفي الحديد القوة المادية قوة السيف والسنان.

الفوائد والأحكام:

1- إقامة الحجة على الناس بإرسال الرسل بالآيات البينات الكونية، وإنزال الكتب والآيات الشرعية والإعداد والإقسام على ذلك وتأكيده والامتنان به على الخلق.

لقوله تعالى: "لقد أرسلنا نُورًا لِيُنَّسِيْنَ آدمًا وَلَيُنَّسِيْنَ مَعْمِرًا، لَا يَكُونُ إلَّا نُورًا يُؤَخِّرُ آدَمًا وَيُؤَخِّرُ اِلْيَوْمَ الْآخَرَ بِالأَفْقِ".

2- تشرف الله - عز وجل- رسوله بإضافتهم إلى نفسه؛ لقوله تعالى: "رَسُولًا".

وقوله: "رَسُولًا".
3- إثبات علو الله عز وجل - على خلقه لقوله تعالى: (ولكنُنَا). والنزول إنها يكون من علو إلى أسفل، فله عز وجل علو الذات وعلو الصفات.
4- أن القرآن الكريم منزل من عند الله عز وجل - وليس بملحق كما تقول المعتزلة، وكذا غيره من كتب الله عز وجل.
5- وjobb القيام بالعدل والقسط في الأقوال والأفعال والأحكام؛ لأن الله عز وجل أنزله وأمر به وأقام عليه الدين وأمر السموات والأرض؛ لقوله تعالى: (أُوْقِمُ اٍلْقُوْمُ يَلْقَفُسُونَ).
6- قدرة الله عز وجل - النعمة ونعمته على الخلق في إيجاد مادة الحديد في الأرض لما فيه من قوة في الحرب، ومنافع للناس لا تحصى؛ لقوله تعالى: (وُٓاَذَّنَّا لَهُ بِالْحَقِّ وَهُوَ لَهُ الْفَاتِحُ).
7- لا بد لإقامة الدين والعدل والقسط من قوة معنوية من الإيمان والحجج والبرهان، وقوة مادية من الحديد والسيف والسنان.
8- الإشارة إلى أن الحديد قد يكون مصدر قلق وخوف وتحريب وإفساد إذا لم يحسن استخدامه؛ لما فيه من البأس الشديد؛ لقوله تعالى: (وَاتَّبَعْنَا الْقَلِيدَ فِي بَيْنَاسْ يَمِينَ) وَ(مَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ يُحْقِقُ لَهُ مَا لَهُ وَيَثْبِتُ لِلَّهِ).
9- علم الله عز وجل - بمن ينصره ورسله بالغيب وإن لم يره، وإن غاب عن أعين الناس؛ لقوله تعالى: (وَلَأَنْبِئَانَا مِنْ يَوْمِ الْيَومِ فَيَفْتَرُونَ).
10- إثبات أنه عز وجل ذو القوة الشديد المثمن، ذو العزة والفخر والغالية والامتثال؛ لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ قُدُرٌ عَصِيرٌ).

*   *   *
سورة الحديد، الآيات: 26-27

قال الله تعالى: «وقد أرسلناك وآرائهم وجعلنا في دُرَيْتِهِمَا النّبِيّةِ وَالسَّمَكَتُبُ فِيهِمْ مَهَاتُ وَسَكَبَيْنِ مِنْهُمْ فَسَقَفُونَ ۙ وَمَنْ فَقَدَّسَ عَلَى مَآءِهِم مَّسُكْنًا وَفُقِيَّتًا يَبْسُى آبَي مَوَاتٍ وَدَارَتَانِ الإِفْرَجُ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الْأَلِيمِ إِقْتَوَانُ رَأْقَةً وَرَفْحَةً وَرَحْمَةً وَرَضْؤَهُ أَبْنَاهُ وَأَبْنَائِهِمْ مَكَانًا مَّكَانًا عَلَى هُمْ إِلَّا أَبْيَضَةً رَضُوْنَ أَنْفُسَهُم مِّنْ قَبْلِ هَذَا فَقَانَّا أَلِيمُونَ أَعْمَلُوا مَنْ أَجْرُهُ وَكَبِيرُ مِنْهُم قَسَمُونَ ٨٧ كَذَا أَلَّهَ لِلْأَرْضِ أَنْفُسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَشَادَدْهُمْ رُمِّيَّةً وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۙ ذَلِكَ لَأَمْرٌ وَأَمْرُ اللَّهِ أَقْلَصُ الْعُقُوبَةَ أَلَّا يَقُولُونَ عَلَى نَفْسِهِمْ فَقَلِلَتْ عَلَيْهِمُ آذانُهُمْ وَأَتْلَوْنَ اِلْفَصْلَ الْأَصِيلَ الْمُفْضِلَ الْمُظْهِرُ.»

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة أنه أرسل رسوله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان، ثم ذكر هنا أن من أرسلهم نوح وإبراهيم وأنه جعل في ذريتهما النبي وكتاب وأنه قفى على آثارهم برسله، وقفى على آثار رسله بعيسى بن مريم عليه وعلىهم الصلاة وسلام.

قوله «وقد أرسلنا نوح وآله وعيسى» الواو للاستثناف، واللام للقسم و«قد» للتحقيق.

أي: والله لقد أرسلنَا نوح وإبراهيم.

و«نوح» هو أول الرسل وهو نوح بن لاملك بن متشلخ بن خنوخ وهو إدريس.

و«إبراهيم» هو خليل الرحمن أبو الأنباء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وهو إبراهيم بن نارح بن ناوح بن ساروع ينبيه نسبه إلى سام بن نوح على أنها السلام.


(1) أنظر «البداية والنهاية» 1/237. وإدريس المذكور في نسب نوح عليه السلام، ليس ببني آدم، كما بين ذلك.

(2) أنظر «البداية والنهاية» 1/234.

1587
 جاء بعد إبراهيم من الأنبياء والرسل فهم من ذريته وآخرين وخلفهم نبياً محمد عليه 
وعليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: «وجعلنا في ذريتكم السبعة والكتاب» 
[العنكبوت: 27].

«فيهم محتوى»; أي: فمن ذريته وقومهم ومن أرسلنا إليهم الرسول وأنزلنا عليهم 
الكتب من هو مهتدٍ إلى الصراط المستقيم، عرف الحق واتبعه.

وهكذا في: «ومثلكم فسيقومون»; أي: وكثير منهم خارجون عن طاعة الله عز وجل.
فالكثير الكثيرة من الخلق ليسوا على الحق، بل خارجون عن الحق وعن طاعة الله 
عز وجل؛ هذا يجب عدم الاعتراف بها عليه الأكثرون، قال الله عز وجل: «ومثلكم في 
الناس» وَلَو حَرَضْتُهُمْ بِمَوْعِظَاتِي [يوسف: 301]. وقال تعالى: «وَإِن يُطِعُونَ مَا أَسْتَرْتُمْ فِيهِ» [الأعراف: 111]. 

وقد أمر الله عز وجل آدم بإخراج بعث النار من ذريته من كل ألف تسعة وتسعة 
وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة. (1)

وقد قال بعض السلف: «لا تغتر بالباطل لكونه الهالكين ولا تستوحش من الحق 
لقلة الساكينين» (2).

وقال الشاعر:

والناس ألف منهم واحد وواحد كالألف فإن أمر عنا (3)

(1) أخرجه البخاري في التفسير 4372، ومسلم في الإيهام 327، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله 
عنده.
(2) سبق تجوهره.
(3) البيت لابن ديرر ضمن مقصورته. انظر: «ديوانه» ص 132، «شرح مقصورة ابن ديرر» للتراثي 
ص 74.
فقالوا بالكيف، لا بالكيم، وإن أكثر أهل النار الإجماع الذي يقول: رأيت الناس يقولون شيئا قلته،

(ثَمَّ قَفَّتَنَا عَلَى أَكْثَرِهِمْ رُسُوْمًا) المضمار في قوله: (عَلَى أَنْتَهُمْ) يعود إلى نوح وإبراهيم والأنبياء من ذريتها عليهم السلام أو يعود عن نوح وإبراهيم، وجمع الضمير العائد إليها; لأن أهل الجمع أثنا، وقيل هذا قوله تعالى بعد أن ذكر حكم داود وسلمان: (وَصَبَرْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) [الأبياء:78].

والمعنى: ثم أتبعناه لرسلنا وجعلناه يقفون آثارهم مأخوذ من القفا، أي: يأتون بعدهم.

(وَقَفَّتَنَا عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ) أي: وقفنا على رسلي بني إسرائيل بعيسى بن مريم وجعلناه يقفوا ويتبعهم ويأتي بعدهم، ويكون آخرين وهو الذي بشر بمحمد بعده، كما قال تعالى عنه أنه قال: (وَيُبَيِّنُ صِرَاطَ الْمُجِيِّبِينَ) [الصف:6].

قال السعدى: )1) خص الله عيسى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام.

ونسب عيسى عليه السلام لأمه؛ لأنه ليس له أبي وإنها تفق الله عز وجل فيها من روحه، وليبيان كيان قدرة الله عز وجل حيث خلقه من أشياء بلا ذكر، وهذا نجد في القرآن الكريم التصريح باسم عيسى منسوبيا إلى أمه، بينما لم ينسب غيره من الأنباء ولا لأبائهم.

(وَمَكَّنَّهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي: وأعطينا الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى بن مريم وأوحى إليه.

(وَاحْتَلَّا مَعَهُمْ فِي قَرْيَةٍ يَتْبَعُونَهَا) وهم الحواريون، كما قال تعالى: (قَالُواْ لِلْأَحْدَثِيَّانِ) [الصف:14].

(1) في تفسير الكريم الرحمن، 2003.
على الرحمن ﷺ تفسير القرآن ج1

590

رآته ورضي عنه، أي: رقة وخشية ولينا وشفقة، والرفة أرق وأملف وأخص من الرحمة، كما قال تعالى: »لتجدنا أشد أقلاع عدوة للذين آمنوا اليهود والذين آمنوا...«. ولتجدنا أقرههم مودة للذين آمنوا اليهود، قالوا إذا تصدقوا ذلك كأنه منه يومئذ. 

فقيهبع وفهمه وأنهم لا يستمتعون«]المائدة: 82[.

قال السعدي: »وهذا كان النصارى ألبين من غيرهم قلوبًا، حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام.

أما الآن فلا ينبغي أن نخدع بأخلاقهم، فإنهم وإن ظهر منهم شيء من اللين وحسن الخلق، فهم كما يقال أخلاق تجارية، يريدون بذلك الدعوة للنصرانية وتحببها للناس بذل الخلق والمثل وغير ذلك، وخلالهم وحروبهم الصليبية وتمالؤهم مع اليهود ضد الإسلام والمسلمين منذ القدم إلى يومنا هذا تبين حقيقة عداؤهم للإسلام والمسلمين.

وأما المؤسف له أنه في حين نجد من بعض النصارى اللين والخلق الحسن- ولو تصنعاً وتكفلوا- لكسب قلوب الناس نجد من كثير من المسلمين الغلظة واجفاء والفظاعة مما يثير الآخرين، بل وصل الحال ببعض المسلمين إلى الإسلام إلى الخروج عن حكم الإسلام بالتكفير والتفجير واستحلال دماء المسلمين من المسلمين وغيرهم، وأمواهم فشحوه صورة الإسلام. وليس أحد أول من المسلمين باللين والرحمة وحسن الخلق قال تعالى لنبيه ﷺ: »ومن أرسلناك إلا رحمته للعالمين« [الأنبياء: 70]. وقال تعالى له: »قُلما رَحِمْتُ مِنْ اللهِ لَتْنَهمَ وَلَوَكِتْ فَقَطُ غَيْبُ الْقُلُوب لَا نَفْصَوا مِنْهَا مَآوْهُمْ وَلَا نَفْضَغُوهُمْ فِي النَّارِ« [آل عمران: 159].

ورهيبنا أبشرها»رهبانية منصوب على الاشغال بفعل مذروف يفسره ابتداعها»: أي: استحداثها من تلقية أنفسهم، وهي الانقطاع للعبادة والانفراد في الأدبية والسباحة في الأرض، والمعالجة في التقشف.

»ما كُنيَّتْهَا عَلَيْهِمْ«، أي: ما فرضناها وما أوجبناها عليهم، وما شرعناها لهم، وإنها هم التزوهما من تلقية أنفسهم.
لا أتبععى رضوان الله إلا أداة حصر، أي: إننا كتبنا وفرضنا عليهم وشرعنا لهم أن يبتغوا بأخيهم رضوان الله عز وجل، لأن يشددوا على أنفسهم بها لم يشرعوا الله عز وجل.

ومعنى: لا أتبععى رضوان الله، أي: إننا ابتعدوا هذه الرهبانية التي لم يفرضها الله عليهم ولم يشرعوا لهم قاصدين بذلك ابتغاء رضوان الله، وكم من مرير للحق لم يصبه، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

وقد قال ابن القيم رحمه الله: إن الشيطان قد يأمر بسبعين ياً من أبواب الخير، وإما ليتوجه بها إلى باب واحد من الشر، وإما يفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأجلاً وأفضل.

وعلى هذا يكون قوله لا أتبععى رضوان الله منصوباً على الاستثناء المتقطع، وصوب هذا ابن القيم وقال (3): أي: لم يفعلوها ولم يبتعدوها إلا لطلب رضوان الله، ودل على هذا قوله: أتبععى، ثم ذكر الحامل لهم والباعث على ابتداع هذه الرهبانية وأنه هو طلب رضوان الله.

فمارحوا حق رعايتها، أي: فيما قاموا بما عزموه حق القيام، ولم يعطوه حقه من الرعاية والاهتمام والعناية.

وهكذا فإن المبتث لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

قال ابن القيم (4): ثم ذمهم بترك رعايتهم إذ من التزمر شيطان لم يلزمهم الله إياه من أنواع القرب لزمه رعايتهم وإقامته حتى أنهم كثير من الققهاء من شرع في طاعة مستحبة بإقامها وجعلوا التزامها بالشرع فيها كالتزامها بالنذر، وهو إجماع أو كالإجماع - في أحد التشكيك. قالوا الالتزام بالشرع أقوى من الالتزام بالقول، فكما يجب عليه رعاية

---

(1) انظر: التفسير القيم ص 613.
(2) أخرجه الدارمي في سنن (286/210).
(3) انظر: بدائع التفسير 4/391-392.
ما التزمه بالنذر وفاته، يجب عليه رعاية ما التزمه بالفعل إماماً، والقصد أن الله سبحانه
وتعال ذم من لم يرع قربه ابتدعها الله تعالى حتى رعايتها. فكيف بمن لم يرع قربة شرعها
الله لعباده وأذن بها وحث عليها.

وقال ابن كثير(1): "وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم
يأمر به الله.

والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه، مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل".

ويؤخذ من هذا تحريم الابتداع في الدين، وأن الزيادة في الدين كالنقص منه،
بل أشد، وحرمة التشديد على النفس، بما لم يأمر به الله، وأن النصارى في هذا سلكوا
ملكة اليهود، الذين شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، ووضعت عليهم
الأثار والأغلال، كذا في قصة القتيل في سورة البقرة، وكيا في تجريمهم الخلل،
وغير ذلك.

وقد سلك أناس من هذه الأمة مسلك التشديد على أنفسهم مصداقاً لقوله
" لتبتعد سنن من كان قبلكم جدو القذة بالبقرة حتى لو دخلوا جبر ضب لدحلتموه.
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" (2) يعني هم اليهود والنصارى.

حتى إن هذا الأمر وجد في عهد النبي - وما بالعبد من قدم- فحرص أناس على
أنفسهم النوم والإفطار وزوج النساء فجاء إلىهم النبي: فقال: "أنتم الذين قلتم
كذا وكذا! أما والله إني لأخشاكم الله وأتقكم له، كنتي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،
وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (3).

وعنك أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "إن الدين يسر ولن يشاد
الدين أحد إلا غلبه، فصدوا، وقاروا وأشروا، واستعنوا بالغودية والروحة وشيء من

(1) في "تفسيره"، 8/ 54.
(2) أخرج بهخاري في الاعتقام بالكتاب والسنة، 730، ومسلم في العلم، 2669، من حديث أبي سعيد
الخندري رضي الله عنه.
(3) أخرج بهخاري في النكاف، 509، ومسلم في النكاف، 1401، والنسائي في النكاف، 3217، من حديث
أنس رضي الله عنه.
وقال: "هلك الممتعون، قلنا ثلثانا".


وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا يعقد أحدكم من طلب الرزق، يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السراء لا تطير ذهباً ولا فضة".

فالدين الإسلامي دين ودنياه عبادة وعمل، لا رهابية فيه ولا تصوف، ولا مكان فيه للمنطع والتكلف.

(1) أخرج البخاري في الإياب 291260، والنسائي في الإياب وشرايطه 0242.
(2) أخرج البخاري في إيهام 0260، وأبو داود في السنة 026044، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(3) أخرج البخاري في الجماعة 13111311، وأبو داود في الصلاة 159159، وأبو داود في الصلاة 159159، والنسائي في ق/player الليل وتطوع النهار 16101610، والرملي في الصوم 02720، وابن ماجه في الصوم 02701.
(4) انظر: "إحياء علوم الدين" 2/06.
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء فقال: أوصني: فقال:

"سألت عما سلتي عنه رسول الله ﷺ من قبلك أوصيتك بقرية الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماوات، وذكرك في الأرض.

"فقال لك أهلنا: ماتوا ميتاً، أي: من أتباع عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، وهم الحواريون.

أجرهم، أي: ثواب عملهم على عينهم وأتباعهم لعيسى بن مريم عليه السلام، وما فيهم من الرفعة والرحة.

وآتي الذين أثناهم منهم أيضًا بماحمد ﷺ من أدركوا عهده ﷺ أجرهم على ذلك قال تعالى: "وإني من أهل المسكنب لمن يؤمن بآلهة وحده وأني أُنزل إليكم وما أنزل إليهم خاتم الأنبياء، إن الله لا يضل المرسلين ولا يضل الله الذين يؤمنون في أعمالهم والذين يؤمنون في دعوتهم، وإن الله لا يضل الله الذين يؤمنون في أعظمهم وضية رأيهم، إن الله لا يسترث الله الذين أثناهم من أهل المسكنب" [ال عمران: 199].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة يؤمن أجرهم مرتين رجل من أهل الكتب أمن بنيه ومن أمن في نفسه أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه، فله أجران، ورجل أدب أمنه فأحسن تأديبها، ثم اعتقه وتزوجها فله أجران".

"وكثير منهم كثيفون، أي: خارجون عن طاعة الله عز وجل مكذبون بعيسى وبمحمد عليه الصلاة والسلام. وهذا يدل على شؤم الابتداع في الدين، وأنه سبب للخروج عن الطاعة والضلال.

"يكتب أهل الذين ماتوا"، أي: حرف نداء، و"أي" منادى مبني على الضم في محل نصب و"ها" للتنبيه، و"والذين" صفة لـ "أي" أو بدل و"آمنوا" صلة المصدر، أي: يا

_____________________
(1) أخرجه أحمد 3/82.
(2) أخرجه البخاري في الجهاد والسير 3/2011، ومسلم في الإمام 154، وأبو داود في النكاح 53، والنسائي في النكاح 344، والترمذي في النكاح 1116، وأبي ماجه في النكاح 2956.
سورة الحديد، الآيات: 26 - 29

أيها الذين صدقوا بقولهم وألستهم:

إن أولئك بجوارحكم، أي: اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقيامة بفعل أوامر
واجتناب نواهيه.

وأصل تقوية: «وقوي» فقلب الولد تاء لحذف تصريفية، وهي مأخوذة من
الوقاية، ومن ذلك أخذ الوقاية من البرد ومن الحر ومن الشوك، وأهمها وأعظمها
ورأسها أخذ الوقاية من عذاب الله عز وجل.

قال الشاعر:

jsx hnh 9kh País

نَـوَـٰمَاَ پـَرْـشْـيْهِــٰـ، أي: وصدقوا برسوله محمد ﷺ وذلك بشهادة أن محمدًا
رسول الله وطاعته في أمر وصديقه فيها أخير واجتناب ما هوى عنه وزجر وأن لا يعبد
الله إلا بها شرع.

فأمر أولًا بَتَقْوَى الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأداء مقتضياتها بفعل ما أمر الله به
واجتناب ما هوى الله عنه، ثم عطف على ذلك الأمر بالإبقاء بالرسول ﷺ وذلك
بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ وأداء مقتضاتها.

وَبِضَعْفِ أَجْرِكَ، أي: ويضعيف أجركم.

وقد حل بعض أهل العلم الآية على مؤمني أهل الكتاب، منهم ابن عباس رضي
الله عنه(1)، واختار هذا ابن جرير الطبري وكثير من المفسرين(2).

(1) الآيات لابن المعتر، انظر: «ديوانه» 2/376.
(2) أخرجه السفيني في أداب القضاة- تأويل قول الله عز وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأتلك هو
الكافرون) 323- 425، والطبري في «جامع البيان» 425،丛林/ 425- 426، والشعبي في «جامع البيان» 425،
(3) انظر: «جامع البيان» 22/325- 325، «الوسط» 425، «المسير» 7/12، «المجموع لأحكام
وعن الرحمن يُقال تفسير القرآن، ج 21

ووَيَدُ هَذَا قُوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورةَ الْفَاتِرِ: "أَلَيْنِ عِلْمُهُمْ أَلْيَهُمْ لِلْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ ؟ هُمْ يُهْدَى
يُؤْمِنُونَ [وَإِذَا أَنَّ عَلَّمَهُمَّ عَلِمَهُمْ أَمَامًا يَوْمَ يَتَّلِىَ الْخَلْقِ مِنْ رَبِّهِ إِنَّا كَانَ مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ] أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ
أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنَ مَيْا صَابِرِينَ" [الآيات: 45-44]

وحديث أبي موسى الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة يُؤْتُونَ أَجْرَهُمُ مَّرَّتَيْنَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَمْنٌ بِنْيَةٌ وَأَمْنٌ بِفَلِهَ أَجْرَانَ" الحديث (1).

وقال بعض أهل العلم إن الآية في المؤمنين من هذه الأمة.

قال سعد بن جبير رضي الله عنه: "ما افتخر أهل الكتاب بأنهم يُؤْتُونَ أَجْرَهُمُ مَّرَّتَيْنَ أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة: "بِكَانَتِ الْلَّدَىَّ أَمَّسَوا أَنْقَحَوا اللَّهَ وَأَمَّسَوا يَرِيدُونَ فَوْضُوْهُمْ لَا يَنْفِىُونَ أَنْتَ جَبَّارٌ عَلَى الْعَالَمِينَ" يعني: هذى ينصب به من العمى والجهالة، وَيَغِيرُلَّكَ [لفصلهم بالنور والمعفرة] (2).

وهكذا يُؤْتُونَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الآية في المؤمنين من هذه الأمة (3).

قال ابن كثير (4): "وهذى الآية كقوله تعالى: "بِكَانَتِ الْلَّدَىَّ أَمَّسَوا إِنْ تَسْتَنْفُرُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْدَانًا وَيَكْفُرُ عَنْ صُدُّكُمْ سَيْنَاكَانِ وَيَعْدِلُ لَكُمْ وَلَا تَعَذَّبُوا اللَّهُ عِدْلَ الْعَذَابِ "[الأنفال: 29].

وقال أيضاً: "وما يؤيد هذا القول- حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عالماً، فقال: من يعمل لي من صلة الصحيح إلى نصف النهار على قيام قيام؟ ألا فعملت "[5].

القرآن 172/167

(1) سبب ذكر الحديث بتهامه وتعريجه قريبًا.
(2) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 26/22.
(3) أخرجه الطبري في "جامع البيان" 438/22.
(4) في "تفسيره" 58/8.
اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيام؟ إلا...

ومثل هذا ما جاء في حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوامًا يعملون له عملاً إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال: أكملوا بقية يومكم، ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا فاستأجر قوامًا، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملا أجر الفقراء» (2).

ولما شاك أن ظاهر الآية أنها في المؤمنين من هذه الآمة وعلى هذا يدل قوله في الآية...

ومن آمن من أهل الكتاب بمحمد ﷺ وما بعثه الله به من الرحى فهو داخل ضمن مؤمني هذه الآمة فعمله مماثلٌ لكونه من مؤمني هذه الآمة، ولكونه آمن برسوله وآمن بمحمد ﷺ كما دل على ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أما ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنها، وما في معناه (3) فلمراد باليهود والنصارى فيه من مات منهم على دينه قبل أن ينسى أو قبل بعثة محمد ﷺ إذ لا خلاف في أن أدرك منهم الإسلام ودخل فيه فهو من المؤمنين من هذه الآمة، بل من آمن الكتاب من كان له قدم راسخ في الإسلام كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره، وعلى هذا فيدخل تحت الأمر في الآية من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب وغيرهم.

(1) أخرجه البخاري في الإجارة- الإجارة إلى نصف النهار، 2269، والترمذي في الأمثال 2871، وأحمد...

(2) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة 558.

(3) حديث أبي موسى المذكور بعده.
في الحديث القديسي: «وأنت النور، حتى أرحم بك من أشيا»(1).

وقال تعالى عن المطر: «كان نوراً، لله مبيناً رحمته، رحمت الله حكيم يحي الأرواح بعد الموت» [الروم: 50].

كما قال تعالى: «ي threadIdx أنت من أحق الناس أن يجل يجل لله وفوعان» [الأنفال: 29]


نور يقوى عند من وفقه الله حتى يكون كما قال عز وجل في الحديث القديسي: «ولا يزال عبد يقرب إلي بالتوافل حتى أخيه وأحبيته كن سمعه الذي يسمع به ونصره الذي ينصر به ووجهه التي يطش بها ورجله التي يمشى عليها، وئن سأله لأعطني لاعين من عينين» (2).

فيا بالله، بمن كان الله سمعه ونصره ووجهه وأغفاره وما سأل وأعطاه مما استعاذ منه، هل يضيرنا شيء هل يخفف من أحد؟! كلا والله - نسأل الله التوفيق.


(1) سبق ترجمته.
(2) آخره البخاري في الرقاق 1502 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
في الجنة يعمرون، وأهل النار فيها يتعاويون. فقال النبي ﷺ: "عبد نور الله قلبه فالزم"(1).

وقد أحسن القائل:

سأليش رفع اليداء والأعداء كالنصر فوق القمة الشاهاء النور في جنبي وبين جوانحي فعلام أخشى السير في الظلاة(2) وأيضاً "ولجعل لحكمكم نوراً تشرين يوم" بعد المات، يكون معكم في قبوركم في البرزخ ينسكم فيها وتهتدون به في الإجابة على أسئلة الملكين.

ونوراً بعد البخس من القبور في عرسات القيامة وما واقعها الشديدة عند الصراط والميزان وعند تطهير الصحف وغير ذلك من المواقف التي يشيع من هو لها الولد قال تعالى: "أمام ترى الموتى والموميت يتلقون نورهم بين أنفسهم وأميتهم بشرى كليمكم آلمهم جنت عزيزاً منه تجلى(3) [الأنعام: 122].

وقال تعالى: "نورهم يسعى برك أبهم وابنهم يكللون ربكنا آليم أنا نورنا وأغفر لنا" إذا على عصبي دين فيني(4) [النور: 8].

قال ابن القيم(5): وفي قوله: "تشرين يوم" نكتة بديعة، وهي أنهم ينشون على الصراط بأنوارهم، كما ينشون بها بين الناس في الدنيا ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدمًا عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه.

وشتان بين من يمشي بنور الله وبين من يتخط في الظلمات في الدنيا قال تعالى:

أمن كان نيذاعًا فأحسنه وعملنا له ثورًا بمسى فيه في الدنيا كمن مكنت في الظلمات لبسَ [البقرة: 22].

وُفِّرَ لَكُمْ (6) أي: ويغفر لكم ذنوبكم بأن يتجاوز عن عقوبتها، ويسيرها عن

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: 150/202، وعبد بن حيد في مسنده 1/135، وابن أبي شيبة في المصنف 2/170، وأخرجه عبد الرؤف في المصنف 2/47. وابن الباز في الط격، وابن القيم في الطهري، وابن أبي شيبة في الإصلاح 1/576، وابن المنذر في الطهري، 2/112، وابن منذر في الطهري، 2/112، وابن منذر في الطهري، 2/112، وابن منذر في الطهري، 2/112.

(2) البیتاني لآي القاسم الشابي. انظر: "دربانه" ص 11.

(3) انظر: "بدايات التفسیر" 4/293.
الخلق؛ لأن معنى المغفرة ستر الذنب عن الخلق والتجاوز عن العقوبة عليه كما جاء في
حديث ابن عمر رضي الله عنها في المناهجة.
«وَاللَّهُ غَفُورٌ» أي: ذو المغفرة الواسعة، كما قال عز وجل: «وَإِنَّ رَبِّكَ لَذَوَّ مَفْغُورٌ إِنَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ نَوحٍ». [النجم: 22].
وليعلنا أن زيد بن سعد (رضي الله عنه) قال: "وكذلك بيننا وبين الله رحمته عز وجل، ورحمته فعلية.
بوصلها إلى من شاء من خلقه، كما قال عز وجل: "وَيَعْدُو مَن يُشْأَنُ وَيَبْعَثُ مَن يُكَانُ".
[التمكوت: 21].
ورحمته عز وجل قسيس رحمة هي صفة ذاتية ثابتة له عز وجل، ورحمته فعلية.
ورحمة خاصة بالمؤمنين، كما قال عز وجل: "وَهُوَ الَّذِي يَدْفَعُ عَنْكُمْ نَارَ الْحَيَوَانِينَ رَجِمًا".
[الأحزاب: 43].
ومغفرته عز وجل ورحمته الواسعتين وعد من اتقاه وآمن برسله بمضاعفة الأجر.
والثواب وإعطائهم نوراً يمشون به في الدنيا والآخرة.
«إِنَّا نَزَّلْنَا عَلَى نَوحٍ وَإِلَىٰ مُوسَى».
أي: بيننا لكم فضلنا وإحساننا لمن اتقى الله وآمن برسله وأن الله يعطيهم كفيلين
من رحمة ويجعل لهم نوراً يمشون به ويغفر لهم؛ لأن ين: "يَمْنُوْلَ أَلْلَهُ رَبِّكُ مَا يُقَدِّرُونَ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ فَضْلَ اللَّهِ".
*8* من فضل الله ورده من أعطاه الله إياه، ولا على إعطاه ومن منعه عنه، كما قال
عز وجل عنهم: "فَفَوْقَاهُ آن يَدْخِلُ الْجَنَّةُ إِلاّ مِن كَانَ هُوَ أَوْ نَصْرَةً يَتَّلِكَ آمَنَاتُهُمْ فَلِهُمْ هُكَاهُمْ يَعْقِبُهُمْ إِنَّهُمْ صَدْرَ قِبَةٌ بِكُلِّ مَآمَلٍ وَجَهَّاهُمْ يَزِيدُونَ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هَمٌّ يَعْقِبُونَ".
[البقرة: 111، 112].
قال السعدي: (1) : "فأخبر الله تعالى المؤمنين برسوله محمد ﷺ الذين نحن أن لهم كفلين من رحمته ونورا ومحرقة، رغبةً على أنوف أهل الكتاب.

وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الآية تقوي قول ممن رأى أن الرؤى تقول: "يكون كفليين من رحمته" للمؤمنين من هذه الأمة. فإن في الآية هنا ما يشير بالتوبيخ لأهل الكتاب مما يفهم منه أنهم كانوا يفتخرون على المؤمنين قبل نزول الآية بأنهم يؤمنون أجرهم مرتين دون المؤمنين من هذه الأمة.

فأوأن الفضل يليد الله يُخيبَهُ من نيةك أعز وجهه عز وأعظم بعمائه عز، ويعده عن يد بعده.

وأوأن الفضل الذي كتبنهه، نجوى للنبي وصالح من عباده بفضله، وينبه عن يد بعده.

الله ذو الفضل العظيم، أي: والله صاحب الزيد والإنعام العظيم وهو الجواد الكريم.

القواعد والأحكام:

1- إثبات رسلة نوح وإبراهيم عليه السلام وأنها من أفضل الرسل، وجعل النبوة والكتاب في ذريتهما، والأمانة عليها وعلل الحقائق بذلك، لقوله تعالى: "ولقد أرسلناه وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما نبوةً وكتبنا.

2- أن من ذريه نوح وإبراهيم وقومهما وأقوام الرسل بعدهما، من هو مهدة، وكثير منهم فاسقون؛ لقوله تعالى: "بمهم وشركاءهم وشركاءهم الذين فسقوت.

3- لا ينبغي الاعتراف بما على الأئثرون، فأكثر الحقائق خارج عن طاعة الله؛ لقوله تعالى: "وبشرهم مهدي ونصران وكثير من مصدقون.

4- تتابع الرسل عليهم السلام بعد نوح وإبراهيم عليهم السلام؛ لقوله تعالى: "بهم فقديماً على نبيناهم عيسى.

5- ختم رسل بني إسرائيل والرسول قبل محمد ﷺ بعيسى بن مريم عليه السلام وكتابه الإنجيل؛ لقوله تعالى: "وفقيناه بعيسى ابن مريم ونايذنا الإنجيل".

(1) في: "تفسير الكريم الرحمن" 7/300.
6- رقة قلوب الحواريين أتباع عيسى عليه السلام ولبنها؛ لقوله تعالى: "وَجَعَلْنَا
في قلوب الَّذِينَ آمَنُوا رَأْيَةً وَرَحْمَةً".

7- ابتداع أتباع عيسى الرهبة والإيلام أنفسهم باستطاعتهم بعدها، لله عليهم طلبًا
منهم لرضوان الله، ومن ذلك لا يقوموا بها التزامًا بحري competit; لقوله تعالى: "وَرَهْبَانِيَّةً
أَبْدَعُوهَا مَا كَبِنُنَّهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَن يَفْرَحُوا بِرَحْمَتِنَا حَقَّ رَحْمَتِنَا".

8- أن من أحدث في دين الله وبعده وإحدي نفسه فنصيره الانقطاع والترك
بل والخروج عن الحق والضلال، وفي الابتداع الخير والبركة والليسر.

9- أن الله - عز وجل - لم يكتب على النصارى ولا غيرهم إلا ما يطيعون مما ينتهي
به وجه الله - عز وجل - لقوله تعالى: "مَا كَبِنُنَّهَا عَلَيْهِمْ".

10- إيتاء الله - عز وجل - الذين آمنوا من أتباع عيسى عليه السلام أجهم;
لقوله تعالى: "فَقَاتِينَا أَلِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرًا مَّعْنَى مَّعْنَى أَجْرًا".

11- تصدير الخطاب بالبدء بالذنبة والعنيدة والإحاطة؛ لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا".

12- نداء المؤمنين بوصف الآية تشريف وتكريم لهم وحث على الاتصال بهذا
الوصف وترغيب في امتثال ما ذكر بعدة وأن امتثاله من مقتضيات الإيام وعده بعد
نقصًا في الإيام؛ لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمَسَّتْكُمُ
وَجَهُ اللَّهِ وَالإِيَامُ بِرِسُولِهِ مُحَمَّدٍ".

13- وجوه تقوى الله والإيام برسوله محمد ﷺ; لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
أَكْثَرُوا آنفَوْا اللَّهُ".

14- وعد الله - عز وجل - من اتقوا وآمنوا برسوله بإعطائهم نصيبين من رجعه
ومضاعفة أجورهم ومنحهم نورًا معنويًا وحسًا يمشون به في الدنيا والآخرة ومغفرة
ذنوبهم؛ لقوله تعالى: "وَيَوْمَئِذٍ كَثِيرًا يَتَحْيِي".

15- إثبات صفة المغفرة الواسعة الله - عز وجل - وإثبات صفة الرحمة الواسعة له عز
وجل؛ الرحمة الذاتية والفعلية، الخاصة والعامة؛ لقوله تعالى: "وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

16- فضل الله - عز وجل - على المتقين المؤمنين من هذه الأمة مضاعفة أجورهم
ومنحهم النور ومغفرة ذنوبهم، رغم أنوف الحاسدين من أهل الكتاب؛ لقوله تعالى:
سورة الحديد، الآيات: 26-29

"(...) إن لا يعلم أهل الحكمة الأثرياء على شيء من فضل الله وإن أفضل بيد الله توبته من ذناته.

17 - أن الفضل كله بيد الله يعطيه من بشاه وهو سبحانه ذو الفضل العظيم والجود والخير العليم؛ لقوله تعالى: «وَأَلَّهَةُ الدُّنٌوَنَّ فَضْلٌ عظيمٌ».

18 - إثبات اليد الله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته؛ لقوله تعالى: «فَبِيْنَذَا أَلَّهَ».

* * *
فهرس الموضوعات

تفسير سورة ق ................................................................. 6

المقدمة ................................................................. 7

تفسير قوله تعالى: «وَأَلْقَاءِنَّهُمْ عَجْزًا » الآيات [1-5] .................................................. 11

تفسير قوله تعالى: «فَأَمَّا يَسْتَبْرِكُوْنَ إِلَّا أَنْسَمَأَرَ فَوْهُمْ كَيْفَ بَيْنَهُمْ وَرِيَانَهُمْ وَمَا أَيُّهَا ۤ مِنْ فُرُوجٍ }» الآيات [6-11] .................................................. 20

تفسير قوله تعالى: «كَذَٰلِكَ فَبِنَهُمْ نُهِيَ وأَصْحَبُ أَرْبَعَةٌ وَفَنَعْوَانُ }» الآيات [12-15] .................................................. 27

تفسير قوله تعالى: «وَلَمْ تَكُنَّا ٱلإِنسَٰنَ وَلَمْ تَأْتِيَنَا بِذَٰلِكَ ۡمَا تَوَرَّثْنَا يِبَوْنَا }» الآيات [16-22] .................................................. 33

تفسير قوله تعالى: «فَقَالُ فِرَّيْتُ هَذَا مَلَكَتِيُّ عَيْنِيُّ }» الآيات [23-29] .................................................. 43

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ يَوْمَ نُنْفِسُهُمُ ۖ ۗ فَغَيْبَةٌ مِنْ فِرِيقِهِ كَأَنْ هُمْ مُنْفَسِنُونَ }» الآيات [30-36] .................................................. 50

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ إِنَّا أَهْلَسْكَا لَبَّهُمْ يَنْفَسُونَ مِنْ فَرْقٍ مَّا أَتُّدُّنَّهُمْ ۗ فَأَيُّهَا ۗ ۗ }» الآيات [37-40] .................................................. 59

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ أَتَسْمَعُ ۖ ۗ فَبَيْنَ أَمْسَادَ مَنْ كَانُ قَرَسِيُّ }» الآيات [41-45] .................................................. 68

تفسير سورة النازارية .................................................. 81

المقدمة ................................................................. 83

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ وَٱلْأَبْرَىٰ بَيْنَ مَرْأَىٰ ۚ }» الآيات [1-6] .................................................. 85

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ وَإِنَّ أَبْنَيِّكَ ذُو ۢحِيْكَ }» الآيات [7-14] .................................................. 90

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ إِنَّ هُمَّ هُمُّ يَنْفِسُونَ فِي جَنَبٍ ۖ وَيَتَوبُونَ }» الآيات [15-23] .................................................. 95

تفسير قوله تعالى: «ۗۖ قَلْ أَنَّكَ حَيَّ حَيْثُ صَبِيبِيْنِ قَرِيبِيْنَ }» الآيات [24-30] .................................................. 110
تفسير قوله تعالى: ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸۳ِ۸ۢ
فهرس الموضوعات

تفسير قوله تعالى: "إن الله لا يؤمن بالآخرة ليؤمنون القناعة شيءة الأمية ..." الآيات (27-28) ................................................. 238

تفسير قوله تعالى: "وقد ما السكر ومآ في الأرض ..." الآتيين (31-32) ...................................................... 246

تفسير قوله تعالى: "أتيت آل الذي تولى ..." الآيات (33-34) ............................................................. 257

تفسير قوله تعالى: "ولأن لرجل المسلمين ..." الآيات (35-36) ............................................................. 266

تفسير قوله تعالى: "هذا نذر الأول ..." الآيات (36-37) ............................................................. 275

تفسير سورة القمر ................................................................. 281

القدمه ................................................................. 282

تفسير قوله تعالى: "أقرب إلى الساعه وأفق النصر ..." الآيات (1-8) ...................................................... 285

تفسير قوله تعالى: "قد كتب لبكم قوم نوح فكذبوا عبدا قلوا مجنون وزيديهم ..." الآيات (9-13) ...................................................... 299

تفسير قوله تعالى: "قد عاد كحكم كن عداي وندير ..." الآيات (16-20) ...................................................... 308

تفسير قوله تعالى: "كتب نوريد ينذر ..." الآيات (22-23) ...................................................... 316

تفسير قوله تعالى: "كتب نوريد ينذر ..." الآيات (26-31) ...................................................... 320

تفسير قوله تعالى: "كتب نوريد ينذر ..." الآيات (32-37) ...................................................... 326

تفسير قوله تعالى: "أئذ المجرمين في صلل وسريع ..." الآيات (37-42) ...................................................... 330

تفسير سورة الرحمن ................................................................. 343

القدمه ................................................................. 345

تفسير قوله تعالى: "الرحمن ..." الآيات (1-13) ...................................................... 347

تفسير قوله تعالى: "خلق الإنسان من صلب لقال الخاءر ..." الآيات (14-20) ...................................................... 361

تفسير قوله تعالى: "كل من عذبه فألا ..." الآيات (26-30) ...................................................... 369
تفسير قوله تعالى: «سنِّنْكُمْ نُورًا» (17) الآيات (3-6) 376

تفسير قوله تعالى: «إِذَا أَنْبَقَتْ أَنْسَاهُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْحُكْمَانِ» (7) الآيات 381

تفسير قوله تعالى: «وَلِيُغَفِّرُ مَا خَافَ مِنَ الْأَمْرِ» (8) الآيات (9-14) 386

تفسير سورة الواقعة 407

المقدمة 409

تفسير قوله تعالى: «إِذَا وَقَعَ الْوَاقِعُ» (9) الآيات (1-10) 411

تفسير قوله تعالى: «أَوْلَيْكَ الْمُغْرَّمُونَ» (10) الآيات (11-26) 417

تفسير قوله تعالى: «وَأَصْحَبُ الْأَبْيَضِينَ مَا أَصْحَبُ الْأَصِيلِينَ» (11) الآيات (27-40) 428

تفسير قوله تعالى: «وَأَصْحَبُ الْأَمْسِيَّاتِ مَا أَصْحَبُ الْفَجْرِيَّاتِ» (12) الآيات (41-62) 438

تفسير قوله تعالى: «فَخُفِّنْكُمْ فَلُولَّادُكُمْ» (13) الآيات (63-75) 444

تفسير قوله تعالى: «فَأَرْضَيْنَ مَا تَحْرُورُتْ» (14) الآيات (76-95) 449

تفسير قوله تعالى: «قُلْ أَقْبِسُ مَوضِعَ النَّجْوِ» (15) الآيات (96-105) 456

تفسير قوله تعالى: «فَلُولَّادُكُمْ» (16) الآيات (96-109) 468

تفسير سورة الجديد 477

المقدمة 479

تفسير قوله تعالى: «سَبِّحْ بَيُوْمِيْنَ آتَيْتِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ وَالْخَلْقِ» (17) الآيات 482

تفسير قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي بِسْتَةِ أَيَّامٍ مَّا أَسْتَوَى عَلَى الْمَيْنِ» 489

تفسير قوله تعالى: «يَمَّا أَوَى أَنْتُوْبُوْلُهُ وَرَسُولُهُ وَأَقْفُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ لَحْمًا مِّنْ لَّحْمِنَا وَنَحْوَهُ» الآيات 500
تفسير قوله تعالى: «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُعْلَمَ أَنَّا خَلَقْنَاكَ عِنْدَنا لِيُحْيِيْنَكَ مِنْ مَرْتِكَ ...» الآيات ُ[٢٤-٢٥] ٥٨٧

تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُحَيَّنَكَ وَأَرْسَلْنَا مَعْهُم مُّسِئِبَ...» الآيات ٣٨٧-٤٣٢ ٥٨٧

تفسير قوله تعالى: «لِيَقْوَمَ الْأَلَّامَ بِالْيَسْتِرِّ» الآية ٢٥ ٥٨٧

تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا لَوْمَا أَرَادُوهُمْ وَجَعَلْنَا فِي ذَرَّيْهِمْ النُّبُوَّةُ» الآيات ٢٦-٢٧ ٥٨٧

فهرس الموضوعات ................................................................. ٦٠٥
مفكرة